

نفس السكينة

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه وإن كان ليكره

تقاضى القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العمادى
المتوفى ٩٨٢ هـ
٩٨٢

الجزء الأول

الناشر
دار الحياة والنشر العربي
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

لقاضى القضاة الامام أبى السعود

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وبين له من شعائر الشرائع كل ما جل ودق ، أنزل عليه أظهر بينات وأبهر حجج قرآناً عربياً غير ذى عوج ، مصداقاً لما بين يديه من الكتاب ، ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ، ناطقاً بكل أمر رشيد هادياً إلى صراط العزيز الحميد آمراً بعبادة الصمد المعبود ، كتاباً متشابهاً مثاقيقاً تشعير منه الجلود ، تكاد الرواسى لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور ، حقيقاً بأن يسير به الجبال ، ويسر به كل صعب محال ، معجزاً ألهم كل مصقع من مهرة قحطان ، وبكت كل مفلق من سحرة البيان ، بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضة ومباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته ، نزل عليه على فترة من الرسل ، ليرشد الأمة إلى أقوم السبل ، فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين ، فاضمححل دجى الباطل وسطع نور اليقين ، فمن اتبع هداه فقد فاز بمناء ، وأما من عانده وعصاه واتخذ إلهه هو اه فقد هاهم في مواهى الردى وتردى في مهاوى الزور ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، صلى الله عليه وعلى آله الأخيار وصحبه الأبرار ما تناوبت الا نواء وتعاقبت الظلم والاضواء ، وعلى من تبعهم يا حسان مدى الدهور والازمان .

وبعد : فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادى (أبو السعود محمد بن محمد العمادى) إن الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطوراً والحكمة الكبرى فى تخمير طينة آدم ولم يكن شيئاً مذكوراً ليست إلا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ، ولا سبيل إلى ذاك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل ، فإنه عز سلطانه وبهر برهانه وإن سطر آيات قدرته فى صحائف الأكوان ونصب رايات وحدته فى صفائح الاعراض والاعيان ، وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العلم وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع وكل حرف رقم فى لوح الإختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون ، برهاناً جليلاً لا ريب فيه ومنهاجاً سوياً لا يضل من ينتحيه بل ناطقاً يتلو آيات ربه ، فهل من سامع واع ومجيب صادق ، فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة بأوضح عبارة ويلوح أخرى

بالطف إشارة ، لكن الإستدلال بتلك الآيات والدلائل والإستشهاد بتيك الأمارات والمخايل والتنبيه لتلك الإشارات السرية والتفطن لمعاني تلك العبارات العبقريّة وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لا يطبق به عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر فإذن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينيّة والمفسر لمشكلات الآيات التكوينيّة ، والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الأنس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة كما وأنه أيضاً من علو الشأن وسمو المكان ونهاية الغموض والإعضال وصعوبة المأخذ وعزّة المثال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية أعز من ييض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج إلى معارجة الرفيعة ولا يتأتى الرقي إلى مدارج المنفعة كيف لا وأنه مع كونه متضمناً لدقائق العلوم النظرية والعملية ومنطوياً على دقائق الفنون الخفية والجلية حاوياً لتفاصيل الأحكام الشرعية ومحيطاً بمناط الدلائل الأصلية والفرعية منبثقاً عن أسرار الحقائق والنعوت مخبراً بأطوار الملك والملوكوت عليه يدور فلك الأوامر والنواهي وإليه يستند معرفة الأشياء كما هي قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز واحتجبت طلعه بسبحات الإعجاز طويت حقائقه الآية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول يرد عيون العقول سبحانه ويخطف أبصار البصائر بريقه ولعانه . ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أسرة التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار ففاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وأبرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتباً جليلة الأقدار وألفوا زبراً جميلة الآثار .

أما المتقدمون المحققون فاقصروا على تمهيد المعاني وتشديد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرائف التحية والسلام . وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزايه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدوّنوا أسفاراً بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة يتشرف بها أذان الأذهان لاسيما الكشف وأنوار التنزيل المتفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لا اجتلاء وجه الإعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان في سوابق الأيام وسوائف الدهور والأعوام أو ان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار آناه الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف إليها ما ألفتته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل ماسنح الفكر العليل بالعناية الربانية وسمع به

النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف يمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب
 رغائب تنووا إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب وتحقيقات رصينة تعيث الألفهام في مداحض
 الأقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الأوهام من خواطر الأنام في معارك أفكار يشتبه فيها الشؤون
 ومدارك أنظار يختلط فيها الظنون وأبرز من وراء أستار الكمون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب
 المسكون ما تطمئن إليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز وأهديها إلى الخزانة
 العامرة الفامرة للبحار الزاخرة بجناب من خصه الله تعالى بخلافة الأرض واصطفاه لسلطنتها في الطول
 والعرض ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم والحقان الأجدل الأنعم مالك الإمامة العظمى والسلطان الباهر
 وارث الخلافة الكبرى كبراً عن كابر رافع رايات الدين الأزهر موضح آيات الشرع الأنور مرغم أنوف
 الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والآكسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده
 الغالب الهام الذي شرق عزمه المنير فاتته إلى المشرق الأسنى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس أو دنا
 بخميس عز مرم متزاحم الأفواج وعسكر كحضم متلاطم الأمواج فأصبح ما بين أفق الطلوع والغروب
 وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظماً في سلك ولاياته الواسعة ومندرجا تحت ظلال راياته الرائعة
 فأصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فياله من ملك استوعب ملكه البر البسيط
 واستعرق فلكه وجه البحر المحيط فكأنه فضاء ضربت فيه خيامه أو نصبت عليه ألوته وأعلامه مالك بمالك
 العالم ظل الله الظليل على كافة الأمم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم وسلطان
 المشرقين وخاقان الخاقين الإمام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة
 الحرمين الجليلين المعظمين وحماية المقامين الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية
 السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان بن السلطان المظفر المنصور والحقان الموقر المشهور صاحب المغازي
 المشهورة في أقطار الأمصار والفتوحات المذكورة في صحائف الأسفار السلطان سليم خان بن السلطان
 السعيد والحقان المجيد السلطان بايزيد خان لازالت سلسلة سلطنته متسلسلة إلى انتهاء سلسلة الزمان
 وأرواح أسلافه العظام متزهة في روضة الرضوان .

وكنيت أتردد في ذلك بين إقدام وإحجام لقصور شأني وعزة المرام أين الحضيض من الذرى شتان
 بين الثريا والثرى وهيات اصطلياد العنقاء بالشباك واقتياد الجوزاء من بروج الأفلاك فضضت عليه الدهور
 والسنون وتغيرت الأطوار وتبدلت الشؤون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء البلاد وأخرى في
 قضاء العساكر والأجناد لخال بيني وبين ما كنت أخال تراكم المهمات وتزاحم الأشغال وجوم العوارض
 والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد إلى المغازي والأسفار والتنقل من دار إلى دار وكنيت في
 تضاعيف هاتيك الأمور أقدر في نفسي أن أنتهز نهضة من الدهور ويتسنى لي القرار وتطمئن بي الدار
 وأظفر حينئذ بوقت خال أبتل فيه إلى جناب ذي العظمة والجلال وأوجه إليه وجهي وأسلم له سرى
 وعلايتي وأنظر إلى كل شيء بعين الشهود وأتعرف سر الحق في كل موجود تلافياً لما قد فات واستعداداً
 لما هو آت وأتصدى لتحصيل ما عزمت عليه وأنولى لتكميل ما توجهت إليه برفاهة واطمئنان وحضور

قلب وفراغ جنان فينما أنا في هذا الخيال إذ بدا لي مالم يخطر بالبال تحولت الأحوال والدهر حول فوقعت في أمر أشق من الأول أمرت بحل مشكلات الأنام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذبول وصرت كالحارب من المطر إلى السيول فبلغ السيل الزبى وغمرني أي غمر غوارب ماجرى بين زيد وعمرو فأضحت في ضيق المجال وسعة الاشغال أشهر من يضرب بها الأمثال فجعلت أتمثل بقول من قال:

لقد كنت أشكوك الحوادث برهة * وأستمرض الأيام وهي صحاح

إلى أن تغشني وقت حوادث * تحقق أن السالفات منافع

فلما انصرفت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورأيت أن الفرصة على جناح الفوات وشمل الأسباب في شرف الشتات وقد مسنى الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنا الأجل من الحلول وأشرفت شمس الحياة على الأفول عزمت على إنشاء ما كنت أنويه وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أبتغيه ناوياً أن أسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وإنعامه ﴿إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم﴾ فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على وتزاحم المشادة بين يدي متضرعاً إلى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملوك في أن يعصمني عن الزيف والزلل ويقبني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل مأرومه وأرجوه ويهديني إلى تكميله على أحسن الوجوه ويجعله خير عدة وعتاد أتمتع به يوم المعاد فيامن توجهت وجوه الذل والإبتهال نحو باباه المنيع ورفعت أيدى الضراعة والسؤال إلى جنباه الرفيع أفض علينا شوارق أنوار التوفيق وأطلعنا على دقائق أسرار التحقيق وثبت أقدامنا على مناهج هداك وأنطقنا بما فيه أمرك ورضاك ولا تكلنا إلى أنفسنا في لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا إلى الخير حيث كان جنبك على جباه الاستكابة ضارعين ولا أبواب فيضك قارعين أنت الملاذ في كل أمر مهم وأنت المعاذ في كل خطب ملم لارب غيرك ولا خير إلا خيرك بيدك مقاليد الأمور لك الخلق والأمر وإليك النشور ؟

(١) سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
تَكْوِيْنُ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ سَمَاءٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ

الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

(سورة فاتحة الكتاب وهي سبع آيات)

الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتح كالكتاب والثوب أطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم أطلقت على أول كل شيء فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصوله والسطور والأوراق التدريجية قراءة وعدا، والتناء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أو هي مصدر بمعنى الفتح أطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر إشعاراً بأصالته كأنه نفس الفتح فإن تعلقه به بالذات وبالباقى بواسطة لكن لا على معنى أنه واسطة في تعلقه بالباقى ثانياً حتى يرد أنه لا يتسنى في الخاتمة لما أن ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك إنما يتحقق بعد انقطاع الملابس عن أجزائه الأول بل على معنى أن الفتح المتعلق بالأول فتح له أولاً وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطة لكونه جزءاً منه وكذا الكلام في الخاتمة فإن بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر أولاً وبالذات وللكل بواسطة على الوجه الذي تحققته والمراد بالأول ما يعم الإضافة فلا حاجة إلى الاعتذار بأن إطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتماها باعتبار جزئها الأول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين أجزائه على ما عليه اصطلاح أهل الأصول ولا ضير في اشتها السورة الكريمة بهذا الاسم في أوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لماء أن التسمية من جهة الله عز اسمه أو من جهة الرسول ﷺ بالإذن فيسكني فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه عز وجل أو في اللوح أو باعتبار أنه أنزل جملة إلى السماء الدنيا وأمله جبريل على السفارة ثم كان ينزله على النبي ﷺ نجوماً في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والإضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت أن المضاف جزء من المضاف إليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم ولا في

النزول كما قيل أما الأول فبين إذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلاة حتى تعتبر في التسمية بمبدئيتها له وأما الآخران فلأن اعتبار المبدئية من حيث التعليم أو من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية أجزاء الكتاب من تينك الحثيتين ولا ريب في أن الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى أم القرآن لكونها أصلاً ومنشأً له إما لمبدئيتها له وإما لاشتغالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الأشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى أم الكتاب أيضاً كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه أصلاً لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على معانيها لكونها بيئة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في أم القرآن لا ما أورده الإمام البخاري في صحيحه من أنه يبدأ بقراءتها في الصلاة فإنه مما لا تعلق له بالتسمية كما أشير إليه وتسمى سورة الكنز لقوله ﷺ أنها أنزلت من كنز تحت العرش أو لما ذكر في أم القرآن كما أنه الوجه في تسميتها الأساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتغالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشفافية لقوله ﷺ هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى في الصلاة أو لتكرار نزولها على ما روى أنها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة أخرى حين حولت القبلة وقد صح أنها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني وهو مكي بالنص (بسم الله الرحمن الرحيم) اختلف الأئمة في شأن التسمية في أوائل السور الكريمة فقليل إنها ليست من القرآن أصلاً وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل إنها آية فذة من القرآن أنزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب إلى ابن عمر أيضاً رضي الله عنهم وعليه يحمل إطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنها أنزلت مع كل سورة وهو أيضاً مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من أن هذا القول من الشافعي لم يسبقه إليه أحد وقيل إنها آية من الفاتحة مع كونها قرآناً في سائر السور أيضاً من غير تعرض لكونها جزءاً منها أولاً ولا لكونها آية تامة أولاً وهو أحد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي أنه قول ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم وقيل إنها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل إنها بعض آية في الكل وقيل إنها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءاً منها وهذا القول غير معزى في الكتب إلى أحد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه إلى أحد وهو إنها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك أحد محملي تردد الشافعي فإنه قد نقل عنه أنها بعض آية في الفاتحة وأما في غيرها فقوله فيها

متعدد قبيل بين أن يكون قرآنا أو لا وقيل بين أن يكون آية تامة أو لا قال الإمام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن أحمد بن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل أنه مع مالك وغيره ممن يقول أنها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الأقاويل هي الثلاث الأول والاتفاق على إثباتها في المصاحف مع الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضى بنفي القول الأول وثبوت القدر المشترك بين الأخيرين من غير دلالة على خصوصية أحدهما فإن كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كالأستدعي كونها آية منفردة منه وأما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روى عن أبي هريرة من أنه ﷺ قال فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روى عن أم سلمة من أنه ﷺ قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية وإن دل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في إثبات القول الثالث أما الأول فلا أنه لا يدل إلا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها إلا أن يلتجأ إلى أن يقال أن كونها آية متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير أن تكون جزءا منها قول لم يقل به أحد وأما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور وأما الثالث فنطاق بخلافه مع مشاركته للثاني في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر بنبي عنه الفعل المصدر بها كما أنها كذلك في تسمية المسافر عند الحول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الأفعال ومعناها الإستعانة أو الملازمة تبركا أي باسم الله أقرأ أو أتلو وتقديم المعمول للإعتناء به والقصد إلى التخصيص كما في إياك نعبد وتقدير أبدا لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مغل بما هو المقصود أعني شمول البركة لكل وادعاء أن فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معاً وفي تقدير أقرأ من جهة المعنى فقط ليس بشيء فإن مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله إذ لم يقل في الحديث الكريم كل أمر ذي بال لم يقل فيه أو لم يضر فيه أبدا وهذا إلى آخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقيناً لهم وإرشاداً إلى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية إلى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسألة وإنما كسرت ومن حق الحروف المفردة أن تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الأمر ولام الإضافة داخلية على المظهر للفصل بينهما وبين لام الإبتداء والاسم عند البصريين من الأسماء المحذوفة الأعجاز المبنية الأوائل على السكون قد أدخلت عليها عند الإبتداء همزة لأن من دأبهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريحهم على أسماء وسمى وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال [والله أسماك سمي مباركا * أثرك الله به إشاركا] والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لأنه رفع للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة وأصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل إعلاؤها ورد عليه بأن همزة لم تعمد داخلية على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وإنما لم يقل بالله للفرق بين اليمين واليمين أو لتحقيق ما هو المقصود بالإستعانة ههنا فإنها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على إيقاع

الفعل وإحداثه أى إفاضة القدرة المفسرة عند الأصوليين من أصحابنا بما يتمكن به العبد من أداء ما لزمه المنقسمة إلى ممكنة وميسرة وهى المطلوبة بإيالك نستعين وتارة أخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة فى كون الفعل معتداً به شرعاً فإنه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم وإلا فالمتبادر من قولنا بالله عند الإطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هى الاستعانة الأولى إن قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما أن التبرك لا يكون إلا به قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر إلا فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال إرادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية أو التبرك وإنما لم يكتب الألف لكثرة الإستعمال قالوا وطولت الباء عوضاً عنها . و(الله) أصله الإله فحذفت همزته على غير قياس كما ينهى عنه وجوب الإدغام وتعويض الألف واللام عنها حيث لزمه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يالله بالقطع فإن المحذوف القياسى فى حكم الثابت فلا يحتاج إلى التدارك بما ذكر من الإدغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الإدغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والإله فى الأصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق أو باطل أى مع قطع النظر عن وصف الحقيقة والبطلان لا مع اعتبار أحدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق وأما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره أصلاً واشتقاقه من الإلاهة والآلوهة والآلوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهري على أنه اسم منها بمعنى المألوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على أنه صفة منها بدليل أنه يوصف ولا يوصف به حيث يقال إله واحد ولا يقال شيء إله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما أن الموضوع له فى الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فدلوا لها مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية أصلاً ومن معنى معين قائم بها على أن ملاك الأمر تلك الخصوصية فبأى ذات يقوم ذلك المعنى يصح إطلاق الصفة عليها كما فى الأفعال ولذلك تعمل عملها كاسمى الفاعل والمفعول والموضوع له فى الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فدلوه مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما فى الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من إله بمعنى تحير لأنه سبحانه يحار فى شأنه العقول والأفهام وأما إله كعبدوزنا ومعنى فشتق من الإله المشتق من إله بالكسر وكذا تأله واستأله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من إله إلى فلان أى سكن إليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الأرواح إلى معرفته وقيل من إله إذا فزع من أمر نزل به وآله غير إله إذا أجاره إذ العائد به تعالى يفزع إليه وهو يحجره حقيقة أو فى زعمه وقيل أصله لاه على أنه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع أطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار أمر التوحيد فى قولنا لا إله إلا الله ولا يخفى أن اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن إطلاقه على غيره أضلا كاف فى ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد أن كان اسم جنس فى الأصل وقيل هو وصف فى الأصل لكنه لما

غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره أصلاً صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم أن المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فعناها لافراد من أفراد المعبود بالحق إلا ذلك المعبود بالحق وقيل أصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الألف الثانية وإدخال الألف واللام عليه وتفخيم لاهه إذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقاً وحذف ألفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر في قوله [ألا لا بارك الله في سهيل * إذا ما الله بارك في الرجال] . (والرحمن الرحيم) صفتان • مبينتان من رحم بعد جعله لازماً بمنزلة الغرائز بنقله إلى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل إن الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيديويه في قولهم هو رحيم فلا ناو الرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على مافيا والمراد ههنا التفضل والإحسان وإرادتهما بطريق إطلاق اسم السبب بالنسبة إلينا على مسببه البعيد أو القريب فإن أسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات والأول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وإنما امتنع صرفه إلحاقاً له بالأغلب في بابه من غير نظر إلى الاختصاص العارض فإنه كما حظ وجود فعلي حظ وجود فعلة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع إلى أصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بأن تقاس إلى نظائرها من باب فعل يفعل فإذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقيق وجود فعلي فيها علم أن هذه الكلمة أيضاً في أصلها مما تحقق فيها وجود فعلي فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل يارحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تأخير رعايته لأسلوب الترقى إلى الأعلى كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لأنه باختصاصه به عز وجل صار حقيقة بأن يكون قريباً للاسم الجليل الخاص به تعالى ولأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وإفراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة . (الحمد لله) الحمد هو النعت بالجميل على الجليل اختياراً يابا كان أو مبدأه ٢ على وجه يشعر ذلك بتوجيهه إلى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فإنه خال عنها يرشدك إلى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فإن تعلق الثاني بمفعوله على مناجاة تعلق عامة الأفعال بمفعولاتها وأما الأول فتعلقه بمفعوله منبى عن معنى الإنهاء كما في قولك كلمته فإنه معرب عما يقيد به لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره وشكرته وعبدته وخدمته فإن تعلق كل منها منبى عن المعنى المذكور وتحقيقه أن مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به أى فعل كان اختلاف أصلاً وأما المفعول به الذى هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على أنحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الأفعال بحسب معانيها المختلفة فإن بعضها يقتضى أن يلبسه ملابس تامة مؤثرة فيه كعامة الأفعال وبعضها يستدعى أن يلبسه أدنى ملابس إما بالانتهاء إليه كالإعانة مثلاً أو بالإبتداء منه كالإستعانة مثلاً اعتبر في كل نحو من أنحاء تعلقه به كيفية لا تقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحويين الأخيرين فنظم القسم الأول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابس وجعل كل واحد من القسمين الأخيرين

من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فإن قولك أعنته مشعر بانتهاء الإعانة إليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق بأحدهما على الكيفية الأولى وبالأخر على الثانية أو الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فإن التحديث مع كونه فعلاً واحداً قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الأولى وكذا السؤال فإنه فعل واحد قد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الأولى ولا ريب في أن اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب إليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وإن كان لا يتضح حق الاتضاح إلا عند الترجمة والتفسير وإن مدار ذلك الاختلاف ليس إلا اختلاف الفعل أو اختلاف المفعول وإذا لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين أن اختلافهما في كيفية التعلق لا اختلافهما في المعنى قطعاً هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الإختيار يقال مدحت زيداً على حسنه ورشاقه قده وأياماً كان فليس بينهما ترادف بل أخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتأييد فإنهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وإنما مرادف النصر الإعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر ثم إن ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق بالإرادة في مقام التعظيم وأما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقاً كما في قوله تعالى عسى أن يعثلك ربك مقاماً محموداً وفي قولهم لهذا الأمر عاقبة حميدة وفي قول الأطباء بحران محمود بما لا يختص بالفاعل فضلاً عن الإختيار فبمعزل عن استحقاق الإرادة ههنا استقلالاً أو استتباعاً بحمل الحمد على ما يعم المعنيين إذ ليس في إثباته له عز وجل فائدة يعتد بها وأما الشكر فهو مقابلة النعمة بالشأن وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال | أفأدتم النعماء منى ثلاثة • يدى ولسانى والضمير المحجبا | فإذا هو أعم منهما من جهة وأخص من أخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر أدخل في إشاعة النعمة والاعتداد بشأنها وأدل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي أعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد رأس الشكر وملاكا لأمره في قوله ﷺ الحمد رأس الشكر ماشكر الله عبد لم يحمده وارتفاعة بالابتداء وخبره الظرف وأصله النصب كما هو شأن المصادر المنصوبة بأفعالها المضمرّة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكر أو عجباً كأنه قيل نحمد الله حمداً بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى إياك نعبد وإياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل وأما ما قيل من أنه بيان الحمد له تعالى كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد فمع أنه لا حاجة إليه مما لا صحة له في نفسه فإن السؤال المقدر لابد أن يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق إليه الأذهان والأفهام ولا ريب في أن الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال أحد أن يسأل عن كيفيته على أن ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فإنه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بياناً لكيفية حمدهم والاعتذار بأن المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للأمر وتحمل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي أن فرض السؤال من جهته عز وجل فأتت نكتت الإلتفات التي أجمع عليها السلف والخلف وإن فرض من جهة الغير يختل النظام لا ببناء الجواب على خطابه تعالى

وهذا يتضح فساد ما قيل أنه استئناف جواباً لسؤال يقتضيه إجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكأنه قيل ما شأنكم معه وكيف توجهكم إليه فأجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فإن تناسى جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وجل مما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله والحق الذي لا يحيد عنه أنه استئناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للإقبال الكلي عليه من غير أن يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبراً وإثارة الرفع على النصب الذي هو الأصل للإيدان بأن ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لإثبات مثبت وأن ذلك أمر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيد قراءة النصب وهو السرفى كون تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام أحسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاماً قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الإشارة إلى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعى لتخصيص جميع أفرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا بناء على أن أفعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الأفراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الأفعال الجميلة راجعة إليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الأفراد ودواعيها في المقام الخطابى منزلة العدم كيفاً وكما وقد قيل الإستغراق الحاصل بالقصد إلى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع أفرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعاً باللام وبضم اللام اتباعاً لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل .

- (رب العالمين) بالجر على أنه صفة لله فإن إضافته حقيقة مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعيين إرادة الاستمرار وقرئ منصوباً على المدح أو بما دل عليه الجملة السابقة كأنه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة أعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الأصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازماً بنقله إلى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لأنه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى إلا مقيد كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقى ربه خمرأ وقوله تعالى ارجع إلى ربك وما في الصحيحين من أنه ﷺ قال لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك ولا يقل أحدكم ربى وليقل سيدى ومولاي فقد قيل إن النهى فيه للتنزيه وأما الأرباب فحيث لم يكن إطلاقه على الله سبحانه جاز في إطلاقه الإطلاق والتقيد كما في قوله تعالى أرباب متفرقون خير الآية والعالم اسم لما يعلم به كالتام والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات أى فى القدر المشترك بين أجناسها وبين مجموعها فإنه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الأفلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان إلى غير ذلك يطلق على المجموع أيضاً كما في قولنا العالم بجميع أجزائه محدث وقيل هو اسم لاولى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستنباع وقيل أريد به الناس فقط فإن كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما فى العالم الكبير من الجواهر والأعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك أمر بالنظر فى النفس كالنظر فى الآفاق فقل وفى أنفسكم أفلا تبصرون والأول هو الآخر الأظهر وإثارة صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع

الأجناس والتعريف لاستغراق أفراد كل منها بأسرها إذ لو أفرد لربما توهم أن المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي أو استغراق أفراد جنس واحد على الوجه الذي أشير إليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وإن لم ينطلق على آحاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل أنه جمع لا واحد له من لفظه فكذا أن الجمع المعروف يستغرق آحاد مفردة وإن لم يصدق عليها كما في مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين أى كل محسن كذلك العالم يشمل أفراد الجنس المسمى به وإن لم ينطلق عليها كأنها آحاد مفردة التقديرى ومن قضية هذا النزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكذا أن الأقاويل يتناول كل واحد من آحاد الأقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من آحاد الأجناس التى لا تكاد تحصى روى عن وهب ابن منبه أنه قال لله تعالى ثمانية عشر ألف عالم والدنيا عالم منها وإنما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما فى حكمها من الأعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم أن عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الآحاد ليس إلا باعتبار الغلبة والاصطلاح وأما باعتبار الأصل فلا ريب فى صحة الإطلاق قطعاً لتحقيق المصداق حتماً فإنه كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ماسواه وبكل جنس من أجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء من أجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من أفراد تلك الأجناس لتحقيق الحاجة إلى المؤثر الواجب لذاته فى الكل فإن كل مظهر فى المظاهر بما عزوهان وحضر فى هذه المحاضر كأنما كان دليل لا تمح على الصانع المجيد وسبيل واضح إلى عالم التوحيد وأما شمول ربوبيته عز وجل للكل فهما لا حاجة إلى بيانه إذ لا شىء مما أحقق به نطاق الإمكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات إلا وهو فى حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التريية عنه آناً واحداً لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار إلا فى مطمورة العدم ومهاوى البوار لكن يفيض عليه من الجنب الأقدس تعالى شأنه وتقديس فى كل زمان يمضى وكل آن يمر وينقضى من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته مالا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه إلا العليم الخبير ضرورة أنه كما لا يستحق شىء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وإنما ذلك من جنب المبدأ الأول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء مالم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الأصل لا يتصور بقاءه على الوجود بعد تحققه بعلمته مالم ينسد عليه جميع أنحاء عدمه الطارىء لما أن الدوام من خصائص الوجود الواجبى وظاهر أن ما يتوقف عليه وجوده من الأمور الوجودية التى هى علله وشرايطه وإن كانت متناهية لوجوب تنهاى ما دخل تحت الوجود لكن الأمور العدمية التى لها دخل فى وجوده وهى المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك إذ لا استحالة فى أن يكون لشىء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده أو بقاءه على ارتفاعها أى بقائها على العدم مع إمكان وجودها فى نفسها فإبقاء تلك الموانع التى لا تنهاى على العدم تربية لذلك الشىء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من أفراد الموجودات فى كل آن من آتات الوجود غير متناهية فسبحانه سبحانه ما أعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بأنظارها ولا تطالعه العقول بأفكارها شأنه لا يضاهى وإحسانه لا يتناهى ونحن فى معرفته حائرون وفى إقامة مراسم شكره قاصرون نسألك اللهم الهداية

إلى مناهج معرفتك والتوفيق لأداء حقوق نعمتك لانحصى ثناء عليك لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب
إليك . (الرحمن الرحيم) صفتان لله فإن أريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين أو ما يفيض
٣ على الكل بعد الخروج إلى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وإن أريد
ما يعم الكل في الأطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب أن الترية
لا تقتضى المقارنة للرحمة فأيرادها في عقبها للإيدان بأنه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة
من غير وجوب عليه وبأنها واقعة على أحسن ما يكون والاقتصار على نعمته تعالى بهما في التسمية لما أنه
الأنسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والأوفق لمقاصده . (مالك يوم الدين) صفة رابعة له تعالى
٤ وتأخيرها عن الصفات الأولى مما لا حاجة إلى بيان وجهه وقرأ أهل الحرمين المحترمين ملك من الملك
الذى هو عبارة عن السلطان القاهر والإستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى في
أمور العامة بالأمر والنهي وهو الأنسب بمقام الإضافة إلى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح أو الحال وبالرفع
منونا ومضافا على أنه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة عما بين
طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد ههنا
مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان أو شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والأول في بيت
الحماسة | ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا | وأما الأول في الأول والثاني في الثاني فليس
بجزاء حقيقة وإنما سمي به مشاكلة أو تسمية للشيء باسم مسببه كما سميت إرادة القيام والقراءة باسمهما
في قوله عز اسمه إذا قمتم إلى الصلاة وقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السرفى بناء
المفاعلة من الأفعال التي تقوم أسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فإن قيام السرقة التي هي سبب
للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار كأنها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت
صيغة المفاعلة الدالة على المشاركة بين الإثنين وإضافة اليوم إليه لأدنى ملازمة كإضافة سائر الظروف
الزمانية إلى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الأحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من
القيام والجمع والحساب لكونه أدخل في الترغيب والترهيب فإن ما ذكر من القيام وغيرها من مبادئ
الجزاء ومقدماته وإضافة مالك إلى اليوم من إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على نهج الإتساع المبني على إجرائه
بمجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم ياسارق الليلة أهل الدار أى مالك أمور العالمين كلها في
يوم الدين وخلو إضافته عن إفادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة وإنما هو إذا أريد به الحال أو
الاستقبال وأما عند إرادة الإستمرة الثبوتى كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها إضافة حقيقية
كإضافة الصفة المشبهة إلى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وإن لم يكن مستمر فى جميع
الآزمنة إلا أنه لتحقيق وقوعه وبقائه أبداً أجرى مجرى المتحقق المستمر ويجوز أن يراد به الماضى بهذا
الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضى وما ذكر من إجراء الظرف بمجرى المفعول به إنما هو من
حيث المعنى لا من حيث الإعراب حتى يلزم كون الإضافة لفظية ألا ترى أنك تقول فى مالك عبده

أمس أنه مضاف إلى المفعول به على معنى أنه كذلك معنى لا أنه منصوب محلاً وتخصيصه بالإضافة إما
 لتعظيمه وتهويله أو لبيان تفرده تعالى بإجراء الأمر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والأُملاك
 حينئذ بالكلية وإجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى
 المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فإن كل واحدة
 منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه أما الأولى والرابعة
 فظاهر لأنهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى رباً مالكا وما سواه مربوباً مملوكاً له تعالى وأما الثانية
 والثالثة فلأن اتصافه تعالى بهما ليس إلا بالنسبة إلى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي أن يكون الكل
 منعماً عليهم فظهر أن كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الأمور المذكورة له تعالى
 دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الإطلاق وهو المعنى بالإختصاص . (إياك نعبد وإياك نستعين)
 الثفات من الغيبة إلى الخطاب وتلوين للنظم من باب إلى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام
 ومسلك البراعة حسبما يقتضى المقام لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس
 واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى كل واحد من الآخرين كما في قوله
 عز وجل الله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً آية وقوله تعالى حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم إلى غير
 ذلك من الالتفاتات الواردة فى التنزيل لا سرار تقتضيها ومزايا تستدعيها وما استأثر به هذا المقام الجليل
 من النكت الرائقة الدالة على أن تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما أجرى عليه من النعوت الجليلة
 التى أوجبت له تعالى أكمل تميز وأتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعى استعمال
 صيغة الخطاب والإيذان بأن حق التالى بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الأقدس المستوجب
 للعبودية وامتياز به ذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات وأحكام الربوبية المميزة له عن جميع
 أفراد العالمين وافتقار الكل إليه فى الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذى مرت إليه الإشارة
 أن يترقى من رتبة البرهان إلى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة إلى معالم الشهود ويلاحظ نفسه فى
 حظائر القدس حاضراً فى محاضر الأنس كأنه واقف لدى مولاه مائل بين يديه وهو يدعو بالخضوع
 والإخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلاً من هذه شئون ذاته وصفاته نخسك بالعبادة والاستعانة
 فإن كل ما سواك كأننا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلاً عن استحقاق أن يعبد أو يستعان ولعل
 هذا هو السر فى اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة فى كل ركعة من الصلاة التى هى مناجاة
 العبد لمولاه ومثناة للتبذل إليه بالكلية و(إيا) ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء
 حروف زبدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الإعراب كالتاء فى أنت والكاف فى أرىتك
 وما ادعاه الخليل من الإضافة محتجاً عليه بما حكاه عن بعض العرب إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا
 الشواب فيما لا يعول عليه وقبل هى الضمائر وإيا دعامة لها لتصيرها منفصلة وقبل الضمير هو المجموع
 وقرئ إياك بالتخفيف وافتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة أقصى غاية التذلل
 والخضوع ومنه طريق معبد أى مذل والعبودية أدنى منها وقبل العبادة فعل ما يرضى به الله والعبودية

الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الذى مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما فى قوله تعالى وإياى فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنسوب للتخصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة والاستعانة وإبراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما أنها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وإن ساعده الصفات المجراة عليه أيضاً وأما الاستعانة فمن الأحكام المبنية على الصفات المذكورة ولأن العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولأن العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه فى الوجوب وعدمه وقيل لأن تقديم الوسيلة على المسئول أدعى إلى الإجابة والقبول هذا على تقدير كون إطلاق الاستعانة على المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل إنه لما أن المسئول هو المعونة فى العبادة والتوفيق لإقامة مراسمها على ما ينبغى وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الخامد فإن استعانت به مسبوقة بملاحظة فعل من أفعاله ليستعينه تعالى فى إيقاعه ومن البين أنه عند استغراقه فى ملاحظة شئونه تعالى واشتغاله بأداء ما يوجب تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من أفعاله وأحواله إلا الإقبال الكلى عليه والتوجه التام إليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى أولاً وباستدعاء الهداية إلى ما يوصل إليه آخرأ فكيف يتصور أن يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من أمور دنياه أو بما يعمها وغيرها كأنه قيل وإياك نستعين فى ذلك فإننا غير قادرين على أداء حقوقه من غير إعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الإشعار بعلو رتبة عبادته تعالى وعزّة منالها وبكونها عند العابد أشرف المباحى والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من أعمال نفسه ومن الملائمة لما يعقبه من الدعاء مالا يخفى وقيل الواو للحال أى إياك نعبد مستعينين بك وإيثار صيغة المتكلم مع الغير فى الفعلين للإيدان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف فى مواقف الكبرياء منفرداً وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلاً وأن ذلك إنما يتصور من عصاة هو من جملتهم وجماعة هو من زميرتهم كما هو ديدن الملوك أو الإشعار باشتراك سائر الموحدين له فى الحال العارضة له بناء على تعاضد الأدلة الملجئة إلى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بنى تميم . (اهدنا الصراط المستقيم) ٦

أفراد لمعظم أفراد المعونة المسئولة بالذكر وتعيين لما هو الأهم أو بيان لها كأنه قيل كيف أعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم إلى صراط الجحيم وأرد على نهج التهم والأصل تعديته يالى واللام كما فى قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدى إلى الحق قل الله يهدى للحق فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها إلى أنواع لا تكاد تحصر منحصرة فى أجناس مترتبة منها أنفسية كإفاضة القوى الطبيعية والحيوانية التى بها يصدر عن المراء أفاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التى بها يتمكن من إقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فإما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهى نصب الأدلة المودعة فى كل فرد من أفراد العالم حسبما لوح به فيما سلف وإما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الأحكام النظرية والعملية بلسان المقال بإرسال الرسل

وإنزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الإرشاد إلى مسلك الاستدلال بتلك الأدلة التكوينية الآفاقية والآنفسية والتنبيه على مكانها كما أشير إليه مجملًا في قوله تعالى وفي الأرض آيات للوقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي قوله عز وعلا إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الأسرار على قلب المهدي بالوحي أو الإلهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتجها وطالب يستدعيها والمطلوب إما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وإما الثبات عليها كما روى عن علي وأبي رضى الله عنهما اهدنا نبتنا ولفظ الهداية على الوجه الأخير مجاز قطعاً وأما على الأول فإن اعتبر مفهوم الزيادة داخلاً في المعنى المستعمل فيه كان مجازاً أيضاً وإن اعتبر خارجاً عنه مدلولاً عليه بالقرائن كان حقيقة لأن الهداية الزائدة هداية كما أن العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ أرشدنا والصراط الجادة أصله السين قلبت صاداً لما كان الطاء كصيطر في مسيطر من شرط الشيء إذا ابتلعه سميت به لأنها تسترط السابلة إذا سلكوها كما سميت لقها لأنها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاى تحرياً للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعاً وفصحاهن لإخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام وجمعه صرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وهي الملة الخيفية السمحة المتوسطة بين الإفراط والتفريط . (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من الأول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على أن طريق الذين أنعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم إلا إليه وإطلاق الإنعام لقصد الشمول فإن نعمة الإسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بجذافيرها وقيل المراد بهم الأنبياء عليهم السلام ولعل الأظهر أنهم المذكورون في قوله عز قائلًا فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطاً مستقيماً وقيل هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من أنعمت عليهم والإنعام إيصال النعمة وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان من النعمة وهي اللين ثم أطلقت على ما تستلذه النفس من طيبات الدنيا . ونعم الله تعالى مع استحالة إحصائها ينحصر أصولها في دنيوى وأخروى والأول قسيان وهى وكسبى والوهبى أيضاً قسيان روحانى كنفخ الروح فيه وإمداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فإنها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة فى أنفسها وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الأعضاء والكسبى تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالآخلاق السنية والمسلكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال . والثانى مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبؤته فى أعلى عليين مع المقرين والمطلوب هو القسم الأخير وما هو ذريعة إلى نيته من القسم الأول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة . (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) صفة للوصول على أنه عبارة عن إحدى الطوائف المذكورة المشهورة بالإنعام عليهم واستقامة المسلك ومن ضرورة

هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما أضيف إليه كلمة غير من المتصفين بضدى الوصفين المذكورين أعنى مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتمست بذلك تعرفاً مصححاً لوقوعها صفة للبرقة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكلمة لما قبله وإيداناً بأن السلامة مما ابتلي به أولئك نعمة جليلة في نفسها أى الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التى هى نعمة الإيمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا بأعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذى اللام إذا أريد به الجنس في ضمن بعض الأفراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهنى وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند أحمد والترمذى فيبقى لفظ غير على إبهامه نكرة كمثل موصوفة وأنت خير بأن جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة محل ببدلية ما أضيف إليه مما قبله فإن مدارها كون صراط المؤمنين علماً فى الاستقامة مشهوداً له بالاستواء على الوجه الذى تحققته فيما سلف ومن البين أن ذلك من حيث إضافته وانتسابه إلى كلهم لا إلى بعض مبهم منهم وبهذا تبين أن لا سبيل إلى جعل غير المغضوب عليهم بدلاً من الموصول لما عرفت من أن شأن البدل أن يفيد متبوعه مزيد تأكيد وتقرير وفضل إيضاح وتفسير ولا ريب فى أن قصارى أمر مانحن فيه أن يكتسب مما أضيف إليه نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصل وأما استحقاق أن يكون مقصوداً بالنسبة مفيداً لما ذكر من الفوائد فكلوا قرىء بالنصب على الحال والعامل أنعمت أو على المدح أو على الاستثناء إن فسر النعمة بما يعم القليلين والغضب هيجان النفس لإرادة الانتقام وعند إسناده إلى الله سبحانه يراد به غايته بطريق إطلاق اسم السبب بالنسبة إلينا على مسببه القريب إن أريد به إرادة الانتقام وعلى مسببه البعيد إن أريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وإرادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك إذا غضب على الذين عصوه وأراد أن ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية فى نسبة النعم والخيرات إليه عز وجل دون أضدادها كما فى قوله تعالى الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطمئنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وإنا لا ندرى أشراريد بن فى الأرض أم أراد بهم ربههم رشداً ولا مزبدة لتأكيد ما أفاده غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز أن أزيداً غير ضارب جواز أنا زيدا لا ضارب وإن امتنع أنا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوى وقرىء وغير الضالين وقرىء ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد فى الحرب من التقاء الساكنين . (أمين) اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين فقال افعل بنى على الفتح كآين لا لتقاء الساكنين وفيه لغتان مدألفه وقصرها قال ويرحم الله عبداً قال آمينا وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعداً عن النبى ﷺ لقننى جبريل آمين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال إنه كالحتم على الكتاب وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن أبى حنيفة رحمه الله أن المصلى يأتى بها مخافتة وعنه أنه لا يأتى بها الإمام لأنه الداعى وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس بن مالك عن النبى ﷺ

الْم ٢ البقرة

وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها لما روى وائل بن حجر أن النبي ﷺ كان إذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله ﷺ أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . وعن حذيفة بن اليان رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضياً فيقرأ صبيهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة .

﴿ سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الألفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات المرقومة في فواتح السور الكريمة أسماء لها لا ندر اجمها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعترضها من التعريف والتكثير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك أساطين أئمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة وأما ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه من أنه ﷺ قال من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف وفي رواية التزمذى والدارمى لا أقول الم حرف وذلك الكتاب حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعاً فإن إطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه أئمة الصناعة وإنما الحرف عند الأوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة أيضاً تجوزاً فأريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين إرادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك أن الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله أو القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قبل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة إنما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها بأسمائها أو بأنفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول إلا على ذات الموضوع لا أسماؤها المؤلفات كما إذا قلت الألف مؤلف من ثلاثة أحرف فكما أن الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددتها كذلك في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة المكتوبة وموافقة لعددتها لا بمقابلة أسمائها المفقوطة وإلا لفات الموافقة في العدد إذ الحكم بأن كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بأنه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه أن استتباع الحسنة منوط بإفادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما أن سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها إلا بتلفظ حروفها بأنفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها إلا بالتعبير عنها بأسمائها فجعل ذلك تلفظاً بالمسميات كالقسم

الأول من غير فرق بينهما ألا يرى إلى ما في الرواية الأخيرة من قوله ﷺ والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك بإسميهما مع كونهما ملفوظين بأنفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمى لكونه من قبيل الألفاظ صدرأ لاسمه ليسكون هو المفهوم منه أثر ذى أثر خلا أن الألف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة إذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الأصل لكنها ما لم تلها العوامل ساكنة الإعجاز على الوقف كأسماء الأعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجمعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة أين وكيف وهؤلاء وإن وليها عامل مسها الإعراب وقصر ما آخره ألف عند التهجي لا بتغاء الخفة لا لأن وزانه وزان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد أخرى فيكون اسمها لها كما في قول حسان رضى الله عنه | ما قال لا قط إلا في تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لاء | هذا وقد تسلموا في شأن هذه الفوائج الكريمة وما أريد بها فليل إنها من العلوم المستورة والأسرار المحجوبة روى عن الصديق رضى الله عنه أنه قال في كل كتاب سر وسر القرآن أوائل السور وعن علي رضى الله عنه أن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال عجزت العبداء عن إدراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل إنها أسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها إشارة إلى اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته تعالى وقيل إنها صفات الأفعال الألف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل إنها من قبيل الحساب وقيل الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد أى أنزل الله الكتاب بواسطة جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام وقيل هي أقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث أنها أصول اللغات ومبادئ كتبه المنزلة ومباني أسمائه الكريمة وقيل إشارة إلى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ولكن الذى عليه التعويل إما كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها إيدانا بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فيكون فيه إيماء إلى الإعجاز والتحدى على سبيل الإيقاظ فلولا أنه وحى من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وفتادة من أنها أسماء للقرآن والتسمية بثلاثة أسماء فصاعداً إنما تستنكر في لغة العرب إذا ركبت وجعلت اسماً واحداً كما في حضرموت فأما إذا كانت منشورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الأمر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفاً وإنما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الأسماء لأنه أدل على كيفية التلفظ بها وهى أن يكون على نهج التهجي دون التركيب ولأن فيه سلامة من التطويل لاسيما في الفوائج الخماسية على أن خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس وإما كونها مسرودة على نمط التعديد وإليه جنح أهل التحقيق قالوا إنما وردت هكذا ليسكون لإيقاظ بمن تحدى بالقرآن وتنبها لهم على أنه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا أنه خارج عن طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم

فرسان حلبة الحوار وأمراء الكلام في نادى الفخار دون الإتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضاره وتهالكهم على المعازة والمعاره أو ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من القرابة أنموذجا لما في الباقي من فنون الإعجاز فإن النطق بأنفس الحروف في تضاعيف الكلام وإن كان على طرف الثمام يتناول الخواص والعوام من الأعراب والآنحاج لكن التلفظ بأسمائها إنما يتأتى من درس وخط وأما من لم يحم حول ذلك قط فأعز من يبض الأتوق وأبعد من مناط العيوق لا سيما إذا كان على نمط عجيب وأسلوب غريب منبىء عن سر سرى مبنى على نهج عبقرى بحيث يحار في فهمه أرباب العقول ويعجز عن إدراكه ألباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريباً بحيث ينطوى على انصاف أصنافها تحقيقاً أو تقريباً كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض أفاضل أئمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من أن يطالعها الأنظار وجلت قدرته عن أن يناها أيدي الأفكار وإيراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية إلى الخامسة جري على عادة الافتتان مع مراعاة أبنية الكلم وتفريقها على السور دون إيراد كلها مرة لذلك ولما في التكرير والإعارة من زيادة إفادة وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل إلى المطالبة بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبنى على التوقيف البحت أما الم آية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست بآية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وكهيعص آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية هذا على رأى الكوفيين وقد قيل إن جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها وأما من عداهم فلم يعدوا شيئاً منها آية ثم إنها على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تشتم رائحة الإعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها أسماء للسور أو للقرآن كان لها حظ منه إما الرفع على الإبتداء أو على الخبرية وإما النصب بفعل مضمّر كاذكر أو بتقدير فعل القسم على طريقة الله لأفعلن وأما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الإعجاز إلا أن ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتأتى فيها الإعراب اللفظى أيضاً وقد قرئت بالنصب على إضمار فعل أى اذكر أو اقرأ صاد وقاف ونون وإنما لم تنون لا متناع الصرف وكذا ما كانت منه موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث أجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال باب أسماء السور من كتابه وقد قرأ بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن فكأنه جعله اسماً أجمع ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافى أيضاً عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز أن يكون ذلك فى الكل تحريكا لا لتقاء الساكنين ولا مساع للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بها وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الأول وهو السر فى جعل ما عدا الواو الأولى فى قوله تعالى والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلّى وما خلق الذكر والأنثى عاطفة ولا مجال للعطف ههنا للمخالفة بين الأول والثانى فى الإعراب نعم يجوز ذلك بجعل الأول مجروراً

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ البقرة

ياضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرىء ص وق بالكسر على التحريك لا لتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم أن تفتح نونها وتجعل من قبيل دار أبجد ذكره سيويه في كتابه وأما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها إلا الحكاية وسيجيء تفصيل سائر أحكام كل منها مشروحة في مواقعها بإذن الله عز سلطانه أما هذه الفاتحة الشريفة فإن جعلت اسما للسورة أو القرآن فحلها الرفع إما على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا المسمى به وإنما صحت الإشارة إلى القرآن بعضاً أو كلا مع عدم سبق ذكره لأنه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان وإما على أنه مبتدأ أى المسمى به والاول هو الأظهر لأن ما يجعل عنوان الموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية قبل فحقها الإخبار بها وادعاء شهرتها بإبادة التردد في أن المسمى هي السورة أو كل القرآن . (ذلك) ذا اسم إشارة واللام عماد جىء به للدلالة ٢ على بعد المشار إليه والكاف للخطاب والمشار إليه هو المسمى فإنه منزل منزلة المشاهد بالحس البصرى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف أثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من أنه باعتبار التقصى أو باعتبار الوصول من المرسل إلى المرسل إليه في حكم المتباعد وإن كان مصححاً لا يراده لكنه بمعزل من ترجيحه على إيراد ما وضع للإشارة إلى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لأن المشار إليه هو المسمى بالاسم المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الأولى بناء على أن التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الأول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثانى مبتدأ ثان وقوله عز وعلا . (الكتاب) إما خبر له أو صفة أما إذا كان خبراً له فالجمله على الوجه الأول مستأنفة مؤكدة لما أفادته الجملة الأولى من نباهة شأن المسمى لا محل لها من الإعراب وعلى الوجه الثانى فى محل الرفع على أنها خبر للمبتدأ الاول واسم الإشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب إمام مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور وإما فعال بنى للمفعول كاللباس من الكتاب الذى هو ضم الحروف بعضها إلى بعض وأصله الجمع والضم فى الأمور البادية للحس البصرى ومنه الكتبية للعسكر كما أن أصل القراءة الجمع والضم فى الأشياء الخافية عليه وإطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما أن مآله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم وإن لم يتم نزوله عند نزول السورة إما باعتبار تحققه فى علم الله عز وجل أو باعتبار ثبوته فى اللوح أو باعتبار نزوله جملة إلى السماء الدنيا حسبما ذكر فى فاتحة الكتاب واللام للعمد والمعنى أن هذه السورة هو الكتاب أى العمدة القصوى منه كأنه فى إحراز الفضل كل الكتاب المعهود الغنى عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله ﷺ الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة والمعنى أن ذلك هو الكتاب

الكامل الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمال الجنس كان ماعداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة إليه كما يقال هو الرجل أى الكامل فى الرجولية الجامع لما يكون فى الرجال من مراضى الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا أم خالد فالدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس فى فرد من أفرادهِ وفى الصورة الأولى من جهة حصر كمال الكل فى الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما أن فردهُ المَعهود هو مجموع القرآن المقابل لسائر أفرادهِ من الكتب السماوية لا بعضهُ الذى ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءاً لهذا الفرد لا باعتبار كونه جزءاً للجنس على حياله ولأن حصر الكمال فى السورة مشعر بنقصان سائر السور وإن لم يكن الحصر بالنسبة إليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبراً لذلك وأما إذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف إما خبر ثان أو بدل من الخبر الأول أو مبتدأ مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ إما خبر له أو مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الأول والمشار إليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هى السورة أو القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الإشعار بعلو شأنه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشأن البالغ أقصى مراتب الكمال وقيل المشار إليه هو الكتاب الموعود فعنى البعد حينئذ ظاهر خلا أنه إن كان المسمى هى السورة ينبغى أن يراد بالوعد ما فى قوله تعالى إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً كما قيل وإن كان هو القرآن فهو ما فى التوراة والإنجيل هذا على تقدير كون الم اسماً للسورة أو القرآن وأما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب إما خبره أو صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف أو يقدر مبتدأ أى المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى . (لا ريب فيه) إما فى محل الرفع على أنه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة أو على أنه خبر ثان لالم أو لذلك على تقدير كون الكتاب خبره أو للمبتدأ المقدر آخرأ على رأى من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فإذا هى حية تسعى وإما فى محل النصب على الخالية من ذلك أو من الكتاب والعامل معنى الإشارة وإما جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل إن بحملها عليها لكونها نقيضاً لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبنى على الفتح لكونه مفرداً نكرة لا مضافاً ولا شبيهاً به وأما ما ذكره الزجاج من أنه معرب وإنما حذف التنوين للتخفيف فيما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا أنه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف أى لا ريب موجود أو نحوه كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض فى الكتاب أو الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفاً وجعل المذكور خبراً لما بعده وقرئ لا ريب فيه على أن لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الأول أن ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز له والريب فى الأصل مصدر رابى إذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل فى معنى الشك مطلقاً أو مع تهمة لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفى

الحديث دع ما يريك إلى ما لا يريك ومعنى نفيه عن الكتاب أنه في علو الشأن وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة أن يرتاب في حقيقته وكونه وحياً منزلاً من عند الله تعالى لا أنه لا يرتاب فيه أحد أصلاً ألا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وإن كنتم في ريب مما نزلنا الخ فإنه في قوة أن يقال وإن كان لكم ريب فيما نزلنا أو إن ارتبتم فيما نزلنا الخ إلا أنه خولف في الأسلوب بحيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع إشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقضى العالية ولم يقصد ههنا ذلك الإشعار كما لم يقصد الإشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقضى المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول . (هدى) مصدر من هداه كالسرى والبكى وهو ● الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية أى مامن شأنه ذلك وقيل هى الدلالة الموصلة إليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وإنا أولياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين ولا شك فى أن عدم الوصول معتبر فى مفهوم الضلال فيعتبر الوصول فى مفهوم مقابلة ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره فى مفهوم الهدى المتعدى إذ لا فرق بينهما إلا من حيث التأثير والتأثر ومحصله أن الهدى المتعدى هو التوجيه الموصول لأن اللازم هو التوجه الموصول بدليل أن مقابله الذى هو الضلال توجه غير موصول قطعاً وهذا كما ترى مبنى على أمرين اعتبار الوصول وجوباً فى مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوباً فى مفهوم المتعدى وكلا الأمرين بمعزل من الثبوت أما الأول فلأن مدار التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الإطلاق بل هما معتبران فى مفهوميهما على وجه مخصوص به ليتحقق التقابل بينهما وتوضيحه أن الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم إلى مامن شأنه الإيصال إلى البغية كما أن الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد إلى ما ليس من شأنه الإيصال قطعاً وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحقة للتقابل بينهما وإنما النزاع فى أن إمكان الوصول إلى البغية هل هو كاف فى تحصيل مفهوم الهدى أو لا بد فيه من خروج الوصول من القوة إلى الفعل كما أن عدم الوصول بالفعل معتبر فى مفهوم الضلال قطعاً إذا تقرر هذا فنقول إن أريد باعتبار الوصول بالفعل فى مفهوم الهدى اعتباره مقارناً له فى الوجود زماناً حسب اعتبار عدمه فى مفهوم مقابلة فذلك بين البطلان لأن الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهى به قطعاً لاستحالة التوجه إلى تحصيل الحاصل وما يبق بعد ذلك فهو إما توجه إلى الثبات عليه وإما توجه إلى زيادته ولأن التوجه إلى المقصد تدريجى والوصول إليه دفعى فيستحيل اجتماعهما فى الوجود ضرورة وأما عدم الوصول فحيث كان أمراً مستمراً مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له فى جميع أزمنة وجوده إذ لو فارق فى آن من آنات تلك الأزمنة لقارنه فى ذلك الآن مقابله الذى هو الوصول فما فرضناه ضلالاً لا يكون ضلالاً وإن أريد اعتباره من حيث أنه غاية له واجبة الترتب عليه لزم أن يكون التوجه المقارن لغاية الجد فى السلوك إلى مامن شأنه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجى كاخترام المنية مثلاً من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالاً إذ لا واسطة بينهما مع أنه لا جور فيه عن القصد أصلاً فبطل اعتبار وجوب الوصول فى مفهوم اللازم قطعاً

٤ - أبى السعود ج ١

وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدى حتماً وأما اعتبار وجود اللازم فيه وجوباً وهو الأمر الثاني فيبانه مبنى على تمهيد أصل وهو أن فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لئلا لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعاً ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متميزة في أنفسها مستقلة بأحكام مقتضية لإفرادها بأسماء خاصة وعرض له بالقياس إلى كل أثر من تلك الآثار إضافة خاصة ممتازة عما عداها من الإضافات العارضة له بالقياس إلى سائرهما وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه أصلاً إذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الإضافة العارضة له بحسبها داخلية في مدلوله كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلاً وضع له باعتبار الإضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو أثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الإضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو أثر آخر له اسم القطع إلى غير ذلك من الإضافات العارضة له بالقياس إلى آثاره اللازمة له وهذا أمر مطرد في آثاره الطبيعية وأما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير إيجاب لها ترتب عليه تارة وتفرقه أخرى بحسب وجود أسبابها الموجبة لها وعدمها كالأثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعياً إليها بحيث كانت تلك الآثار مستقلة في أنفسها مستندة إلى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم تعتبر الإضافة العارضة له بحسبها داخلية في مدلوله كالإضافة العارضة للأمر بحسب امثال المأمور والإضافة العارضة للدعوة بحسب إجابة المدعو فإن الامتثال والإجابة وإن عدا من آثار الأمر والدعوة باعتبار ترتيبهما عليهما غالباً لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمأمور والمدعو مستقلين في أنفسهما غير لازمين للأمر والدعوة لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الإضافة العارضة لهما بحسبها داخلية في مدلول اسم الأمر والدعوة بل جعلنا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد الامتثال والإجابة أولاً إذا تمهد هذا فنقول كما أن الامتثال والإجابة إعلان مستقلان في أنفسهما صادران عن المدعو والمأمور باختيارهما غير لازمين للأمر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للأفعال الموجبة لهما وإن كانا مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي أي توجهه إلى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية أعنى التوجيه إليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية وإن كان مترتباً عليها في الجملة فلما لم يعدا من متممات الأمر والدعوة ولم يعتبر الإضافة العارضة لهما بحسبها داخلية في مدلولهما علم أنه لم يعد الهدى اللازم من متممات الهداية ولم يعتبر الإضافة العارضة لهما بحسبها داخلية في مدلولها إن قيل ليس الهدى بالنسبة إلى الهداية كالاتصال والإجابة بالقياس إلى أصلها فإن تعلق الأمر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي إلا اتصافهما بكونهما مأموراً ومدعوا وليس من ضرورته اتصافهما بالامتثال والإجابة إذ لا تلازم بينهما وبين الأولين أصلاً بخلاف الهدى بالنسبة إلى الهداية فإن تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لأن تعلق الفعل المتعدى المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره المأخوذ من المبني للمفعول قطعاً وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الاعتبار وجود اللازم في مدلول المتعدى حتماً قلنا كما أن تعلق الأمر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يستدعي إلا اتصافهما بما ذكر

من غير تعرض للمثال والإجابة إيجاباً وسلباً كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدى لا يستدعى إلا اتصافه بالمدلولة التي هي عبارة عن المصدر المأخوذ من المبني للفعول من غير تعرض لقبول تلك الدلالة كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة إلى طريق الحق والاهتداء عين الإجابة فكيف يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقاً إنما هو في الأفعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعة والانقطاع وأما الأفعال الاختيارية فليست كذلك كما تحققت فيها سلف إن قيل التعلم من قبيل الأفعال الاختيارية مع أنه معتبر في مدلول التعليم قطعاً فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلاً اختيارياً على الإطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للتعلم كما قيل فإن المعلم ليس بمستقل في ذلك ففي إسناده إليه ضرب تجوز بل لأن كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله إلى الآخر فإن التعليم عبارة عن إلقاء المبادئ العلمية على المتعلم وسوقها إلى ذهنه شيئاً فشيئاً على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يساق إليه بعض منها إلا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله وأما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري يستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية إلى إيجاده باختياره فلم يكن من متماتها ولا معتبراً في مدلولها إن قيل التعليم نوع من أنواع الهداية والتعلم نوع من أنواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتباراً للهدى في مدلول الهداية قلنا إطلاق الهداية على التعليم إنما هو عند وضوح المسلك واستبعاد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعياً إليه وقد عرفت جليلة الأمر على ذلك التقدير إن قيل أليس تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم فحيث لم يكن ذلك تعليمياً في الحقيقة فليكن الهداية أيضاً كذلك وليحمل تسمية مالا يستتبع الهدى بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فإن تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما أن تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك وأما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشأبه قصور من جهتها بل إنما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدى بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبين أنها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شأنه الإيصال إلى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير أن يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وأن الدلالة المقارنة لهما أو لأحدهما والمفارقة عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها أفراد حقيقية لها وأن ما في قوله تعالى إنك لا تهدي من أحببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف أن الدلالات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق والبيانات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الإطلاق بالنسبة إلى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (للمتقين) أي المتصفين بالتقوى حالاً أو مآلاً وتخصيص الهدى بهم لما أنهم المقتبسون من أنواره المنتفعون بآثاره وإن كان ذلك شاملاً لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال الله هدى للناس والمتقى اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في

الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز أنه ترك ما حرم الله وأداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقى من يترك ما لا بأس به حذراً من الوقوع فيما فيه بأس وعن أبي يزيد أن التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف أنه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقى من تبرأ عن حوله وقدرته وقيل التقوى أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقياً حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن أبي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا يتاله من لا يجاوزهن إشار الشدة على النعمة وإشار الضعف على القوة وإشار الذل على العزة وإشار الجهد على الراحة وإشار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء أنه لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا أن يكون بحيث لو جعل مافي قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن ينظر إليه وقيل التقوى أن تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق أن للتقوى ثلاث مراتب الأولى التوقي عن العذاب المخلد بالتهرؤ عن الكفر وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة أن يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل إليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المأمور به في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات أصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الإلهية المبنية على الحكم الآلية أقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الأشباح عن العروج إلى معالم الأرواح ولم يصددهم الملبسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شئون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة لأرباب هذه المراتب أجمعين فإن أريد بكونه هدى للمتقين إرشاده إياهم إلى تحصيل المرتبة الأولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازاً لاستحالة تحصيل الحاصل إشاره على العبارة المعربة عن ذلك للإيجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر أوليائه تعالى وتفخيم شأنهم وإن أريد به إرشاده إلى تحصيل إحدى المرتبتين الأخيرتين فإن عنى بالمتقين أصحاب الطبقة الأولى تعينت الحقيقة وإن عنى بهم أصحاب إحدى الطبقتين الأخيرتين تعين المجاز لأن الوصول إليهما إنما يتحقق بهدايته المترتبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فإنه إن أريد بالهدى الإرشاد إلى تحصيل المرتبة الثالثة فإن عنى بالمتقين أصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وإن عنى بهم أصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز واقتضى الهداية حقيقة في جميع الصور وأما إن أريد بكونه هدى لهم تبيينهم على ما هم عليه أو إرشادهم إلى الزيادة فيه على أن يكون مفهوماً داخلاً في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى أو بمحذوف وقع صفة له أو حالاً منه ومحل هدى الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هو هدى أو خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب أو مبتدأ خبره الظرف المقدم كما أشير إليه أو النصب على الحالية من ذلك أو من الكتاب والعامل معنى الإشارة أو من الضمير في فيه والعامل مافي الجار

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ البقرة

والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هادياً على أنه قيد للنفي لا للنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هادياً وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب إما للبالغة كأنه نفس الهدى أو لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن ترتيب هذه الجمل أن تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فأم جملة برأسها على أنها خبر لمبتدأ مضمير أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على أن المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى لما دلت عليه من كونه منوعاً بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفى الريب فيه إذ لا فضل أعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين مع ما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقاً لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكمله بعد كماله أو يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للدلول فإنه لما نبه أولاً على إعجاز المتحدى به من حيث أنه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرّة ظهر أنه الكتاب الباطن أقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب إذ لا أنقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما تحققت به (الذين يؤمنون بالغيب) إما موصول بالمتقين ٣ وحله الجر على أنه صفة مقيدة له إن فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة إن فسر بما هو المتعارف شرعاً والمتبادر عرفاً من فعل الطاعات وترك السيئات معاً لأنها حينئذ تكون تفصيلاً لما انطوى عليه اسم الموصوف إجمالاً وذلك لأنها مشتملة على ماهو عماد الأعمال وأساس الحسنات من الإيمان والصلاة والصدقة فإنها أمهات الأعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتعبة لسائر القرب الداعية إلى التجنب عن المعاصي غالباً ألا يرى إلى قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الإسلام أو مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الحاصل الثلاث بالذكر لإظهار شرفها وإنافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات أو النصب على المدح بتقدير أعنى أو الرفع عليه بتقديرهم وإمام مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الإشارة كما سيأتي بيانه فالوقوف على المتقين حينئذ وقف تام لأنه وقف على مستقل ما بعده أيضاً مستقل وأما على الوجوه الأول فحسن لا استقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له أما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر وأما على تقدير النصب أو الرفع على المدح فلما تقرر من أن المنسوب والمرفوع مدحاً وإن خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الإعراب وبذلك سمياً قطعاً لكنهما تابعا له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع وما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبهها على شدة الاتصال بينهما قال أبو على إذا ذكرت صفات المدح وخواف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتتان أى للتفنن الموجب لإيقاظ السامع وتحريكه إلى الجدل في الإصغاء فإن تغيير الكلام المسوق لمعنى

من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبغي عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب من بدر غبة فيه من
المخاطب إن قيل لا ريب في أن حال الموصول عند كونه خبر المبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ خبره
أولئك على هدى في أنه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لا تصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة أن كلام
الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وإن كلا من اتصافهم بالإيمان وفروعه وإحرازهم للهدى
والفلاح من النعوت الجلية فما السر في أنه جعل ذلك في الصورة الأولى من توابع المتقين وعد الوقف
غير تام وفي الثانية مقتطعاً عنه وعد الوقف تاماً قلنا السر في ذلك أن المبتدأ في صورتين وإن كان عبارة
عن المتقين لكن الخبر في الأولى لما كان تفصيلاً لما تضمنه المبتدأ إجمالاً حسبما تحققته معلوم الثبوت له
بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب
المعنى وإن سمي قطعاً مراعاة لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن أن الخبر إذا كان معلوم الانتساب
إلى الخبر عنه حقه أن يكون وصفاً له كما أن الوصف إذا لم يكن معلوم الانتساب إلى الموصوف حقه أن
يكون خبراً له حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات وأما الخبر في
الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملاً على ما لا ينبغي عنه المبتدأ من المعاني الثلاثة كما ستحيط به خبراً
مفيداً للخاطب فوادر أئمة جعل ذلك مقتطعاً عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعاً والإيمان أفعال
من الأمن المتعدى إلى واحد يقال آمنته وبالنقل تعدى إلى اثنين يقال آمنني غيري ثم استعمل في
التصديق لأن المصدق يؤمن المصدق أي يجعله آميناً من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء انضمامه معنى
الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فإن الواثق يصير ذا أمن وطمأنينة ومنه ما حكى عن العرب ما آمنت
أن أجد صحابة أي ماصرت ذا أمن وسكون وكلا الوجهين حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون
التصديق بما علم ضرورة أنه من دين نبينا عليه الصلاة والسلام كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ونظائرها وهل هو كاف في ذلك أو لا بد من انضمام الإقرار إليه للتمكن منه والأول رأى الشيخ
الأشعري ومن شايعه فإن الإقرار عنده منشأ لأجراء الأحكام والثاني مذهب أبي حنيفة ومن تابعه
وهو الحق فإنه جعلهما جزأين له خلا أن الإقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الإكراه وهو
بمجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج
فمن أخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن أخل بالإقرار فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق اتفاقاً
وكافر عند الخوارج وخارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرىء يومنون بغير همزة
والغيب إما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة أو في فعل خفف
كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الأصل كما استعمل في نظائره وأياً ما كان
فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو قسمان
قسم لا دليل عليه وهو الذي أريد بقوله سبحانه وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو وقسم نصب عليه
دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الأحكام والشرائع واليوم الآخر وأحواله من
البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للإيمان إما بتضمينه معنى الاعتراف أو

يجعله مجازاً من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به وإما مصدر على حاله كالغيبه فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم أني لم أخنه بالغيب أي يؤمنون متلبسين بالغيبه إما عن المؤمن به أي غائبين عن النبي ﷺ غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روى أن أصحاب ابن مسعود رضی الله عنه ذكروا أصحاب رسول الله ﷺ وإيمانهم فقال رضي الله عنه إن أمر محمد عليه الصلاة والسلام كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من الإيمان بغيب ثم تلا هذه الآية وإما عن الناس أي غائبين عن المؤمنين لا كالمناققين الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمناً وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم وقيل المراد بالغيب القلب لأنه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم فالباء حينئذ للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة إما للقصود إلى إحداث نفس الفعل كما في قولهم فلان يعطى ويمنع أي يفعلون الإيمان وإما للاكتفاء بما سيجيء فإن الكتب الإلهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الإيمان به . (و يقيمون الصلاة) ●

إقامتها عبارة عن تعديل أركانها وحفظها من أن يقع في شيء من فرائضها وسننها وآدابها زيغ من أقام العود إذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها مأخوذ من قامت السوق إذا نفقت وأقمتها إذا جعلتها نافقة فإنها إذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمير لأدائها عن غير فتور ولا توان من قولهم قام بالأمر وأقامه إذا جد فيه واجتهد وقيل عن أدائها عبر عنه بالإقامة لاشتيماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لأنه أشهر وإلى الحقيقة أقرب والصلاة فعلة من صلى إذا دعا كالزكاة من زكى وإنما كتبنا بالواو مراعاة للفظ المفخم وإنما سمي الفعل المخصوص بها لاشتيماله على الدعاء وقيل أصل صلى حرك الصلوتين وهما العظمان الثانتان في أعلى الفخذين لأن المصلى يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وإنما سمي الداعي مصلياً تشبيهاً له في تخشعه بالراكع والساجد . (وعمارزقناهم ينفقون) الرزق في اللغة العطاء ●

ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعى للذبوح والمرعى وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما أحالوا تمسكين الله تعالى من الحرام لأنه منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا يرى أنه تعالى أسند الرزق إلى ذاته إيذاناً بأنهم ينفقون من الحلال الصرف فإن إنفاق الحرام بمعزل من إيجاب المدح ودم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً وأصحابنا جعلوا الإسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روى عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرّة حين أتاه فقال يا رسول الله إن الله كتب على الشقوة فلا أرى أرزق إلا من دفي بكفي فأذن لي في الغناء من غير فاحشة من أنه قال عليه السلام لا إذن لك ولا كرامة ولا تعمة كذبت أي عدواً لله والله لقد رزقك الله حلالاً طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقاً وقد قال الله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها والانفاق والانقاد أخوان خلا أن

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٢﴾ البقرة

٤

في الثاني معنى الإذهاب بالكلية دون الأول والمراد بهذا الاتفاق الصرف إلى سبيل الخير فضلاً كان أو نفلاً ومن فسر بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه أو خصصه بها لا اقتترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رموس الآي وإدخال من التبعية عليه للكشف عن التبذير هذا وقد جوز أن يراد به الاتفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام إن علماً لا ينال به ككثرة لا ينفق منه وإليه ذهب من قال وبما خصصناهم من أنوار المعرفة يفيضون . (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) معطوف على الموصول الأول على تقديرى وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معاً أو من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام إذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالأخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الإيمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام وأضرابه أو على المتقين على أن يراد بهم الأولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للإيدان بتنزههم عن حالتهم الأولى بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فإنهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرّة بل متمسكون بأصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الأعصار ويجوز أن يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجات تحت المتقين ولا يكون توسط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتبية في المزدحم | وقوله يالهف زياة للحارث الصابح فالغائم فالأيب الإيدان بأن كل واحد من الإيمان بما أشير إليه من الأمور الغائبة والإيمان بما يشهد بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام حجة حقيق بأن يفرده موصوف مستقل ولا يجعل أحدهما تنمة للآخر وقد شفع الأول بأداء الصلاة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الأمور المؤمن بها تكملة له فإن كمال العلم والعمل وقرن الثاني بالإيقان بالآخرة مع كونه منظوياً تحت الأول تنبيهاً على كمال صحته وتعرضاً بما في اعتقاد أهل الكتابيين من الخلل كما سيأتى هذا على تقدير تعلق الباء بالإيمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فإن كلا من الإيمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والإيمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الأمور التي يجب الإيمان بها مقروناً بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى أعلم وقد حمل ذلك على معنى أنهم الجامعون بين الإيمان بما يدركه العقل جملة والإتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الإيمان بما لا طريق إليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القيليين وتباين السبيلين فليتأمل وأن يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الأول فربق خاص منهم وهم مؤمنو أهل الكتاب بأن يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكائيل به إثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيماً لشأنهم وترغيباً لأنماهم وأقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال والإنزال النقل من الأعلى إلى الأسفل وتعلقه

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ البقرة

- بالمعاني إنما هو بتوسط تعلقه بالآعيان المستتعبة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الإلهية إلى الرسل عليهم السلام والله تعالى أعلم بأن يتلقاها الملك من جنبه عز وجل تلقياً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها إلى الرسل فيلقياهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليك هو القرآن بأسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن إنزاله بالماضي مع كون بعضه مترقياً حينئذ لتغليب المحقق على المقدار أو لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحقيقه منزلة الواقع كما في قوله تعالى إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مع أن الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعاً ولا كان الجميع إذ ذاك نازلاً وبما أنزل من قبلك التوراة والإنجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعريض لذكر من أنزل إليه من الأنبياء عليهم السلام لقصد الإيجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل الآية والإيمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلاً من حيث إنا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فإن في وجوبه على الكل عيناً حرجاً بيناً وإخلاصاً بأمر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للإيدان بتعين الفاعل والجرى على سنن الكبرياء وقد قرئنا على البناء للفاعل . (وبالأخرة هم يوقنون) ●
- الإيقان إتيان العلم بالشئ بنفى الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقيناً أى يعلمون علماً قطعياً مزيجاً لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمهم أن الجنة لا يدخلها إلا من كان هوداً أو نصارى وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات واختلافهم في أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أو لا وهل هو دائم أو لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب فإن اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلاً عن الوصول إلى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما أن الدنيا تأنيث الأدنى غلبتنا على الدارين فحزنا مجرى الأسماء وقرئ بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لإجراء لضم ما قبلها مجرى ضمها في وجوه ووقفت ونظيره ما في قوله [لحب المؤقذان إلى موسى * وجعدة إذ ضاءهما الوقود] وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلاتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله عز و علا (على هدى) خبره وما فيه من الإبهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على أى هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وإيراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملاستهم بالهدى بحال من يعتلى الشئ ويستولى عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد أو على استعارتها لتسمكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه أو على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب الإيدان بقوة تمسكهم منه وكال رسوخهم فيه وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الإضافية لإريان فخامته الذاتية ●
- • - أبو السعود ج ١

مؤكد لها أي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع أنواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف إليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجب به يقتضيه وقد أدغمت النون في الراء بغنة أو بغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد كيدله وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحققته لاسيما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل هي واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل ما للنوعين بما ذكر من النعوت اختصاصا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن وهل هم أحقاء بتلك الأثرة فأجيب بأنهم بسبب اتصافهم بذلك ما لكون لزام أصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فأى ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد جار عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب إن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا وأما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهى في محل الرفع على أنها خبر للببتدأ الذى هو الموصول الأول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق إليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادئ استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فأجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم إجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة أى الذين هذه شئونهم أحقاء بما هو أعظم من ذلك كقولك أحب الأنصار الذين قارءون رسول الله ﷺ وبذلوا مهجتهم في سبيل الله أولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم أن هذا المسلك يسلك تارة بإعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وأخرى بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك ولا ريب في أن هذا أبلغ من الأول لما فيه من بيان الموجب للحكم وإيراد اسم الإشارة بمنزلة إعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الإشعار بكال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والإيحاء إلى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز أن يكون الموصول الأول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ وأولئك الخ خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من أهل الكتاب حيث كانوا يزعمون أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح (وأولئك هم المفلحون) تكرير اسم الإشارة لاظهار مزيد العناية بشأن المشار إليهم وللتنبية على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضى نيل كل واحدة من تينك الأثرين وأن كلا منهما كاف في تميزهم بها عن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون فإن التسجيل عليهم بكال الغفلة عبارة عما يفيد تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للأولى وأما الإفلاح الذى هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ البقرة

حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة اللائقة حسبها أشير إليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاله أثرهم والارشاد إلى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق (إن الذين كفروا) كلام ٦ مستأنف سبق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المنتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيتهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى إن الأبرار لني نعيم وإن الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله أو مفصولا عنه فإن الاستئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة وأما الثانية فسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وتراعى أمرهم في الغواية والضلال إلى حيث لا يجديهم الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وإنما أوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان أن الكتاب هاد للأولين وغير مجد للآخرين لأن العنوان الأخير ليس مما يورثه كالا حتى يتعرض له في أثناء تعداد كالاته وإن من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء ودخول نون الوقاية عليها كأنني ولعلني ونظائرهما وإعطاء معانيه والمتعدى خاصة في الدخول على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعى وهو نصب الأول ورفع الثاني إيداناً بكونه فرعاً في العمل دخيلاً فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل وإلا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وأثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه وردده قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول إما للعمد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأخبار اليهود أول للجنس وقد خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى سواء عليهم أخرجهم أم لا في اللغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح أى السترو منه قيل للزراع والليل كافر قال تعالى كثر الكفار نباته وعليه قول لبيد في ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة إنكار ما علم بالضرورة بحجى الرسول ﷺ به وإنما عد لبس الغيار وشذ الزنار بغير اضطراب ونظائرهما ككفره لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي ﷺ لا يكاد يجترى على أمثال ذلك إذ لا داعى إليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضى على وجه الأخبار

فإنه يستدعى سابقة المخبر عنه لا محالة وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعى حدوث الكلام كما أن حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعى حدوث العلم (سواء) هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى (عليهم) متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على أنه خبر لأن وقوله تعالى (أأنذرتهم أم لم تنذرتهم) مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله تعالى استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيها العصابة عن معنى الطلب لجرد التخصيص كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كقولك إن زيداً مخنصم أخوه وابن عمه أو مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشأنه والجملة خبر لأن والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه بقاءه على حقيقته أما لو أريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى وإذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه كأنه قيل إنذارك وعدمه بيان عليهم والعدول إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد والتوصل إلى إدخال الهمزة ومعادها عليه لإفادة تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما أشير إليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس بذلك لأن مقتضى المقام بيان كون الإنذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوى الإنذار وعدمه والإخبار لإعلام المخوف للاحتراز عنه إفعال من نذر بالشئ إذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما أنهم ليسوا بأهل للبشارة أصلاً ولأن الإنذار أوقع في القلوب وأشد تأثيراً في النفوس فإن دفع المضار أهم من جلب المنافع فحيث لم يتأثروا به فلأن لا يرفعوا البشارة رأساً أولى وقرئ بتوسيط ألف بين الهمزتين مع تحقيقهما بتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بتوسيط وبجذف حرف الاستفهام وبجذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح وقرئ بقلب الثانية ألفاً وقد نسب ذلك إلى اللحن .

● (لا يؤمنون) جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الإعراب أو حال مؤكدة له أو بدل منه أو خبر لأن وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم أو خبر ثان على رأى من يجوز عند كونه جملة والآية الكريمة مما استدلل به على جواز التكليف بما لا يطاق فإنه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون فظهر استحالة إيمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة أخباره تعالى للواقع مع كونهم مأمورين بالإيمان باقين على التكليف ولأن من جملة ما كلفوه الإيمان بعدم إيمانهم المستمر والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلاً من حيث أن الأحكام لا تستدعى أغراضاً لا سيما الامتثال لكونه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشئ أو بعدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وليس ما كلفوه الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلفوا الإيمان بعدم إيمانهم المستمر بل هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي ﷺ إجمالاً على أن كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوماً لهم وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا يفيد إلزام الحجة وإحراز الرسول ﷺ فضل الإبلagh ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتهم أم أتم صامتون

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ٢ البقرة

وفي الآية الكريمة إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهم من المعجزات الباهرة (ختم الله على قلوبهم) استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه أو بيان وتأكيده ٧ والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له أو لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملوء والأول هو الأنسب بالمقام إذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل إحداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الإنذار ولا ينفذ فيها الحق أصلاً إما على طريقة الاستعارة التبعية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو أبواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجماع عقلي هو الاشتغال على منع القابل عما من شأنه وحقه أن يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي وإما على طريقة التمثيل بأن يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من إحداث تلك الحالة المانعة من أن يصل إليها ما خلقت هي لأجله من الأمور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرّة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولاً مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبهة بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركباً من أمور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الأمر في تصوير تلك الهيئة وانزعاجها وهو الختم والباقي منوى مراد قصداً بالفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الألفاظ وإن كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو أمر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما عدله بسبب مانع قوى لكن ليس في شيء منها على الأفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازاً أو كناية وإنما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الألفاظ التي ليس فيها التجوز المهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولاً وضعياً لها ليسكون ما دل على الهيئة المشبهة بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملاً في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر وأضرابه إلى جعل التمثيل قسماً برأسه ومن رام تقليل الأقسام عد تلك الهيئة المشبهة بها من قبيل المدلولات الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة أخرى منتزعة من أمور أخرى من قبيل الاستعارة وسماء استعارة تمثيلية وإسناد إحداث تلك الحالة في قلوبهم إلى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق إليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون أفعالهم من حيث الكسب مستندة إليهم فإن خلقها منه سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقتر فوه من القبايح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك وأما المعتزلة فقد سلموا مسالك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الأقاويل منها أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمسكوا بذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلق المجبول عليه ومنها أن المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها

الله تعالى خالية عن الفطن أو بقلوب قدر ختم الله تعالى عليها كما في سأل به الوادى إذا هلك وطارت به العنقاء إذا طالت غيبته ومنها أن ذلك فعل الشيطان أو الكافر وإسناده إليه تعالى باعتبار كونه بإقداره تعالى وتمكينه ومنها أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق إلى تحصيل إيمانهم طريق سوى الإلجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لأنه سد لطريق إيمانهم بالكلية وفيه إشعار بترامى أمرهم في الغنى والعناد وتناهى انهماكهم في الشر والفساد ومنها أن ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهمكنا بهم ومنها أن ذلك في الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضى لتحقيق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكياً ومنها أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمه يعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون عنهم . (وعلى سمعهم) عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولا اشتراكهما في الإدراك من جميع الجوانب وإعادة الجار للتأكيد والإشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للإيدان بأنها الأصل في عدم الإيمان وللإشعار بأن ختمها ليس بطريق التبعية بختم سمعهم بناء على أنه طريق إليها فالختم عليه ختم عليها بل هي محتومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لآسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع إدراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد ههنا إذ هو المختوم عليه أصالة وتقديم حاله على حال أبصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال أو لأن جنايتهم من حيث السمع الذى به يتلقى الأحكام الشرعية وبه ينحقق الإنذار أعظم منها من حيث البصر الذى به يشاهد الأحوال الدالة على التوحيد فيبانيها إحق بالتقديم وأنسب بالمقام قالوا السمع أفضل من البصر لأنه عز وعلا حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولأن السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا أصم ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف التى تلقف من أصحابها وتوحيده للأمن عن اللبس واعتبار الأصل أو لتقدير المضاف أى وعلى حواس سمعهم والكلام في إيقاع الختم على ذلك كما مر من قبل . (وعلى أبصارهم غشاوة) الأبصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية أى التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالغصاة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهى على رأى سيئويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وإثارة الاسمية للإيدان بدوام مضمونها فإن ما يدرك بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والآلآف حيث كانت مستمرة كان تعامهم من ذلك أيضاً كذلك وأما الآيات التى تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها إليها حيناً فحيناً أوثر في بيان الختم عليها وعلى ما هى أحد طريق معرفته أعنى القلب الجملة الفعلية وعلى رأى الأخفش مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب أى وجعل على أبصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وإيصال الختم إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشاوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وغشاوة بالعين غير المعجمة والرفع . (ولهم عذاب عظيم) وعيد وبيان لما يستحقونه

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ البقرة

في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه ومنه الماء العذب لما أنه يقيم العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخاً لأنه ينقخ العطش ويكسره وفرانا لأنه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن عقاباً يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذاب كالنقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقيق والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقيق دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والأحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيد التنكير من التفخيم والهويل والمبالغة في ذلك والمعنى أن على أبصارهم ضرباً من الغشاوة خارجاً عما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم إنا نعوذ بك من ذلك كله يا أرحم الراحمين . (ومن الناس) شروع في بيان أن بعض من حكيت أحوالهم السالفة ليسوا بمقتصرين على ٨ ما ذكر من محض الإصرار على الكفر والعناد بل يضمون إليه فنوناً أخرى من الشر والفساد وتعدد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لأحوال هائلة عاجلة وآجلة وأصل ناس أناس كما يشهد له إنسان وأناس وأنس حذفت همزته تخفيفاً كما قيل لوقه في الوقه وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وأما ما في قوله | إن المنايا يطلعن على الإنسان الآمنين | فساد سموا بذلك لظهورهم وتعلق الإنسان بهم كما سمي الجن جنناً لا جنتانهم وذهب بعضهم إلى أن أصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وبعضهم إلى أنه مأخوذ من نسي نقلت لامه إلى موضع العين فصار نيساً ثم قلبت ألفاً سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس أنه قال سمي الإنسان إنساناً لأنه عهد إليه فَنَسَى واللام فيه إمالة العهد أو للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول كأنه قيل ومنهم أو من أولئك والعدول إلى الناس الإيذان بكثرتهم كما ينبي عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه أو نعت مبتدأ كما في قوله عز وجل ومنادون ذلك أي وجمع منا الخ ومن في قوله تعالى (من يقول) موصولة أو موصوفة ومحملها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الآية أو فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على أن يكون مناط الإفادة والمقصود بالانصالة انصافهم بما في حين الصلة أو الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعاً لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وأما جعل الظرف خبراً كما هو الشائع في موارد الاستعمال فيأباه جزالة المعنى لأن كونهم من الناس ظاهر فالإخبار به عار عن الفائدة كما قيل فإن مناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقاً وكذا مدار الجواب عنه بأن الفائدة هو التنبيه على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية فحق من يتصف بها أن لا يعلم كونه من الناس فيخبر به ويتعجب منه وأنت خير بأن الناس عبارة عن المعهودين أو عن الجنس المقصور على المصرين وأيا ما كان فالفائدة ظاهرة بل لأن خبرية الظرف تستدعي أن يكون انصاف هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية عنواناً

يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾ البقرة

للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الإفادة كونهم من أولئك المذكورين ولا ريب لأحد في أنه يجب حمل النظم الجليل على أجزال المعاني وأكملها وتوحيد الضمير في قول باعتبار لفظة من وجمعه في قوله (آمنّا بالله وبالיום الآخر) وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار إذ لا حد وراءه وتخصيصهم للإيمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لدعاء أنهم قد حازوا الإيمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه وأنهم قد آمنوا بكل منهما على الاتصال والاستحكام وقد دسوا تحته مالم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن إيمانهم بواحد منهما إيمانا في الحقيقة إذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم . لن تمسنا النار إلا أياما معدودة . ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبيثهم ودعارتهم فإن ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك إيمانا فكيف وهم يقولونه تمويهها على المؤمنين واستهزائهم (وما هم بمؤمنين) رد لما ادعوه ونفى لما انتحلوه وما حجازية فإن جواز دخول الباء في خبرها لتأكيد النفي اتفاق بخلاف التيمية وإثارة الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بإفادة انتفاء الإيمان عنهم في جميع الأزمنة لافي الماضي فقط كما يفيد الفعلية ولا يتوهم أن الجملة الاسمية الإيجابية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فإنها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعاً كما أن المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجلهم بالخير لقضى إليهم أجلهم فإن عدم قضاء الأجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل وإطلاق الإيمان عما قيدوه به الاذان بأنهم ليسوا من جنس الإيمان في شيء أصلاً فضلاً عن الإيمان بما ذكروا وقد جوز أن يكون المراد ذلك ويكون الإطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة أن من أظهر الإيمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمناً فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بأن من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه مؤمن (يخادعون الله والذين آمنوا) بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون أو استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقول يخادعون الله الخ أي يخدعون وقد قرئ كذلك وإثارة صيغة المفاعلة لإفادة المبالغة في الكيفية فإن الفعل متى غلب فيه بوانع فيه قطعاً أو في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فإنهم كانوا مداومين على الخدع والخدع أن يؤم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب أو يؤمهم المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجوا منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي إذا أمر الحارث يده على باب جحره يؤمهم الإقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فإنهم كانوا يريدون بما صنعوا أن يطلعوا على أسرار المؤمنين فيذيعوها إلى المنافذين وأن يدفعوا عن أنفسهم ما يصيب سائر

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ البقرة

- الكفرة وأياما كان نسبته إلى الله سبحانه إما على طريق الاستعارة والتشيل لإفادة كمال شناعة جنابهم أى يعاملون معاملة الخادعين وإما على طريقة المجاز العقلي بأن ينسب إليه تعالى ما حقه أن ينسب إلى الرسول ﷺ لإبانة لمكانته عنده تعالى كما ينبي عنه قوله تعالى إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله يد الله فوق أيديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله مع إفادة كمال الشناعة كما مر وإما مجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته إلى الذين آمنوا والإيذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله وإبقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كأنه قيل يزعمون أنهم يخدعون الله والله يخدعهم أو على جعلها استعارة تبعية أو تمثيلا لما أن صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم بإجراء أحكام الاسلام عليهم وهم عنده أخبث الكفرة وأهل الدرك الأسفل من النار استدراجا لهم وامتنال الرسول ﷺ والمؤمنين بأمر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرضيه الذوق السليم أما الأول فلأن المنافقين لو اعتقدوا أن الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدى للخدع وأما الثاني فلأن مقتضى المقام إيراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان أن غايتها آيلة إليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز و علا (وما يخدعون ● إلا أنفسهم) فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخيل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون أى يفعلون ما يفعلون والحال أنهم ما يضررون بذلك إلا أنفسهم فإن دائرة فعلهم مقصورة عليهم أو ما يخدعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يغرونها بالأكاذيب فيلقونها في مهاوى الردى وقرىء وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المتخادعين إلا أنفسهم لأن ضررها لا يحيق إلا بهم أو ما يخادعون حقيقة إلا أنفسهم حيث يمتنونها بالباطل وهى أيضاً تغرم وتمنيهم الأمانى الفارغة وقرىء وما يخادعون من التخديع وما يخدعون أى يخدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب أنفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لأن نفس الحى به والقلب أيضاً لأنه محل الروح أو متعلقه ولدم أيضاً لأن قوامها به وللباء أيضاً أشدة حاجتها إليه والمراد هنا هو المعنى الأول لأن المقصود بيان أن ضرر مخادعتهم راجع إليهم لا يتخطاهم إلى غيرهم وقوله تعالى (وما يشعرون) حال من ضمير ما يخدعون أى يقتصرون على خدع أنفسهم والحال أنهم ما يشعرون أى ● ما يحسون بذلك لتأديهم في الغواية وحذف المفعول إما لظهوره أو لعمومه أى ما يشعرون بشيء أصلا جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الأمر المحسوس الذى لا يخفى إلا على مؤوف الحواس مختل المشاعر . (في قلوبهم مرض) المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب ١٠ الخلل في أفعيله ويؤدى إلى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي ﷺ
- ٦٠ - أبى السعود ج ١

وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى إلى الهلاك الروحاني والتشكير للدلالة على كونه نوعاً مبهماً غير ما يتعارفه
 الناس من الأمراض والجملة مقررة لما يفيدته قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم إيمانهم أو تعليل له
 • كأنه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعهم (فزادهم الله مرضاً) بأن طبع على قلوبهم لعله
 تعالى بأنه لا يؤثر فيها التذكير والإنذار والجملة معطوفة على ما قبلها والقاء للدلالة على ترتب مضمونها
 عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفراً بزيادة
 التكاليف الشرعية لأنهم كانوا كلماً ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفراً ويجوز أن يكون المرض
 مستعاراً لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى إياهم
 مرضاً ما فعل بهم من إلقاء الروح وقذف الرعب في قلوبهم عند إعزاز الدين بإمداد النبي ﷺ بإزال
 الملائكة وتأييده بفنون النصر والتسكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حينئذ استئناف لتعليل لقوله تعالى
 يخادعون الله الخ كأنه قيل ما لهم يخادعون ويدهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في
 • قلوبهم ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا . (ولهم) في الآخرة . (عذاب أليم) أى مؤلم يقال ألم وهو
 أليم كوجع وهو وجيع وصف به العذاب للبالغة كما في قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] على طريقة جد
 جده فإن الألم والوجع حقيقة للألم والمضروب كما أن الجدة للجدة وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى
 • المسمع وليس ذلك بثبت كما سيحىء في قوله تعالى بديع السموات والأرض . (بما كانوا يكذبون) الباء
 للسببية أو للقبالة وما مصدرية داخلية في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لإفادة دوام كذبهم
 وتجده أى بسبب كذبهم أو بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذى هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم
 غير مؤمنين فإنه إخبار بإحداثهم الإيمان فيما مضى لا إنشاء للإيمان ولو سلم فهو متضمن للإخبار بصدوره
 عنهم وليس كذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الإذعان والقبول قطعاً ويجوز أن يكون محمولا على الظاهر
 بناء على رأى من يجوز أن يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر [بذل وحلم ساد في قومه
 الفتى] وكونك إياه عليك يسير [أى لهم عذاب أليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب
 العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية إما لأن المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور
 شركتهم للجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبهم من الإصرار على الكفر
 كما ينبىء عنه قوله تعالى ومن الناس الخ وإما للإيذان بأن لهم بمقابلة سائر جناباتهم العظيمة من العذاب
 مالا يوصف وإما للرمن إلى كمال سماجة الكذب نظراً إلى ظاهر العبارة الخيلة لا نفراده بالسببية مع
 إحاطة علم السامع بأن لحوق العذاب بهم من جهات شتى وإن الاختصار عليه للإشعار بنهاية قبجحه
 والتنفير عنه . عن الصديق رضى الله عنه وروى مرفوعاً أيضاً إلى النبي ﷺ إياكم والكذب فإنه بجانب
 الإيمان وما روى أن إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وإنما سمي به لشبهه به
 صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف أى بالذى يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف وهو
 إما النبي ﷺ أو القرآن وما مصدرية أى بسبب تكذيبهم إياه عليه السلام أو القرآن أو موصولة أى
 بالذى يكذبونه على أن العائد محذوف ويجوز أن يكون صيغة التفعيل للبالغة كما في بين في بان وقصص

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ٢ البقرة

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ٢ البقرة

- في قاص أو للتكثير كما في موت البهائم وبركت الإبل وأن يكون من قولهم كذب الوحشي إذا جرى شوطاً ثم وقف لينظر ما وراءه فإن المنافق متوقف في أمره متردد في رأيه ولذلك قيل له مذبذب . (وإذا ١١ قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق وإذا ظرف زمن مستقبل ويلزمها معنى الشرط غالباً ولا تدخل إلا في الأمر المحقق أو المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على أن المراد بها اللفظ وقيل هو مضمريفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللاتمة به والصلاح مقابله والفساد في الأرض هيج الحروب والفتن المستتعبة لزوال الاستقامة عن أحوال العباد واختلال أمر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي إلى ذلك من إفساد أسرار المؤمنين إلى الكفار وإغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار إذا أقدم على ما تلك عاقبته وهو إما معطوف على يقول فإن جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الإعراب ولا بأس بتخلل البيان أو الاستئناف وما يتعلق بهما بين أجزاء الصلة فإن ذلك ليس توسيطاً بالأجنبي وإن جعلت موصوفة فمحل الرفع والمعنى ومن الناس من إذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الإفساد في الأرض . (قالوا) ● إرادة للنهين إن ذلك غير صادر عنهم مع أن مقصودهم الأصلي إنكار كون ذلك إفساداً وإدعاء كونه إصلاحاً محضاً كما سيأتي توضيحه . (إنما نحن مصلحون) أي مقصرون على الإصلاح المحض بحيث ● لا يتعلق به شائبة الإفساد والفساد مشيرين بكلمة إنما إلى أن ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي أن يرتاب فيه وإما كلام مستأنف سيق لتعدد شنائعهم وأما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب أليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الإفساد إنما نحن مصلحون كما قيل فيأباه أن هذا النحو من التعليل حقه أن يكون بأوصاف ظاهرة العلية مسلبة الثبوت للوصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع أو لسبق ذكره صريحاً كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فإن مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر أول ذكر ما يستلزمه استلزاماً ظاهراً كما في قوله عز وجل إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فإن ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتماً نسيان جانب الآخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك لحقه أن يخبر بعليته قصداً كما في قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق الآية إلى غير ذلك ولا ريب في أن هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الاتصاف إليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فإذا ن حققها أن تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على أحد الوجهين مفيدة لا تصافهم بكل واحد من تلك الأوصاف قصداً واستقلالاً كيف لا وقوله عز وجل . (ألا إنهم هم المفسدون) ينادى بذلك نداء ١٢

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ٢ البقرة

جليلاً فإنه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية أبلغ رد وأدله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدى إلى زيادة تمسك الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التأكيد ألا المنبهة على تحقق ما بعدها فإن الهمة الإنكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الإثبات قطعاً كما في قوله تعالى أليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة إلا مصدرة بما يلتقي به القسم وأختها التي هي أمان طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وإن المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصر أنفسهم على الإصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى (ولكن لا يشعرون) للإيدان بأن كونهم مفسدين من الأمور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه ● وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا أن المراد تفصيل جنائياتهم وتعدد خباياهم وهناتهم ثم إظهار فسادها وإبانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله أعلم بالصواب . (وإذا قيل لهم) من قبل المؤمنين بطريق الأمر بالمعروف وإثرائهم عن المنكر إتماماً للنصح وإكمالاً للإرشاد . ١٣ ● (آمنوا) حذف المؤمن به لظهوره أو أريد أفعالوا الإيمان (كما آمن الناس) الكاف في محل نصب على أنه نعت لمصدر مؤكد محذوف أي آمنوا إيماناً مماثلاً لإيمانهم فمصدرية أو كافة كافي بما فيها من تكلف الحرف عن العمل وتصحيح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين أي حققوا إيمانكم كما تحقق إيمانهم واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون في الإنسانية العاملون بقضية العقل فإن اسم الجنس كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعاً للعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك فيقال هو ليس بإنسان وقد جمعهما من قال إذ الناس ناس والزمان زمان أو للعهد والمراد به الرسول ﷺ ومن معه أو من آمن من أهل جلدتهم كابن سلام وأضرابه والمعنى آمنوا إيماناً مقروناً بالإخلاص متمحضاً عن شوائب النفاق مماثلاً لإيمانهم . (قالوا) مقابلين للأمر بالمعروف بالإنكار المنكر واصفين للرأجيع الرزان بضد أو صافهم الحسان . (أنؤمن كما آمن السفهاء) مشيرين باللام إلى من أشير إليهم في الناس من الكاملين أو المعهودين أو إلى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأى يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والآناة وإنما نسبوا إليه مع أنهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماك أنفسهم في السفاهة وتماذيهن في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى لا محالة ضلالاً أو لتحقير شأنهم فإن كثيراً من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال أو للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وأمثاله وأياماً كان فالذى يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه غفامة شأنه الجليل أن يكون صدور هذا القول عنهم بحضور من المؤمنين الناصحين لهم جواباً

عن نصيحتهم وحيث كان فخواه تسفيه أولئك المشاهير الأعلام والقدح في إيمانهم لزم كونهم مجاهرين
لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي أن يكون ذلك فيما بينهم لا على
وجه المؤمنين قال الإمام الواحدى إنهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فأخبر الله
تعالى نبيه عليه السلام والمؤمنين بذلك عنهم وأنت خير بأن إبراز ماصدر عن أحد المتحاورين في
الخلاء في معرض ما جرى بينهم في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلاً عما هو في منصب الإعجاز
فالحق الذى لا محيد عنه أن قولهم هذا وإن صدر عنهم بمحض من الناصحين لا يقتضى كونهم مجاهرين فإنه
ضرب من الكفر أنيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما أنه كلام ذو
وجهين مثلهم محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاماً ترضاه ونحوه وللخير بأن يحمل
على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله ﷺ استهزاء به مظهرين إرادة المعنى
الآخر وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل
للشرك كما ذكر في تفسيره وللخير بأن يحمل على ادعاء الإيمان كإيمان الناس وإنكار ما اتهموا به من النفاق
على معنى أتؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بإيمانهم لو آمنوا ولا تؤمن كإيمان الناس حتى
تأسرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرأين لإرادة المعنى الآخر وهم معولون على الأول
فرد عليهم ذلك بقوله عز قاتلاً . (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) أبلغ رد وجهلوا أشنع تهجيل
حيث صدرت الجملة بحر في التأكيد حسبما أشير إليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة
إلى حيث لا يدرون أنهم سفهاء ومن هذا اتضح لك سر ما مر في تفسير قوله تعالى إنا نحن مصلحون فإن
حمله على المعنى الآخر كما هو رأى الجمهور مناف لحالهم ضرورة أن مشافهتهم للناصحين بادعاء كون مأنهوا
عنه من الإفساد إصلاحاً كما مر إظهار منهم للشقاق وبروز بأشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بأن
المراد بما نهوا عنه مداراتهم للشركيين كما ذكر في بعض التفاسير وبالإصلاح الذى يدعونه إصلاح ما بينهم
وبين المؤمنين وأن معنى قوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون أنهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين
لإشعارها بإعطاء الدنية وإنبائها عن ضعفهم الملجئ إلى توسيط من يتصدى لإصلاح ذات البين فضلاً
عن كونهم مصلحين مما لا سبيل إليه قطعاً فإن قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وأنه
يقتضى أن يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للإصلاح وبآتيهم الإفساد من حيث
لا يشعرون ولا ريب في أنهم فيها كاذبون لا يعاشرهم إلا مضارة الدين وخيانة للمؤمنين فإذا ن طريق
حل الإشكال ليس إلا ما أشير إليه فإن قولهم إنا نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وإنكار صدور
الإفساد المنسوب إليهم عنهم على معنى إنا نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوناعنه من الإفساد وقد خاطبوا
به الناصحين استهزاء بهم وإرادة لإرادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الأول فرد عليهم بقوله تعالى
ألا إنهم هم المفسدون الآية والله سبحانه أعلم بما أودعه في تضاعيف كتابه المكشوف من السر المخزون
نسأله العصمة والتوفيق والهداية إلى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما أنه أكثر
طباقاً لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجمل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿٢٠﴾ البقرة

الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق وما فيه من الفتنة والإفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسداً فأمر بديهى يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون . (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بيان لتباين أحوالهم وتناقض أفعالهم في أثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين ومساق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الإيمان فليس فيه شائبة التكرير . روى أن عبد الله بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضى الله عنه فقال مرحباً بالصدق سيد بنى تميم وشيخ الإسلام وثانى رسول الله ﷺ فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحباً بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد على كرم الله وجهه فقال مرحباً بابن عم رسول الله ﷺ وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله ﷺ فنزل وقيل قال له على رضى الله عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مه لا يا أبا الحسن أفى تقول هذا والله إن إيماننا كما يمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن أبي لأصحابه كيف رأيتمونى فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فأثنوا عليه خيراً وقالوا ما زال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته

- أى صادفته واستقبلته وقرىء إذا لا قوا . (وإذا خلوا) من خلوت إلى فلان أى انفردت معه وقد يستعمل بالباء أو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الحالية وقولهم خلاك ذم أى جاوزك ومضى عنك وقد جاوز كونه من خلوت به إذا سخرت منه على أن تعديته بإلى فى قوله تعالى . (إلى شياطينهم) لتضمنه معنى الإنهاء أى وإذا أنهوا إليهم السخرية الخ وأنت خير بأن تقييد قولهم المحكى بذلك الإنهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المائلون منهم للشيطان فى التمرد والعناد المظهرون لكفرهم وإضافتهم إليهم للمشاركة فى الكفر أو كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيديوه نون الشيطان تارة أصلية فوزنه فيعال على أنه من شطن إذا بعد فإنه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة فوزنه فعلان
- على أنه من شاط أى هلك أو بطل ومن أسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق . (قالوا إنا معكم) أى فى الدين والاعتقاد لا نفارقكم فى حال من الأحوال وإنما خاطبهم بالجملة الاسمية المؤكدة لأن مدعاهم عدم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للإنباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لإنكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فإنهم إنما يدعون عندهم إحداه الإيمانية لجزمهم بعد رواج ادعاء الكمال فيه أو الثبات عليه . (إنما نحن) أى فى إظهار الإيمان عند المؤمنين . (مستهزؤون) بهم من غير أن يخطر ببالنا الإيمان حقيقة وهو استئناف مبنى على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم إنا معكم فبالكم توافقون المؤمنين فى الإتيان بكلمة الإيمان فقالوا إنما نحن مستهزؤون بهم فلا يقدح ذلك فى

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ٢ البقرة

- كوننا معكم بل يؤكدوه وقد ضمنوا جوابهم أنهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم أو تأكيد لما قبله فإن المستهزئ بالشئ مصر على خلافه أو بدله لأنه من حق الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشئ السخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة من الهز وهو القتل السريع وهزأ هزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته أى تسرع به وتحف . (الله يستهزئ بهم) أى يجازيهم على استهزائهم سمي ١٥ جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما للشاكلة في اللفظ أو المقارنة في الوجود أو يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم أما فى الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالإمهال والزيادة فى النعمة على التمداد فى الطغيان وأما فى الآخرة فيما يروى أنه يفتح لهم باب إلى الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف للإيدان بأنهم قد بلغوا فى المبالغة فى استهزاء المؤمنين إلى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعظم ذلك عليهم حتى اضطروهم إلى أن يقولوا ماصير أمر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه أنه تعالى هو الذى يتولى أمرهم ولا يحوجهم إلى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزأؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان مالا يوصف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائله أولايرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين وما كانوا خالين فى أكثر الأوقات من تمتك أستاذ وتكشف أسرار ونزول فى شأنهم واستشعار حذر من ذلك كما أنبأ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تخرجون . (ويمدهم) أى يزيدهم ويقويههم من مدالجيش وأمدته إذا زاده وقواه ● ومنه مددت الدواة والسراج إذا أصلحتهما بالخبر والزيت وإبشاره على يزيدهم للرمز إلى أن ذلك منوط بسوء اختيارهم لما أنه إنما يتحقق عند الاستعداد وما يجرى مجراه من الحاجة الداعية إليه كما فى الأمثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الإمداد وهو صريح فى أن القراءة المشهورة ليست من المد فى العمر على أنه يستعمل باللام كالإملاء قال تعالى ونمده من العذاب مدأ وحذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل . (فى طغيانهم) متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد فى كل أمر والمراد إفراطهم فى العتو وغلوهم فى الكفر وقرئ بكسر الطاء وهى لغة فيه كلفيان لغة فى لقيان وفى إضافته إليهم إيدان باختصاصه بهم وتأيد لما أشير إليه من ترتب المد على سوء اختيارهم . (يعمهنون) حال من الضمير المنصوب أو المجرور لكون المضاف مصدراً فهو مرفوع حكماً والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري أين يتوجه وإسناده هذا المد إلى الله تعالى مع إسناده فى قوله تعالى وإخوانهم يمدونهم فى الغنى محقق لقاعدة أهل الحق من أن جميع الأشياء مستندة من حيث الخلق إليه سبحانه وإن كانت أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم لإجراء النظم الكريم على

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ قَبْلَ أَنْ يَبْتَغِيَ الْجَنَّةَ بَاطِلًا ۖ وَمَا كَانَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ٢ البقرة

مسلكه نكبوا إلى شعاب التأويل فأجابوا أولاً بأنهم لما أصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمى ذلك مدداً في الطغيان فأسند إيلأوه إليه تعالى في المسند مجاز لغوى وفي الإسناد مجاز عقلي لأنه إسناد للفعل إلى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانياً بأنه أريد بالمد في الطغيان ترك القسرو الإلجاء إلى الإيمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالجواز في المسند فقط وثالثاً بأن المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه أسند إليه سبحانه مجازاً لأنه يتمكنه تعالى وإفادته .

١٦ (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عن عداهم أكمل تمييز بحيث صاروا كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحل الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكى عنهم من الأقوال والأفعال بإظهار غاية سماحتها وتصويرها بصورة مالا يكاد يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلاً عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه إليه وقد استعير الأول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن أى أخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وإن كان مستلزماً له فإن المعتبر في عقد الشراء ومفهوما هو الجلب دون السلب الذى هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لا أخذ شيء بإعطاء ما في يده عيناً كان كل منهما أو معنى لا للإعراض عما في يده محصلاً به غيره كما قيل وإن استلزمه لما مر سره ومنه قوله [أخذت بالجملة رأساً أزعر] * وبالنشأ الواضحات الدردرا [وبالطويل العمر عمرًا جيدرا] * كما اشترى المسلم إذ تنصراً [فاشترى الضلالة بالهدى مستعار لا أخذها بدلاً منه أخذاً منوطاً بالرغبة فيها والإعراض عنه ولما اقتضى ذلك أن يكون ما يجرى الثمن حاصلًا للكفرة قبل العقد وما يجرى مجرى المبيع غير حاصل لهم إذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب في أنهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع أصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل هو فرداها الكامل الخاص بهؤلاء على أن اللام للعهد وهو عمهم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكى عنهم من القبائح وذلك إنما يحصل لهم عند اليأس من اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاوض الأسباب وتأخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كأنه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في أن هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول ﷺ وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكى من النهي عن الإفساد في الأرض والأمر بالإيمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم وأخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الأصلية الحاصلة لكل أحد ياباه أن إضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الإضاعة التامة الواصلة إلى حد الختم على القلوب المختصة

بهم فليس في إضاعتها فقط من الشناعة ما في إضاعتها مع مؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على أن ذلك يقضى إلى كون ذكر ما فصل من أول السورة الكريمة إلى هنا ضائعاً وأبعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في أيديهم بناء على أنه يستعمل اتساعاً في إثبات أحد الشيتين الكائنين في شرف الوقوع على الآخر فإنه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرّة محل بروق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الأنسب بتجاوب أطراف النظم الكريم وأما إذا جعل ترجمة عن جناية أخرى من جناباتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي ﷺ وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه من نعوته عليه الصلاة والسلام في التوراة وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نحمد نعتيه في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فإنها ضلالة مضاعفة . (فما ربحت تجارتهم) عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدى للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته أى استشف فيها وأصاب الربح وإسناد عدمه الذى هو عبارة عن الخسران إليها وهو لأربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملازمة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الإشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته إلى ما يلا بسهم وإيرادهما أثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتقصير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسران التجارة الذى يتحاشى عنه كل أحد للإشباع في التخسير والتخسير ولا ينافى ذلك أن التجارة في نفسها استعارة لانهما كهم فيما هم عليه من إثبات الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة لهم راسخة إذ ليس من ضروريات الترشيح أن يكون باقياً على الحقيقة تابعاً للاستعارة لا يقصده إلا تقويتها كما في قولك رأيت أسداً وأفى البراءن فإنك لا تريد به إلا زيادة تصوير للشجاع وأنه أسد كامل من غير أن تريد بلفظ البراءن معنى آخر بل قد يكون مستعاراً من ملائم المستعار منه للملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحاً لأصل الاستعارة كما في قوله [فلما رأيت النسر عزابن داية * وعشش في وكره جاش له صدرى] فإن لفظ الوكرين مع كونه مستعاراً من معناه الحقيقي الذى هو موضع يتخذ الطائر للتفريخ للرأس واللحية أو للفودين أعنى جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الأصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الأسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعاراً للحلول والنزول المستعيرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور وقرىء تجارتهم وتعددها لتعدد المضاف إليهم . (وما كانوا مهتدين) • أى إلى طرق التجارة فإن المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة أخرى لبقاء الأصل وأما إتلاف الكل بالمرّة فليس من باب التجارة قطعاً فهو لاء الذين كان رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فأضاعوا كلنا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بألف منزل فالجملة راجعة إلى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي

ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ ٢ البقرة

١٧ المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ. (مثلهم) زيادة كشف لحالهم وتصوير لهاغب تصويرها بصورة ما يؤدي إلى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي إلى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وإبانة لفظا عنها فإن التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستنزاه من مقام الاستعصاء عليه وأقوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامع الأبى كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية وإبداء للنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الأصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم أطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك إلا قولا بديعاً فيه غرابة صيرته جديرأ بالتسيير في البلاد وخليقاً بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال أو صفة أو قصة لها شأن عجيب وخطر غريب من غير أن يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيهه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الأعلى أى الوصف الذى له شأن عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون أى قصتها العجيبة الشأن. (كمثل الذى) • أى الذين كما فى قوله تعالى وخضتم كالذى خاضوا خلا أنه وحد الضمير فى قوله تعالى. (استوقد ناراً) • نظر إلى الصورة وإنما جاز ذلك مع عدم جواز وضع الائم مقام القائمين لأن المقصود بالوصف هى الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل إنما هو وصلة لوصف المعارف بها ولأنه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسره ثم اقتصر على اللام فى أسماء الماعلين والمفعولين ولأنه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه أن لا يجمع ويستوى فيه الواحد والمتعدد كما هو شأن أخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء أبداً على اللغة الفصيحة أو قصد به جنس المستوقد أو الفوج أو الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضى حار محرق واشتقاقها من نارينور إذانفر لأن فيها حركة واضطراباً واستيقادها طلب وقودها أى سطو عها وارتفاعها وتكبيرها للتفخيم. (فلما أضاءت ما حوله) الإضاءة فرط الإضاءة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد أى فلما أضاءت النار ما حول المستوقد أو فلما أضاء ما حوله والتأنيث لكونه عبارة عن الأماكن والأشياء أو أضاءت النار نفسها فيما حوله على أن ذلك ظرف لإشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها أو ما مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام حول لأنه يدور. (ذهب الله بنورهم) النور ضمير كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذى والجمع باعتبار المعنى أى أطفأ الله نارهم التى هى مدار نورهم وإنما علق الإذهب بالنور دون نفس النار لأنه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبى عنه قوله تعالى فلما أضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها أو نحو ذلك وهو جواب لما أو استئناف أجيب به عن سؤال سائل يقول

صَمَّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ البقرة

ما بالهم أشبهت حال مستوقد انطفأت ناره أو بدله من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به إلى الجحاز والامن من الإلباس كأنه قيل فلما أضام ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد السكدر في إحيائها وإسناد الإذهاب إلى الله تعالى إما لأن الكل بخلقته تعالى وإما لأن الانطفاء حصل بسبب خفي أو أمر سماوي كريح أو مطر وإما للبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والإمساك يقال ذهب السلطان بماله إذا أخذه وما أخذه الله عز وجل فأمسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر إلى النور لأن ذهاب الضوء قديجتماع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوى لعدم الضعيف والمراد إزالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى . (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) فإن الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرّة لاسيما إذا كانت متضاعفة متراكمة متراكباً بعضها على بعض كما يفيد الجمع والتشكيك التفتيحى وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق إلا بعد أن لا يبقى من النور عين ولا أثر وإما لأن المراد بالنور ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما أو قدوا ناراً للحرب أطفاها الله ووصفها بإضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح أو النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها إلى بعض المعاصى ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فأفهاها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الأصل بمعنى طرح وخلي وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجري مجرى أفعال القلوب قال [فتركته جزر السباع ينشئه • يقضمن حسن بنانه والمعصم] أو الظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك أن تفعل كذا أى ما منعك لأنها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرىء في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كأن الفعل غير متعد والمعنى أن حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمة الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وظلمة العقاب السرمدى بالهدى الذى هو النور الفطرى المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق أو بالهدى الذى كانوا حصلوه من التوراة حسبما ذكر كحال من استوقد ناراً عظيمة حتى كاد ينتفع بها فأطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الإبصار . (صم بكم عمى) أخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير ١٨ المنافقين أو خبر واحد بالتأويل المشهور كما في قولهم هذا حلوحامض والصمم آفة مانعة من السماع وأصله الصلابة واكتناز الأجزاء ومنه الحجر الأصم والقناة الصماء وصمام القارورة سداده سمي به فقدان حاسة السمع لما أن سببه اكتناز باطن الصياخ وانسداده منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواً يحصل الصوت بتموجه واليكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم حيث سدوا مسامعهم عن الإصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وأبوا أن يتلقوها بالقبول وينطقوا بها ألسنتهم ولم يحتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدى رسول

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْلِحَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ
حَذَرًا لِّلْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ البقرة

الله ﷻ ولم ينظروا إلى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والأنفس بعين التدبر وأصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدى تلك المشاعر بالكلية وهذا عند مفلق سحرة البيان من باب التمثيل البالغ المؤسس على تناسى التشبيه كما في قول من قال [ويصعد حتى يظن الجهول * بأن له حاجة في السماء] لما أن المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير [لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم] (فهم لا يرجعون) الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها أي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون إلى الهدى الذي تركوه وضيعوه أو عن الضلالة التي أخذوها والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فإن قصارى أمر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق ولا اختلال مشعرا الأبصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية السكرية تنمة للتمثيل وتكمل له بأن ما أصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعاً واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه أو الحقيقة فبقوا جامدين في مكاناتهم لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى ما ابتدأوا منه والعدول إلى الجملة الإسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرى صما بكما عمياً إما على الذم كما في قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون أو المستوقدون وإما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم أو المرفوع في لا يبصرون وإما على المفعولية لتركهم فالضميران للمستوقدين . (أو كصيب) تمثيل لحالهم أثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فإن تفننهم في فنون الكفر والضلال وتقلهم فيها من حال إلى حال حقيق بأن يضرب في شأنه الأمثال ويرخى في حلبيته أعنة المقال ويمد لشرحه أطناب الإطناب ويعقد لأجله فصول وأبواب لما أن كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد أن يوفى فيه حق كل من مقامى الإطناب والإيجاز فما ظنك بما في ذروة الإعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جنائياتهم وهو عطف على الأول على حذف المضاف لما سيأتى من الضمائر المستدعية لذلك أى كمثل ذوى صيب وكلمة أو للإبذان بتساوى القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معاً والصيب فيعمل من الصوب وهو النزول الذى له وقع وتأثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ [عفا آيه نسج الجنوب مع الصبا * وأسحم دان صادق الوعد صيب] ولعل الأول هو المراد ههنا لاستلزامه الثانى وتكثيره لما أنه أريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل الأول وأمد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الأولى التي هي الصاد المستعلية والياء المشددة والباء الشديدة ومادته

- الثانية أعنى الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرىء أو كصائب . (من السماء) متعلق بصيب أو بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسما هذه المظلة وهى فى الأصل كل ماعلاك من سقف ونحوه وعن الحسن أنها موج مكفوف أى ممنوع بقدرة الله عز وجل من السيلان وتعريفها للإيدان بأن انبعاث الصيب ليس من أفق واحد فإن كل أفق من آفاقها أى كل ما يحيط به كل أفق منها سما على حدة قال ومن بعد أرض بيننا وسما كما أن كل طبقة من طباقها سما قال تعالى وأوحى فى كل سما أمرها والمعنى أنه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسما السحاب واللام لتعريف الماهية . (فيه ظلمات) أى أنواع منها وهى ظلمة تكافئه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة لإظلال ما يلزمه من الغمام الأسحيم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع أن بعضها غيره كظلمة الغمام والليل لما أنهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لأمره وإيدانا بأنه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر فى عدم جعل الظلمات هو الأصل المستتبع للبوأى مع ظهور ظرفيتها للكل إذ لو قيل أو كظلمات فيها صيب الخ لما أفاد أن للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبية على غيرها .
- (ورعد) وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور أنه يحدث من اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض أو من انفلاق بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح إياه سواقا عنيفا . (وبرق) وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقاً أى لمع وكلاهما فى الأصل مصدر ولذلك لم يجمعوا وكونهما فى الصيب باعتبار كونهما فى أعلاه ومصبه ووصول أثرهما إليه وكونهما فى الظلمات الكائنة فيه والتنوين فى الكل للتفخيم والتهويل كأنه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقيق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة إما صفة لصيب أو حال منه لتخصسه بالصفة أو بالعمل فيما بعده من الجار أو من المستكن فى الظرف الأول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر فى قوله عز وجل . (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) للمضاف الذى أقيم مقامه المضاف إليه فإن معناه باق وإن حذف لفظه تعويلا على الدليل كما فى قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون فإن الضمير للأهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان رضى الله عنه [يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل] فإن تذكير الضمير المستكن فى يصفق لرجوعه إلى الماء المضاف إلى بردى وإلا لآثت حتما وإشارا لجعل المنبئ عن دوام الملابس واستمرار الاستقرار على الإدخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج إلى الداخل للمبالغة فى بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما أن إيراد الأصابع بدل الأنامل للإشباع فى بيان سدها باعتبار الذات كأنهم سدوها بجملة لا بأناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز أن يكون هذا إيما إلى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم إلى حيث لا يهتدون إلى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال فى عدم تعيين الأصبع المعتاد أعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الأدب والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل عند بيان أحوالهم الهائلة فماذا يصنعون فى تضاعيف تلك الشدة فقولهم يجعلون الخ وقوله تعالى (من الصواعق) متعلق بيجعلون أى من أجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلًّا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ٢ البقرة

- العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها بثقة نار لا تمر بشيء إلا أتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبنائها إما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والناء للبالغة كما في الرواية أو مصدر أكالعافية وقد تطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو بشدة الصوت وسد الأذان إنما يفيد على التقدير الثاني دون الأول وقرئ من الصواعق وليس ذلك بقلب من الصواعق لا استواء كلا البناءين في التصريف يقال صعق الديك وخطيب مصقع أي مجرب بخطبته (حذر الموت) منصوب يجعلون على العلة وإن كان معرفة بالإضافة كقوله [وأغفر عوراء الكريم ادخاره ه واصفح عن شتم اللئيم تسكر ما ولا ضير في تعدد المفعول له فإن الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية أي يحذرون حذراً مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بأن الخلق بمعنى التقدير والأعدام مقدرة (والله محيط بالكافرين) أي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانظروا ملكوته عليهم بإحاطة المحيط بما أحاط به في استحالة الفوت أو شبه الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من أحوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الأول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها أعنى الإحاطة والباقي منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منهية على أن ما صنعوا من سد الأذان بالأصابع لا يغني عنهم شيئاً فإن القدر لا يدفعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع إلى أصحاب الصيب الإيدان بأن ما دهمهم من الأمور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على مناج قوله تعالى كمثل ريح فيها صراصات حرث قوم ظلوا أنفسهم فأهلكته فإن الإهلاك الناشئ من السخط أشد وقيل هذا الاعتراض من جملة أحوال المشبه على أن المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على أنه لا مدفع لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة وإنما وسط بين أحوال المشبه مع أن القياس تقديمه أو تأخيرها لإظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشأن المشبه ٢ (يكاد البرق) استئناف آخر وقع جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك (يخطف أبصارهم) أي يختلسها ويستلهم بسرعة وكاد من أفعال المقاربة وضعت للمقاربة الخبر من الوجود لتأخذ أسبابه وتعاوض مبادئه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط أو لعروض مانع ولا يكون خبرها إلا مضارعاً عارياً عن كلمة أن وشذ مجيئه اسماً صريحاً كما في قوله [فأبت إلى فهم وما كدت آيياً وكذا مجيئه مع أن حملاً لها على عسى كما في مثل قول روبة [قد كاد من طول البلى أن يحصا كما تحمل

- هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة في أصل المقاربة وليس فيها شائبة الإنشائية كما في عسى وقرى ويخطف بكسر الطاء ويخطف ويخطف بفتح الياء والحاء بنقل فتحة التاء إلى الخاء وإدغامها في الطاء ويخطف بكسرهما على اتباع الياء والحاء ويخطف من صيغة التفعيل ويخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) كل ظرف وما مصدرية والزمان محذوف أى كل زمان أضاءه وقيل مانكرة موصوفة ● معناها الوقت والعائد محذوف أى كل وقت أضاء لهم فيه والعامل فى كلما جوابها وهو استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون فى أثناء ذلك الهول أيفعلون بأبصارهم ما فعلوا بأذانهم أم لا فقيل كلما نور البرق لهم مشى ومسلكا على أن أضاء متعد والمفعول محذوف أو كلما لمع لهم على أنه لازم ويؤيده قراءة كلما أضاء (مشوا فيه) أى فى ذلك المسلك أو فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف أن يخطف أبصارهم وإشار ● المشى على ما فوقه من السعى والعدو للإشدار بعدم استطاعتهم لها (وإذا أظلم عليهم) أى خفى البرق واستتر والمظلم وإن كان غيره لكن لما كان الإظلام دائراً على استتاره أسند إليه مجازاً تحقيقاً لما أريد من المبالغة فى موجبات تخبطهم وقد جوز أن يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل ومنه ما جاء فى قول أبى تمام [هما أظلمتا حالى تمت أجليا] ظلما بينهما عن وجه أمر دأشيب | ويعضده قراءة أظلم على البناء للمفعول (قاموا) أى وقفوا فى أما كنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لحففة أخرى عسى يتسنى ● لهم الوصول إلى المقصد أو الانتجاع إلى ملجأ يعصمهم وإيراد كلما مع الإضاءة وإذا مع الإظلام للإيذان بأنهم حراس على المشى مترقبون لما يصححه فكلمها وجدوا فرصة انتزعوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير وقطائر اللب مالا يوصف (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) كلفة لولتعليق ● حصول أمر ماض هو الجزاء بحصول أمر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة أو ادعاء ومن قضية مفروضة الشرط دلالتها على انتفاءه قطعاً والمنازع فيه مكابر وأما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذى لا محيد عنه أنه إن كان ما بينهما من الدوران كلياً أو جزئياً قد بنى الحكم على اعتباره فهى دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعى لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول أما فى مادة الدوران الكلى كما فى قوله عز وجل ولو شاء لهداكم أجمعين وقولك لو جئتني لأكرمك فظاهر لأن وجود المشيئة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود الحجى علة لوجود الإكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضة فانتفى معلولاها حتماً ثم إنه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما فى المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشائع لكلمة لو ولذلك قيل هى لامتناع الثانى لامتناع الأول وقد يساق للاستدلال بانتفاء الثانى لكونه ظاهراً أو مسلماً على ابتغاء الأول لكونه خفياً أو متنازعا فيه كما فى قوله سبحانه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفى قوله تعالى لو كان خيراً ما سبقونا إليه فإن فسادهما لازم لتعدد الآلهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين إلى الإيمان لازم لخيريته فى زعم الكفرة ولا ريب فى انتفاء اللازمين فتعين انتفاء الملزومين حقيقة فى الأول وادعاء باطلاً فى الثانى ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما فى المثالين الأولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة إلى سببية العلم بانتفاء الثانى للعلم بانتفاء الأول ومن لم يتنبه له زعم أنه لانتفاء الأول لانتفاء الثانى وأما

في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فلأن الجزء المنوط بالشرط الذي هو
 طلوعها ليس وجود أي ضوء كان كضوء القمر المجامع لعدم الطلوع مثلاً بل إنما هو وجود الضوء الخاص
 الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا إذا بني الحكم على اعتبار الدوران وأما إذا بني
 على عدمه فإما أن يعتبر هناك تحقق مدار آخر له أولاً فإن اعتبر بالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فإن كان بينه
 وبين انتفاء الأول منافاة تعين الدلالة كما إذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فإن وجود الضوء وإن
 علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة أن عدم الطلوع من حيث هو هو
 ليس مدار الوجود الضوء في الحقيقة وإنما وضع موضع المدار لكونه كاشفاً عن تحقق مدار آخر له فكأنه
 قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلاً ولا ريب في أن هذا الجزء منفك عند انتفاء
 الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وإن لم يكن بينهما أفاة تعين عدم الدلالة
 كما في قوله ﷺ في بنت أبي سلمة لو لم تكن ربيتي في حجرى ما حملت لى إنها لا بنته أختى من الرضاة فإن
 المدار المعتبر في ضمن الشرط أعنى كونها ابنة أخيه عليه السلام من الرضاة غير مناف لا انتفائه الذي هو
 كونها ربيته عليه السلام بل مجامع له ومن ضروره أنه مجامعة أثرهما أعنى الحرمة الناشئة من كونها ربيته
 عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها ابنة أخيه من الرضاة وإن لم يعتبر هناك تحقق مدار آخر بل بني الحكم
 على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك أصلاً كيف لا ومساق الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزء على كل حال
 بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الأولى كما في قوله عز وجل لو أنتم تملكون
 خزائن رحمة ربى إذا لم مسكتم وقوله عليه السلام لو كان الإيمان في الثريا لنالها رجال من فارس وقول علي رضي
 الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً فإن الأجزية المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعى نقائضها فإذا
 بأنها في أنفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء أسبابها أو تحقق أسباب انتفائها فكيف إذا لم يكن كذلك
 على طريقة الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاصيل حررها
 في تفسير قوله تعالى أولو كنا كارهين وقول عمر رضي الله عنه نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه وإن حمل
 على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والإجلال وغيرهما بما يجامع الخوف كان
 من قبيل حديث ابنة أبي سلمة وإن حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والآية الكريمة
 واردة على الاستعمال الشائع مفيدة لكامل فظاعة حالهم وغاية هول مادهم من المشاق وأنها قد بلغت من
 الشدة إلى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بإزالة مشاعرهم لزال لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاماً وقيل كلفة لوفها
 لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء أحدهما لا انتفاء الآخر بمنزلة كلفة أن ومفعول المشيئة
 محذوف جرياً على القاعدة المستمرة فإنها إذا وقعت شرطاً وكان مفعولها مضموناً للجزء فلا يكاد يذكر
 إلا أن يكون شيئاً مستغرباً كما في قوله [فلو شئت أن أبكى دما لبكيت] * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
 أى لو شاء الله أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب
 بأسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة والإفراد في المشهورة لأن السمع
 مصدر في الأصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستثنائية وقيل على كلاً أضاء الخ وقوله

- عز وجل (إن الله على كل شيء قدير) تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على إزالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه كأنما ما كان على أنه في الأصل مصدر شاء أطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والإخبار عنه فقط وقد خص ههنا بالممكن موجوداً كان أو معدوماً بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما أنها عبارة عن التمكن من الإيجاد والإعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده أنه إن شاء إبقائه على الوجود أبقاه عليه فإن علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن شاء إعدامه أعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه أنه إن شاء إيجاده أوجده وإن لم يشأ لم يوجده وقيل قدرة الإنسان هيئة بها يتمكن من الفعل والبرك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لأن القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه إرادته أو بقدر قوته وفيه دليل على أن مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لأنه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم أن كل واحد من التمثيلين وإن احتمل أن يكون من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله [كأن قلوب الطير رطباً ويابساً * لدى وكرها العناب والحشف البالي] بأن يشبه المنافقون في التمثيل الأول بالمستوقدين وهدهام الفطرى بالنار وتأيدهم إياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به بإضاءتها ما حولهم وإزالته بإذهاب النور الناري وأخذ الضلالة بمقابلته بملاستهم الظلمات الكشيفة وبقائهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم والمعارف التي هي مدار الحياة الأبدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الأرضية وما عرض لهم بنزوله من الغيوم والأحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع أسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيفسد أذنه عنها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلع لهم من رشد يدركونه أو رقد يبرزونه بمشيمهم في مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم وتحيرهم في أمرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم إذا أظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في أحد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الآخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه به هيئة أخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بأن ينتزع من المنافقين وأحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين وأصحاب الصيب وأحوالهم المحكية هيئة بحالها فتشبه كل واحدة من الأوليين بما يضاهاها من الآخرين هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه نخامة شأنه الجليل لاشتراكه على التشبيه الأول إجمالاً مع أمرزائده هو تشبيه الهيئة بالهيئة وإيدانه بأن اجتماع تلك المفردات مستتب هيئة عجيبة حقيقة بأن تكون مثلاً في الغرابة .

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٢ البقرة

٢١ (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) إثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شأنه إلى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرائع والأحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشقاق وأخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والتناق وتعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والأحوال وبين ما لهم من المصير والمآل أقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزأ لهم إلى الإصغاء وتوجيها لقلوبهم نحو التلقى وجبرأ لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فأمرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الإشراك به وبإحرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلاً له منزلة البعيد إما لإجلالاً كما في قول الداعي يا الله ويارب وهو أقرب إليه من جبل الوريد استقصاراً لنفسه واستبعاداً لها من محافل الزاني ومنازل المقربين ولما تنبها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على أن ما يعقبه أمر خطير يعتنى بشأنه وأي اسم مهم جعل وصلة إلى نداء المعروف باللام لا على أنه المنادى أصالة بل على أنه صفة موصحة له منزلة لإبهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلاً لإشعاراً بأنه المقصود بالنداء وأفحمت بينهما كلمة التنبيه تأكيداً لمعنى النداء وتعويصاً عما يستحقه أي من المضاف إليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من أسباب المبالغة والتأكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد في تضاعيفه على العباد من الأحكام والشرائع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بأن تقشعر منها الجلود وقطمئن بها القلوب الآية ويتلقوها بأذان واعية وأكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتأكيد في الإيقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين في ذلك العصر لما أن الجوع وأسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بعمومها شائعاً ذائعاً وأما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وإنما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه ﷺ ضرورة أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم إلى قيام الساعة ولا يقدر في العموم ما روى عن علقمة والحسن البصري من أن كل ما نزل فيه يا أيها الناس فهو مكى إذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه بأهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار إذ لم يكن كل أهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود هذا الأمر لما أن المأمور به القدر المشترك الشامل لإنشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع أنها متكررة حسب تكرار أسبابها ولا في انتفاء شرطها في الآخرين منهم أعنى الإيمان لأن الأمر بها منتظم للأمر بما لا يتم إلا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فإن أمر المحدث بالصلاة مستتبع للأمر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم أفعال القلب أيضاً لما أنها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كل ما ورد في القرآن من العبادات فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا وأطيعوا ولا في كون بعض من الفرقتين الأخيرتين ممن لا يجدى فيهم الإنذار بموجب النص القاطع لما أن الأمر لقطع الأعذار

- ليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الإيمان بعدم إيمانهم أصلاً إذ لا قطع لأحد منهم بدخوله في حكم النص قطعاً وورود النص بذلك لكونهم في أنفسهم بسوء اختيارهم كذلك لأن كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر أصلاً نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وأنتم تعملون وإيراده تعالى بعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأكيد موجب الأمر بالإشعار بعليتها للعبادة (الذي خلقكم) صفة أجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل إثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح ● بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أرباباً والخلق لإيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير يقال خلق النعل أي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بإدغام القاف في الكاف (والذين من قبلكم) عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فإن خلق أصولهم من موجبات العبادة كخلق أنفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف أي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق وأقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الأمم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي إلى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم وإخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصول عندهم أيضاً مع أنهم غير معترفين بغاية الخلق وإن اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله الإيذان بأن خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لأحد إنكاره وقرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم بإقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً لإقحام اللام بين المضافين في لا أبالك أو يجعله موصوفاً بالظرف خبراً لمبتدأ محذوف أي الذين هم أناس كانوا من قبلكم (لعلكم تتقون) المعنى الوضعي لكلمة لعل هو إنشاء توقع أمر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول إما محبوب فيسمى ترجيحاً أو مكروه فيسمى إشفاقاً وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل إماماً من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الأصل الشائع في الاستعمال لأن معاني الإنشاءات قائمة به وإما من جهة المخاطب تنزيلاً له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولاً له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز لإذنا بأن ذلك الأمر في نفسه مثنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير أن يعتبر هناك توقع الفعل من متوقع أصلاً فإن روعيت في الآية الكريمة جهة المتكلم يستحيل إرادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار إما إلى الاستعارة بأن يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مثنة لها لتعاوض أسبابها برجاء الراجي من المرجو منه أمراً هين الحصول في كون متعلق كل منهما متردداً بين الوقوع وعدمه مع رجحان الأول فيستعار له كلبة لعل استعارة تبعية حرفية للبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع وإما إلى التمثيل بأن يلاحظ خلقه تعالى إياهم مستعدين للتقوى وطلبه إياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لأسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئاً سهل المنال فيستعمل في الهيئة الأولى ما حقه أن يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من ألفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها أعني كلبة الترجى والباقي منوى بالفاظ متخيلة بها

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٢﴾ البقرة

يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مراراً وأما جعل المشبه إرادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فأمر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن إرادته تعالى فالجملة حال إما من فاعل خلقكم أى طالباً منكم التقوى أو من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لأنهم المأمورون بالعبادة أى خلقكم وإياهم مطلوباً منكم التقوى أو علة له فإن خلقهم على تلك الحال في معنى خلقهم لأجل التقوى كأنه قيل خلقكم لتتقوا أو كي تتقوا إما بناء على تجويز تعليل أفعاله تعالى بأغراض راجعة إلى العباد كما ذهب إليه كثير من أهل السنة وإما تنزيلاً لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير أن تكون هي علة غائية لها بحيث لو لاها لما أقدم عليها بما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال أو العلة لتكميل عليه للبأمر به وتأكيدها فإن إتيانهم بما خلقوا له أدخل في الوجوب وإيثار تقوى على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون للبلاغة في إيجاب العبادة والتشديد في إلزامها لما أن التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا لم يمتثل التقوى كان ما هو أدنى منها ألزم والإتيان به أهون وإن روعيت جهة المخاطب فلفعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير عبدوا كأنه قيل عبدوا ربكم راجعين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على أن المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل إلى الله عز وجل بالكلية والتزهد عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي أقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالاتظام القدر المشترك بين إنشائه والثبات عليه ليرتجيه أرباب هذه المرتبة ومادونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الإشعار بكون الوصف الأول معظم أحكام الربوبية وكونه عريقاً في إيجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فأما إن اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة أى خلقكم وإياهم حال كونكم جميعاً بحيث يرجو منكم كل راج أن تتقوا فإنه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمبادئها الآفاقية والآنفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج أن يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وإن لم يتحقق الرجاء قطعاً وأعلم أن الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيدة تعالى وتحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم بإشارتها إلى أن مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الأنفس والآفاق مما يقضى بذلك قضاء متقناً وقد بين فيها أولاً من تلك الآيات ما يتعلق بأنفسهم من خلقهم وخلق أسلافهم لما أنه أقوى شهادة وأظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقبل (الذي جعل لكم الأرض فراشاً) وهو في محل النصب على أنه صفة ثانية لربكم موضحة أو مادحة أو على تقدير أخص أو أمدح أو في محل الرفع

على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح إشعاراً بأنه إنشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع لإجراء اللوجمين على سنن واحد وأما كونه مبتدأ خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي أن يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير أن يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه أعظم شأنًا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع مخاطبين وللتشويق إليه لأن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الإشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن أو لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاوب أطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشاً جعل بعضها بارزاً من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للعود عليها والنوم فيها كاللبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحاً حقيقياً فإن كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لا فتراشها وقرىء بساطاً ومهاداً . (والسماء بناء) عطف على المفعولين السابقين ● وتقدير حال الأرض لما أن احتياجهن إليها وانتفاعهم بها أكثر وأظهر أى جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد أو جمع سماوة أو سماء والبناء في الأصل مصدر سمي به المبني بيتاً كان أو قبة أو خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما أنهم كانوا إذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديداً . (وأنزل من السماء ماء) عطف على جعل أى أنزل من جرتها أو منها إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض كما روى ذلك عنه عليه الصلاة والسلام أو المراد بالسماء جهة العلو كما ينبي عنه الإظهار في موضع الإضمار وهو على الأولين لزيادة التقرير ومن لا ابتداء الغاية متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من المفعول أى كائناً من السماء قدم عليه لكونه نكرة وأما تقديم الظرف على الوجه الأول مع أن حقه التأخير عن المفعول الصريح فإما لأن السماء أصله ومبدؤه وإما لما مر من التشويق إليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى (فأخرج به) أى بسبب الماء (من الثمرات رزقا لكم) وذلك ● بأن أودع في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة منفعة فتولد من تفاعلها أصناف الثمار أو بأن أجرى عادته بإفاضة صور الثمار وكيفيةها المتخالفة على المادة الممتزجة منها وإن كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيتته فإنه تعالى قادر على أن يوجد جميع الأشياء بلا مباد ومواد كما أبدع نفوس المبادئ والأسباب لكن له عز وجل في إنشائها متقلبة في الأحوال ومتبدلة في الأقطار من بدائع حكم باهرة تجدد لا ولى الأبصار عبراً ومزيد طمأنينة إلى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في إبداعها بغتة ومن للتبعض لقوله تعالى فأخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين أعنى ماء ورزقا كأنه قيل وأنزل من السماء بعض الماء فأخرج به بعض الثمرات ليسكون بعض رزقكم وهكذا الواقع إذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا أخرج من الأرض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثماراً أو للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له أو حال منه كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً ويجوز أن يكون من الثمرات مفعولاً ورزقا حالا منه أو مصدراً من أخرج لأنه بمعنى رزق وإنما شاع ورود الثمرات دون الثمار مع أن الموضع موضع

كثرة لأنه أريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك أدركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد أو لأن
الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله تعالى ثلاثة قروء أو لأنها
محلة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق
• أي زرقا كأنهم أكرم أو دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدراً كأنه قيل رزقا إياكم . (فلا تجعلوا
لله أنداداً) إما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كأنه قيل إذا أمرتم بعبادة من هذا شأنه من التفرد بهذه
النعوت الجليلة والأفعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وإنما قيل أنداداً باعتبار الواقع لأن مدار النهي
هو الجمعية وقرئ نداء وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات لئلا يترتب بالصفات وتعليل
الحكم بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوحداية واستحالة الشركة والإيدان باستتباعها لساير
الصفات وإما معطوف عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً والفاء للإشعار بعلمية ما قبلها
من الصفات المجرأة عليه تعالى للنهي أو الانتهاء أو لأن مآل النهي هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى
المترتب على أصلها كأنه قيل اعبدوه فخصوها به والإظهار في موضع الإضمار لما مر آنفاً وقيل هو نفى
منسوب بإضمار أن جواباً للأمر ويأباه أن ذلك فيما يكون الأول سبباً للثاني ولا ريب في أن العبادة
لا تكون سبباً للتوحيد الذي هو أصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فأطلع في قوله تعالى لعل
أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى أي خلقكم لتتقوا وتحافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقهم
وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو
القريب بمنزلة المتعنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح أي هو
الذي حفيكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم
وخلق أسلافهم بمعزل من مناطية النهي مع عراقتهم فيها وقيل هو خبر للبوصول بتأويل مقول في حقه
وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير إلى مذهب الانحرف في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك
زيد قام أبو عبد الله إذا كان ذلك كنيته والند المثل المساوي من ند ندوداً إذا نفر وناددته خالفته خص
بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبد المشركون من دون الله أنداداً
والحال أنهم ما زعموا أنها تماثله تعالى في صفاته ولا أنها تخالفه في أفعاله لما أنهم لما تركوا عبادته تعالى
إلى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم
بأس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم أن جعلوا أنداداً لمن
يستحيل أن يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل [أرباً واحداً أم ألف
رب • أدين إذا تقسمت الأمور] [تركت اللات والعزى جميعاً • كذلك يفعل الرجل البصير]
• وقوله تعالى (وأنتم تعلمون) حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقيد إلى ما أفاده النهي من قبح المنهى عنه
ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كأنه قيل لا تجعلوا ذلك فإنه قبيح واجب
الاجتناب عنه والحال إنكم من أهل العلم والمعرفة بدقائق الأمور وإصابة الرأي أو مقدر حسبما يقتضيه
المقام نحو وأنتم تعلمون بطلان ذلك أو تعلمون أنه لا يماثله شيء أو تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت أو

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ٢ البقرة

تعملون أنها لا تفعل مثل أفعاله كما في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء أو غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي بجعل المهي عنه القدر المشترك المنتظم لإنشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حسبها مر مثله في الأمر وأما صرف التقييد إلى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة إذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم بضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل إنما يتأتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على أن تعاطى القبائح من العالمين بقبحها أقبح وذلك إنما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد إلى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين أيضاً فقد نأى عن التحقيق إن قلت أليس في تخصيصه بالكفرة في الأمر والنهي خلاص من أمثال ما مر من التكاليف وحسن انتظام بين السباق والسياق إذ لا يحيد في آية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رياء محل المؤمنين ورفع شأنهم عن جبر الانتظام في سلك الكفرة والإيذان بأنهم مستمررون على الطاعة والعبادة حسبها مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الأمر والنهي قلت بلى إنه وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من ثبت قدمه عليه فتأمل (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) شروع في تحقيق أن الكتاب الكريم الذي من ٢٣ جملته ما تلى من الآيتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله ﷺ كما أن ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن أن يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع أنهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى إن كنتم صادقين إما للإيذان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شأنه وأما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما أن تنكيهه وتصديره بكلمة الشك للإشعار بأن حقه أن يكون ضعيفاً مشكوك الوقوع وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ونهاية قوتها وإنما لم يقل وإن ارتبتم فيما نزلنا الخ لما أشير إليه فيما سلف من المبالغة في تنزيهه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والإشعار بأن ذلك إن وقع فن جمتهم لا من جمته العالية واعتبار استقرارهم فيه وإحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما أن ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في عما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلاً للرب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين أبعاضه وليس معنى كونهم

في ريب منه ارتياهم في استقامة معانيه وصحة أحكامه بل في نفس كونه وحياً منزلاً من عنده عز وجل وإيثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الإنزال لتذكير منشأ ارتياهم وبناء التحدى عليه إرخاء للعنان وتوسيعاً للبيدان فإنهم كانوا اتخذوا نزوله منعجاً وسيلة إلى إنكاره فجعل ذلك من مبادئ الاعتراف به كأنه قيل إن ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهل وتدرج فهاثوا أنتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فإنه أيسر عليكم من أن ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التيسيت وإزاحة العمل وفي ذكره ﷺ بعنوان العبودية مع الإضافة إلى ضمير الجلالة من التشریف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لأوامره تعالى مالا يخفى وقرىء على عبادنا والمراد هو ﷺ وأمته أو جميع الأنبياء عليهم السلام ففيه إيدان بأن الارتياح فيه ارتياح فيما أنزل من قبله لكونه مصداقاً له ومهيئاً عليه والأمر في قوله تعالى (فأتوا بسورة) من باب التعجيز وإلحاق الحجر كما في قوله تعالى فأت بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياح للأمر أو الإتيان بالمأمور به لما أشير إليه من أنه عبارة عن جزمهم المذكور فإنه سبب للأول مطلقاً وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة وأقلها ثلاث آيات وواوها أصلية منقولة من سور البلد لأنها محيططة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها أو محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها أو من السورة التي هي الرتبة قال [ولرهب حراب وقد سورة * في المجد ليس غرابها بمطار] فإن سور القرآن مع كونها في أنفسها رتباً من حيث الفضل والشرف أو من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع أخواتها في المصحف مراتب يرتقى إليها القارئ شيئاً فشيئاً وقيل وواوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى (من مثله) بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحياسة سائر نعوت الإعجاز وجعلها تبعيضية يوم أن له مثلاً محققاً قد أريد تعجيزهم عن الإتيان ببعضه كأنه قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تنمة المعجوز عنه فضلاً عن كونها مداراً للعجز مع أنه المراد وبناء الأمر على المجازاة معهم بحسب حسابهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا أو على التهمك بهم ياباه ما سبق من تنزيله منزلة الريب فإن مبنى التهمك على تسليم ذلك منهم وتسويفه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الأخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للنزل عليه حتماً لما أن رجوعه إلى المنزل يوم أن له مثلاً محققاً قد ورد الأمر التعجيزي بالإتيان بشيء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه إلى المنزل عليه فإن تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية يهون الخطاب في الجملة خلاً أن تخصيص التحدى يفرد بشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للإتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى أو مجتمعين مع أنه يستدعى عراء المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فإين هذا من تحدى أمة جملة وأمرهم بأن يحتشدوا في حلبة المعارضة

- بجعلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى (وادعوا شهداءكم من دون الله) ويتعاونوا على الإتيان بقدر يسير مماثل في صفات الكمال لما أتى بجملته واحد من أبناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر ومعنى دون أدنى مكان من شيء يقال هذا دون ذلك إذا كان أحط منه قليلاً ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقبل زيد دون عمرو أى في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد وتخطى حكم إلى حكم من غير ملاحظة انحطاط أحدهما عن الآخر فجري مجرى أداة الاستثناء وكلمة من إما متعلقة بادعوا فتكون لا ابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى الاستظهار من حضركم كأنما من كان أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم وأشرافكم الذين تفرعون إليهم في المللات وتولون عليهم في المهمات أو القائمين بشهادتكم الجارية فيما بينكم من أمنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاية أو القائمين بنصرتكم حقيقة أو زعماً من الإنس والجن ليعينوك وإخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الأول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدره على ما كلفوه فإن ذلك مما يؤهم أنهم لو دعوه تعالى لأجابهم إليه وأما في سائر الوجوه فللتصريح من أول الأمر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لإدخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون أولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقالة والمناقلة للشهادة لكم أن ما أتيتم به مثله إيذاناً بأنهم يأبون أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلى الاستحالة وفيه أنه يؤذن بعدم شمول التحدى لأولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصحبوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائمين الله يشهد أن ماندعيه حق فإن ذلك ديدن المحجوج وفيه أنه إن أريد بما يدعون حقية ما هم عليه من الدين الباطل فلا أساس له بمقام التحدى وإن أريد مثلية ما أتوا به للتحدى به فمع عدم ملائمة لا ابتداء التحدى يوم أنهم قد تصدوا للمعارضة وأتوا بشيء مشتبهِ الحال متردد بين المثلية وعدمها وأنهم ادعوا مستشدين في ذلك بالله سبحانه إذ عند ذلك تمس الحاجة إلى الأمر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وأنى لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا بينت شفة وإما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الأصنام ودون بمعنى التجاوز على أنها ظرف مستقر وقع حالاً من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم أى ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من ابتدائية فإن الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الأصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من أنها بمكان من الله تعالى وأنها تنفعهم بشهادتها لهم أنهم على الحق فإن ما هذا شأنه يجب أن يكون ملاذاً لهم في كل أمر مهم وملجأ يؤولون إليه في كل خطب ملم كأنه قيل أولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم فوجه الالتفات الإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة مالا أحقر منه وقيل لفظه دون مستعارة من معناها الوضعي الذي هو أدنى مكان من شيء لقدامه كما في قول الأعشى [تريك القذى من دونها وهى دونه] أى تريك القذى قدامها وهى قدام القذى فتكون ظرفاً لغواً معمولاً لشهداءكم لكفاية راحة الفعل فيه من غير حاجة إلى

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ البقرة

اعتماد ولا إلى تقدير يشهدون أى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وإيرادها بهذا العنوان لما مر من الإشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فإن ما يقوم بهذا الأمر في ذلك المقام الخطير حقه أن يستعان به في كل مرام وفي أمرهم على الوجهين بأن يستظهروا في معارضة القرآن الذى أخرج كل منطق بالجماد من التهم بهم مالا يوصف وكلمة من ههنا تبعية لما أنهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لأنهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل إنما يقع في بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية أبدأ ولا تنجر إلا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مداره القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية أى ادعوا الذين يشهدون لكم أن ما أتيتم به مثله متجاوزين في ذلك أولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم إيداناً بأنهم أيضاً لا يشهدون بذلك وإنما قدر المضاف إلى الله تعالى رعاية للمقابلة فإن أولياء الله تعالى يقابلون أولياء الأصنام كما أن ذكر الله تعالى يقابل ذكر الأصنام والمقصود بهذا الأمر إرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت كأنه قيل تركنا إلزامكم بشهداء لا ميل لهم إلى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهداءكم المعروفين بالذب عنكم فإنهم أيضاً لا يشهدون لكم حذراً من اللائمة وأنفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا وأمر الإعجاز قد بلغ من الظهور إلى حيث لم يبق إلى إنكاره سبيل قطعاً وفيه مامر من عدم الملامة لا ابتداء التحدى وعدم تناوله لأولئك الشهداء وإيهام أنهم تعرضوا للمعارضة وأتوا بشيء احتاجوا في إثبات مثلته للتحدى به إلى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك (إن كنتم صادقين) أى في زعمكم أنه من كلامه عليه السلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أى إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الخ واستلزام المقدم للتالى من حيث أن صدقهم في ذلك الزعم يستدعى قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزولة لا ساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقائع والأيام لا سيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعى الأمر به (فإن لم تفعلوا) أى ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعى غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حدم معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وإنما لم يصرح به إيداناً بعدم الحاجة إليه بناء على كمال ظهور تهاكهم على ذلك وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولاً له للإيجاز البديع المغنى عن التطويل والتكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الإيدان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار عجزهم عنه لا لتحصيل المفعول أى المآتى به ضرورة استحالاته وأن مناط الجواب في الشرطية أعنى الأمر باتقاء النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول لفظ

الفعل هو أنفـس الأفعال الخاصة لازمة كانت أو متعدية من غير اعتبار تعلقاتها بمفعولاتها الخاصة فإذا علق بفعل خاص متعد فإنما يقصده إيقاع نفس ذلك الفعل وإخراجه من القوة إلى الفعل وأما تعلقه بمفعوله الخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلاً معنى فلان يعطى ويمنع بفعل الإعطاء والمنع يرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى اتئوني بأخ لكم من أبيكم فإنه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالأمر ومرى غرضه بالتكليف منه استحضر بنيامين لم يكتف في الشرطية الداعية لهم إلى الجد في الامتثال والسعى في تحقيق المأمور به بالإشارة الإجمالية إلى الفعل الذي ورد به الأمر بأن يقول فإن لم تفعلوا بل أعاده بعينه متعلقاً بمفعوله تحقيقاً لمطلبه وإعراباً عن مقصده هذا وقد قيل أطلق الفعل وأريد به الإتيان مع ما يتعلق به إما على طريقة التعبير عن الأسماء الظاهرة بالضائر الراجعة إليها حذراً من التكرار أو على طريقة ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وإيثار كلمة إن المفيدة للشك على إذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجازاة معهم بحسب حسابهم قبل التجربة أو النهـكم بهم (ولن تفعلوا) كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا أن في لن زيادة تأكيد وتشديد وأصلها عند الخليل لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيدييه حرف مقتضب للبعث المذكور وهي إحدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزأى الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لإيجاب العمل بتأليها وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفاً عن سلف (فاتقوا النار) جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد إذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كأنه قيل فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من إنكار كونه منزلاً من عند الله سبحانه فإنه مستوجب للعقاب بالنار لكن أثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملازمة بها للبالغة في تهويل شأنه وتفضيع أمره وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتغييرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المسكنى عنه وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الأصل فإن لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الإيمان به سبباً لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار (التي وقودها الناس والحجارة) صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفضاعة أعادنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الخطب وقرىء بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان غرقومه وزين بلده والمعنى أنها من الشدة بحيث لا تمس شيئاً من رطب أو يابس إلا أحرقت لا كثيران الدنيا تفتقر في الالتهاب إلى وقود من حطب أو حشيش وإنما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها إلى ما نسبت هي إليه معلوم للمخاطب بناء على أنهم سمعوه من أهل الكتاب قبل ذلك أو من الرسول ﷺ أو سمعوا قبل هذه الآية المدنية قوله تعالى ناراً وقودها الناس والحجارة فأشير هنا إلى ما سمعوه أولاً وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ البقرة

جميع آياتها كذلك كما هو المشهور وأما أن الصفة أيضاً يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب فالحط فيه حين لما أن المخاطب هناك المؤمنون وظاهر أنهم سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ والمراد بالحجارة الأصنام وبالناس أنفسهم حسبما ورد في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآتية (أعدت للكافرين) أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد إما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا أوليا وإما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العناد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مقرر للمضمون ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومبينة لمن أريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال يا ضمير قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف (وبشر الذين آمنوا) أي بأنه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على أن المقصود عطف نفس الأمر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جرياً على السنة الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حال الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنياً للفعول عطفاً على أعدت فيكون استئنافاً وتعليقاً التبشير بالموصول للإشعار بأنه معلل بما في حيز الصلة من الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فإنهما لا يكافئان النعم السابقة فضلاً من أن يقتضيا ثواباً فيما يستقبل بل يجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلاته فعلاً مفيداً للحدوث بعد إيراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالالتقاء على إحداث الإيمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي ﷺ وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيامة فإنه عليه السلام لم يأمر بذلك واحداً بعينه بل كل أحد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز إلى أن الأمر لعظمه وغمامته شأنه حقيق بأن يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به أثر السرور في البشارة وتبشير الصبح أوائل ضوئه (وعملوا الصالحات) الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لإفادة أن المراد بها جملة من الأعمال الصالحة التي أشير إلى أهماتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الإيمان دلالة على تغايرهما وإشعار بأن مدار استحقاق البشارة بمجموع الأمرين فإن الإيمان أساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأساس لا بناء به (أن لهم جنات) منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه أو مجرور بإضماره مثل الله لا فعلن والجنة هي المرة من مصدر

جنته إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير [كان عيني في غربي مقتلة • من التواضع تسقى جنة سحقاً] أى نخلًا طويلاً كأنها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم لحق المصدر حينئذ أن يكون مأخوذاً من الفعل المبني للمفعول وإنما سميت دار الثواب بها مع أن فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما أنها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لأنها سبع على ما ذكره ابن عباس رضى الله عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال وأصحابها (تجرى من تحتها الأنهار) فى حيز النصب على أنه صفة جنات فإن أريد بها الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها وإن أريد بها مجموع الأرض والأشجار فاعتبار التحتية بالنظر إلى الجزء الظاهر المصحح لإطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق إن أنهار الجنة تجري فى غير أخدود واللام فى الأنهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب أو عوض عن المضاف إليه كما فى قوله تعالى واشتعل الرأس شيباً أو للعهد والإشارة إلى ما ذكر فى قوله عز وعلا أنهار من ماء غير آسن الآية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الإضمار أو على المجاز اللغوى أراهم الجارى أنفسهم وقد أسند إليها الجريان مجازاً عقلياً كما فى سال الميزاب (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) صفة أخرى لجنات أخرت عن الأولى لأن جريان الأنهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار أهلها المتنعمين بها أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة كأنه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع فى ذهن السامع أثمارها كثمار جنات الدنيا أولاً فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كأنه قيل كل وقت رزقوا رزوقاً مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على أن الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتدأه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن فى الحال ويجوز كون من ثمرة بياناً قدم على المبين كما فى قولك رأيت منك أسداً وهذا إشارة إلى ما رزقوا وإن وقعت على فرد معين منه كقولك مشيراً إلى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فإنك إن أشرت إلى ما تمانيه بحسب الظاهر لكنك إنما تعنى بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى هذا مثل الذى رزقناه من قبل أى من قبل هذا فى الدنيا ولكن لما استحکم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وإنما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس إليه حين تراه فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غير معروف ولتبين لها مزيتها وكنه النعمة فيه إذ لو كان جنساً غير معهود لظن أنه لا يكون إلا كذلك أو مثل الذى رزقناه من قبل فى الجنة لأن طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضى الله عنه إن أحدهم يؤتى الصحيفة فيأكل منها ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف أو كما روى أنه عليه السلام قال والذى نفسى بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فهاهى واصله إلى فيه حتى يبذل

الله تعالى مكانها مثلها والاول أنسب لمحافظة عموم كلما فإنه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا
 لا فيما عدا المرة الأولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث
 اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن أين له هذه الرتبة من
 اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه ليس في الجنة من أطعمة الدنيا
 إلا الاسم فإن ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان أن لا تشابه بينهما
 أصلاً كيف لا وإطلاق الأسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعاً هذا وقد فسرت الآية الكريمة بأن مستلزمات
 أهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز أن يريدوا هذا ثواب
 الذى رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فإن الجنة وما فيها من فنون
 الكرامات من قبيل الثواب (وأتوا به متشابهاً) اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الأول راجع
 إلى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما
 • أى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثانى إلى الرزق (ولهم فيها أزواج مطهرة) أى مما في نساء الدنيا من
 الأحوال المستقذرة كالحيض والدرن وذنس الطبع وسوء الخلق فإن التطهر يستعمل في الأجسام
 والأخلاق والأفعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال الذناء فعلت وفعلت وهن فاعلة
 وفواعل قال [وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فبكت] فالجمع على اللفظ
 والإفراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة أبلغ من طاهرة
 ومتطهرة للإشعار بأن مطهر أطهرهن وما هو إلا الله سبحانه وتعالى وأما التطهر فيحتمل أن يكون من
 قبل أنفسهن كما عند اغتسالهن والزواج يطلق على الذكر والأنثى وهو فى الأصل اسم للمالعين من جنسه
 وليس فى مفهومه اعتبار التوالد الذى هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح إطلاقه على أزواج أهل الجنة
 لخلودهم فيها واستغنائهم عن الأولاد كما أن المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة فى مفهوم اسم الرزق حتى
 • يخل ذلك بإطلاقه على ثمار الجنة (وهم فيها خالدون) أى دائمون والخلود فى الأصل الثبات المديد دام
 أو لم يدم ولذلك قيل للأثافي والأحجار الخوالد وللجزء الذى يبقى من الإنسان على حاله خلد ولو كان
 وضعه الدوام لما قيد بالتأيد فى قوله عز وعلا خالدين فيها أبداً ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد
 هم الدوام قطعاً لما يقضى به من الآيات والسنن وما قيل من أن الأبدان مؤلفة من الأجزاء المتضادة
 فى الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية إلى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما
 يشاهد فى عالم الكون والفساد على أنه يجوز أن يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا
 يعترىها الانحلال قطعاً بأن تجعل أجزاؤها متفاوتة فى الكيفيات متعادلة فى القوى بحيث لا يقوى شيء
 منها عند التفاعل على إحالة الآخر متعاقبة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة منحفظة فيما
 بينها أبداً لا يعترىها التغيير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم أن معظم اللذات الحسية لما كان
 مقصوراً على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضى به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات
 إذ كل نعمة وإن جلت حيث كانت فى شرف الزوال ومعرض الانحلال فإنها منغصة غير صافية من شوائب

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٢ البقرة

الآلم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلاً للبهجة والسرور اللهم وفقنا لما مضىك وثبتنا على ما يؤدى إلينا من العقد والعمل (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة) شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراف من جهة ما وقع فيه من ضرب الأمثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق أثر تنزيهها عما اعتراف من مطلق الرب بالتحدى وإلقام الحجر وإلحام كافة البلغاء من أهل المدر والوبر روى أبو صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المنافقون طعنوا في ضرب الأمثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله أجل وأعلى من ضرب الأمثال وروى عطاء رضى الله عنه أن هذا الطعن كان من المشركين وروى عنه أيضاً أنه لما نزل قوله تعالى يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء الآية قالت اليهود أى قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما الأمثال وجعلوا ذلك ذريعة إلى إنكار كونه من عند الله تعالى مع أنه لا يخفى على أحد من له تمييز أنه ليس بما يتصور فيه التردد فضلاً عن التكبر بل هو من أوضح أدلة كونه خارجاً عن طوق البشر نازلاً من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وإن التمثيل كما مر ليس إلا إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهور وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاه عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الالهية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه إلى ما يرتضيه ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الإنجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء بإثارة الزناير وجاء في عبارات البلغاء أجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأضعف من بعوضة إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياة تغير النفس وانقباضها عما يعاب به أو يذم عليه يقال حي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شطى وحشى ونسى من الشطى والنسى والحشى يقال شطى الفرس ونسى وحشى إذا اعتلت منه تلك الأعضاء كأن من يعتريه الحيا تعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيا بمعناه خلا أنه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحيته واستحييت منه والاول لا يتعدى إلا بحرف الجر وقد يحذف منه إحدى اليامين ومنه قوله [ألا يستحي منا الملوك ويتقى * محارمنا لا يبوء الدم بالدم] وقوله [إذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كر عن بسبت في إناه من الورد] فكما أنه إذا أسند إليه سبحانه بطريق الإيجاب في مثل قوله ﷺ إن الله يستحي من ذى الشبهة المسلم أن يعذبه وقوله عليه السلام إن الله حي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في

الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذى الشبهة وتخيب العبد من عطائه بترك من يتركهما حياء كذلك إذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهى لترك المستحي عنه لاسلب وصف الحياء عنه تعالى رأساً كما في قولك إن الله لا يوصف بالحياء لأن تخصيص السلب ببعض المواد يؤهم كون الإيجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد هنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحي من ضربه وفيه رمز إلى تعاضد الدواعي إلى ضربه وتأخذ البواعث إليه إذا استحياء إنما يتصور في الأفعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز أن يكون وروده على طريقة المشاكلة فإنهم كانوا يقولون أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالآشياء المحقرة كما في قول من قال [من مبلغ أفناء يعرب كلهم * أنى بنيت الجار قبل المنزل] وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وإنشاؤه في نفسه وإلا لكان لإنشاء الأمثال السائرة في موارد ضربها لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الإنشاء هناك الأمثال الواردة في التنزيل وإن كان استعمالها في مضاربها عين لإنشائها في أنفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الأول قطعاً وهو مأخوذ إما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما أن ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الأمثال في مضاربها تطبيقها بها كأن المضارب قوالب تضرب الأمثال على شاكلتها لكن لا بمعنى أنها تنشأ بحسبها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنها توردها منطبقاً عليها سواء كان إنشاؤها حينئذ كعامية الأمثال التنزيلية فإن مضاربها قوالبها أو قبل ذلك كسائر الأمثال السائرة فإنها وإن كانت مصنوعة من قبل إلا أن تطبيقها أى إيرادها منطبقاً على مضاربها إنما يحصل عند الضرب وإما من ضرب الطين على الجدار ليلتصق به بجامع الإلتصاق كأن من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل أن يضرب على تقدير تعدية يستحي بنفسه النصب على المفعولية وأما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض بإضمار من وعند سيديوه النصب بإفضاء الفعل إليه بعد حذفها ومثلاً مفعول ليضرب وما اسمية لإبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر لإبهامها وشیاعاً كما في قولك أعطى كتاباً ما كأنه قيل مثلاً ما من الأمثال أى مثل كان فى صفة لما قبلها أو حرفية مزبدة لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلاً أو عطف بيان عند من يجوز في النكرات أو مفعول ليضرب ومثلاً حال تقدمت عليها لكونها نكرة أو هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو بعوضة والجملة على تقدير كونها موصوفة صفة لها محذوفة الصدر كما في قوله تعالى تماماً على الذى أحسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحل ما على الوجهين النصب على أنه بدل من مثلاً أو على أنه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها إبهامية صفة لمثلاً كذلك وأما على تقدير كونها استفهامية فهى خبر لها كأنه لما رداستبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة أى مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى أن يمثل بما هو أصغر منها وأحقر كجناحها على ما وقع في قوله ﷺ لو كانت الدنيا ترن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبعض والعصب غلب على هذا النوع كالحشر في لغة هذيل من الخنش وهو الخدش . (فا فوقها) عطف على بعوضة على

تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة أو موصوفة صلتها أو صفتها الظرف وأما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الأولى على تقدير كونها موصولة أو موصوفة وأما على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها أعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذى فوقها أو فشىء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة أو زائدة وبعوضة خبر للضمير وذكر البعوضة فما فوقها من بين أفراد المثل إنما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخجل بالشيوع بل يقرره ويؤكد بطريق الأولوية والمراد بالفوقية إما الزيادة في المعنى الذى أريد بالتمثيل أعني الصغروا الحقارة وإما الزيادة في الحجم والجنس لكن لا بالغاً ما يبلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الأول يجوز أن يكون ما الثانية خاصة استفهامية إنكارية والمعنى إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فأى شىء فوقها في الصغر والحقارة فإذا ن له تعالى أن يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الأمرين ما روى أن رجلاً بمنى خر على طنب فسقاط فقالت عائشة رضى الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله ﷺ قال ما من مسلم يشاك شوكه فافوقها إلا كتبت له بهادر جنة ومحيته عنه بها خطيئة فإنه يحتمل ما يجاوز الشوك في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياها حتى نخبة النملة وما تجاوزها من الألم كأمثال ما حكى من الحرور (فأما الذين آمنوا) شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم إثر تحقيق حقيقة صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فأما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكى من الكفرة عما لا يفتقر إلى بيان السبب وفي تصدير الجملتين بأما من إحماد أمر المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شىء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الأقسام فقد تذكر جميعاً وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز من قائل فأما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيوبه أما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شىء فهو ذاهب لا محالة وأنه منه عزيمة وكان الأصل دخول الفاء على الجملة لأنها الجزاء لكن كرهوا إبلاها حارف الشرط فأدخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظاً والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما أن المراد بالموصول الآتى فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لا اختلال المعنى أى فأما المؤمنون . (فيعلمون أنه الحق من ربهم) كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذى يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل إلى إنكاره لا الثابت مطلقاً واللام للدلالة على أنه مشهود له بالحقيقة وأن له حكماً ومصالح ومن لا ابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق أو من الضمير العائد إلى المثل أو إلى ضربه أى كائناً وصادراً من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتشيرهم وللإيدان بأن ضرب المثل تربية لهم وإرشاد إلى ما يوصلهم إلى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسددة مفعولى يعلمون عند الجمهور ومسدة مفعوله الأول والثاني محذوف عند الأخفش أى يعلمون حقيقته ثابتة وأعمل الاكتفاء بحكاية عليهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراشخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للإشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغنى عن الذكر . (وأما الذين كفروا) من حكيت

● أقوالهم وأحوالهم . (فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أوثر يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينه دلالة على كمال غلوهم في الكفر وتراعى أمرهم في العتو فإن مجرد عدم العلم بحقيقته ليس بمثابة إنكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيدا لتعداد مانعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على أن عدم العلم بحقيقته لا يعم جميعهم فإن منهم من يعلم بها وإنما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الإذعان والقبول الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قبل كان من حقه وأما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل إليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين وماذا إما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا معنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالأحسن أن يحىء جوابه مرفوعا وإما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى أى شىء فالأحسن في جوابه النصب والإرادة نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها إليه أو القوة التى هى مبدؤه والأول مع الفعل والثانى قبله وكلاهما لا يتصور فى حقه تعالى ولذلك اختلفوا فى إرادته عز وجل فقيل إرادته تعالى لا فعله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولا أفعال غيره أمره بها فلا تكون المعاضى بإرادته تعالى وقيل هى علمه باشتغال الأمر على النظام الأكمل والوجه الآخر أنه يدعى القادر إلى تحصيله والحق أنها عبارة عن ترجيح أحد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه أو معنى بوجه وهى أعم من الاختيار فإنه ترجيح مع تفضيل وفى كلمة هذا تحوير للشار إليه واستبدال له ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كما فى قوله تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة فى ضرب المثل ولا القدح فى اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء أنه من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بأن يتعلق به أمر من الأمور الداخلة تحت إرادته تعالى على استحالة أن يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل . (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان أنه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هى كونه ذريعة إلى هداية المستعدين للهداية وإضلال المنهمكين فى الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع فى الاستفهام مبالغة فى الدلالة على تحققهما فإن إرادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجاويزا عن نظم الإضلال مع الهداية فى سلك الإرادة لإيهامه تساويهما فى تعلقهما وليس كذلك فإن المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكروالاهتمام كما ينبىء عنه قوله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره وأما الإضلال فهو أمر عارض مترتب على سوء اختيارهم وأوثر صيغة الاستقبال إيدانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كأنه قيل أراد إضلال كثير وهداية كثير وقدم الإضلال على الهداية مع تقدم حال الممتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون أول ما يقرع أسماعهم من الجواب أمراً فظيماً يسوهم ويفت فى أعضادهم وهو السر فى تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل بأن العلم بكونه حقاً هدى وأن الجهل بوجه إرادته والإنكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق إنما هى بالنظر إلى أنفسهم لا بالقياس إلى مقابلهم فلا يقدح فى

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ البقرة

ذلك أقلية أهل الهدى بالنسبة إلى أهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادى الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الإضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز أن يراد فى الأولين الكثرة من حيث العدد وفى الآخرين من حيث الفضل والشرف كما فى قول من قال [إن الكرام كثير فى البلاد وإن * قلوأ كما غيرهم قل وإن كثروا] وإسناد الإضلال أى خلق الضلال إليه سبحانه مبنى على أن جميع الأشياء مخلوقة له تعالى وإن كان أفعال العباد من حيث الكسب مستندة إليهم وجعله من قبيل إسناد الفعل إلى سببه بأباه التصريح بالسبب وقرئ بضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالأول لزيادة تقرير السببيه وتأكيدها . (وما يضل به) أى بالمثل أو بضربه . (إلا ● الفاسقين) عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن أريد إضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتعبة له وإشارة إلى أن ذلك ليس إضلالاً ابتدائياً بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به إلا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق فى اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفأرة من جحرها أى خرجت قال رؤبة [يذهبن فى نجد وغور أغاراً * فواسقاً عن قصدها جوارراً] وفى الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الإصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الأولى التغايب وهو ارتكابها أحياناً مستقبلاً لها والثانية الانهماك فى تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جمود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فإلم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لا تصافه بالتصديق الذى عليه يدور الإيمان لقوله تعالى وإن افتتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا إلى أن الإيمان عبارة عن مجموع التصديق والإقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجوده ولم يتسن لهم إدخال الفاسق فى أحدهما فجعلوه قسماً بين قسمى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض أحكامه والمراد بالفاسقين ههنا العاتون الماردون فى الكفر الخارجون عن حدوده من حكى عنهم ما حكى من إنكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الإضلال بهم مترتباً على صفة الفسق وما أجرى عليهم من القبائح للإيدان بأن ذلك هو الذى أعدهم للإضلال وأدى بهم إلى الضلال فإن كفرهم وعدوهم عن الحق وإصرارهم على الباطل صرفت وجوه أنظارهم عن التدبر فى حكمة المثل إلى حقارة المثل به حتى رخصت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فأنكروه وقالوا فيه ما قالوا . (الذين ٢٧ ينقضون عهد الله) صفة للفاسقين للذم وتقرير مامم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله فى إبطال العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط أحد كلامى المتعاهدين بالآخر فإن شفع بالحبل وأريد به العهد كان ترشيحاً للمجاز وإن قرن بالعهد كان رمزاً إلى ما هو من روادفه وتنبهها على مكانه وأن المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس أقرانه

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ البقرة

وعالم يغترف منه الناس تنبيهها على أنه أسد في شجاعته وبحر في إفاضته والعهد الموثق يقال عهد إليه كذا إذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا إما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه أول قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو المعنى الظاهر منه أو المأخوذ من جهة الرسل عليهم السلام على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه كما ينبي عنه قوله عز وجل وإذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ونظاره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الأول ما أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقرؤا على ربوبيته والثاني ما أخذه على الأنبياء عليهم السلام بأن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما أخذه على العلماء بأن يبينوا الحق ولا يكتموه. (من بعد ميثاقه) الميثاق إما اسم لما يقع به الوثاق والإحكام وإما مصدر بمعنى

التوثيق كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الأول إن رجع الضمير إلى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقه به من القبول والالتزام وإن رجع إلى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وإنذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين أى من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني إن رجع الضمير إلى العهد والميثاق مصدر من المبنى للفاعل فالمعنى من بعد أن وثقه بالقبول والالتزام أو من بعد أن وثقه الله عز وجل بإزالة الكتب وإنذار الرسل وإن كان مصدرأ من المبنى للفعول فالمعنى من بعد كونه موثقاً إما بتوثيقهم إياه بالقبول وإما بتوثيقه تعالى إياه بإزالة الكتب وإنذار الرسل. (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يحتمل

كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه وتعالى كقطع الرحم وموالات المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير أو تعاطى شرفاته يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والأمر هو القول الطالب للفعول مع العلو وقيل بالاستعلاء وبه سمي الأمر الذي هو واحد الأمور تسمية للفعول بالمصدر فإنه مما يؤمر به كما يقال له شأن وهو القصد والطلب لما أنه أثر للشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما أنه أثر للمشيئة ومحل أن يوصل إما النصب على أنه بدل من الموصول أو من ضميره والثاني أولى لفظاً ومعنى. (ويفسدون في الأرض) بالمنع عن الإيمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي

عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه. (أولئك) إشارة إلى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القيحة وفيه إيدان بأنهم متميزون بها أكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الأمور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد. (هم الخاسرون) الذين خسروا بإهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية واستبدال الإنكار والطعن في الآيات بالإيمان بها والتأمل في حقائقها والافتباس من أنوارها واشتراء النقص بالوفاء والفساد بالصالح والقطيعة بالصلة

والعقاب بالثواب. (كيف تكفرون بالله) التفات إلى خطاب المذكورين مبنى على إيراد ما عدد من ٢٨

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ٢ البقرة

- قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للشفافة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام إنكارى لا بمعنى إنكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للبشر كين عمد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الكفر بأن يقال أتكفرون لأن كل موجود يجب أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعاً فإذا انتفى جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل . (وكنتم أمواتاً) إلى آخر الآية حال من ضمير الخطاب في • تكفرون مؤكدة للإنكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشئون العظيمة الداعية إلى الإيمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم أطواراً وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيوييه وبالحال عند الأخفش أى في أى حال أو على أى حال تكفرون به تعالى والحال إنكم كنتم أمواتاً أى أجساماً لا حياة لها عناصر وأغذية ونظفاً ومضغاً مخلقة وغير مخلقة والأموات جمع ميت كأقوال جمع قيل وإطلاقها على تلك الأجسام باعتبار عدم الحياة مطلقاً كما في قوله تعالى بلدة ميتاً وقوله تعالى وآية لهم الأرض الميتة . (فأحياكم) بنفخ الأرواح فيكم والفاء الدلالة على التعقيب فإن الإحياء حاصل إثر كونهم أمواتاً وإن توارد عليهم في تلك الحالة أطوار مترتبة بعضها مترخ عن بعض كما أشير إليه آنفاً (ثم يميتكم) أى عند انقضاء آجالكم وكون الإمامة من دلائل القدرة ظاهراً وأما كونها من النعم فلكونها • وسيلة إلى الحياة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة إلى زمان الإحياء دون زمان الحياة فإن زمان الإمامة غير مترخ عنه . (ثم يحييكم) بالنشور يوم ينفخ في الصور أو للسؤال في • القبور وأياماً كان فهو مترخ من زمان الإمامة وإن كان أثر زمان الموت المستمر . (ثم إليه ترجعون) بعد • الحشر لا إلى غيره فيجازيكم بأعمالكم إن خير أغير وإن شر أفشر أو إليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الأفعال وإن كان بعضها ماضياً وبعضها مستقبلاً لا يتسنى مقارنة شئ منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كأنه قيل كيف تكفرون بالله وأنتم عالمون بهذه الأحوال المانعة منه ومآله • التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وإمّا انظم ما ينكرونه من الإحياء الأخير والرجع في سلك ما يعترفون به من الإحياء الأول والإمامة تنزيلاً لتمسكهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في إزاحة العلل والأعداء والحياة حقيقة في القوة الحساسة أو ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيواناً مجازي في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الإنسان من العقل والعلم والإيمان من حيث أنه كمالها وغايتها والموت بإزائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلوا أن الله يحيي الأرض بعد موتها وقال تعالى أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا أو معنى قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والأول هو الالئق بالمقام . (هو الذي خلق لكم ٢٩

- ما في الأرض جميعاً) تقرير الإنكار وتأكيده من الحيتين المذكورتين غير سبكه عن سبكه ما قبله مع اتحادهما في المقصود لإبانه لما بينهما من التفاوت فإن ما يتعلق بذواتهم من الإحياء والإماتة والحشر أدخل في الحث على الإيمان والكفر عن الكفر بما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدأ والموصول خبراً من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعاً للمخاطبين وللتشويق إليه كما سلف أي خلق لأجلكم جميع ما في الأرض من الموجودات لتنتفعوا بها في أمور دنياكم بالذات أو بالواسطة وأمور دينكم بالاستدلال بها على شئون الصانع تعالى شأنه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الآخرة وآلامها وما يعم جميع ما في الأرض لا نفسها إلا أن يراد بها جهة السفلى كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من أجزائها فإنه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعاً حال من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فإن كل فرد من أفراد ما في الأرض بل كل جزء من أجزاء العالم له مدخل في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس أما من جهة المعاش فظاهر وأما من جهة الدين فلما أنه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق به إلا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وإن لم يستدل به أحد بالفعل . (ثم استوى إلى السماء) أي قصد إليها بإرادته ومشيتته قصداً سوياً بلا صارف بلوبه ولا عاطف يثنيه من إرادة خلق شيء آخر في تضاعيف خلقها أو غير ذلك مأخوذ من قولهم استوى إليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا إما لعدم تحققه في خلق السفليات لما روى من تخلل خلق السموات بين خلق الأرض ودحوها عن الحسن رضى الله عنه خلق الله تعالى الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم أصد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الأرضين وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وإما لإظهار كمال العناية بإبداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والأول هو الظاهر وكلمة ثم للإيدان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فإن تقدمه على خلق ما في الأرض المتأخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحها ولما روى عن الحسن والمراد بالسماء إما الأجرام العلوية فإن القصد إليها بالإرادة لا يستدعى سابقة الوجود وإما جهات العلو . (فسواهن) أي أتمن وقومن وخلقهن ابتداء مصونة عن العوج والفتور لا أنه تعالى سواهن بعد أن لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة النسوية والاستواء من حسن الموقع وفيه إشارة إلى أن لا تغيير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الأول للسماء فإنها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماء أو سماوة وعلى الوجه الثاني مهم بفسره قوله تعالى . (سبع سموات) كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الأول بدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الأرض مع كونه أقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإن كان في إبداع العلويات أيضاً من المنافع الدينية والدنيوية مالا يحصى هذا ما قالوا وسياق في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل بإذن الله تعالى . (وهو بكل شيء عليم) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله

وَاِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْۤا اَنْجِعْ فِىْهَا مَنْ يُّفْسِدُ فِىْهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىْۤ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٣٠﴾ البقرة

من خلق السموات والأرض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوى على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فإن عليه عز وجل بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعى أن يخلق كل ما يخلفه على الوجه الرائق وقرى وهو بسكون الهاء تشبيهاً له بعضه . (وإذ قال ربك) بيان لأمر آخر من جنس الأمور المتقدمة المؤكدة للإنكار والاستبعاد فإن خلق آدم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من أجل النعم الداعية لذريته إلى الشكر والإيمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير المضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه إلى النبي ﷺ خاصة للإيذان بأن لحوى الكلام ليس بما يهتدى إليه بأدلة العقل كالأمور المشاهدة التى نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل إنما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من الإنباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى وإذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه نسبة أخرى مثلها كما أن إذا موضوع لزمان نسبة مستقبلية يقع فيه أخرى مثلها ولذلك يجب إضافتها إلى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله فى قوله عز وجل واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم وقوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للبالغة فى إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت لإيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها فإذا استحضرت كانت حاضرة بتفاصيلها كأنها مشاهدة عياناً وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تأويل اذكر الحادث فيه بحذف الظروف وإقامة الظرف مقامه وأياماً كان فهو معطوف على مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كأنه قيل له عليه السلام غب ما أوحى إليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل الأمور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتبهوا عنه وأما ما قيل من أن المقدر هو اشكر النعمة فى خلق السموات والأرض أو تدبر ذلك فغير سديد ضرورة أن مقتضى المقام تذكير المخلقين بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه وأين ذاك من مقامه الجليل ﷺ وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه أنه يقتضى أن يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم إذ قال الخ ولا ريب فى أنه لا فائدة فى تفسيد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم أو بأحياءكم مضمر آ وفيه ما فيه وقيل لإذ زائدة ويعزى ذلك إلى أبى عبيد ومعمّر وقيل أنه بمعنى قد واللام فى قوله عز قائلًا . (للائكة) للتبليغ وتقديم الجار والمجرور فى هذا الباب مطرد لما فى المقول من الطول غالباً مع ما فيه من

الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر كما مر مراراً والملائكة جمع ملك باعتبار أصله الذي هو ملاك على أن الهمزة مزيدة كالشمايل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على أنه مقلوب من مالك من الآلوكه وهي الرسالة أى موضع الرسالة أو مرسل على أنه مصدر بمعنى المفعول فإنهم هو سائط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل أو بمنزلة رسله عليهم السلام واختلفت العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنها ذوات موجودة قائمة بأنفسها فذهب أكثر المتكلمين إلى أنها أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء إلى أنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وأنها أكل منها قوة وأكثر علماً تجرى منها مجرى الشمس من الأضواء منقسمة إلى قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات أمراً فمنهم سماوية ومنهم أرضية وقالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للأبدان ونقل في شرح كثيرهم أنه عليه السلام قال أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع وروى أن بنى آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا إلى السماء السابعة ثم كل أولئك في مقابلة ملائكة الكرسى نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش التى عددها ستائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السموات والأرض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقدیس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرائفيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصى أجناسهم ولا مدة أعمارهم ولا كفيات عباداتهم إلا بارئهم العليم الخبير على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وروى أنه عليه السلام حين عرج به إلى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسأل رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام إلى أين يذهبون فقال جبريل لا أدري إلا أنى أراهم منذ خلقت ولا أرى واحداً منهم قد رأته قبل ذلك ثم سألا واحداً منهم منذكم خلقت فقال لا أدري غير أن الله عز وجل يخلق في كل أربعائة ألف سنة كوكباً وقد خلق منذ خلقنى أربعائة ألف كوكب فسبحانه من إله ما أعظم قدره وما أوسع ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملائكة الأرض وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المختارون مع إبليس حين بعثه الله عز وجل لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الأرض فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلواهم إلا قليلاً قد أخرجوهم من الأرض وألحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الأرض وخفف الله تعالى عنهم العبادة وأعطى إبليس ملك الأرض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة فكان يعبد الله تعالى تارة في الأرض

وتارة في السماء وأخرى في الجنة فأخذه العجب فكان من أمره ما كان وقال أكثر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم في أنهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) في حين النصب على أنه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى النصير المتعدى إلى مفعولين فقيل أولهما خليفة وثانيهما الظرف المتقدم على ما هو مقتضى الصناعة فإن مفعولي النصير في الحقيقة اسم صار وخبره أولهما الأول وثانيهما الثاني وهما مبتدأ وخبر والأصل في الأرض خليفة ثم قيل صار في الأرض خليفة ثم مقرر في الأرض خليفة فعناه بعد الدنيا والتي إني جاعل خليفة من الخلائف أو خليفة بعينه كائنا في الأرض فإن خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظروف ولا ريب في أن ذلك ليس بما يقتضيه المقام أصلاً وإنما الذي يقتضيه هو الإخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملائكة عليهم السلام فإذا نزل قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق إلى ما أخر أو بمحذوف وقع حالاً ما بعده لكونه نكرة وأما المفعول الأول فمحذوف تعويلاً على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً حذف فيه المفعول الأول وهو ضمير الأموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير آلهم حيث حذف فيه المفعول الأول لدلالة يبخلون عليه أي لا يحسبن البخلاء بخلمهم هو خير آلهم ولا ريب في تحقيق القرينة ههنا أما إن حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في أثناء ذكره عليه السلام على ما سنفصله كأنه قيل إني خالق بشر آمن طين وجاعل في الأرض خليفة وأما إن حمل على أنه لم يحذف هناك بل قيل مثلاً وجاعل إياه خليفة في الأرض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر آمن طين إن قلت كيف صح أن يقول لهم بشر آمن وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق خلقاً من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاها اقتصر على الاسم انتهى .

فحيث جاز ألا كتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز أن يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدى إلى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقديم كما مر فحينئذ لا يكون ما سياتي من كلام الملائكة مترتباً عليه بالذات بل بالواسطة فإنه روى أنه تعالى لما قال لهم إني جاعل في الأرض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى أعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للباغة والمراد به إما آدم عليه السلام وبنوه وإنما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر أبيها كضر وهاشم ومنه الخلافة في قریش وإما من يخلف أو خلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة إما الخلافة من جهته سبحانه في إجراء أحكامه وتنفيذ أوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا الحاجة به تعالى إلى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فتختص

١١ - أبي السعود ج ١

- بالخواص من بنيه وإما الخلافة من كان في الأرض قبل ذلك فتعم حينئذ الجميع (قالوا) استئناف وقع جواباً عما ينساق إليه الأذهان كأنه قيل فإذا قالت الملائكة حينئذ فليل قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) وهو أيضاً من الجعل المتعدى إلى اثنين فليل فيهما ما قيل في الأول والظاهر أن الأول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الأول ثمة تعويلاً على ما ذكرنا قال قائلهم [لاتخلنا على عزائمك إنا] طالما قد وشى بنا الأعداء | بحذف المفعول الثاني أي لاتخلنا جازعين على عزائمك والمعنى أتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الأول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مراراً أو الثاني يفسد وفائدته تأكيد الاستبعاد لما أن في استخلاف المفسد في محل إفساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدى إلى مفعول واحد هو كلمة من وأنت خير بأن مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الأرض كيف لا وأن ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى أحقيتهم منه يقضى ببطلانه حتماً إذ لا صحة لدعوى الأحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره أن يستخلف لعلمارة الأرض وإصلاحها بإجراء أحكام الله تعالى وأوامره أو يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من من شأن بني نوعه الإفساد وسفك الدماء وهو عليه السلام وإن كان منزهاً عن ذلك إلا أن استخلافه مستتبغ لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالباً وإنما أظهروا تعجبهم استكشافاً عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد وألغتها واستخباراً عما يزيح شبهتهم ويرشدهم إلى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضائل التي جعلته أهلاً لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضاً على فعل الله سبحانه ولا شكاً في اشتماله على الحكمة والمصلحة إجمالاً ولا طعناً فيه عليه السلام ولا في ذريته على وجه الغيبة فإن منصبهم أجل من أن يظن بهم أمثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون وإنما عرفوا ما قالوا إما بإخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل أو بتلق من اللوح أو باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم أو بقياس لأحد الثقلين على الآخر . (ويسفك الدماء) السفك والسفح والسبك والسكب أنواع من الصب والأولان مختصان بالدم بل لا يستعمل أولهما إلا في الدم المحرم أي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدماء لما أنه أقبح أنواع القتل وأفظعه وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك وقرئ يسفك على البناء للمفعول وحذف الراجع إلى من موصولة أو موصوفة أي يسفك الدماء فيهم . (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يأمر بها غيره أتستخدم العصاة وأنا مجتهد فيها كأنه قيل أتستخلف من من شأن ذريته الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك أصلاً والمقصود عرض أحقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الإفراطية الفساد في الأرض والقوة الغضبية التي رذيلتها الإفراطية سفك الدماء فقالوا ما قالوا وذهلوا عما إذا مخرجهما القوة العقلية ومرتنهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر عن بلوغ رتبة القوة العقلية عند انفرادها في أفاعيلها كالإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ٢ البقرة

القوة إلى الفعل وغير ذلك مما يبط به أمر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقاداً وقولاً وعملاً عما لا يليق بجناحه سبحانه من سبوح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وكذلك تقدسه تعالى من قدس في الأرض إذا ذهب فيها وأبعد ويقال قدسه أى طهره فإن مطهر الشيء مبعده عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالاً من الضمير أى تنزهك عن كل ما لا يليق بشأنك ملتبسين بحمدك على ما أنعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لإظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الإناعام واللام في لك إما مزيدة والمعنى تقدسك وإما صلة للفعل كما في سجدت لله وإما للبيان كما في سقيالك فتكون متعلقة بمحذوف أى تقدس تقديساً لك أى نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وتنزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نظهر نفوسنا عن الذنوب لا جللك كأنهم قابلوا الفساد الذى أعظمه الإشرار بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو تلويث النفس بأقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحاً بذلك ولا إظهاراً للمنة بل بياناً للواقع (قال) استئناف ● كما سبق (إنى أعلم ما لا تعلمون) ليس المراد به بيان أنه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الأشياء كائناً ما كان فإن ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا إلى التنبيه عليه لاسيما بطريق التوكيد بل بيان أن فيه عليه الصلاة والسلام معانى مستدعية لاستخلافه إذ هو الذى خفى عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فاموصولة كانت أو موصوفة عبارة عن تلك المعانى والمعنى إنى أعلم ما لا تعلمونه من دواعى الخلافة فيه وإنما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بأن قيل مثلاً إن فيه ما يقتضيه من غير تعرض لإحاطته تعالى به وغفلتهم عنه تفخيماً لشأنه وإيداناً بابتناء أمره تعالى على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم عن الغفلة وقيل معناه إنى أعلم من المصالح فى استخلافه ما هو خفى عليكم وأن هذا إرشاد للملائكة إلى العلم بأن أفعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وإن خفى عليهم وجه الحسن والحكمة وأنت خير بأنه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنياً على ترددهم فى اشتغال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فإنهم عالمون بأن ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون فى أنها ماذا هل هو أمر راجع إلى محض حكم الله عز وجل أو إلى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم أولاً على وجه الإجمال والإبهام أن فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا إليها ثم أبرز لهم طرفاً منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكلية . (وعلم آدم الأسماء كلها) شروع فى تفصيل ما جرى بعد ٣١ الجواب الإجمالى تحقيقاً لمضمونه وتفسيراً لإبهامه وهو عطف على قال والابتداء بحكاية التعليم يدل بظاهره على أن مامر من المقابلة المحكية إنما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحض منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على أحواله عليه السلام بأن قيل إثر نفخ الروح فيه إنى جاعل إياه خليفة فقبل ما قبل

كما أشير إليه وإيراده عليه السلام باسمه العظمى لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولأن ذكره بعنوان الخلافة لا يلائم مقام تمهيد مبادئها وهو اسم أعجمي والأقرب أن وزنه فاعل كشاخ وعاذر وعابر وفالغ لا أفعل والتصدى لا اشتقاقه من الأذمة أو الأذمة بالفتح بمعنى الأسوة أو من أديم الأرض بناء على ما روى عنه عليه السلام من أنه تعالى قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت ألوان ذريته أو من الآدم والآذمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق إدريس من الدرس ويعقوب من العقب وإبليس من الإبلان والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه إلى الذهن من الالفاظ والصفات والأفعال واستعماله عرفاً في اللفظ الموضوع لمعنى مفرداً كان أو مركباً مخبراً عنه أو خبراً أو رابطة بينهما واصطلاحاً في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا إما الأول أو الثاني وهو مستلزم للأول إذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد إضافة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول القبيض وتلقيه من جهة كما مر في تفسير الهدى وهو السرفى لإثاره على الإعلام والإناء فإنهما إنما يتوقفان على سماع الخبر الذى يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر أحقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما أن جبلتهم غير مستعدة للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبراً فمعنى تعليمه تعالى إياه أن يخلق فيه إذ ذاك بموجب استعداده علماً ضرورياً تفصيلاً بأسماء جميع المسميات وأحوالها وخواصها الالفة بكل منها أو يلقى في روعه تفصيلاً أن هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذلك بعير وحاله ذيت وذيت إلى غير ذلك من أحوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير رضى الله تعالى عنهم علمه أسماء جميع الأشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والحلب وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه وقيل أسماء ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الأسماء خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعداً لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والتمخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وأسمائها وخواصها ومعارفها وأصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلياتها وكيفيات استعمالها فيكون ما مر من المقالة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملاً مطوية عطف عليها المذكور أى خلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ (ثم عرضهم على الملائكة) الضمير للمسميات المدلول عليها بالأسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيباً والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهم وعرضها أى عرض مسمياتهن أو مسمياتها في الحديث أنه تعالى عرضهم أمثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من أفراد كل نوع ما يصلح أن يكون أنموذجاً يتعرف منه أحوال البقية وأحكامها (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) تبكيئنا لهم وإظهاراً لعجزهم عن إقامة ما علقوا به رجاءهم من أمر الخلافة فإن التصرف والتدبير وإقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والإنباء إخبار فيه إعلام ولذلك يجرى بجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وإثاره

قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ البقرة

- على الإخبار للإبذان برفعة شأن الأسماء وعظم خطرهما فإن النبا إنما يطلق على الخبر الخطير والأمر العظيم (إن كنتم صادقين) أى فى زعمكم أنكم أحق بالخلقة من استخلفته كما ينهى عنه مقالكم والتصديق كما كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق إليه باعتبار ما يلزمه من الأخبار فإن أدنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على أسماء ما فى الأرض وأما ما قيل من أن المعنى فى زعمكم أنى استخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء فليس مما يقتضيه المقام وإن أول بأن يقال فى زعمكم أنى استخلف من غالب أمره الإفساد وسفك الدماء من غير أن يكون له مزية من جهة أخرى إذ لا تعلق له بأمرهم بالإنباء وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه (قالوا) استئناف واقع موقع الجواب كأنه قيل فماذا ٣٢ قالوا حينئذ هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه أولا فقيل قالوا (سبحانك) قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل إلا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدين كما فى قوله [سبحان من علقة الفاخر] وأما ما فى قوله [سبحانه ثم سبحانا نعوذ به] فقيل صرفه للضرورة وقيل إنه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الأول نسبك عما لا يليق بشأنك الأقدس من الأمور التى من جملتها خلوا أفعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمأنينة النفس والإيقان باشتغال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثانى تنزهت عن ذلك تنزهها ناشئا عن ذاتك وأراد به أنهم قالوه عن إذعان لما عملوا إجمالا بأنه عليه السلام يكلف ما كلفوه وأنه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا (لا علم لنا إلا ما علمتنا) اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه إذ معناه لا علم لنا إلا ما علمتناه بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لأفضته علينا وما فى ما علمتنا موصولة محذوف من صلتها عائدها أو مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالأسماء على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بأن قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه وأشعروا بأن كونه من تلك الجملة غنى عن البيان (إنك أنت العليم) الذى لا يخفى عليه خافية وهذا إشارة إلى تحقيقهم لقوله تعالى إني أعلم ما لا تعلمون (الحكيم) أى المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر أو صفة للأول وأنت ضمير الفصل لا محل له من الإعراب أوله محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء أو لما بعده كما قاله الكسائى وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك أنت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر إن وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر عليهم بما عليهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفى عليهم فكانهم قالوا أنت العالم بكل المعلومات التى من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما فى الأرض من أنواع المخلوقات التى عليها يدور فلك خلافة الحكيم الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ومن جملة تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالأحكام الواردة على ما فى الأرض وبناء أمر الخلافة

قَالَ يَتَّادِمُ أَنْيُسُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ البقرة

- ٣٣ عليها (قال) استئناف كما سلف (يا آدم أنبئهم) أى أعلمهم أوثر على أنبئى كما وقع فى أمر الملائكة مع حصول المراد معه أيضاً وهو ظهور فضل آدم عليهم عليهم السلام بإبائه لما بين الأمرين من التفاوت الجلى وإيذاناً بأن علمه عليه السلام بها أمر واضح غير محتاج إلى ما يجرى مجرى الامتحان وأنه عليه السلام حقيق بأن يعلمها غيره وقرىء بقلب الهمزة ياء وبجذفها أيضاً والهاء مكسورة فيهما (بأسمائهم) التى عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر فهمهم عن بلوغ مرتبتها (فلما أنبأهم بأسمائهم) الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للإيذان بتقريره وغناه عن الذكر والإشعار بتحقيقه فى أسرع ما يكون كما فى قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله سبحانه أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وإظهار الاسماء فى موقع الإضمار لإظهار كمال العناية بشأنها والإيذان بأنه عليه السلام أنبأهم بها على وجه التفصيل دون الإجمال والمعنى فأنبأهم بأسمائهم مفصلة وبين لهم أحوال كل منهم وخواصه وأحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعملوا ذلك لما رأوا أنه عليه السلام لم يتلعم فى شيء من التفاصيل التى ذكرها مع مساعدة ما بين الأسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما أنبأهم بذلك (قال) عز وجل تقريراً لما مر من الجواب الإجمالى واستحضاراً له (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض) لكن لا لتقرير نفسه كما فى قوله تعالى ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً ونظائره بل لتقرير ما يفيد من تحقق دواعى الخلافة فى آدم عليه السلام لظهور مصداقه وإيراد ما لا يعلنون بعنوان الغيب مضافاً إلى السموات والأرض المبالغة فى بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الإيذان بأن ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الأمور المتعلقة بأهل السموات وأهل الأرض وهذا دليل واضح على أن المراد بما لا تعلنون فيما سبق ما أشير إليه هناك كأنه قيل ألم أقل لكم إني أعلم فيه من دواعى الخلافة ما لا تعلنونه فيه هو هذا الذى عاينتموه وقوله تعالى (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) عطف على جملة ألم أقل لكم لا على أعلم إذ هو غير داخل تحت القول وما فى الموضوعين موصولة حذف عائدها أى أعلم ما تبدون وما تكتمونه وتغيير الأسلوب للإيذان باستمرار كتمهم قيل المراد بما يبدو قوهم أتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة وأنه تعالى لا يخلق خلقاً أفضل منهم . روى أنه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رأت الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليسكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أكرم عليه منه وقيل هو ما أسره إبليس فى نفسه من الكبر وترك السجود فإسناد الكتمان حينئذ إلى الجميع من قبيل قوهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا فى الآية الكريمة دلالة على شرف الإنسان ومزية العلم وفضله على العبادة وأن ذلك هو المناط للخلافة وأن التعليم يصح إطلاقه على الله تعالى وإن لم يصح إطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ البقرة

بمن يحترف به وأن اللغات توقيفية إذا الأسماء تدل على الألفاظ بخصوص أو بعموم وتعليمها ظاهر في إلقائها على المتعلم مبيناً له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع وما هو إلا من الله تعالى وأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والإلزام التكرار وأن علوم الملائكة وكالاتهم تقبل الزيادة والحكمة منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وأن آدم أفضل من هؤلاء الملائكة لأنه عليه السلام أعلم منهم وأنه تعالى يعلم الأشياء قبل حدوثها (وإذ قلنا للملائكة) عطف على ٣٤ الظرف الأول منصوب بما نصبه من المضمر أو بناسب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة أي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام أي أطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما في أمثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر إirاده على منهاج ما قبله من الأقوال المحكية المتصلة به للإبذان بأن ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والانتفات إلى التكلم لإظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تأكيد الاستقلال وكذا إظهار الملائكة في موضع الإضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعاً لضم الجيم في قوله تعالى (اسجدوا لآدم) كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله اتباعاً لكسر اللام وهي لغة ضعيفة ● والسجود في اللغة الخضوع والنظام وفي الشرع وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة فليل أمر بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيماً له واعترافاً بفضله وأداء لحق التعليم واعتذاراً عما وقع منهم في شأنه وقيل أمر بالسجود له تعالى وإنما كان آدم قبله لسجودهم تفخيماً لشأنه أو سبباً لوجوبه فكأنه تعالى لما برأه أنموذجاً للبساعات كلها ونسخة منطوية على تعلق الدائم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط بديع أمرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه [أليس أول من صلى لقبلكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن] أو في قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس والاول هو الأظهر وقوله عز وجل (فسجدوا) عطف على قلنا والفاء لإفادة مسارعتهم إلى الامتثال وعدم تلعثهم في ذلك روى عن وهب أن أول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى (إلا إبليس) استثناء متصل لما أنه كان جنياً مفرداً مغموراً بألوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم أولان من الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم الجن كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم أولان الجن أيضاً كانوا مأمورين بالسجود له لكن استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم أو منقطع وهو اسم أعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقاً من الإبلاس وهو الباس قال إنه مشبه بالعجمة حيث لم يسم به أحد فكان كالاسم الأعجمي واعلم أن الذي تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة الأنعام من قوله

تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس الآية والتي في سورة بني إسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية أن سجود الملائكة إنما ترتب على الأمر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية أمثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الأمر التعليقي ولكن مافي سورة الحجر من قوله عز و علا وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون ومافي سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين إلى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على مافيهما من الأمر التعليقي من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما تفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روى عن وهب أنه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تأخير وتأويل الآيات السابقة بحمل مافيها من الأمر على حكاية الأمر التعليقي بعد تحقق المعلق به إجمالاً فإنه حينئذ يكون في حكم التنجيزي بأباه مافي سورة الأعراف من كلمة ثم المنادية بتأخرو رود الأمر عن التصوير المتأخر عن الخلق المتأخر عن الأمر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبة أو التراخي في الإخبار أو بأن الأمر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم إيجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه إنما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيزي يؤدي بعد اللتيا والتي إلى أن ماجرى بينه وبينهم عليهم السلام في شأن الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا إنما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام وخروج إبليس من بين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عياناً وهل هو إلا خرق لقضية العقل والنقل والاتجاه في التفصي عنه إلى تأويل نفخ الروح بحمله على ما يعم إفاضة ما به حياة النفوس التي من جعلها تعليم الأسماء تعسف ينبي عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الاتيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون أن سجودهم له عليه السلام إنما ترتب على الأمر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله عليه السلام المبني على المحاورة المسبوقة بالإخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما ينط به الأمر التعليقي من التسوية ونفخ الروح إذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فإن الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي عقيب النداء لقوله تعالى إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب إقامة الصلاة غب الاطمئنان لقوله تعالى فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة بل إنما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية إلى ورود مانحن فيه من الأمر التعليقي أثر ذى أثر إنما هي حمل الملائكة عليهم السلام على التأمل في شأنه عليه السلام ليتدبروا في أحواله طراً ويحيطوا بما لديه خبراً ويستفهموا ماعسى يستبهم عليهم في أمره عليه السلام لا بتناؤه على حكم آية وأسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جليلة الحال قبل ورود الأمر التنجيزي وتحتم الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعانوا ما عانوا وعدم نظم الأمر التنجيزي في سلك الأمور المذكورة في السورتين عندا الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحسكي كما أن عدم ذكر الأمر التعليقي عند حكاية الأمر التنجيزي

في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فإن حكاية كلام واحد على أساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرأ مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك وحيث صير إليه مع أنه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعلة قد ألقى إليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الأمر التنجيزي إجمالاً بأن قيل مثلاً إني خالق بشرأ من كذا وكذا وجاعل إياه خليفة في الأرض فإذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شأنه فقعو له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا أو ألقى إليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بأن قيل أثر نفخ الروح فيه إني جاعل هذا خليفة في الأرض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا فأيده الله عز وجل بتعليم الأسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الأمر التنجيزي اعتناء بشأن المأمور به وتعييننا لوقته وقد حكى بعض الأمور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه أن ما في سورة ص من قوله تعالى إذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى إذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى ما كان لي من علم بالملائكة إلا على إذ يختصمون أي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملائكة الأئمة عليهم السلام وإبليس حسبما أطبق عليه جمهور الأمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن خلافة آدم عليه السلام من التقاؤل الذي من جملة ما صدر عنه عليه السلام من الإنباء بالأسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما ذكر فيه تفصيلاً من الأمر التعليق وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد إبليس وما تبعه من لعنه وإخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الأفعال والأقوال وإذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة إبليس المستتعبة لطرده من بينهم لما عرفت من أنه أحد المختصمين كما أنه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الإنشاء بالأسماء حينئذ فهو إذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتماً بأحد الطرفين والله سبحانه أعلم بحقيقة الأمر (أبي واستكبر) استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وأنه لم يكن للتردد أو للتأمل والإباء الامتناع بالاختيار والتكبر أن يرى نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشيع أي امتنع عما أمر به واستكبر من أن يعظمه أو يتخذة وصلة في عبادة ربه وتقدير الإباء على الاستكبار مع كونه مسبباً عنه لظهوره ووضوح أثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الإباء حيث قيل أبي أن يكون مع الساجدين (وكان من الكافرين) أي في علم الله تعالى إذ كان أصله من كفره الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما أفصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه فالجملية اعتراضية مقررة لما سبق من الإباء والاستكبار أو صار منهم باستقباح أمره تعالى إياه بالسجود لآدم عليه السلام زعماء منه أنه أفضل منه والأفضل لا يحسن أن يؤمر بالخضوع للبعضول كما يفصح عنه قوله أنا خير منه حين قيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين لا يترك الواجب وحده فالجملية معطوفة على ما قبلها وإيثار الواو على الفاء للدلالة على أن محض الإباء والاستكبار كفر لا أنهما سببان له كما تفيد الفاء .

وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ ٢ البقرة

٢٥ (وقلنا) شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين
الملائكة وإبليس من الأقوال والأفعال وقد تركت حكاية توبيخ إبليس وجوابه ولعنه واستظماره
وإنظاره اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدر في ذلك اختلاف
وقتهما فإن المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة إذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على إذ قلنا
يا خمار إذ وهذا تذكير لنعمة أخرى موجهة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى
(يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص أصل الخطاب به عليه
السلام للإيذان بأصاليته في مباشرة المأمور به واسكن من السكنى وهو اللبث والإقامة والاستقرار دون
السكون الذي هو ضد الحركة وأنت ضمير أكده المستكن ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجة
فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أن الله
تعالى لما أخرج إبليس من الجنة وأسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستأنس به فألقى الله تعالى
عليه النوم ثم أخذ ضلعاً من جانبه الأيسر ووضع مكانه لحماً وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند
رأسه قاعدة فسالها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن إلى فقالت الملائكة تجربة لعله من
هذه قال امرأة قالوا لم سميت امرأة قال لأنها من المرء أخذت فقالوا ما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء
قال لأنها خلقت من شيء حتى وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله تعالى جنداً من الملائكة
فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى أدخلوهما الجنة وهذا كما ترى
يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لأنها المعهودة وقيل هي جنة بأرض فلسطين أو
بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحاناً لآدم عليه السلام وحمل الإهباط على النقل منها إلى أرض
الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرأ لما أن خلقه عليه السلام كان في الأرض بلا خلاف ولم يذكر في
هذه القصة رفعه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير لما أنه من أعظم النعم ولأنها لو
كانت دار الخلد لما دخلها إبليس وقيل لأنها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم إن الإهباط الأول
كان منها إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض وقيل الكل ممكن والأدلة النقلية متعارضة فوجب
التوقف وترك القطع (وكلا منها) أي من ثمارها وإنما وجه الخطاب إليهما تعميماً للتشريف والترفيه
ومبالغة في إزالة العليل والاعذار وإيذاناً بتساويهما في مباشرة المأمور به فإن حواء أسوة له عليه السلام
في الأكل بخلاف البسكنى فإنها تابعة له فيه (رغداً) صفة للمصدر المؤكد أي أكل واسعاً رافهاً (حيث
شئتما) أي أي مكان أردتما منها وهذا كما ترى لإطلاق كلي حيث أبيح لهما الأكل منها على وجه التوسعة
البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الأكل ولا بعض المواضع الجامعة للباكولات حتى لا يبق

فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ البقرة

- لهما عذر في تناول ما منعنا منه بقوله تعالى (ولا تقربا) بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر أقرب به بالفتح إذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قرباً إذا دنا وقربته بالكسر قرباً نادون منه (هذه الشجرة) نصب على أنه بدل من اسم الإشارة أو نعت له بتأويلها بمشتق أى هذه الحاضرة من الشجرة أى لا تأكل منها وإنما علق النهى بالقربان منها مبالغة في تحريم الأكل وجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة أو العنب أو التينة وقيل هى شجرة من أكل منها أحدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذى بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقرباً وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء (فتكونا من الظالمين) مجزوم على أنه معطوف على تقرباً أو منصوب على أنه جواب للنهى وأياما كان بالقرب أى الأكل منها بسبب لكونهما من الظالمين أى الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعصية أو نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يحل بالكرامة والنعيم أو تعدوا حدود الله تعالى (فأزلهما الشيطان عنها) أى أصدر زلتهما أى زلتهما وحملهما ٣٦ على الزلة بسببها ونظيرة عن هذه ما فى قوله تعالى وما فعلته عن أمرى أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما وأبعدهما عنها يقال زل عني كذا إذا ذهب عنك ويعضده قراءة أزلهما وهما متقاربان فى المعنى فإن الإزال أى الإزلاق يقتضى زوال الزال عن موضعه البتة وإزاله قوله لهما هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله مانها كاربكما عن الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما لى لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بأنه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من خلافة الأرض إلى حين البعث إليها . واختلف فى كيفية توصله إليهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم فقيل إنه إنما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية فدخل معها وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله سبحانه (فأخرجهما مما كانا فيه) أى من الجنة إن كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للإيذان بفخامتها وجلالتها وملاستهما له أى من المكان العظيم الذى كانا مستقرين فيه أو من الكرامة والنعيم إن كان الضمير للجنة (وقلنا اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء عليهما السلام بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعاً وجمع الضمير لأنهما أصل الجنس فكأنهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وإبليس على أنه أخرج منها ثانية بعد ما كان يدخلها للوسوسة أو يدخلها مسارقة أو اهبط من السماء وقرئ بضم الباء (بعضكم لبعض عدو) حال استغنى فيها عن الواو بالضمير أى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله أو استئناف لا محل له من الإعراب وإفراد العدو إما للنظر إلى لفظ البعض وإما لأن وزانه وزان المصدر كالقبول (ولكم فى الأرض) التى هى محل الإهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر أعنى لكم من

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ البقرة
 قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ البقرة

- الاستقرار . (مستقر) أى استقرار أو موضع استقرار . (ومتاع) أى تمتع بالعيش وانتفاع به . (إلى حين) هو حين الموت على أن المغنيا تمتع كل فرد من المخاطبين أو القيامة على أنه تمتع الجنس في ضمن بعض الأفراد والجملة كما قبلها في كونها حالا أى مستحقين للاستقرار والتمتع أو استئناسا . (فتلقى آدم من ربه كلمات) أى استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفق لها وقرىء بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على أنها استقبلته بلغته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال يارب ألم تخلقنى بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فى من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكنى جنتك قال بلى قال يارب إن تبت وأصلحت أراجعى أنت إلى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على أن التوبة حصلت عقيب الأمر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليه عليه السلام للتشريف والإيذان بعليته لإلقاء الكلمات المدلول عليه بتلقيها . (فتاب عليه) أى رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفاء للدلالة على توبته على تاقى الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التى هى عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود إليه واكتفى بذكر شأن آدم عليه السلام لما أن حواء تبع له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى أكثر مواقع الكتاب والسنة . (إنه هو التواب) أى الرجاء على عباده بالمغفرة أو الذى يكثر إعانتهم على التوبة وأصل التوب الرجوع فإذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف به البارى عز و علا أريد به الرجوع عن العقاب إلى المغفرة . (الرحيم) المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه . (قلنا) استئناف مبنى على سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فإذا وقع بعد قبول توبته فليل قلنا . (اهبطوا منها جميعاً) كرر الأمر بالهبوط إيذانا بتحتم مقتضاه وتحقيقه لا محالة ودفعاً لما عسى يقع فى أميته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك وإظهاراً لنوع رأفة به عليه السلام لما بين الأمرين من الفرق النير كيف لا والأول مشوب بضرب سخط مزيل ببيان أن مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثانى مقرون بوعد إيتاء الهدى المؤدى إلى النجاة والنجاح وأما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصداً أولياً بل إنما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على أن الحازم يكفيه فى الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين فكيف بالمقترن بهما فتأمل وقيل الأول من الجنة إلى السماء الدنيا والثانى منها إلى الأرض ويأباه التعرض لاستقرارهم فى الأرض فى الأول ورجوع الضمير

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ البقرة

- إلى الجنة في الثاني وجميعاً حال في اللفظ وتأکید في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم أجمعون ولذلك لا يستدعى الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاءوا جميعاً بخلاف قولك جاءوا معاً (فإما بآيتنكم منى هدى) الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الأمر به وإما مركبة من أن الشرطية وما المزیدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لأنه مبنى لا اتصاله بنون التأكيذ وقيل معرب مطلقاً وقيل مبنى مطلقاً والصحيح التفصيل إن باشرته النون بنى وإلا أعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى إن بآيتنكم منى هدى برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كما في قولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك وإيراد كلمة الشك مع تحقق الإتيان لا محالة للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب بل يكفي في وجوبه إفاضة العقل ونصب الأدلة الآفاقية والآنفسية والتكسين من النظر والاستدلال أو للجرى على سنن العظماء في إيراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى أن من تبع هداى منكم فلا خوف عليهم في الدارين من حقوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لسكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولأنه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن أصلاً بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظماً لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصاراً للجد والسعى في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفاءهما لا بيان انتفاء دواهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما تقرر في موضعه أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وإظهار الهدى مضافاً إلى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأکید وجوب اتباعه أو لأن المراد بالثاني ما هو أعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من إفاضة العقل ونصب الأدلة الآفاقية والآنفسية كما قيل وقرئ هدى على لغة هذيل ولا خوف بالفتح. (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) عطف على من تبع الخ قسم له كأنه قيل ومن لم يتبعه وإنما أثر عليه ما ذكر تفضيلاً لحال الضلالة وإظهاراً لكمال قبحها وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للإيذان بتنوع الهدى إلى ما ذكر من النوعين وإيراد نون العظمة لترية المهابة وإدخال الروعة وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها أى والذين كفروا برسولنا المرسل إليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التى أنزلها على الأنبياء عليهم السلام وأظهرها بأيديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنائنا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجهاً إلى الجار والمجرور والآية في الأصل العلامة الظاهرة قال النابغة [توهمت آيات لها فعرفتها * لست أعوام وذا العام سابع] ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لأنها علامة لا انفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لأنها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم أى

يَبْنِي إِسْرَآءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ
فَارْتَبِعُوا ﴿٤٠﴾ البقرة

- بجماعتهم قال [خرجنا من البيتين لآحي مثلنا * بآيتنا نزجى النعاج المطافلا] واشتقاقها من أى لأنها تبين أيا من أى أو من أوى إليه أى رجع وأصلها أوية أو أية فأبدلت عنها ألفاً على غير قياس أو أوية أو أوية كرمكة فأعلت أو آتية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفاً (أو لئلا) (إشارة إلى الموصوف باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه إشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزاً مصححاً للإشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل (أصحاب النار) أى ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول أو اسم الإشارة بدل من الموصول أو عطف بيان له وأصحاب النار خبر له وقوله تعالى (هم فيها خالدون) في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى أصحاب النار خالدون فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتراكه على ضميرها والعامل معنى الإضافة أو اللام المقدرة أو في محل الرفع على أنه خبر آخر لا أولئك على رأى من جوز وقوع الجملة خبراً ثانياً وفيها متعلق بخالدون والخلود في الأصل المكث الطويل وقد انعقد الإجماع على أن المراد به الدوام (بابني إسرائيل) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي ﷺ لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه إلى رسول الله ﷺ وأمره بتذكير كلهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى وإذ قال ربك الخ وإذ قلنا للملائكة الخ لأن المعنى كما أشير إليه بلغهم كلامي واذكر لهم إذ جعلنا أباهم خليفة في الأرض ومسجوداً للملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الأسماء وقبلنا توبته والإين من البناء لأنه مبنى أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرى إسرائيل بحذف الياء وإسرائيل بحذفها وإسرائيل بقلب الهمزة ياء وإسرائيل بهمزة مفتوحة وإسرائيل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة وأكثرهم كفراً بها (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) بالتفكير فيها والقيام بشكرها وفيه إشعار بأنهم قد نسواها بالكلية ولم يخطر بها بالبال لأنهم أهملوا شكرها فقط وإضافة النعمة إلى ضمير الجلالة لتشريفها وإيجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييد النعمة بهم لما أن الإنسان مجبول على حب النعمة فإذا نظر إلى مافاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قيل أريد بها ما أنعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي أجملها إدراك عصر النبي عليه السلام وقرى اذكروا من الافتعال ونعمتى بإسكان الياء وإسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها (وأوفوا بعهدى) بالإيمان والطاعة (أوف بعهدكم) بحسن الإثابة والعهد يضاف إلى كل واحد من يتولى طرفه ولعل الأول مضاف إلى الفاعل والثاني إلى المفعول فإنه تعالى عهد إليهم بالإيمان والعمل الصالح

وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَاقِبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي
فَأَنقُوتُ ﴿٤١﴾ ٢ البقرة

بنصب الدلائل وإرسال الرسل وإنزال الكتب ووعد لهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فأول مراتبه منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدماء والأموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن أنفسنا فضلاً عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وأما ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أوفوا بعهدى في اتباع محمد ﷺ أوف بعهدكم في رفع الأصار والأغلال وعن غيره أوفوا بأداء الفرائض وترك الكبائر أوف بالمغفرة والثواب أو أوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم أوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر إلى الوسائط وقيل كلاهما مضاف إلى المفعول والمعنى أوفوا بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الإجابة وتفصيل العهدين قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل إلى قوله ولأدخلنكم جنات الخ وقرىء أوف بالتشديد للبالغة والتأكيد (وإياي فارهبون) فيما تأتون وما تذكرون خصوصاً في نقض العهد وهو آكد في إفادة ● التخصيص من إياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل إن كنتم راهبين شيئاً فارهبوني والرهبة خوف معه تحرز الآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وأن المؤمن ينبغي أن لا يخاف إلا الله تعالى. (وآمنوا ٤١) بما أنزلت) أفرد الإيمان بالقرآن بالامر به لما أنه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهود (مصدقاً لما معكم) من التوراة والتعبير عنها بذلك للإيذان بعلمهم بتصديقه لها فإن المعية مثنة لتكرار المراجعة إليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدى إلى العلم بكونه مصدقاً لها ومعنى تصديقه للتوراة أنه نازل حسبها نعت فيها أو من حيث أنه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وأما ما يترامى من مخالفته لها في بعض جزئيات الأحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الأعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث أن كلا منها حق بالإضافة إلى عصره وزمانه متضمن للحكم التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على أبدية أحكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وإنما تدل على مشروعيتها مطلقاً من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الأحكام فإن نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فإذا من مناط المخالفة في الأحكام المنسوخة إنما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقاً لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فإن إيمانهم بما معهم مما يقتضى الإيمان بما يصدقهم قطعاً (ولا تكونوا أول كافرين) أى لا تسارعوا إلى الكفر به فإن وظيقتكم أن تكونوا أول من آمن به لما أنكم تعرفون شانه وحقيقته بطريق التلقى بما معكم من الكتب الإلهية كما تعرفون أبناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ البقرة

بزمانه كما سيجيء فلا تضيعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم أول كافر به ووقوع أول كافر به خبراً من ضمير الجمع بتأويل أول فريق أو فوج أو بتأويل لا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيمهم عن التقدم في الكفر به مع أن مشركي العرب أقدم منهم لما أن المراد به التعريض لا الدلالة على مناطق به الظاهر كقولك أما أنا فقلت بجاهل لأن المراد منهم عن كونهم أول كافر من أهل الكتاب أو ممن كفر بما عنده فإن من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه أو مثل من كفر من مشركي مكة وأول أفعال لا فعل له وقيل أصله أو آل من وآل إليه إذا نجا وخلص فأبدات الهمة واوا تخفيفاً غير قياسي أو أوّل من آل فقلت همزته واوا وأدغمت (ولا تشتروا بآياتي) أي لا تأخذوا لأنفسكم بدلاً منها (ثمناً قليلاً) من الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مستزلة بالنسبة إلى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله ﷺ فاختاروها على الإيمان وإنما عبر عن المشترى الذي هو العمدية في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها أن يتنافس فيها المتنافسون بالبلاء التي تصحب الوسائل لإيداناً بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الأصلي وسيلة والوسيلة مقصداً (ولإيائى فائقون) بالإيمان واتباع الحق والإعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادئ لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى أولاً لأن الخطاب بها لما عم العالم والمقلد أمر فيها بالرهبة المتناولة للفريقين وأما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء أمر فيها بالتقوى الذي هو المنتهى (ولا تلبسوا الحق بالباطل) عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق بالمنزل بالباطل الذي تختبرونه وتكتبونه حتى يشبهه أحدهما بالآخر أو لا تجعلوا الحق ملتبساً بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه أو تذكرونه في تأويله (وتكتموا الحق) مجزوم داخل تحت حكم النهي كأنهم أمروا بالإيمان وترك الضلال ونهوا عن الإضلال بالتلبس على من سمع الحق والإخفاء عمن لم يسمعه أو منصوب بإضمار أن على أن الواو للجمع أي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانهم ويعضده أنه في مصحف ابن مسعود وتكتمون أي وأنتم تكتمون أي كاتمين وفيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق إما لأن المراد بالآخر ليس عين الأول بل هو نعت النبي ﷺ الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم وإما لزيادة تقييد النهي عنه إذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره (وأنتم تعلمون) أي حال كونكم عالمين بأنكم لا بسون كاتمون أو وأنتم تعلمون أنه حق أو وأنتم من أهل العلم وليس إيراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى بل لزيادة تقييد حالهم إذا الجاهل عسى يعذر .

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ٢ البقرة
 أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ٢ البقرة

- (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى صلاة المسلمين وزكاتهم فإن غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة ٤٣
- أمرهم الله تعالى بفروع الإسلام بعد الأمر بأصوله (واركعوا مع الراكعين) أى فى جماعتهم فإن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس فى المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازاً عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الأضبط بن قريع السعدى [لا تحقرن الضعيف عليك أن * تركع يوماً والذهب قدر فعه] (أتأمرون الناس بالبر) ٤٤
- تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بعد توجيهه إلى الكل والهمزة فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع فى الخير من البر الذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع أصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر فى عبادة الله تعالى وبر فى مراعاة الأقارب وبر فى معاملة الأجانب (وتنسون أنفسكم) أى تتركونها من البر كالمُنسيات عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى أحبار المدينة كانوا يأمرون سراً من نصحوه باتباع النبى ﷺ ولا يتبعونه طمعاً فى الهدايا والصلوات التى كانت تصل إليهم من أتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى إنهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونها ومدار الإنكار والتوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطفت هى عليه (وأنتم تتلون الكتاب) تبكىتم لهم وتقريع كقوله تعالى وأنتم تعملون أى والحال أنكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته ﷺ الآمرة بالإيمان به أو بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) أى أتتونه فلا تعقلون ما فيه أوقع ما تصنعون حتى تردعوا عنه فالإنكار متوجه إلى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث السكيف أو ألا تتأملون فلا تعقلون فالإنكار متوجه إلى كلا الأمرين والمبالغة حينئذ من حيث الحكم والعقل فى الأصل المنع والإمساك ومنه العقال الذى يشد به وظيف البعير إلى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحانى الذى به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لأنه يحبسه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعط غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثيره وإن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالى عن العقل والمراد بها كما أشير إليه حثه على تزكية النفس والإقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحقوق فتقيم غيرها لا يمنع الفاسق عن الوعظ يروى أنه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيراً ما يموت من أهل مجلسه واحداً أو اثنين من شدة تأثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوماً على حين غفلة منها فوقع من أمر الله تعالى ما وقع ثم إن العجوز لقيت الواعظ يوماً فى الطريق فقالت [أتهدى الأنام

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٢ البقرة

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ٢ البقرة

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ ٢ البقرة

- ولا تهتدى * ألا إن ذلك لا ينفع [فياحجر الشخذ حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع] فلما سمعوا
 ٤٥ الواعظ شق شهقة نخر من فرسه مغشياً عليه لحملوه إلى بيته فتوفي إلى رحمة الله سبحانه (واستعينوا
 بالصبر والصلاة) متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والإعراض عن المال عولجوا
 بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلوا على الله تعالى أو بالصوم الذي هو الصبر
 عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء إليها فإنها جامعة لأنواع
 العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وحرف المال فيهما والتوجه إلى السكينة والعكوف
 على العبادة وإظهار الخشوع بالجوارح وإخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة
 القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الأطينين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى
 أنه عليه السلام كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ويجوز أن يراد بها الدعاء (وإنها) أى الاستعانة بهما أو
 الصلاة وتخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها واشتغالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى وإدارأوا
 ● تجارة أو لهواً انفضوا إليها أو جملة ما أمروا بها ونهوا عنها (لكبيرة) لثقل شاقة كقوله تعالى كبر على
 ● المشركين ما تدعوهم إليه (إلا على الخاشعين) الخشوع الإخبات ومنه الخشعة للرملة المنتظمة والخشوع اللين
 والافتقار ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخشوع بالقلب وإنما لم تثقل عليهم لأنهم يتوقعون ما أعد
 لهم بمقابلتها قهون عليهم ولأنهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق
 ٤٦ والمتاعب ولذلك قال عليه السلام وقرة عيني في الصلاة والجملة حالية أو اعتراض تذييل (الذين يظنون
 ● أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون) أى يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من الثواب والتعرض
 لعنوان الربوبية مع الإضافة إليهم الإيدان بفيضان إحسانه إليهم أو يتيقنون أنهم يحشرون إليه للجزاء
 فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة وأما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون
 العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمذائق والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للإشمار
 بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده أن في مصحف ابن مسعود رضى الله عنه يعلون وكان الظن لما
 شابه العلم في الرجحان أطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال [فأرسلته مستيقن الظن أنه * مخالط ما بين
 الشراسيف جائف] وجعل خبر أن في الموضعين اسماً للدلالة على تحقيق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم
 ٤٧ (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد
 ● الشديد به (وأنى فضلتكم) عطف على نعمتي الخاص على العام لكانه أى فضلت آباءكم (على العالمين)
 أى على زمانهم بما منحتهم من العلم والإيمان والعمل الصالح وجعلتهم أنبياء وملوكاً مقسطين وهم آباءهم

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ٢ البقرة

وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ٢ البقرة

- الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل أن يغيروا (واتقوا يوما) أى حساب يوم أو عذاب يوم ٤٨ (لا تجزى نفس عن نفس شيئا) أى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية أو شيئا من الجزء فيكون نصبه على المصدرية وقرىء لا تجزى أى لا تغنى عنها فيتعين النصب على المصدرية وإيراده منكر مع تنكير النفس للتعميم والإفناط الكلى والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف أى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه لحذف الجار وأجرى المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال [فما أدري أغيرهم تناء * وطول العهد أم مال أصابوا] أى أصابوه (ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل) أى من النفس الثانية العاصية أو من الأولى والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فردا فجعله الشفع شفعاً والعدل الفدية وقيل البدل وأصله التسوية سمي به الفدية لأنها تساوى المفدى وتجزى مجزاه (ولا هم ينصرون) أى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والأناسى والنصرة ههنا أخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكأنه أراد بدلالة نفي أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل فإنه إما أن يكون قهراً أو لا والأول النصرة والثاني إما أن يكون مجاناً أو لا والأول الشفاعة والثاني إما أن يكون بأداء عين ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بأداء غيره وهو أن يعطى عنه عدلاً وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبار والجواب أنها خاصة بالكفار والآيات الواردة في الشفاعة والأحاديث المروية فيها ويؤيده أن الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم (وإذ نجيناكم من آل فرعون) تذكير لتفاصيل ما أجمل في قوله تعالى نعمت التي ٤٩ أنعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء أى واذكروا وقت تنجيننا إياكم أى آباءكم فإن تنجيتهم تنجية لأعقابهم وقرىء أنجيتكم وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل وخص بالإضافة إلى أولى الأخطار كالأنبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالة ككسرى لملك الفرس وقبصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل إذا عتا وتمرد وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليداً من بقايا عاد وقيل إنه كان عطاراً أصفهانياً ركبته الديون فأفلس فاضطر إلى الخروج فلحق بالشام فلم يتسن له المقام به فدخل مصر فرأى في ظاهره حملاً من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخة بدرهم فقال في نفسه إن تيسر لي أداء الدين فهذا طريقه فخرج إلى السواد فاشترى حملاً

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾ البقرة

- بدرهم فتوجه به إلى السوق فكل من لقيه من المكاسين أخذوا منه بطيخاً فدخل البلد ومامعه إلا بطيخة فذة باعها بدرهم ومضى لوجهه ورأى أهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى أحد سياستهم وكان قد وقع بهم وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فرأى ميتاً يدفن فتعرض لأوليائه فقال أنا أمين المقابر فلا أدعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة دراهم فدفعوها إليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلاثة أشهر مالا عظيماً ولم تعرض له أحد قط إلى أن تعرض يوماً لآوليائه ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فأبوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به إلى فرعون فقال من أنت ومن أقامك بهذا المقام قال لم يقمى أحد وإنما فعلت ما فعلت ليحضرني أحد إلى مجلسك فأنبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فأحضره ودفعه إلى فرعون فقال ولني أمورك ترى أميناً كافياً فولاه إياها فصار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت أحوال الرعية ولبث فيهم دهر أطويلاً وترامى أمره في العدل والصلاح فلما مات فرعون أقاموه مقامه فكان من أمره ما كان وكان فرعون يوسف ريان وكان بينهما أكثر من أربعين سنة (يسومونكم) أى يبيعونكم من سامه خسفاً إذا ولاه ظلماً وأصله الذهاب في طلب الشيء (سوء العذاب) أى أفضله وأقبحه بالنسبة إلى سائر السوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم والجملة
- حال من الضمير في نجيئناكم أو من آل فرعون أو منهما جميعاً لاشتغالها على ضميريهما (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) بيان ليسومونكم ولذلك ترك العطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وإنما فعلوا بهم ما فعلوا لما أن فرعون رأى في المنام أو أخبره الكهنة أنه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يردا جهادهم من قضاء الله عز وجل شيئاً قليل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة ألف مولود وتسعين ألفاً وقد أعطى الله عز وجل نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه أولئك المقتولين لو كانوا أحياء
- ولذلك كانت معجزاته ظاهرة باهرة (وفي ذلكم) إشارة إلى ما ذكر من التذبيح والاستحياء أو إلى الإنجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الأول معنى قوله تعالى (بلاء) محنة وبليّة وكون استحياء نساءهم أى استبقائهن على الحياة محنة مع أنه عفو وترك للعذاب لما أن ذلك كان للاستعمال في الأعمال الشاقة وعلى الثانى نعمة وأصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك فى حقه سبحانه محالاً وكان مايجرى مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة وأخرى بالمنحة أطلق عليهما وقيل يجوز أن يشار بذلك إلى الجملة ويراد بالبلاء
- القدر المشترك الشامل لهما (من ربكم) من جهته تعالى بتسليطهم عليكم أو بيعت موسى عليه السلام وبتوقيفه
- لتخليصكم منهم أو بهما معاً (عظيم) صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفى الآية الكريمة تنبيه على أن ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر فى المسار والصبر على المضار (وإذ فرقنا بكم البحر) بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها إثر تذكيرها وبيان عظمها وهو لها وقد بين فى
- تضاعيف ذلك نعمة جليلة أخرى هى الإنجاء من الغرق أى واذكروا إذ فلقناه بسلوكم أو متلبساً بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن أو بسبب إنجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت مسالك وقرئ

وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ٢ البقرة
ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ٢ البقرة

- بالتشديد للتكثير لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط (فأنجيناكم) أي من الغرق يا خراجكم إلى الساحل كما يلوح به العدول إلى صيغة الأفعال بعد إيراد التخليص من فرعون بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى (وأغرقنا آل فرعون) أريد فرعون وقومه وإنما اقتصر على ذكرهم للعلم بأنه أولى به منهم وقيل شخصه كما روى أن الحسن رضى الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد أي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر قومه. (وأنتم تنظرون) ذلك أو غرقهم وإطباق البحر عليهم أو انفلاق البحر عن طرق يابسة مذلة أو جشتم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضكم بعضاً روى أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يسرى ببني إسرائيل فخرج بهم فصبجهم فرعون وجنوده وصادفهم على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقاً يابساً فسلكوها فقالوا نخاف أن يفرق بعض أصحابنا فلا نعلم ففتح الله تعالى فيها كوى فتراها وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل إليه فرعون فرآه منفلقاً اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم أن هذه الواقعة كما أنها لموسى معجزة عظيمة تخر لها أطم الجبال ونعمة عظيمة لأوائل بني إسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله ﷺ معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الآية وتنقاد لها النفوس الغيبة موجبة لأعقابهم أن يتلقوها بالإذعان فلا تأثرت أوائلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكرت أو آخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصاة ما أعصاها وطائفة ما أطغاها. (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) لما عادوا إلى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذى الحجة وقيل وعد عليه السلام بنى إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة ثم زاد عشرأ من ذى الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على أصلها تنزيلاً لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وأربعين ليلة مفعول ثانٍ لواعدنا على حذف المضاف أي بمقام أربعين ليلة وقرىء وعدنا. (ثم اتخذتم العجل) بتسويل السامري لها ومعبوداً وشم للأراخي الرتبى (من بعده) أي من بعد مضيه إلى الميقات على حذف المضاف. (وأنتم ظالمون) يائسراكم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم أو اعتراض تذييلي أي وأنتم قوم عادتكم الظلم. (ثم عفونا عنكم) حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يحى. لازماً قال [عرفت المنزل الخالي * عفا من بعد أحوال] [عفاه كل هتان * كثير الوبل هطال] وقوله تعالى (من بعد ذلك) أي من بعد اتخاذ الذي هو متناه في القبح للإيذان بكال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم. (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة.

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ٢ البقرة
وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ يَا رَبُّكُمْ فَأَقْتُلُوا
أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ٢ البقرة

- ٥٣ (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ) أى التوراة الجامعة بين كونها كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل أريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين الحق والمبطل فى الدعوى أو بين الكفر والإيمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذى يفرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان
- ٥٤ يريد به يوم بدر . (لعلكم تهتدون) لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) بيان لكيفية وقوع العفو المذكور . (باقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) أى معبوداً . (فتوبوا)
- أى فاعزموا على التوبة . (إلى بارئكم) أى إلى من خلقكم بريئاً من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهينات مختلفة وأصل التركيب الخلوص عن الغير إما بطريق التنصص كما فى برى المريض أو بطريق الإنشاء كما فى برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للإشعار بأنهم بلغوا من الجهالة أقصاها ومن الغواية منهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطف حكيمته بريئاً من التفاوت والتنافر إلى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة وأن من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بأن تستردهى منه ولذلك أمروا بالقتل وفك التركيب . (فاقتلوا أنفسكم) تماماً لتوبتكم بالبيع أو بقطع الشهوات وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضاً وقيل أمر من لم يعبد العجل بقتل من عبده . يروى أن الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضى لأمر الله تعالى فأرسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فأخذوا يقتلون من الغداة إلى العشى حتى دعا موسى وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفاً والفداء الأولى للتسيب والثانية للتعقيب (ذلكم)
 - إشارة إلى ما ذكر من التوب والقتل . (خير لكم عند بارئكم) لما أنه طهرة عن الشرك ووصلة إلى الحياة الأبدية والبهجة السرمدية . (فتاب عليكم) عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذى يقتضيه سباق النظم الكريم وسيافه فإن مبنى الجميع على التكلم إلى الغيبة ليكون ذريعة إلى إسناد الفعل إلى ضمير بارئكم المستتبع للإبذان بعلية عنوان البارئية والخلق والإحياء لقبول التوبة التى هى عبارة عن العفو عن القتل تقديره فعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وإنما لم يقل فتاب عليهم على أن الضمير للقوم لما أن ذلك نعمة أريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم . هذا وقد جوز أن يكون فتاب عليكم متعلقاً بمحذوف على أنه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى أنه بمنزلة من اللياقة بجملة شأن التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعده موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى حتماً وقد عرفت أن الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكى فيما قبل وأن المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة . (إنه هو التواب الرحيم) تحليل

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِيَّ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكَ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٥﴾ ٢ البقرة
ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ٢ البقرة

وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ
كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ ٢ البقرة

- لما قبله أى الذى يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم وفى الإلغام عليهم (وإذ قلتم ياموسى ٥٥
لن تؤمن لك) تذكير لنعمة أخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التى هى اتخاذ العجل
أى لن تؤمن لأجل قولك ودعوتك أولن نقر لك والمؤمن به إعطاء الله إياه التوراة أو تكليمه إياه وأنه
نبي أو أنه تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم (حتى نرى الله جهرة) أى عيانا وهى فى الأصل مصدر قولك
● جهرت بالقراءة استعيرت للعبارة لما بينهما من الاتحاد فى الوضوح والانكشاف إلا أن الأول فى المسموعات
والثانى فى المبصرات ونصبها على المصدرية لأنها نوع من الرؤية أو حال من الفاعل أو المفعول وقرئ بفتح
الهاء على أنها مصدر كالغلبة أو جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون
لميقات التوبة عن عبادة العجل روى أنهم لما ندموا على ما فعلوا قالوا لن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا نكون
من الخاسرين أمر الله موسى عليه السلام أن يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك
التوبة فلما خرجوا إلى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام بأمره وينهاه
وكان كلما كلمه تعالى أوقع على جبهته نور أساطعا لا يستطيع أحد من السبعين النظر إليه وسمعوا كلامه تعالى
مع موسى عليه السلام أفعلا ولا تفعل فعند ذلك طمعو فى الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتى فى سورة الأعراف
● إن شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه (فأخذتكم الصاعقة) لفرط العناد والتعنّت وطلب المستحيل
فإنهم ظنوا أنه سبحانه وتعالى بما يشبه الأجسام وتتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريق المقابلة فى الجهات
والأحياز ولا ريب فى استحالة إنما الممكن فى شأنه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين
فى الآخرة وللأفراد من الأنبياء الذين بلغوا فى صفاء الجوهر إلى حيث تراهم كأنهم وهم فى جلايب من
أبدانهم قد نضوا وتجردوا عنها إلى عالم القدس فى بعض الأحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فأحرقتهم
وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فغروا صعقوا ميتين يوما وليلة وعن وهب أنهم لم يموتوا بل لما
رأوا تلك الهيئة الهائلة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم وأشرفوا على
الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعاه به فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت إليهم عقولهم
ومشاعرهم ولم تكن صاعقة موسى عليه السلام موتاً بل غشية لقوله تعالى فلما أفاق (وأنتم تنظرون) أى
● ما أصابكم بنفسه أوباً ناره (ثم بعثناكم من بعد موتكم) بتلك الصاعقة قيد البعث به لما أنه قد يكون من الإغماء ٥٦
وقد يكون من النوم كما فى قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم أحوالهم (لعلكم تشكرون) أى نعمة البعث أو ما كفرتموه
● بما رأيتم من بأس الله تعالى (وظللنا عليكم الغمام) أى جعلناها بحيث تلقى عليكم ظلمها وذلك أنه تعالى صهر ٥٧

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ مُجْتَدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ٢ البقرة

- لهم السحاب يسير يسيرهم وهم في التيه يظلمهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسرون في ضوئه
 • وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) أى الترنجيبين والسماوى وقيل كان ينزل عليهم
 المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماوى فيذبح الرجل منه
 • ما يكفيه (كلوا) على إرادة القول أى قائلين لهم أو قيل لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته
 • وما موصولة كانت أو موصوفة عبارة عن المن والسلوى (وما ظلمونا) كلام عدل به عن نهج الخطاب
 السابق للإيدان باقة ضياء جنيات المخاطبين للإعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المبالغة
 معطوف على مضمرة قد حذف للإيجاز والإشعار بأنه أمر محقق غنى عن التصريح به أى فظلموا بأن
 • كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك . (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفران إذ لا يتخطأهم
 ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذى يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين
 ٥٨ صيغتي الماضى والمستقبل للدلالة على تزايدهم في الظلم واستمرارهم على الكفر (وإذ قلنا) تذكير لنعمة
 أخرى من جنابه تعالى وكفرة أخرى لأسلافهم أى وذكروا وقت قولنا لأبائكم أثر ما أنقذناهم من التيه
 • (ادخلوا هذه القرية) منصوبة على الظرفية عند سيوبه وعلى المفعولية عند الأخفش وهى بيت المقدس
 • وقيل أريحاء (فكلوا منها حيث شئتم رغداً) أى واسعاً هنيئاً ونصبه على المصدرية أو الحالية من ضمير
 المخاطبين وفيه دلالة على أن المأمور به الدخول على وجه الإقامة والسكنى فيؤول إلى ما فى سورة
 • الأعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية . (وادخلوا الباب) أى باب القرية على ما روى من أنهم
 دخلوا أريحاء فى زمن موسى عليه السلام كما سيحىء فى سورة المائدة أو باب القبة التى كانوا يصلون
 • إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه السلام (سجداً) أى متطامنين مخبتين أو
 • ساجدين لله شكراً على إخراجهم من التيه . (وقولوا حطة) أى مسئلتنا أو أمر كحطة وهى فعلة
 من الحط كالجلسة وقرىء بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنها مفعول قولوا
 • أى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه أمرنا حطة أى أن نخط رحالنا فى هذه القرية ونقيم بها (نغفر لكم
 خطاياكم) لما تفعلون من السجود والدعاء وقرىء بالياء والتاء على البناء للمفعول وأصل خطايا
 خطائى كخضايح فعند سيوبه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف واجتمعت همزتان
 وأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفاً وكانت الهمزة بين ألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على
 • الياء ثم فعل بها ما ذكر (وسنزيد المحسنين) ثواباً جعل الامتثال توبة للسىء وسبباً لزيادة الثواب
 للمحسن وأخرج ذلك عن صورة الجواب إلى الوعد لإيداناً بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف
 إذا فعله وأنه يفعله لا محالة .

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ٢ البقرة

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ٢ البقرة

- (فبدل الذين ظلموا) بما أمروا به من التوبة والاستغفار بأن أعرضوا عنه وأوردوا مكانه (قولا) آخر بما لا خير فيه روى أنهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية خطأ سمعنا يعنون حنطة حراء استخفافا بأمر الله عز وجل (غير الذي قيل لهم) نعت لقولا وإنما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغيرة ● تحقيقاً لمخالفتهم وتنصيصاً على المغيرة من كل وجه (فأنزلنا) أى عقيب ذلك (على الذين ظلموا) بما ذكر من التبديل وإنما وضع الموصول موضع الضمير العائد إلى الموصول الأول للتعليل والمبالغة في الذم والتفريع وللتصريح بأنهم بما فعلوا قد ظلموا أنفسهم بتعريضها لخطأ الله تعالى (رجزاً من السماء) أى عذاباً مقدراً منها والتنوين للتهويل والتفخيم (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم المستمر حسباً يفيد الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل إنزال الرجز به بعد الإشعار بتعليله بظلمهم للإيدان بأن ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وأن تعذيبهم بجميع ما ارتكبه من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك الرجز وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى أنه مات به في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً (وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ) ٦٠ تذكير لنعمة أخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما أشير إليه مراراً من قصد إيراد كل من الأمور المعدودة في معرض أمر مستقل واجب التذكير والتذكير ولوروعى الترتيب الوقوعى لفهم أن الكل أمر واحد أمر بذكره واللام متعلقة بالفعل أى استسقى لاجل قومه (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) روى أنه كان حجراً طورياً مكعباً حمله معه وكان ينبع من كل وجه منه ثلاث أعين يسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلاً أو كان حجراً أهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع إلى شعيب عليه السلام فأعطاه موسى عليه السلام مع العصا أو كان هو الحجر الذى فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وراه الله تعالى به عمار موه به من الأذرة فأشار إليه جبريل عليه السلام أن يحمله أو كان حجراً من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل حجراً في مخلاته وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه إذا ارتحل فيبديس فقالوا إن فقد موسى عصاه متناً عطشاً فأوحى الله تعالى إليه أن لا تفرح الحجر وكله يطعمك لعلمهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة أذرع على طوله عليه السلام

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ
بَقْلِهَا وَقِثَآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَلَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا
فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضِبَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ الَّتِي يَبْعَثُ فِي خَلْقِهِ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢﴾ البقرة

- من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة (فانفجرت) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب أى فضرب فانفجرت (منه اثنتا عشرة عيناً) وأما تعلق الفاء بمحذوف أى فإن ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجملة شأن
- النظم الكريم كما لا يخفى على أحد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما أيضاً لغتان (قد علم كل أناس)
- كل سبط (مشرهم) عندهم الخاصة بهم (كلوا واشربوا) على إرادة القول (من رزق الله) هو مارزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لأنه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه أن المأمور به أكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه وإضافته إليه تعالى مع استناد الكل إليه خلقاً وملكاً إما للتشريف وإما لظهوره بغير سبب عادى وإنا لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ إيداناً بأن الأمر بالأكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام (ولا تعثوا في الأرض) العثى أشد الفساد
- ففيل لهم لا تهادوا في الفساد حال كونكم (مفسدين) وقيل إنما قيد به لأن العثى في الأصل مطلق التعدى وإن غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدى بفعله وقد يكون فيه صلاح راجع كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العبث خلا أنه غالب فيما يدرك حساً (وإذا قلتم) تذكير لجنابة أخرى لا سلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل وإخلاصهم إلى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة وإسناد القول المحكى إلى أخلاقهم وتوجيه التوبيخ إليهم لما يذنبون من الاتحاد (باموسى) ان نصبر على طعام واحد (لعلمهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها إذ يأباه التعرض للوحدة بل أرادوا أن يكون هذا تارة وذلك أخرى . روى أنهم كانوا فلاحه فزعوا إلى عكرهم فأجمعوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدها النوعية واطرادها وتاقت أنفسهم إلى الشقاء (فادع لنا ربك) أى سله لا جلنا بدعائك إياه والفاء لسببية عدم الصبر الدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادئ الإجابة (يخرج لنا) أى يظهر لنا ويوجدوا الجزم لجواب الأمر (بما تنبت الأرض) إسناد مجازى بإقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى (من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) بيانية واقعة موقع الحال أى كأننا من بقلها الخ وقيل بدل بإعادة الجار والبقول ما تنبت الأرض من الخضر والمراد به أطايبه التى تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث وأشباهاها
- والقوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه (قال) أى الله تعالى أو موسى عليه السلام

- إنكاراً عليهم وهو استئناف وقع جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل فماذا قال لهم فقيل قال (أتستبدلون) أى
- أناخذون لأنفسكم وتختارون (الذى هو أدنى) أى أقرب منزلة وأدون قدر أسهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوباً فيه وكونه تافهاً مردولاً قليل القيمة وأصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للنخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرىء أدنا من الدناءة وقد حملت المشهورة على أن ألفها مبدلة من الهمزة (بالذى هو خير) أى بمقابلة ما هو خير فإن الباء تصحب الذاهب الزائل
- دون الآتى الحاصل كما فى التبديل فى مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالإيمان وقوله وبدلناهم بجناتهم جنتين ذواتى أكل خبط وليس فيه ما يدل قطعاً على أنهم أرادوا زوال المن والسلوى بالمرّة وحصول ما لبوا مكانه لتحقيق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة (اهبطوا مصرأ) أمروا به بياناً
- لدناءة مطلبهم أو إسعافاً لمرامهم أى انحدروا إليه من التيه يقال هبط الوادى وقرىء بضم الباء والمصر البلد العظيم وأصله الحد بين الشبثين وقيل أريد به العلم وإنما صرف لسكون وسطه أو لتأويله باليلد دون المدينة ويؤيده أنه فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه غير ممنون وقيل أصله مصر ايم فعرّب (فإن لكم ما ألتتم) تعليل للأمر بالهبوط أى فإن لكم فيه مأساً أثموا ولعل التعبير عن الأشياء المستولة بالمألتهم جان بذكرها كأنه قيل فإنه كثير فيه مبتذل يناله كل أحد بغير مشقة (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) أى
- جعلنا محيطتين بهم إحاطة القبة بمن ضربت عليه أو الصقنا ضربهم وجعلنا ضرباً لازباً لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الخائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود فى غالب الأمر أذلاء
- مساكين إما على الحقيقة وإما الخوف أن تضاعف جزيتهم (وباءوا) أى رجعوا (بغضب) عظيم وقوله تعالى (من الله) متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
- الإضافية أى بغضب كائن من الله تعالى أو صاروا أحقاء به من قولهم باء فلان بفلان أى صار حقيقة بأن يقتل بمقابلته ومنه قول من قال يؤبشسع نعل كليب وأصل البوء المساواة (ذلك) إشارة إلى ما سلف من
- ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم (بأنهم) بسبب أنهم (كانوا يكفرون) على الاستمرار (بآيات الله) الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عليه السلام بما عد وما لم يعد
- (ويقتلون النبيين بغير الحق) كشعباً وذكراً ويحى عليهم السلام وفائدة التقييد مع أن قتل الأنبياء يستحيل أن يكون بحق إلا يذان بأن ذلك عندهم أيضاً بغير الحق إذ لم يكن أحد معتقداً بحقية قتل أحد منهم عليهم السلام وإنما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو فى العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله
- تعالى (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) أى جرم العصيان والتماذى فى العدوان إلى ما ذكر من الكفر وقتل الأنبياء عليهم السلام فإن صغار الذنوب إذا دووم عليها أدت إلى كبارها كما أن مداومة صغار الطاعات مؤدية إلى تحرى كبارها وقيل كررت الإشارة للدلالة على أن ما لحقهم كما أنه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الإشارة إلى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الإشارة إلى المتعدد بالمفرد بتأويل ما ذكر أو تقدم كما فى قول روضة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلقى * كأنه فى الجلد توليع البلق أى كان ما ذكره والذى حسن ذلك فى المضمرات والمبهمات

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢﴾ البقرة

- ٦٢ أن تثنيها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الذين (إن الذين آمنوا) أى بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بأن تلك المرتبة وإن عبر عنها بالإيمان لا تجديهم نفعاً أصلاً ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعاً (والذين هادوا) أى تهودوا من هاد إذا دخل فى اليهودية ويهود إما عربى من هاد إذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة وإما معرب يهوداً كأنهم سموا باسم أكبر أولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام (والنصارى) جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة والياء فى نصرانى للبالغة كما فى أخرى سموا بذلك لأنهم نصرروا المسيح عليه السلام أو لأنهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران فسموا باسمها أو نسبوا إليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كهمرى ومهارى (والصابئين) هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل أصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو إن كان عربياً فمن صبا إذا خرج من دين إلى آخر وقرىء بالياء إما للتخفيف وإما لأنه من صبا إذا مال لما أنهم مالوا من سائر الأديان إلى مالم فيه أو من الحق إلى الباطل (من آمن بالله واليوم الآخر) أى من أحدث من هذه الطوائف إيماناً خالصاً بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق (وعمل) عملاً (صالحاً) حسبما يقتضيه الإيمان بما ذكر (فلهم) بمقابلة ذلك (أجرهم) الموعود لهم (عند ربهم) أى مالك أمرهم ومبلغهم إلى كمالهم اللائق فن إما فى محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلمهم أجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما فى قوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين الآية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما أن أفراد ما فى الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هى خبر إن والعائد إلى اسمها محذوف أى من آمن منهم الخ وإما فى محل نصب على البدلية من اسم إن وما عطف عليه وخبرها فلمهم أجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفى إضافته إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد لطف بهم وإيدان بأن أجرهم متيقن الثبوت مأمون من الفوات (ولا خوف عليهم) عطف على جملة فلمهم أجرهم أى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب (ولا هم يحزنون) حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتقويت الثواب والمراد ببيان دوام انتفاءهما لا بيان انتفاء دواهما كما يؤهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعاً لما مر من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين آمنوا المتدينون بدين الإسلام المخلصون منهم والمنافقون فيحتمل لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالإيمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الإطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كإيمان المخلصين أو بطريق إحداثه وإنشائه كإيمان من عدام من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقيين فى الإيمان ببيان أن تأخيرهم

وَاِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آيَاتِنَا كُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ٢ البقرة

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ٢ البقرة

في الإتصاف به غير مخل بكونهم أسوة لا أولئك المتقدمين في استحقاق الأجر وما يتبعه من الأمان الدائم وأما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فيما لا سبيل إليه أصلا لأن مقتضى المقام هو الترغيب في دين الإسلام وأما بيان حال من مضى على دين آخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعاً بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالتيه على حقيقته في زمانه في الجملة على أن المنافقين والصائبين لا يتسنى في حقهم ما ذكر أما المنافقون فإن كانوا من أهل الشرك فالأمر بين وإن كانوا من أهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين وأما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الأوقات ولو سلم أنه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من أهل ذلك الدين قبل خروجهم منه فليسوا من الصائبين فكيف يمكن إرجاع الضمير الرابط بين اسم إن وخبرها إليهم أو إلى المنافقين وارتكاب إرجاعه إلى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا إلى كل واحدة منها قصداً إلى درج الفريق المذكور فيه ضرورة أن من كان من أهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وإن لم يكن من المنافقين والصائبين مما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله على أن المخلصين مع اندراجهم في حين اسم إن ليس لهم في حين خبرها عين ولا أثر فتأمل وكن على الحق المبين (وإذ أخذنا ميثاقكم) تذكير لجناية ٦٣ أخرى لأسلافهم أي واذكروا وقت أخذنا لميثاقكم بالمحافظة على مافي التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) ● عطف على قوله أخذنا أو حال أي وقد رفعنا فوقكم الطور كأنه ظلة . روى أن موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فأبوا قبولها فأمر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلمه عليهم حتى قبلوا (خذوا) على إرادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة ● (واذكروا ما فيه) أي احفظوه ولا تنسوه أو تفكروا فيه فإنه ذكر بالقلب أو اعملوا به (لعلكم تتقون) ● لكي تتقوا المعاصي أو لتنجوا من هلاك الدارين أو رجاء منكم أن تنتظموا في سلك المتقين أو طلباً لذلك وقد مر تحقيقه (ثم توليتم) أي أعرضتم عن الوفاء بالميثاق (من بعد ذلك) من بعد أخذ ذلك الميثاق المؤكد ٦٤ (فلولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيقكم للتوبة أو بمحمد ﷺ حيث يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه ● (لكنتم من الخاسرين) أي المغبونين بالأنهماك في المعاصي والخطيئة في مهاوى الضلال عند الفترة وقيل ● لولا فضل تعالى عليكم بالإمهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الأنسب بما بعده وكلمة لولا إما بسيطة أو مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كأن لولا امتناعه لا امتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سببويه مبتدأ خبره محذوف وجوباً لدلالة الحال عليه وسداً للجواب

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٢٥﴾ ٢ البقرة

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٦﴾ ٢ البقرة

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ

أَكُونُ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٧﴾ ٢ البقرة

- مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف أى لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم (ولقد علمتم) أى عرفتم (الذين اعتدوا منكم في السبت) روى أنهم أمروا بأن يتمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه أناس منهم في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها أبلة فإذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت إلا برز وأخرج خرطومه فإذا مضى تفرقت فخفروا حياضاً وشرعوا إليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الأحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جنائياتكم ما فعلوا فلم نهلمهم ولم تؤخر عقوبتهم بل جعلناها (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أى جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على أن خاسئين نعت لقردة وقيل خال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لأنه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فثلثوا بالقردة كما مثلوا بالجمار في قوله تعالى كمثل الجمار يحمل أسفار أو المراد بالامر بيان سرعة التسكين وأنهم صاروا كذلك كما أراده عز وجل وقرى قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسلين بغير همز (فجعلناها) أى المسخة والعقوبة (نكالاً) عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد (لما بين يديها وما خلفها) لما قبلها وما بعدها من الأمم إذ ذكرت حالهم في زبر الأولين واشتهرت قصصهم في الآخرين أو لمعاصريهم ومن بعدهم أو لما يحضرتها من القرى وما تباعد عنها أو لأهل تلك القرية وما حوالها أو لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) من قومهم أو لكل متق سمعها (وإذ قال موسى لقومه) توبيخ آخر لا خلاف بنى إسرائيل بتذكير بعض جنائيات صدرت عن أسلافهم أى واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لأجدادكم (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وسببه أنه كان في بنى إسرائيل شيخ موسى فقتله بنو عمه طمعاً في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بدينه فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيخبرهم بقاتله (قالوا) استئناف وقع جواباً عما ينساق إليه الكلام كأنه قيل فإذا صنعوا هل سارعوا إلى الامتنال أو لا فقيل قالوا (أتتخذنا هزواً) بضم الزاء وقلب الهمزة واو وقرىء بالهمزة مع الضم والسكون أى أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو مهزؤاً بنا أو الهزؤ نفسه استبعاداً لما قاله واستخفافاً به (قال) استئناف كما سبق (أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) لأن الهزؤ في أثناء تبليغ أمر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام

قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ
فَاعْمَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴿٦٨﴾ ٢ البقرة

قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ
النَّظِيرَ ﴿٦٩﴾ ٢ البقرة

- ما توهّموه من قبله على أبلغ وجه وآكده بإخراجه مخرج مالا مكروه وراه بالاستعانة منه استفظاعا له واستعظاما لما أقدموا عليه من العظيمة التي شافوه عليه السلام بها (قالوا) استئناف كما مر كأنه قيل فإذا ٦٨ قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال وقالوا (ادع لنا) أى لأجلنا (ربك يبين لنا ما هي) ما مبتدأ ● وهى خبره والجملة فى حيز النصب يبين أى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفها لما قرع أسماعهم ما لم يعمدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فإن ما وإن شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما فى ما الشارحة والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طيب أو عالم وقيل كان حقه أن يستفهم بأى لكنهم لما رأوا ما مروا به على حالة مغيرة لما عليه الجنس أخرجه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله (قال) أى موسى عليه السلام بعد مادعاه به عز وجل بالبيان وأتاه ● الوحى (إنه) تعالى (يقول إنها) أى البقرة المأمور بذبحها (بقرة لا فارض ولا بكر) أى لا مسنة ولا فتيه يقال فرضت البقرة فروضا أى أسدت من الفرض بمعنى القطع كأنها قطعت سننها وثملت آخرها وتركيب البكر للأولية ومنه البكرة والباكورة (عوان) أى نصف لا قحم ولا ضرع قال [طوال مثل أعناق الهوادى * نواعم بين أبكار وعون] (بين ذلك) إشارة إلى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك ● أضيف إليه بين لاختصاصه بالإضافة إلى المتعدد (فافعلوا) أمر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المأمور به (ما تومرون) أى ما تومرونه بمعنى تومرون به كما فى قوله [أمرت أن أخرج من آل فرعون] (ما تومرون) ما تومرون به [فإن حذف الجار قد شاع فى هذا الفعل حتى لحق بالأفعال المتعدية إلى مفعولين وهذا الأمر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى (قالوا) استئناف كما مر كأنه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافى والأمر المكرر فقيل قالوا (ادع ٦٩ لنا ربك يبين لنا ما لونها) حتى يتبين لنا البقرة المأمور بها (قال) أى موسى عليه السلام بعد المناجاة إلى الله تعالى ومجىء البيان (إنه) تعالى (يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها) إسناد البيان فى كل مرة إلى الله عز وجل لإظهار كمال المساعدة فى إجابة مسئولهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع لنصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال أصفر فاقع كما يقال أسود حالك وأحمر قاني وفى إسناده إلى اللون مع كونه من أحوال الملون للملازمة به مالا يخفى من فضل تأكيد كأنه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها كما فى جد جده وعن الحسن رضى الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى

قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَّهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ٢ البقرة
 قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ
 بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ٢ البقرة

- جملة صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفير لما أنها من مقدماته وإما لأن سواد الإبل يعلوه صفرة
 ● وبأباه وصفها بقوله تعالى (تسر الناظرين) كما ياباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة في القلب عند حصول
 ٧٠ نفع أو توقعه من السر عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه (قالوا) استئناف كمنظاره
 ● (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) زيادة استكشاف عن حالها كأنهم سألو إيان حقيقة بحيث تمتاز عن جميع
 ما عداها مما تشاركها في الأوصاف المذكورة والأحوال المشروحة في أثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم
 ● (إن البقر تشابه علينا) يعنون أن الأوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها إلى
 تشخيص ما هو المأمور بها ولذلك لم يقولوا إن البقرة تشابهت لإيذان بأن النعوت المعدودة ليست بمشخصة
 للأمر بها بل صادقة على سائر أفراد الجنس وقرىء إن الباقر وهو اسم لجماعة البقر والباقر والبواقر
 ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والإدغام على التذكير والتأنيث وتشابهت مخففاً ومشدداً وتشبه
 بمعنى تشبه وتشبه بالتذكير ومتشابهة ومتشابهة ومتشبهة وفيه دلالة على أنهم ميزوها عن بعض
 ما عداها في الجملة وإنما بنى اشتباهه بشرف الزوال كما بنى عنه قولهم (ولنا إن شاء الله لمهتدون) مؤكداً
 ● بوجوه من التوكيد أي لمهتدون بما سألنا من البيان إلى المأمور بذبحها وفي الحديث لولم يستثنوا لما بينت
 ٧١ لهم آخر الأبد (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث) أي لم تذلل للكراب
 وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لنا كيد الأولى والفعلان صفتا ذلول كأنه
 قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرىء لا ذلول بالفتح أي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان
 ● أي حيث هو وقرىء تسقي من أسقى (مسلمة) أي سلمها الله تعالى من العيوب أو أهلها من العمل أو
 ● خلص لها لونها من سلم له كذا إذا خلص له ويؤيده قوله تعالى (لا شية فيها) أي لا لون فيها يخالف
 لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشياً وشية إذا خلط بلونه لوناً آخر
 ● (قالوا) عند ما سمعوا هذه النعوت (الآن جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن
 جميع ما عداها ولم يبق لنا في شأنها اشتباه أصلاً بخلاف المرتين الأوليين فإن ما جئت به فيهما لم يكن في
 التعمين بهذه المرتبة ولعلمهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الأوصاف
 المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الأخيرة وإلا فمن أين عرفوا اختصاص
 النعوت الأخيرة بها دون غيرها وقرىء الآن بالمد على الاستفهام والآن بحذف الهمزة وإلقاء حركتها
 ● على اللام (فذبحوها) الفاء فصيحة كما في فانفجرت أي فحصلوا البقرة فذبحوها (وما كادوا يفعلون) كاد

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمُ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ البقرة

من أفعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا أى فذبحوها والحال أنهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه أو اعتراض تذييل ومآله استثقال استعصائهم واستبطاء لهم وأنهم لفرط تطولهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهى خيط إسهابهم فيها . قيل مضى من أول الأمر إلى الامتثال أربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها . روى أنه كان في بنى إسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم إني استودعتكها لا بنى حتى يكبر وكان برأ بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من أحسن البقر وأسمنها فساوموها اليتم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهباً لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم أنه لا خلاف في أن مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مهمة وأن الامتثال في آخر الأمر إنما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ماخرجوا عن عهدة الأمر لكن اختلف في أن المراد للمأمور به أثر ذى أثر هل هي المعينة وقد أخرج البيان عن وقت الخطاب أو المهمة ثم لحقها التغير إلى المعينة بسبب تناقلهم في الامتثال وتماذيرهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم إلى الأول تمسكاً بأن الضمائر في الأجوبة أغنى إنما بقرة إلى آخره للمعينة قطعاً ومن قضيته أن يكون في السؤال أيضاً كذلك ولا ريب في أن السؤال إنما هو عن البقرة للمأمور بذبحها فتكون هي المعينة وهو مدفوع بأنهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيجاء ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت الضمائر إلى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديداً عليهم وإن لم يكن المراد من أول الأمر هي المعينة والحق أنها كانت في أول الأمر مهمة بحيث لو ذبحوا أية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الأمر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال عليه السلام لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتمهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ثم رجع الحكم الأول منسوخاً بالثاني والثاني بالثالث تشديداً عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله إلى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئاً فشيئاً كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنائيات بل من قبيل العبادة فإن الامتثال بالأمر بدون الوقوف على المأمور به عما لا يكاد يقضى فتكون سؤالانهم من باب الاهتمام بالامتثال (وإذ قتلتم نفساً) منصوب بمضمر كآمرت ٧٢ نظائره والخطاب للمعاصرين لرسول الله عليه السلام وإسناد القتل والتدارف إليهم لما مر من نسبة جنائيات الأسلاف إلى الأخلاف توبيخاً وتقريعاً وتخصيصهما بالإسناد دون مآمر من هتاتهم لظهور قبح القتل وإسناده إلى الغير أى اذكروا وقت قتلكم نفساً محرمة (فادارأتم فيها) أى تخاصمتم في شأنها إذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر أو تدافعهم بأن طرح كل واحد قتلها إلى آخر وأصله تدارأتم فادغمت الزناء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل (والله يخرج ما كنتم تكتمون) أى مظهر لما تكتمونه لا بحالة والجمع ●

فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ أَلْمَوْنِ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ البقرة

- ٧٣ بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وإنما أعمل مخرج لأنه حكاية حال ماضية (فقلنا اضربوه) عطف على فادار أنتم وما بينهما اعتراض والالتفات لثنية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار أنها عبارة عن الرجل أو بتأويل الشخص أو القتل (يبعضها) أى ببعض البقرة أى بعض كان وقيل بأصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بأذننها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذى يلى الغضروف وهذا أول القصة كما ينبي عنه الضمير الراجع إلى البقرة كأنه قيل وإذ قتلتم نفساً فادار أنتم فيها فقلنا اذهبوا بقره فاضربوه ببعضها وإنما غير الترتيب عند الحكاية لتسكير التوبيخ وتثنية التقرير فإن كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله ﷺ والافتيات على أمره وترك المسارعة إلى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بأن تنعى عليهم بحياها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل منها بما يخص بها من التوبيخ وإنما حكى الأمر بالذبح عن موسى عليه السلام مع أنه من الله عز وجل كالأمر بالضرب لما أن جناياتهم كانت بمراجعتهم إليه عليه السلام والافتيات على رأيه (كذلك يخبي الله الموتى) على إرادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى فضر به فخي وقلنا كذلك يخبي الخ فحذفت الغاء الفصيحة فى فخي مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب فى كذلك حينئذ للحاضرين عند حياة القليل ويجوز أن يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة حينئذ إلى تقدير القول بل تنتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة أى مثل ذلك الإحياء العجيب يخبي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) ودلائله الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير ويجوز أن يراد بالآيات هذا الإحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت وإخباره بقاتله وما يلاسه من الأمور الخارقة للعادة (لعلكم تعقلون) أى لئلى تكمل عقولكم وتعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على إحياء الأنفس كلها أو تعلموا على قضية عقولكم ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الإحياء مع ظهور كمال قدرته على إحيائه ابتداء بلا واسطة أصلاً اشتماله على التقرب إلى الله تعالى وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الأولاد ونفع بر الوالدين وأن من حق الطالب أن يقدم قربة ومن حق المتقرب أن يتحرى الأحسن ويغالى بشمنه كما يروى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وأن المؤثر هو الله تعالى وإنما الأسباب أمارات لا تأثير لها وأن من رام أن يعرف أعدى عدوه الساعى فى إمامته الموت الحقيقى فطريقه أن يذبح بقره نفسه التى هى قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة راققة المنظر غير مدللة فى طلب الدنيا مسلبة عن دنسها لاسمة بها من قبائحها بحيث يتصل أثره إلى نفسه فيحيا بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال (ثم قسمت قلوبكم) الخطاب للمعاصرى النبى ﷺ والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما فى الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ٢ البقرة

- بالعظاات والقوارع التي تميم منها الجبال وتلين بها الصخور وإيراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع أن
قلوبهم لم تزل قاسية لما أن المراد بيان بلوغهم إلى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة وإمالان
الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه أمر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة
بعد مشاهدة ما يزيد عليها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (من بعد ذلك) إشارة إلى ما ذكر
من إحياء القتل أو إلى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجيهها نحو الحق أى من بعد
سماع ذلك وما فيه من معنى البعد الإيذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد
المخاطبين إما بتأويل الفريق أولان المراد مجرد الخطاب لائعين المخاطب كما هو المشهور (فهي كالحجارة)
في القساوة (أو أشد) منها (قسوة) أى هي في القسوة مثل الحجارة أوزائدة عليها فيها أو أنها مثلها
أو مثل ما هو أشد منها قسوة كالخديد لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويعضده القراءة بالجر
عطفًا على الحجارة وإيراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء
إما لتفريع مشابعتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك أحر خده
فهو كالورد وإما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وإنما لم يقل أو أفسى منها لما في التصريح
بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتغال المفضل على زيادة أو
للتخيير أو لترديد بمعنى أن من عرف حالها شبهها بالحجارة أو بما هو أفسى أو من عرفها شبهها بالحجارة
أو قال هي أفسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للأمن من الالتباس (وإن من الحجارة لما يتفجر
منه الأنهار) بيان لأشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثير واستحالة صدور الخير منها يعنى
أن الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة (وإن منها لما يشقق) أى يشقق
(فيخرج منه الماء) أى العيون (وإن منها لما يهبط من خشية الله) أى يتردى من الأعلى إلى الأسفل
بقضية ما أودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعى إلى المركز وهو مجاز من الانقياد لأمره تعالى
والمعنى أن الحجارة ليس منها فرد إلا وهو منقاد لأمره عز وعلا آت بما خلق له من غير استعصاء
وقلوبهم ليست كذلك فتكون أشد منها قسوة لاحتالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم إن
لتقدم الخبر وقرئ إن على أنها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم (وما الله بغافل عما
تعملون) عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف أو مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه
من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الأعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات . وقوله تعالى

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعلَمُونَ ﴿٧٥﴾ البقرة

- ٧٥ (أفطمعون) تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود أثر ما عدت هئاتهم ونعيت عليهم جناياتهم إلى النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين والهمزة لإنكار الواقع واستبعاده كما في قولك أتضرب أباك لا لإنكار الوقوع كما في قوله أضرِبْ أبي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الإنكار إلى المعطوفين معاً كما في أفلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفياً أي ألا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الأمرين بل إلى ترتيب الثاني على الأول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه كما إذا قدر الأول مثبتاً أي أنتظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتيب الثاني على الأول مع وجوب أن يترتب عليه نقيضه أي أسمعون أخبارهم وتعلمون أحوالهم فطمعون ومآل المعنى أبعد أن علمتم تفاصيل شئونهم المؤيسة
- عنهم قطعهم (أن يؤمنوا) فإنهم متباثلون في شدة الشكيمة والأخلاق الذميمة لا يتأتى من أخلاقهم إلا مثل ما أتى من أسلافهم وأن مصدرية حذف عنها الجار والأصل في أن يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب أو الجر على الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط أي في إيمانهم مستجيبين لكم أو للتعليل أي في أن يحدثوا الإيمان لأجل دعوتكم
 - وصلة الإيمان محذوفة لظهور أن المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية بإذن الله تعالى (وقد كان فريق منهم) الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرھط والقوم والجار والمجرور في محل الرفع أي
 - فريق كائن منهم وقوله تعالى (يسمعون كلام الله) خبر كان وقرئ كلام الله والجملة حالية مؤكدة للإنكار حاسمة لمادة الطمع . مثل أحوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله تعالى أفنتخذونه وذريته أولياء من دوني أي والحال أن طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم قوم من السبعين المختارين للبيقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما أمر به ونهى عنه (ثم يحرفونه) عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الإحاطة بتفاصيله على
 - ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسباً يقتضيه مقام الكبرياء بل (من بعد ما عقلوه) أي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة أصلاً فلما رجعوا إلى قومهم أداه الصادقون إليهم كما سمعوا وهو لا قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا فلا بأس فثم للتراخي زماناً أو رتبة وقال القفال سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه فأولوه تأويلاً فاسداً وقيل هم رؤساء أسلافهم الذين تولوا تحريف التوراة بعد ما أحاطوا بما فيها علماً وقيل هم الذين غيروا نعت النبي ﷺ في عصره وبدلوا آية الرجم وبأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف إلا أن يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده عليه الصلاة والسلام هذا الأول هو الأنسب بالسماع والكلام إذ

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنُوا وَإِذَا خَلَا بِعَضُفُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ البقرة

- التوراة وإن كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب أشهر وأثر التحريف فيه أظهر . ووصف اليهود بتلاوتها أكثر . لا سيما رؤساؤهم المباشرون للتحريف فإن وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الأنسب حينئذ أن يقال يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى أفطمعون في أن يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبيوا لكم والحال أن أسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقيناً ولا يستجيبيون له هيئات ومن ههنا ظهر ما في إشار لكم على بالله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل (وهم يعلمون) جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بأن تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما علموه أو على الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين مستحضرين له أو هم يعلمون أنهم كاذبون ومفترون (وإذا لقوا) جملة مستأنفة سيقت إثر بيان ما صدر عن أشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة عن إيمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم أو معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما استقف على سره لا للمناقضين خاصة كما قيل تحرياً لاتحاد الفاعل في فعل الشرط والجزاء حقيقة (الذين آمنوا) من أصحاب النبي ﷺ (قالوا) أي اللاقون لكن لا بطريق تصدى الكل للقول حقيقة بل بمباشرة مناقضهم وسكوت الباقيين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا أدخل في تقييح حال الساكتين أولاً العاتبين ثانياً لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف أحوالهم وتناقض آرائهم من إسناد القول إلى المباشرين خاصة بتقدير المضاف أي قال مناقضهم (آمنوا) لم يقتضوا على ذلك بل علموه بأنهم وجدوا نعت النبي ﷺ في التوراة وعلموا أنه النبي المبشر به وإنما لم يصرح به تعويلاً على شهادة التوبيخ الآتي (وإذا خلا بعضهم) أي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم أي إذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين (إلى بعض) آخر منهم وهم مناقضهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما أشير إليه آنفاً إذ الخلو إنما يكون بعد الاشتغال ولأن عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا أنهم حاضرون عند المقابلة لوجب أن يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولأن فيه زيادة تشنيع لهم على ما أتوا من السكوت ثم العتاب (قالوا) أي الساكتون موبخين لمناقضهم على ما صنعوا (أتحدثونهم) يعنون المؤمنين (بما فتح الله عليكم) ماموصولة والعائد محذوف أي بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي ﷺ والتعبير عنه بالفتح للإيذان بأنه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه أحد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المناقضين لأعقابهم إراءة للتصلب في دينهم كما ذهب إليه عصابة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل (ليحاجوكم به) متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ فإن التحديث بذلك وإن كان منكراً في نفسه لكن التحديث به لأجل هذا الغرض

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ٢ البقرة

بما لا يكاد يصدر عن العاقل أى أتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيكثروكم والمحدثون به وإن لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلمهم ذلك لما كان مستتباً له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور لإظهار الكمال

● سخافة عقولهم وركاكة آرائهم (عند ربكم) أى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا أى فى كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بأن الإخفاء لا يدفعه إذ هم عالمون بأنهم محجوجون يومئذ حدثوا به أولم يحدثوا والاعتذار بأن إلزام المؤمنين لإيائهم وتبكيتهم بأن يقولوا لهم ألم تحدثونا بما فى كتابكم فى الدنيا من حقبة ديننا وصدق نبينا أخش فيجوز أن يكون المحذور عندهم هذا الإلزام يارجاع الضمير فى به إلى التحذير دون المحدث به ولا ريب فى أنه مدفوع بالإخفاء لا تساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه بإذن الله عز وجل (أفلا تعقلون) من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى ألا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش أو شيئاً من الأشياء التى من جملتها هذا فالمسكر عدم التعقل ابتداء أو أفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون إلى التنبيه عليه فالمسكر حينئذ عدم التعقل بعد الفعل هذا وأما ما قيل من أنه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى أفنطمعوا ● والمعنى أفلا تعقلون حالهم وأن لا مطمع لكم فى إيمانهم فإياه قوله تعالى (أولا يعلمون) ٧٧ فإنه إلى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون إيراد خطاب المؤمنين فى أثنا من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على أن فى تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفى تميمه للنبي أيضاً ﷺ كما فى أفنطمعون من سوء الأدب ما لا يخفى والهمزة للإنكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق إليه الذهن والضمير للمؤمنين أى أيلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون (أن الله يعلم ما يسرون) أى يسرونه فيما بينهم من المؤمنين أو ما يضررونه فى قلوبهم فيثبت الحكم

● فى ذلك بالطريق الأولى (وما يعلنون) أى يظهرونه للمؤمنين أولاً أصحابهم حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين ما أرادوا إخفاءه بواسطة الوحي إلى النبي ﷺ فتحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فأى فائدة فى اللوم والعتاب ومن ههنا تبين أن المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهى حاصلة فى الدارين حدثوا به أم لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالإخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط أولهم وللمؤمنين أو لا بأثمهم المحرفين أى يفعلون ما يفعلون ولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته أسرارهم الكفر وإظهارهم الإيمان وإخفاء ما فتح الله عليهم وإظهار غيره وكنتم أمر الله وإظهار ما أظهره اقتراء وإنما قدم الأسرار على الإعلان للإيذان بافتضاخهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة فى بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفى

وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ البقرة

- هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الإخفاء على الإبداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فإن الأصل في تعلق المحاسبة به هو الأمور البادية دون الخافية ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمرة في القلب يتعلق به الإسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية (ومنه أميون) وقرئ بتخفيف الياء جمع أمي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة ٧٨ واختلف في نسبته ف قيل إلى الأم بمعنى أنه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فإنهما ليستا من شئون النساء بل من خلال الرجال أو بمعنى أنه على الحالة التي ولدته أمه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل إلى الأمة بمعنى أنه باق على سذاجتها حال عن معرفة الأشياء كقولهم عامي أي على عادة العامة روى عن عكرمة والضحاك أن المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من أهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا أميين وعن علي رضي الله تعالى عنه هم المجوس والحق الذي لا يحيد عنه أنهم جملة اليهود . والجملة مستأنفة مسبوقة لبيان قبائحهم إثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة الحالية فإن مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وإن لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن إيمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فإن الجهل بالكتاب في منافاة الإيمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الأولين أو النفاق والنهي عن إظهار ما في التوراة كما وقع من الفرقتين الآخرين أي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة (لا يعلمون الكتاب) أي لا يعرفون التوراة ليطلعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة
- ياباه سباق النظم الكريم وسياقه (إلا أمانى) بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع أمنية أصلها أمنية أفعولة من منى بمعنى قدر أو بمعنى تلا كتمنى في قوله [تمنى كتاب الله أول ليلة] فأعلت إعلال سيد وميت ومعناها على الأول ما يقدره الإنسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلووه على التقديرين فالاستثناء منقطع إذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أمانى حسبما منهم أحبارهم من أن الله سبحانه يعفو عنهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وغير ذلك من أمانيتهم الفارغة المستندة إلى الكتاب على زعم رؤسائهم أو لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير أن يتمكنوا من التدبر فيه وأما حمل الأمانى على الأكاذيب المختلفة على الإطلاق من غير أن يكون لها ملازمة بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم (وإن هم إلا يظنون) مامم إلا
 - قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى رتبة العلم فأنى يرجى منهم الإيمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحال الأمانى واتباع الظن عقب بيان حال الذين أو قعومهم في تلك الورطة وبكشف كيفية إضلالهم وتعيين مرجع الكل بالآخر ف قيل على وجه الدعاء

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ البقرة

- ٧٩ عليهم (فويل) هو وأمثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من المصادر المنصوبة بأفعال من غير لفظها لا يجوز إظهارها البتة فإن أضيف نصب نحو ويك وويحك وإذا فصل عن الإضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله الخليل وقال الأصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيدييه ويل لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن أشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المأني أو يئنه ويئنها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضى الله عنهما الويل العذاب الأليم وعن سفيان الثوري أنه صديداً أهل جهنم وروى أبو سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يباغقره وقال سعيد بن المسيب أنه واد في جهنم لوسيرت فيه جبال الدنيا لما عت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيع ودم وقيل صهر يج في جهنم وحكى الزهراوى أنه باب من أبواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا (الذين يكتبون الكتاب) أى المحرف أو ما كتبوه من التأويلات الزائفة
- (بأيديهم) تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبت يميني (ثم يقولون هذا) أى جميعاً على الأول
 - وبخصوصه على الثانى (من عند الله) روى أن أحبار اليهود خافوا ذهاب ما كلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي ﷺ المدينة فاحتالوا في تعويق أسافل اليهود عن الإيمان فعمدوا إلى صفة النبي ﷺ في التوراة وكانت هي فيها حسن الوجه حسن الشعر أكل العينين ربة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرعوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالف لصفته عليه السلام فيكذبونه
 - وثم للتراخي الرتبة فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحاً أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل (ليشتروا به) أى يأخذوا لأنفسهم بمقابلته (ثمناً) هو ما أخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وإنما عبر عن المشتري الذى هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه لإيداناً بتمكيسهم حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصوداً بالذات
 - (قليلاً) لا يعاب به فإن ذلك وإن جل في نفسه فهو أقل قليلاً عندما استوجبوا به من العذاب الخالد
 - (فويل لهم) تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح بتعليله بما قدمت أيديهم بعد الإشعار به فيما سلف بإيراد
 - بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء الإيدان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل (مما كتبت أيديهم) تعليلية متعلقة بويل أو بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف أى كتبت أو مصدرية والأول أدخل في الزجر عن تعاطى المحرف والثانى في الزجر عن التحريف (وويل لهم مما يكسبون) الكلام فيه كالذى فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد والقصد إلى التعليل بكل من الجانبين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما أنه من مبادئ ترويح ما كتبت أيديهم فهو

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ البقرة

بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ ٢ البقرة

- داخل في التعليل به (وقالوا) بيان لبعض آخر من جنائياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الأكاذيب ٨٠ التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب (لن تمسنا النار) في الآخرة (إلا أياماً معدودة) قليلة محصورة ● عدد أيام عبادتهم العجل أربعين يوماً مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكي الانصمعي عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم العجل سبعة وروى عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما عذب بكل ألف سنة يوماً واحداً وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهود زعمت أنهم وجدوا في التوراة أن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وأنهم يقطعون في كل مسيرة سنة فيكملونها (قل) تبكيئاً لهم وتوبيخاً (أتخذتم) بإسقاط الهمزة ● المجتلبة لوقوعها في الدرج وإظهار الذال وقرىء بإدغامها في التاء (عند الله عهداً) خبر أو وعداً بما ترعمون ● فإن ما تدعون لا يكرن إلا بناء على وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد (فلن يخلف الله عهده) الفاء فصيحة ● معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال | قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراساناً أي إن كان الأمر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلّة الحكم فإن عدم الإخلاف من قضية الألوهية وإظهار العهد مضافاً إلى ضميره عز وجل لما ذكر أو لأن المراد به جميع عهوده لعمومه بالإضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا أولاً وفيه تحجاف عن التصريح بتحقيق مضمون كلامهم وإن كان معلقاً بما لم يكذب يشم رائحة الوجود قطعاً أعنى اتخاذ العهد (أم تقولون) مفترين ● (على الله ما لا تعلمون) وقوعه وإنما علق التوبيخ بإسنادهم إليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع أن ما أسندوه إليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للبالغة في التوبيخ والنكير فإن التوبيخ على الأدنى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى وقولهم المحكي وإن لم يكن تصريحاً بالاقتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لأن ذلك الجزم لا يكون إلا بإسناد سببه إليه تعالى وأم إما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدى إلى التبيكيت لتحقيق العلم بالشق الأخير كأنه قيل أم لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى وأما منقطعة والاستفهام لإنكار اتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهد إلى ما تفيد همزتها من التوبيخ على القول على الله سبحانه كما في قوله عز وجل قل الله أذن لكم أم على الله تفترون (بلى) إلى آخره جواب عن قولهم المحكي وإبطال له من ٨١ جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلاً في ضمن تشریع کلی شامل لهم ولسائر الكفرة بعد إظهار كذبهم إجمالاً وتفويض ذلك إلى النبي ﷺ لما أن الحاجة والإلزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الإشعار

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ ٢ البقرة
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ٢ البقرة

- بأنه أمر هين لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف لإيجاب مختص بجواب النفي خبراً واستفهاماً (من كسب
- سيئة) فاحشة من السيئات أى كبيرة من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع
- وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب أليم (وأحاطت به) من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب
- من قلبه ولسانه وجوارحه إلا وقد اشتملت واستولت عليه (خطيئته) التى كسبها وصارت خاصة من
- خواصه كما تنبى عنه الإضافة إليه وهذا إنما يتحقق فى الكافر ولذلك فسرهما السلف بالكفر حسبما
- أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهم وابن جرير عن أبى وائل ومجاهد وقتادة
- وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما أن الأولى
- قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ وقرىء خطيئته
- وخطيئته على القلب والإدغام فيهما وخطيئته وخطاياها وفى ذلك إيذان بكثرة فنون كفرهم (فأولئك)
- مبتدأ (أصحاب النار) خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وإيراد اسم الإشارة المنبى
- عن استحضار المشار إليه بماله من الأوصاف للإشعار بعليتها لصاحبة النار وما فيه من معنى البعد
- للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والخطايا وإنما أشير إليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى فى كلفة
- من بعد مراعاة جانب اللفظ فى الضمائر الثلاثة لما أن ذلك هو المناسب لما أسند إليهم فى تينك الحاليتين
- فإن كسب السيئة وأحاطت خطيئته به فى حالة الانفراد وصاحبة النار فى حالة الاجتماع أى أولئك
- الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات وإحاطة خطاياهم بهم أصحاب النار أى ملازموها فى الآخرة
- حسب ملازمهم فى الدنيا لما يستوجبها من الأسباب التى من جملتها ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى
- وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وإنما لم يخص الجواب بحالهم بأن يقال مثلاً بلى أنهم أصحاب
- النار الخ لما فى التعميم من التحويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الإشعار بالتعليل (هم
- فيها خالدون) دائماً أبداً فأنى لهم التفتى عنها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا فلا حجة فى الآية الكريمة
- على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة إلى حمل الخلود على اللبث الطويل
- على أن فيه تهوين الخطب فى مقام التحويل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها
- خالدون) جرت السنة الإلهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة فى إرشاد العباد من
- ٨٢ الترغيب تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والإنذار أخرى (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل) شروع
- ٨٣

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ البقرة

- في تعداد بعض آخر من قبائح أسلاف اليهود مما ينادى بعدم إيمان أخلافهم وكلمة إذ نصب يا ضمير فعل خوطب به النبي ﷺ والمؤمنون ليؤيدهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع عن إيمانهم أو اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخاً لهم بسوء صنيع أسلافهم أي اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم (لا تعبدون إلا الله) على إرادة القول أي وقلنا أو قائلين لا تعبدون إلخ وهو إخباري معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب إلى فلان وتقول كيت وكيت وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهى حقه أن يسارع إلى الانتهاء عما نهى عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره أن لا تعبدوا إلخ لحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله [ألا أي هذا الزاجري أحضر الوغى * وأن أشهد للذات هل أنت مخلدى] ويعضده قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون إلا الله وقرىء بالياء لأنهم غيب (وبالوالدين إحساناً) متعلق بمضمر أي وتحسنون أو أحسنوا (وذى القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه من الحرak وأثنى عنه عن القلب (وقولوا للناس حسناً) أي قولا حسناً سماه حسناً مبالغة وقرىء كذلك وحسناً بضمين وهى لغة أهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وإرشاد (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) هما ما فرض عليهم في شريعتهم (ثم توليتهم) إن جعل ناصب الظرف خطاباً للنبي ﷺ والمؤمنين فهذا التفات إلى خطاب بنى إسرائيل جميعاً بتغليب أخلافهم على أسلافهم لجرى ذكر كلهم حينئذ على نهج الغيبة فإن الخطابات السابقة لأسلافهم محكمة داخلية في حين القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جنائياتهم فنعيت هى عليهم وإن جعل خطاباً لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الأسلاف منزلة الأخلاف كما أنه تعميم للتولى بتنزيل الأخلاف منزلة الأسلاف للتشديد في التوبيخ أي أعرضتم عن المضى على مقتضى الميثاق ورفضتموه (إلا قليلا منكم) وهم من الأسلاف من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه (وأنتم معرضون) جملة تذييلية أي وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وأصل الإعراض الذهاب عن المواجهة والإقبال إلى جانب العرض (وإذ أخذنا ميثاقكم) منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من ٨٤ التغليب ونعى عليهم إخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهى لاثربيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراها على سبيل الأمر فإن المقصود الأصلي من النهى عن عبادة غير الله تعالى هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى أي واذكروا وقت أخذنا ميثاقكم

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيَّ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ٢ البقرة

- في التوراة وقوله تعالى (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) كما قبله لإخبار في معنى النهي غير السبك إليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني إسرائيل لبعض بالقتل والإجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء أنفسهم وإخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى أنفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسباً ودينياً للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير النهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير أنفسكم للمخاطبين حتماً إذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما أن ضمير دياركم للمخرجين قطعاً إذ المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث أنهم مخاطبون كما يفسح عنه ماسياً من قوله تعالى من ديارهم وإنما الخطاب همنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل أنفسهم منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع وأما ضمير دماءكم فمحمّل للوجوهين مفاد الأول كون المسفوك دماء ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقية للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان في إفادة المبالغة فتدبر وأما ما قيل من أن المعنى لا تبأشروا ما يؤدي إلى قتل أنفسكم قصاصاً أو ما يبيع سفك دماءكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يردبكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي فيما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه (ثم أقررتم) أي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه (وأنتم تشهدون) توكيد للإقرار كقولك أقر فلان شاهداً على نفسه وأنتم أيها الحاضرون تشهدون اليوم على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق (ثم أنتم هؤلاء) خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد قوي لما ارتكبه بعد ما كان من الميثاق والإقرار به والشهادة عليه فأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره ومناط الإفادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى أنتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما تعرب عنه الجمل الآتية فإن قوله عز وجل (تقتلون أنفسكم) الخ بيان له وتفصيل لأحوالهم المنكرة المندرجة تحت الإشارة ضمناً كأنهم قالوا كيف نحن فقتل أنفسكم أي الجارين مجرى أنفسكم كما أشير إليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير (وتخرجون فريقاً منكم) الضمير إما للمخاطبين والمضاف محذوف أي من أنفسكم وإما للمقتولين والخطاب باعتبار أنهم جعلوا أنفس المخاطبين وإلا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان الذي عليه بدور فلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كالقباحة

- جناباتهم في نقضه (من ديارهم) الضمير للفريق وإيثار الغيبة مع جواز الخطاب أيضاً بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد لإخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقبل هؤلاء موصول والجلتان في حين الصلة والمجموع هو الخبر لأنتم (تظاهرون عليهم) بخذف إحدى التامين وقرى. بإثباتهما وبالإدغام وتظرون بطرح إحدى التامين من تظرون ومعنى الكل تتعاونون وهي حال من فاعل تخرجون أو من مفعوله أو منهما جميعاً مبنية لكيفية الإخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق الأصاله والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة (بالإثم) متعلق بتظاهرون حال من فاعله أى ملتبسين بالإثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم
- وقيل هو ما ينفر عنه النفس ولا يطمئن إليه القلب (والعدوان) وهو التجاوز في الظلم (وإن يأتوكم أسارى) جمع أسير وهو من يؤخذ قهراً فاعيل بمعنى مفعول من الأسرى الشد أو جمع أسرى وهو جمع أسير كجرحى وجريح وقد قرىء أسرى ومحله النصب على الحالية (تفادوهم) أى تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفداء وقرىء تفدوهم قال السدى إن الله تعالى أخذ على بنى إسرائيل في التوراة الميثاق أن لا يقتل بعضهم بعضاً ولا يخرج بعضهم بعضاً من ديارهم وأياماً عبد أو أمة وجدتموه من بنى إسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشئان فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فإذا غلبوا خبروا ديارهم وأخرجوهم منها ثم تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نقتلهم وجمعوا له مالا فيفدونه فغيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون أمرنا أن نقتلهم وحرم عليناقتالهم ولكن نستحي أن نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة (وهو محرم عليكم لإخراجهم) هو ضمير الشأن وقع مبتدأ ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبراً من إخراجهم والجملة خبر لضمير الشأن وقبل محرم خبر لضمير الشأن وإخراجهم مرفوع على أنه مفعول مالم يسم فاعله وقيل الضمير بهم يفسره إخراجهم أو راجع إلى ما يدل عليه تخرجون من المصدر وإخراجهم تأكيد أو بيان والجملة حال من الضمير في تخرجون أو من فريقاً أو منهما كما مر بعد اعتبار القيد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالإخراج مع كونه قريباً للقتل عند أخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في أمره بسبب قلة خطره بالنسبة إلى القتل ولأن مساق الكلام لدمهم وتوينخهم على جناباتهم وتناقض أفعالهم معاً وذلك مختص بصورة الإخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشئ من دية أو قصاص هو السر في تخصيص التظاهرة فيما سبق وأما تأخيرها من الشرطية المعترضة مع أن حقه التقديم كذا ذكره الواحدى فلأن نظم أفعالهم المتناقضة في سبط واحد من الذكر أدخل في إظهار بطلانها (أفتؤمنون ببعض الكتاب) أى التوراة التى أخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للإنكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام أى أتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة (وتكفرون ببعض) وهو حرمة القتال والإخراج مع أن من قضية الإيمان ببعضه الإيمان بالباقي لكون الكل من عند الله تعالى داخل في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم ببعض مع إيمانهم ببعض حسبما يفيد ترتيب النظم الكريم فإن التقديم يستدعى في المقام الخطابى أصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتماً وإذ ليس ذلك ههنا باعتبار الإنكار والتوبيخ عليه وهو باعتبار الوقوع قطعاً

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ٢ البقرة
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
 الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ اسْتَكَبَرُوا فَعَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ٢ البقرة

- لا إيمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل أفتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض
 ولا مجرد كفرهم بالبعض وإيمانهم بالبعض كما يفيد أن يقال أفتجمعون بين الإيمان ببعض الكتاب
 والكفر ببعض أو بالعكس (فأجزاء من يفعل ذلك) مانافية ومن إن جعلت موصولة فلا محل ليفعل من
 الإعراب وإن جعلت موصوفة فحله الجر على أنه صفها وذلك إشارة إلى الكفر ببعض الكتاب مع الإيمان
 ببعض أو إلى ما فعلوا من القتل والإجلاء مع مفاداة الأسارى (منكم) حال من فاعل يفعل (إلا خزي)
 استثناء مفرغ وقع خبراً للبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة
 وإجلاء بنى النضير إلى أذرعات وأريحا من الشام وقيل الجزية (في الحياة الدنيا) في حيز الرفع على أنه
 صفة خزي أى خزي كان في الحياة الدنيا أو في حيز النصب على أنه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم
 بطريق القصر على ما ذكر لقطع أطعامهم الفارغة من ثمرات إيمانهم ببعض الكتاب وإظهار أنه لا أثر
 له أصلاً مع الكفر ببعض (ويوم القيامة يردون) وقرئ بالتاء أوثر صيغة الجمع نظر إلى معنى من بعد
 ما أوثر الأفراد نظراً إلى لفظها لما أن الرد إنما يكون بالاجتماع (إلى أشد العذاب) لما أن معصيتهم أشد
 المعاصي وقيل أشد العذاب بالنسبة إلى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وإنما غير سبك النظم الكريم
 حيث لم يقل مثلاً وأشد العذاب يوم القيامة الإيذان بكمال التنافي بين جزاءى النشاطين وتقديم يوم القيامة
 على ذكر ما يقع فيه تهويل الخطب وتفطيع الحال من أول الأمر (وما الله بغافل عما تعملون) من
 ٨٦ القبايح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج ردون وهو تأكيد الوعيد (أو تلك) الموصوفون
 بما ذكر من الأوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (الذين اشتروا) أى آثروا (الحياة الدنيا)
 واستبدلوها (بالآخرة) وأعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فإن ما ذكر من الكفر ببعض أحكام
 الكتاب إنما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود إليهم منهم من بعض المنافع الدنية الدنيوية (فلا يخفف
 عنهم العذاب) دنيوياً كان أو آخروياً (ولا هم ينصرون) بدفعه عنهم شفاعة أو جبراً والجملة معطوفة
 على ما قبلها عطف الإسمية على الفعلية أو ينصرون مفسر لمحدوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية
 ٨٧ على مثلها (ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في بيان بعض آخر من جنائياتهم وتصديره بالجملة القسمية
 لإظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن التوراة لما نزلت
 جملة واحدة أمر الله تعالى موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث الله بكل حرف منها ملكاً فلم
 يطيقوا بحملها فخفضها الله تعالى لموسى عليه السلام لحملها (وقفينا من بعده بالرسول) يقال قفاه به إذا

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ البقرة

- أتبعه إياه أى أرسلناهم على أثره كقوله تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وهم يوشع وأشبويل وشمعون ودود وسليمان وشعيا وأرميا وعزير وحزقيلا وإلياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام (وآتيناه عيسى ابن مريم البينات) المعجزات الواضحات من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ● والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل وعيسى بالسريانية أي شوع ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة [قلت لزير لم تصله مريمه * ضليل أهواء الصبا تندمه | ووزنه مفعول إذ لم يثبت فعيل (وأيديناه) أى قويناه وقرىء وأيدناه (روح القدس) بضم الدال وقرىء ● بسكونها أى بالروح المقدسة وهى روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم الجود ورجل صدق وإنما وصفت بالقدس لكرامته أولاً لأنه عليه السلام لم تضمه الأضلاب ولا أرحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالإنجيل كما قيل فى القرآن روحاً من أمرنا وقيل باسم الله الأعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من إيتاء البينات والتأييد بروح القدس لما أن بعثهم كانت لتنفيذ أحكام التوراة وتقريرها وأما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من أحكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه عليه السلام ببيان حقيقته وإظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام (أفكلها جاءكم رسول) من أولئك الرسل (بما لا تهوى أنفسكم) من الحق الذى لا يحيد عنه ● أى لا تحبه من هوى كفرح إذا أحب والتعبير عنه بذلك للإيذان بأن مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لأهواء أنفسهم والموافقة لها لاشئ آخر وتوسيط الهمة بين الفاء وما تعلقت به من الأفعال السابقة لتوخيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شأنهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام أى ألم تطيعوهم فكلها جاءكم رسول منهم بما لا تهوى أنفسكم (استكبرتم) عن الاتباع ● والإيمان بما جاء به من عند الله تعالى (فريقاً) منهم (كذبتم) من غير أن تتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار والفاء للسببية أو للتعقيب (وفريقاً) آخر منهم (تقتلون) غير مكثفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقاً فى الموضوعين للاهتمام وتشويق السامع إلى ما فعلوا بهم إلا للقصر وإثارة صيغة الاستقبال فى القتل لاستحضار صورته الهائلة أو للإيماء إلى أنهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسمموا له الشاة حتى قال ﷺ مازالت أكلة خير تعاودنى فهذا أو أن قطعت أبهرى (وقالوا) بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات إلى الغيبة إشعاراً ٨٨ بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم وحكاية نظائرهما لكل من يفهم بطلانها وقبحاتها من أهل الحق والقائلون هم الموجودون فى عصر النبي عليه الصلاة والسلام (قلوبنا غلغ) جمع أغلف مستعار من الأغلف الذى لم يختن أى مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ماء به محمد ﷺ ولا تفقهه كقولهم قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روى عن أبى عمرو من القراءة بضممتين يعنون أن قلوبنا أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ٢ البقرة

- غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون أن قلوبنا لا يصل إليها حديث إلا وعته ولو كان في حديثك
● خير لوعته أيضاً (بل لعنهم الله بكفرهم) رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الأول بل أبعدهم
الله سبحانه عن رحمته بأن خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وإبطاهم لاستعدادهم بسوء
اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الألطاف أصلاً بعد أن خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول
الحق وعلى الثاني بل أبعدهم من رحمته فأنى لهم ادعاء العلم الذي هو أجل آثارها وعلى الثالث بل
أبعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدى إليها (فقليل ما يؤمنون) ما مزيدة للبالغنة أى
فإيماناً قليلاً يؤمنون وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل فرماناً قليلاً يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا
بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بإيمان حقيقة وقيل أريد بالقلّة
العدم والفناء لسببية اللعن لعدم الإيمان (ولما جاءهم كتاب) هو القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز
٨٩ وجل (من عند الله) أى كائن من عنده تعالى للتشريف (مصدق لما معهم) من التوراة عبر عنها بذلك
لما أن المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها المؤدى إلى العلم بكونه مصداقاً لها وقرئ مصداقاً
● على أنه حال من كتاب لتخصيصه بالوصف (وكانوا من قبل) أى من قبل مجيئه (يستفتحون على الذين
كفروا) أى وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان الذى نجد نعتة في التوراة ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
ولامرم وقال ابن عباس وقتادة والسدى نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج
برسول الله ﷺ قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتتحون عليهم ويعرفونهم بأن نبيا يبعث منهم قد قرب
أوانه والسين للبالغة كما في استعجب أى يسألون من أنفسهم الفتح عليهم أو يسأل بعضهم بعضاً أن يفتح
● عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا (فلما جاءهم) تنكير
● للأول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى (ما عرفوا) عبارة عما سلف من الكتاب لأن معرفة
من أنزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وإيراد الموصول دون الاكتفاء بالإضمار لبيان
كال مكابرتهم فإن معرفة ما جاءهم من مبادئ الإيمان به ودواعيه لا محالة والفناء للدلالة على تعقيب مجيئه
● للاستفتاح به من غير أن يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى (كفروا به) جواب لما الأول كما هو
رأى المبرد أو جوابهما معاً كما قاله أبو البقاء وقيل جواب الأولى محذوف للدلالة المذكور عليه فيكون
قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي ﷺ كما هو
المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون
● بمن أنزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذى عرفوه كفروا به (فلعنة الله على الكافرين) اللام للعهد

يُسْمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ البقرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ البقرة

- أى عليهم ووضع المظهر موضع المضمحل للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما أن الفاء الإيذان بترتيبها عليه أو للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا إذ الكلام فيهم وأيا ما كان فهو محقق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم (بئسما اشتروا به أنفسهم) ما نكرة بمعنى شئ منصوبة مفسرة لفاعل ٩٠ بئس واشتروا صفته أى بئس شيئا باعوا به أنفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون أنهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه أنه لا بد أن يكون المذموم ما كان حاصلًا لهم لا ما كان زائلا عنهم والخصوص بالذم قوله تعالى (أن يكفروا بما أنزل الله) أى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقة وتبديل الإنزال بالمجيء للإيذان بعلو شأنه الموجب للإيمان به (بغيا) حسداً وطلباً لما ليس لهم وهو علة لأن يكفروا حتما دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو أجنبي بالنسبة إليه وإن لم يكن أجنبيا بالنسبة إلى فعل الذم وفاعله ولأن البغى مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعاً لاسيما وهو معلل بما سيأتى من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاؤه وإنما الذى بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما أنزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به أنفسهم كفرهم المعلن بالبغى الكائن لأجل (أن ينزل الله من فضله) الذى هو الوحي (على من يشاء) أى يشاؤه ويصطفيه (من عباده) المستأهلين لتحمل أعباء الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وإيثار صيغة التفعيل هنا للإيذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الإنزال وتكثره حسب تكثره (فباؤا بغضب على غضب) أى رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فإنهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم (وللكافرين) أى لهم والإظهار في موقع الإضمار للإشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم (عذاب مهين) يراد به إهانته وإذلالهم لما أن كفرهم بما أنزل الله تعالى كان مبنياً على الحسد المبني على طمع المنزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن أنزل عليه عليه السلام (وإذا قيل) من جانب المؤمنين (لهم) أى لليهود ٩١ وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لاسيما في لام التبليغ (آمنا بما أنزل الله) من الكتب الإلهية جميعاً والمراد به الأمر بالإيمان بالقرآن لكن سلك مسلك التعميم إيذاناً بتحتمل الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في المضمون وتنبه على أن الإيمان بما عداه من غير إيمان به ليس بإيمان بما أنزل الله (قالوا تؤمن) أى نستمر على الإيمان (بما أنزل علينا) يعنون به التوراة وما نزل على

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ البقرة

أنبياء بنى إسرائيل لتقرير حكمها ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم إما أنفسهم فعنى الإنزال عليهم تكليفهم بما فى المنزل من الأحكام وإما أنبياء بنى إسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على مزية الإيدان بأن عدم إيمانهم بالفرقان لما مر من بغيتهم وحسدكم على نزوله على من ليس منهم ولأن مرادهم بالموصول وإن كان هو التوراة وما فى حكمها خاصة لكن إيرادها بعنوان الإنزال عليهم مبنى على ادعاء أن ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما أشير إليه فلو أريد بالإنزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما أنزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل (ويكفرون بما وراه) عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلاً على واحد من بنى إسرائيل على الوجه الأخير وتجربد الموصول عند الإضمار عما عرضوا به تعسف لا يخفى والوراء فى الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه وإلى المفعول فيراد به ما يواريه وهو أمامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ أى قالوا ما قالواهم يكفرون بما عداه وليس المراد مجرد بيان أن أفراد إيمانهم بما أنزل عليهم بالذكر لنفى إيمانهم بما وراه بل بيان أن ما يدعون من الإيمان ليس بإيمان بما أنزل عليهم حقيقة فإن قوله عز اسمه (وهو الحق) أى المعروف بالحقية التحقيق بأن يخص به اسم الحق على الإطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى (مصدقاً) حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها إما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله أبو البقاء وإما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمّر أى أحقه مصداقاً (لما معهم) من التوراة والمعنى قالوا تؤمن بما أنزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال أنه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به وماله أنهم ادعوا الإيمان بالتوراة والحال أنهم يكفرون بما يلزم من الكفر بها (قل) تبكيته لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم بعد بيان التناقض فى أقوالهم (فلم) أصله لما حذفت عنه الألف فرقا بين الاستفهامية والخبرية (تقتلون أنبياء الله من قبل) الخطاب للحاضرين من اليهود والمؤمنين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين فى العقد والعمل كان الاعتراض على أسلافهم اعتراضاً على أخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف أى قل لهم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاى شئ كنتم تقتلون أنبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرىء أنبياء الله مهموزاً وقوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) تكرير للاعتراض لتأكيد الإلزام وتشديد التهديد أى إن كنتم مؤمنين فلم تقتلون وقد حذفت من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما أثبت فى الأخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى إلا على رأى الكوفيين وأبى زيد وقيل إن نافية أى ما كنتم مؤمنين وإلا لما قتلتموهم (ولقد جاءكم موسى بالبينات) من تمام التبكيته والتوبيخ داخل تحت الأمر لا تكرير لما قص فى تضاعيف تعداد النعم التى من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام للقسمة أى وبالله لقد جاءكم موسى ملتبساً بالمعجزات الظاهرة التى هى العصا واليد والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وخلق البحر وقد عد منها التوراة وليس بواضح فإن المجيء

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يُكْفِرِهِمْ قُلْ بَلِّسَا يَا مَرْكُم بِهِ إِنَّكُمْ تُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ٢ البقرة
قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ ٢ البقرة

- بها بعد قصة العجل (ثم اتخذتم العجل) أى لها (من بعده) أى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه إلى الطور فتكون التوراة حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا (وأنتم ظالمون) حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها
- أو بإخلال بحقوق آيات الله تعالى أو اعتراض أى وأنتم قوم عادتم الظلم (وإذ أخذنا ميثاقكم) توبيخ ٩٣ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناباتهم الناطقة بكذبهم أى واذكروا حين أخذنا ميثاقكم (ورفعنا فوقكم الطور) قائلين (خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا) أى خذوا بما أمرتم به في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول (قالوا) استئناف مبنى على سؤال سائل كأنه قيل فإذا قالوا فليلقوا (سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك فإذا قابل أسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوبة فكيف يتصور من أخلافهم الإيمان بما فيها (وأشربوا في قلوبهم العجل) على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للبالغة أى تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصيغ الثوب والشراب أعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الإشراب كما في قوله تعالى إنما يأكلون في بطونهم ناراً والجملة حال من ضمير قالوا بتقديم قد (بكفرهم) بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمه أو حلولية ولم يروا جسماً أعجب منه فتمسكوا في قلوبهم ماسول لهم السامري (قل) توبيخاً لحاضري اليهود لإثباتين من أحوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون (بلسا يا مركم به إيمانكم) بما أنزل عليكم من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف أى ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي إسناد الأمر إلى الإيمان تهكم بهم وإضافة الإيمان إليهم الإيذان بأنه ليس بإيمان حقيقة كما ينبي عنه قوله تعالى (إن كنتم مؤمنين) فإنه قدح في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم من التوراة وإبطال لها وتقريره إن كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبلسا يا مركم به إيمانكم بها وإذ لا يسوغ الإيمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعاً وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ماسبق عليه (قل) كرر الأمر مع قرب العهد بالأمر السابق لما أنه أمر ٩٤ بتبكيته وإظهار كذبهم في فن آخر من أباطيلهم لكنه لم يحكم عنهم قبل الأمر بإبطاله بل اكتفى بالإشارة إليه في تضاعيف الكلام حيث قيل (إن كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة أو نعيم الدار

وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ ٢ البقرة

وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ

بِمُزَجَّزٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ٢ البقرة

- الآخرة (عند الله خالصة) أى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو
- نصارى ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف للاستقرار في الخبر أعنى لكم وقوله تعالى (من دون
- الناس) في محل نصب بخالصة يقال خلص لى كذا من كذا واللام للجنس أى الناس كافة أو للعهد أى
- المسلمين (فتمنوا الموت) فإن من أيقن بدخول الجنة اشتاق إلى التخلص إليها من دار البوار وقرارة
- الأكدار لاسيما إذا كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا أبالي أسقطت على الموت أو سقط الموت
- على وقال عمار بن ياسر بصفين [الآن ألقى الأحبه * محمداً وحزبه] وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر
- وقد كان يتمنى الموت قبل [جاء حبيب على فاقة * فلا أفلح اليوم من قد ندم] أى على التنى وقوله تعالى
- (إن كنتم صادقين) تكرير للكلام لتشديد الإلزام وللتنبية على أن ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط
- في نفس الأمر فقط بل في اعتقادهم أيضاً وأنهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق
- ٩٥ عليه أى إن كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى (ولن يتمنوه أبداً) كلام مستأنف غير داخل تحت الأمر
- سبق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الإحجام عما دعوا إليه الدال على كذبهم في دعواهم (بما
- قدمت أيديهم) بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن
- وتحريف التوراة ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة صنائعه ومدار أكثر منافعه عبر
- بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) أى بهم وإيثار الإظهار على الإضمار لئلا يظن
- والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون في جميع الأمور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة
- تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية إلى أفانين
- العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد
- إذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي ﷺ لو تمنوا الموت لغص كل إنسان بريقه فمات مكانه وما بقي
- ٩٦ يهودى على وجه الأرض (ولتجدنهم أحرص الناس) من الوجدان العقلى وهو جار مجرى العلم خلا أنه
- مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضمير وأحرص والتكثير في قوله تعالى (على حياة) للإيذان
- بأن مرادهم نوع خاص منها وهى الحياة المتطاولة وقرئ بالتعريف (ومن الذين أشركوا) عطف على
- ما قبله بحسب المعنى كأنه قيل أحرص من الناس ومن الذين أشركوا وإفرادهم بالذكر مع دخولهم في
- الناس للإيذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للبالغة في توبيخ اليهود فإن حرصهم وهم معترفون
- بالجزاء لما كان أشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم إلى النار ويجوز أن
- يحمل على حذف المعطوف ثقة بأنباء المعطوف عليه عنه أى وأحرص من الذين أشركوا فقوله تعالى

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ٢ البقرة

- (يود أحدهم) بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستئناف ويجوز أن يكون في حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف خبره الظرف المتقدم على أن يكون المراد بالمشرّكين اليهود لقولهم عزيز بن الله أى ومنهم طائفة يود أحدهم أيهم كان أى كل واحد منهم (لو يعمر ألف سنة) وهو حكاية لودادتهم كأنه قيل ليتنى أعمر وإنما أجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحل نصب على أنه مفعول يود لإجراء له مجرى القول لأنه فعل قلبى (وما هو بمنزلة من العذاب) ما حجازية والضمير العائد على أحدهم اسمها وبمنزلة خبرها والباء زائدة و (أن يعمر) فاعل من حزه أى وما أحدهم بمن يرحله أى يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وأن يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وأن يعمر مفسره والجملة حال من أحدهم والعامل يود لا يعمر على أنها حال من ضميره لفساد المعنى أو اعتراض وأصل سنة سنة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنة كجبهة لقولهم سانهته وسنية وتسنت النخلة إذا أتت عليها السنون (والله بصير بما يعملون) البصير فى كلام العرب العالم بكنهه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه أى عليم بخفيات أعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ ببناء الخطاب التفاتاً وفيه تشديد للوعيد (قل من كان عدواً لجبريل) نزل فى عبادة بن صوريا من أخبار فندك حاج رسول الله ﷺ وسأله عن نزل عليه بالوحى فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا لو كان غيره لآمنّا بك وفى بعض الروايات ورسولنا وميكائيل فلو كان هو الذى يأتىك لآمنّا بك وقد عادانا مراراً وأشدّها أنه أنزل على نبيّنا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقية بيباب غلاماً مسكيناً فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه وإلا فبأى حق تقتلونه وقيل أمره الله تعالى أن يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا وروى أنه كان لعمر رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان يمرّه على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيتكم لحبسكم ولا أسألكم لشك فى ديني وإنما أدخل عليكم لآزداد بصيرة فى أمر محمد ﷺ وأرى آثاره فى كتابكم ثم سأله عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمداً على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يحجى بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل أقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضى الله عنه إن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولا تم أكفر من الخير ومن كان عدواً لأحدهما فهو عدو الآخر ومن كان عدواً لهما كان عدواً لله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبريل عليه السلام قد سبقه بالوحى فقال النبى ﷺ لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر رضى الله عنه لقد رأيتنى فى ديني بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئيل كجحمرش وجبرئيل وجبرئيل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائيل كجبراعل

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ٢ البقرة
وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ٢ البقرة

- ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله (فإنه نزل) تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الأول لجبريل عليه السلام والثاني للقرآن أضمر من غير ذكر لإيداناً بفخامة شأنه واستغنائه عن الذكر
- لكمال شهرته ونبأته لاسيما عند ذكر شيء من صفاته (على قلبك) زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فإنه القائل الأول له ومدار الفهم والحفظ وإيثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون
- المقالة (يا ذن الله) بأمره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكال توجه جبريل عليه السلام إلى تنزيله وصدق عزيمته عليه السلام وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى (مصدقا لما بين يديه)
- أي من الكتب الإلهية التي معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى (وهدي وبشري المؤمنين) والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فإنه نزل عليك كتاباً مصدقا لكتبهم أو فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وم له كارهون ولذلك حرقوا كتبهم ووجدوا موافقته له لأن الاعتراف بها يوجب الإيمان به وذلك يستدعي انتكاس أحوالهم وزوال رياستهم وقيل إن الجواب فقد خلع ربة الإنصاف أو فقد كفر بما معه من الكتاب أو فليمت غيظاً أو فهو عدولي وأنا عدوله (من كان عدواً لله) أريد بعداوته تعالى ٩٨
- مخالفة أمره عناداً والخروج عن طاعته مكابرة أو عداوة خواصه ومقريبه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيماً لشأنهم وإيداناً بأن عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله أحق أن يرضوه
- ثم صرح بالمرام فقيل (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) وإنما أفردا بالذكر مع أنها أول من يشملهما عنوان الملكية والرسالة لإظهار فضلها كأنهما عليهما السلام من جنس آخر أشرف مما ذكر تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبية على أن عداوة أحدهما عداوة للآخر حسماً لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا أنهما متعاديان وللإشارة إلى أن معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وأن من عادى أحدهم فكأنما عادى الجميع وقوله تعالى (فإن الله عدو للكافرين) أي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب وإيثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للإيدان بأن عداوة المذكورين كفر وأن ذلك بين لا يحتاج إلى الإخبار به وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لأشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرىء ميكايل ميكايل وميكايل ميكايل كما قيل
- ٩٩ وميكايل ميكايل (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل (وما يكفر بها إلا الفاسقون) أي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فإن من

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ٢ البقرة
وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ
وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ٢ البقرة

- ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترىء على الكفر بمثل هاتيك البيئات قال الحسن إذا استعمل
الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم أفراد ذلك النوع من كفر أو غيره وعن ابن عباس رضى الله
عنهما أنه قال قال ابن صوريا لرسول الله ﷺ ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت
واللام للعهد أى الفاسقون المعهودون وهم أهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم أو
للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً (أو كلما عاهدوا عهداً) الهمة للإنكار والواو للعطف على مقدر ١٠٠
يقضيه المقام أى أكفروا بها وهى فى غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهداً ومن جملة ذلك ما أشير إليه فى
قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد أظل زمان نبى يخرج
بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وقرىء بسكون الواو على أن تقدير النظم الكريم وما يكفر بها
إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهودهم مراراً كثيرة وقرىء عاهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهداً إمامصدر
مؤكد لعاهدوا من غير لفظه أو مفعول له على أنه بمعنى أعطوا العهد (نبذه فريق منهم) أى راموا
بإلزام ورفضوه وقرىء نقضه وإسناد النبذ إلى فريق منهم لأن منهم من لم ينبذه (بل أكثرهم لا يؤمنون)
أى بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من أن النابذين هم الأقلون وأن من لم ينبذ جهاراً فهم يؤمنون بها سرّاً
(ولما جاءهم رسول) هو النبى ﷺ والتسكير للتفخيم (من عند الله) متعلق بجاء أو بمحذوف وقع صفة لرسول ١٠١
لإفادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما أفاده التسكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية (مصدق لما معهم)
من التوراة من حيث أنه ﷺ قرر صحتها وحقق حقيقة نبوة موسى عليه الصلاة والسلام بما أنزل عليه أو
من حيث أنه عليه السلام جاء على وفق مانعت فيها (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب) أى التوراة وهم
اليهود الذين كانوا فى عهد النبى ﷺ ممن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا فى عهد سليمان عليه
السلام كما قيل لأن النبذ عند مجئ النبى ﷺ لا يتصور منهم وإفراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجهم
تحت قوله عز وجل أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم لأنه معظم جناياتهم ولأنه تمهيد لذكر اتباعهم
لما تسلو الشياطين وإيثارهم له عليه والمراد بإيثارها إما إبتاء عليها بالدراسة والحفظ والوقوف على
ما فيها فالوصول عبارة عن علمائهم وإما مجرد إنزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه
موضع الضمير للإيذان بكال التنافى بين ما أثبت لهم فى حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ (كتاب الله)
أى الذى أوتوه قال السدى لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة
وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من
عند الله الخ وإنما عبر عنها بكتاب الله تشریفاً لها وتعظيماً لحقها عليهم وتهويلاً لما اجتروا عليه من الكفر

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ
النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا
إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ
مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ البقرة

بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما ألزمهم تلقيه بالقبول لاسيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل
فإن ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذاً له كأنه قيل كتاب الله الذي جاء به فإن
● مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب (وراء ظهورهم) مثل لتركهم وإعراضهم عنه بالكلية مثل ما يرمى
● به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات إليه (كانهم لا يعلمون) جملة حالية أي نبذوه وراء ظهورهم مشبهين
بمن لا يعلمه فإن أريد بهم أخبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الإيقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل
نبوته عليه الصلاة والسلام ففيه إيدان بأن عليهم به رصين لكنهم يتجاهلون أو كأنهم لا يعلمون أنه
كتاب الله أو لا يعلمونه أصلاً كما إذا أريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في إعراضهم عما في
التوراة من دلائل النبوة هذا وإن أريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى
كانهم لا يعلمون هو العلم بأنه كتاب الله ففيه ما في الوجه الأول من الإشعار بأنهم متيقنون في ذلك وإنما
يكفرون به مكابرة وعناداً قيل إن جيل اليهود أربع فرق ففرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كثروا
أهل الكتاب وهم الأقلون المشار إليهم بقوله عز وجل بل أكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهرُوا بنذالعمود
وتعدى الحدود تمردوا وفسوقاً وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهرُوا بنذالها ولكن
١٠٢ نبذوها لجهلهم بها وهم الأكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهراً ونبذوها خفية وهم المتجاهلون (واتبعوا
ما تلتوا الشياطين) عطف على جواب لما أي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التي كانت تقرأها
الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتحمض فيه والإقبال
عليه بالكلية وإلا فأصل الاتباع كان حاصله قبل مجيء الرسول ﷺ فلا يتسنى عطفه على جواب لما
● ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على أشربوا (على ملك سليمان) أي في عهد ملكه قيل كانت
الشياطين يسترقون السمع ويضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها ويلقونها إلى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا
علم سليمان وما تم له ملكه إلا بهذا العلم وبه سخر الإنس والجن والطير والريح التي تجري بأمره وقيل
إن سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيراً من العلوم التي خصه الله تعالى بها تحت سرير ملكه فلما مضت
على ذلك مدة توصل إليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك أشياء من فنون السحر تناسب تلك

الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته وإطلاع الناس على تلك الكتب أو هوهم أنه من عمل سليمان عليه السلام وأنه ما بلغ هذا المبلغ إلا بسبب هذه الاشياء (وما كفر سليمان) تنزيهه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بأنه كان يعتقدده ويعمل به والتعرض لكونه كفراً للبالغه في إظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهتيه بذلك (ولكن الشياطين) وقرىء بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف إنما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفرداً (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه (يعلمون الناس السحر) لإغواء وإضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير كفروا أو من الشياطين فإن ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال أو في محل الرفع على أنه خبر ثان للسكن أو بدل من الخبر الأول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجده أو جملة مستأنفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين وأما على تقدير رجوعه إلى فاعل اتبعوا فهي إما حال منه وإما استئنافية لحسب . واعلم أن السحر أنواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لإبطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منهم يزعمون أن الأفلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بإلهية الأفلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلًا ويشتملون بخدمتها وهم عبدة الأوثان وفرقة أثبتوا للأفلاك وللکواكب فاعلا مختاراً لكنهم قالوا إنه أعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره إليها ومنها سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية فإنهم يزعمون أن الإنسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتأثير إلى حيث يقدر على الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالآرواح الأرضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن ومنها التخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الأمة في أن من اعتقد الأول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية وأما من اعتقد أن الإنسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى إلى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة انفقوا على أنه كافر لأنه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الأنبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق أن ذلك الإنسان إن كان خيراً متشريعاً في كل ما يأتي ويذر وكان من يستعين به من الآرواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لأحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لأحد فليس ذلك من قبيل السحر وإن كان شريراً غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر أن من يستعين به من الآرواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبيث والشرارة فيكون كافراً قطعاً وأما الشعوذة وما يجري مجراها من إظهار الأمور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الأدوية والآحجار بإطلاق السحر عليها بطريق التجوز أو لما فيها

من الدقة لأنه في الأصل عبارة عن كل ما لطف مأخذه وخفى سببه أو من الصرف عن الجهة المعتادة لما أنه في أصل اللغة الصرف على ما حكاه الأزهري عن الفراء ويونس (وما أنزل على الملوك) عطف على السحر أى ويعلمونهم ما أنزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار أو هو نوع أقوى منه أو على ما تلو وما بينهما اعتراض أى واتبعوا ما أنزل الخ وهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر أو تمييزاً بينه وبين المعجزة لثلا يغتر به الناس أولاً لأن السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت أبواباً غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلميا الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الكذابين وإظهار أمرهم على الناس وأما ما يحكى من أن الملائكة عليهم السلام لما رأوا ما يصعد من ذنوب بنى آدم عيروهم وقالوا الله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الأرض يعصونك فيها فقال عز وجل لوركت فيكم ماركت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانه ما ينبغي لنا أن نعصيك قال تعالى فاخترنا من خياركم ملكين فاخترنا هاروت وماروت وكانا من أصلحهم وأعبداهم فأهبطا إلى الأرض بعد ماركب فيهما ماركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهراً ويعرجا إلى السماء مساء وقد نهيا عن الإشرار والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهما يوماً فإذا أمسيا ذكرا اسم الله الأعظم فصعدا إلى السماء فاختصمت إليهما ذات يوم امرأة من أجل النساء تسمى زهرة وكانت من لحم وقيل كانت من أهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فأبت فألحا عليها فقالت لا إلا أن تقضيا لي على خصمي ففعلنا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تقتلاه ففعلنا ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلنا كلا من ذلك بعد اللتيا والى ثم سألاها ما سألا فقالت لا إلا أن تعلماني ما تصعدان به إلى السماء فعلمناها الاسم الأعظم فدعت به وصعدت إلى السماء فسخها الله سبحانه كوكباً ففعلها بالعروج حسب عادتهما فلم تطعمهما أجنحتهما فعلمنا ما حل بهما وكان في عهد إدريس عليه السلام فالتجأ إليه ليشفع لهما ففعل غيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاخترنا الأول لا نقطاعه عما قليل فهما معذبان يبايل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد إلى قيام الساعة فهما لا تعويل عليه لما أن مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لا دلة العقل والنقل ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشاد اللبيب الأريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا

● ملكين لصلاحيهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر (يبايل) الباء بمعنى في وهي متعلقة بأنزل أو بمحذوف وقع حالا من الملكين أو من الضمير في أنزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضى الله عنه بابل أرض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف للعجمة والعلمية أو للتأنيث والعلمية (هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفاً وأما من قرأ الملكين بكسر اللام أو قال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسمتا قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرى بالرفع على هما هاروت وماروت (وما يعلمان من أحد) من مزيدة في المفعول به لإفادة تأكيد الاستغراق الذي يفيد أحد لا لإفادة نفس الاستغراق كما في قولك

- ماجاء في من رجل وقرىء يعلمان من الإعلام (حتى يقولوا إنما نحن فتنة) الفتنة الاختبار والامتحان وإفرادها مع تعددهما لكونها مصدرأ وحملها عليهما مواطاة للبالغه كأنهما نفس الفتنة والقصر لبيان أنه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلبه أى وما يعلمان ما أنزل عليهما من السحر أحداً من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولوا له إنما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيقته كفر ومن توقي عن العمل به أو اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقى على الإيمان (فلا تكفر) باعتقاد حقيقته وجواز العمل به والظاهر أن غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهى لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام فى بيان اعتناء الملكين بشأن النصيح والإرشاد والجملة فى محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل أى ولكن الشياطين تكفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ويحملونهم على العمل به لإغواء وإضلالا والحال أنهما ما يعلمان أحداً حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه وأما ما قيل من أن ما فى قوله تعالى وما أنزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جىء بها لتكذيب اليهود فى القصة أى لم ينزل على الملكين لإباحة السحر وأن هاروت وماروت بدل من الشياطين على أنهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لأصالتها وكون باقى الشياطين أتباعا لهما وأن المعنى ما يعلمان أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فإياه أن مقام وصف الشيطان بالكفر وإضلال الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهى عن الكفر مع ما فيه من الإخلال بنظام الكلام فإن الإبدال فى حكم تنحية المبدل منه (فيتعلمون منهما) عطف على الجملة المنفية فإنها فى قوة المثبتة كأنه قيل يعلمانهم بعد قولها إنما نحن الخ والضمير لأحد حملا على المعنى كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين (ما يفرقون به) أى بسببه وباستعماله (بين المرء) وقرىء بضم الميم وكسر هاء مع الهمزة وتشديد الراء بلا همزة (وزوجه) بأن يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الإلهية من خلق المسببيات عقيب حصول الأسباب العادية ابتلاء لأن السحر هو المؤثر فى ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيراه الناس ويعتقدون أنه حق فيكفرون فتبين أزواجهم (وما هم بضارين به) أى بما تعلموه واستعملوه من السحر (من أحد) أى أحداً ومن مزيدة لما ذكر فى قوله تعالى وما يعلمان من أحد والمعهود وإن كان زيادتها فى معمول فعل منفي إلا أنه حملت الاسمية فى ذلك على الفعلية كأنه قيل وما يضررون به من أحد (إلا بإذن الله) لأنه وغيره من الأسباب بمعزل من التأثير بالذات وإنما هو بأمره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من أفعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين أو من مفعوله وإن كان نكرة لا اعتمادها على النفي أو الضمير المجرور فى به أى وما يضررون به أحداً إلا مقروناً بإذن الله تعالى وقرىء بضارى على الإضافة بجعل الجار جزءاً من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف (ويتعلمون ما يضرهم) لأنهم يقصدون به العمل أو لأن العلم يجر إلى العمل غالباً (ولا ينفعهم) صرح بذلك لإدناؤه بأنه ليس من الأمور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شربحت وضرر محض لأنهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار بأكاذيب من يدعى النبوة

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٠٣﴾ البقرة

- مثلاً من السحرة أو تخلص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه أن الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن أن تجر إلى الغواية وإن قال من قال [عرفت الشر لا للشر * ر لكن لتوقيه] [ومن لا يعرف الشر * ر من الناس يقع فيه] (ولقد علموا) أى اليهود الذين حكمت جناباتهم (لمن اشتراه) أى استبدل ما تناولوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الأولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتهما وقوله تعالى (ماله في الآخرة من خلاق) أى من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالاً منه ولو آخر عنه لكان صفة له والتقدير ماله خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على أنها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولى علموا إن جعل متعدياً إلى اثنين أو مفعوله الواحد إن جعل متعدياً إلى واحد للجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيويوه وقال الفراء وتبعه أبو البقاء أن اللام الأخيرة موطنه للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وماله في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لأنه إذا اجتمع الشرط والقسم يحجب سابقهما غالباً فينشد
- يكون الجملتان مقسماً عليهما (ولبئس ما شروا به أنفسهم) أى باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف أى وبالله لبئسما باعوا به أنفسهم السحر أو الكفر وفيه إيذان بأنهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا أنفسهم للمهلكة وباعوها بما لا يزيدهم إلا تباراً وتجويزاً كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا سبيل إليه لأن المشتري متعين وهو ما تناولوا الشياطين ولأن متعلق الذم هو المأخوذ لا المنيب وذلكما أشير إليه في تفسير قوله سبحانه لبئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله (لو كانوا يعلمون) أى يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم علمهم بموجب علمهم أو لو كانوا يتفكرون فيه أو يعلمون قبحه على اليقين أو حقيقة ما يتبعه من العذاب عليه على أن المثبت لهم أولاً على التوكيد القسمى العقل الغريزى أو العلم الإجمالى بقمح الفعل أو ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف أى لما فعلوا ما فعلوا (ولو أنهم آمنوا) أى بالرسول الموعى إليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ أو بما أنزل إليه من الآيات المذكورة في قوله تعالى ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون أو بالتوراة التي أرادت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
- فإن الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها (واتقوا) المعاصى المحكية عنهم (لمثوبة من عند الله خير) جواب لو وأصله لأنثبوا مثوبة من عند الله خيراً مما شروا به أنفسهم فحذف الفعل وغير السبك إلى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه لإجلال البفضل من أن ينسب إليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة أى لشيء مأمون المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف أى لأنثبوا وما بعده جملة مستأنفة فإن وقوع

يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ البقرة
مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ
يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ البقرة

- الجملة الابتدائية جواباً للوغير معهود في كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه أنهم من فطاعة الحال بحيث يتمنى العارف إيمانهم واتقاءهم تلهفاً عليهم وقرىءة لمثوبة وإنما سمي الجزاء ثواباً ومثوبة لأن المحسن يثوب إليه (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير نسبوا إلى الجمل لعدم العمل بموجب العلم (بأيها الذين آمنوا) ١٠٤ خطاب للمؤمنين فيه إرشاد لهم إلى الخير وإشارة إلى بعض آخر من جنائيات اليهود (لا تقولوا راعنا) ● المراجعة المبالغة في الرعى وهو حفظ الغير وتدبير أموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون إذا ألقى عليهم رسول الله ﷺ شيئاً من العلم يقولون راعنا يا رسول الله أى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية أو سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة إلى مقصدهم فجعلوا مخاطبون به النبي ﷺ يعنون به تلك المسبة أو نسبته ﷺ إلى الرعن وهو الحق والهوج روى أن سعد بن عبادة رضى الله عنه سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربن عنقه قالوا أو لستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعاً لآلسنة اليهود عن التدليس وأمرُوا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيس (وقولوا انظرونا) أى انظر إلينا بالحذف ● والإيصال أو انتظرنا على أنه من نظره إذا انتظره وقرىء أنظرنا من النظرة أى أملهنا حتى نحفظ وقرىء راعونا على صيغة الجمع للتوقيف وراعنا على صيغة الفاعل أى قولاً ذارعاً كدارع ولا بن لأنه لما أشبه قولهم راعينا وكان سبباً للسبب بالرعن انصف به (واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله ﷺ ● ويلقى عليكم من المسائل بأذان واعية وأذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا إلى الاستعاذة وطلب المراجعة أو واسمعوا ما كلفتموه من النهى والأمر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا إلى ما نهيتهم عنه أو واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يمكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا اسمعنا وعصينا (وللكافرين) أى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور إلى كفرياتهم وجعلوه سبباً للتهاون برسول الله ﷺ وقالوا له ما قالوا (عذاب أليم) ● لما اجترأوا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه (ما يود الذين كفروا) الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه كناية عن الكراهة ١٠٥ ووضع الموصول موضع الضمير للإشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث أن القول المنهى عنه كثيراً ما كان يقع عند تنزيل الوحي المعبر عنه في هذه الآية بالخير فكأنه أشير إلى أن سبب تحريفهم له إلى واحكى عنهم لوقوعه في أثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون أنهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيباً لهم في ذلك ومن في

مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ البقرة

- قوله تعالى (من أهل الكتاب ولا المشركين) للنبين كما في قوله عز و علا لم يكن الذين كفروا من أهل
- الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما استعرفه (أن ينزل عليكم) في حيز النصب على أنه مفعول يود وبناء
- الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الآتي في قوله تعالى (من خير) هو القائم مقام فاعله ومن
- مزيدة للاستغراق والتنفى وإن لم يباشره ظاهر ألكنه منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على مايعمه
- وغيره من العلم والنصرة كما قيل بأباه وصفه فيما سياتى بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع أن حقه التأخر
- عنه لإظهار كمال العناية به لأنه المدار لعدم ودهم ومن في قوله تعالى (من ربكم) ابتدائية والتعرض
- لعنوان الربوبية للإشعار بعليته لتنزيل الخير والإضافة إلى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهمهم
- لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم بذلك لسعادة الدارين كيف لا وهم من تلك
- الحثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي ﷺ وصيغة الجمع للإيدان
- بأن مدار كراهمهم ليس معنى خاصا بالنبي ﷺ بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة عند
- اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم ويكرهون فيحسدونكم
- أن ينزل عليكم شيء من الوحي أما اليهود فبناء على أنهم أهل الكتاب وأبناء الأنبياء الناشئون في مهابط
- الوحي وأنتم أميون وأما المشركون فإدلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم أن رياسة الرسالة كسائر
- الرياسات الدنيوية منوطة بالأسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
- عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء أشهر لاسيما في أثناء ذكر ابتلائهم به لم يلزم من نفى ودادتهم لما ذكر
- نفى ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتأكيد النفي (والله يختص برحمته) جملة ابتدائية سبقت لتقرير
- ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وإرغام الكارهين له والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه
- أنهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار إضافته إليه تعالى بالرحمة
- قال على رضى الله عنه بنبوته خص بها محمدا ﷺ فالفعل متعد وصيغة الافعال للإنشاء عن الاصطفاء
- وإشاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى أن ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه
- ﷺ وإقناطهم مما علقوا به أطعامهم الفارغة والباء داخلة على المقصود أى يؤتى رحمته (من يشاء) من عباده
- ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذائق الفائض عليه بحسب إرادته عز و علا تفضلا لا تنعاده إلى
- غيره وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير العائد إلى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى (والله
- ذو الفضل العظيم) تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه إيدان بأن إيتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى
- إن فضله كان عليك كبيرا وأن حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيشته الجارية على سنن
- الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للإيدان بفخامة مضمونيها وكون كل منهما مستقلة
- ١٠٦ بشأنها فإن الإضمار فى الثانية منبىء عن توقفها على الأولى (مانسخ من آية أو ننسها) كلام مستأنف
- مسوق لبيان سر النسخ الذى هو فرد من أفراد تنزيل الوحي وإبطال مقالة الطاعنين فيه أثر تحقيق

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ البقرة

- حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له رأساً قيل نزلت حين قال المشركون أو اليهود ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينههم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة الإزالة والنقل يقال نسخت الريح الأثر أي أزالته ونسخت الكتاب أي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها أو بالحكم المستفاد منها أو بهما جميعاً وإنساؤها لإذهابها من القلوب وما شرطية جازمة للنسخ منتصبة به على المفعولية وقرىء ننسخ من أنسخ أي نأمرك أو جبريل بنسخها أو نجد هامسوخة ونسأها من النسء أي توخرها ونفسها بالتشديد ونفسها ونفسا على خطاب الرسول ﷺ مبنياً للفاعل والمفعول وقرىء ما ننسخ من آية أو ننسكها وقرىء ما ننسك من آية أو ننسخها والمعنى أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معاً إلى بدل أو إلى غير بدل (نأت بخير منها) أي نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال في
- النفع والثواب من الذاهبة وقرىء بقلب الهمزة ألفاً (أو مثلها) أي فيما ذكر من النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار في مادونها أيضاً وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتزيل الآيات التي عليها يدور تلك الأحكام الشرعية إنما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الأحوال ويتبدل حسب تبدل الأشخاص والأعصار كأحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال تقتضي في حال أخرى نقيضه فلم يجز النسخ
 - لاختلاف ما بين الحكمة والأحكام من النظام (ألم تعلم) الهمزة للتقرير كما في قوله سبحانه أليس الله بكاف عبده
 - وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير) ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الأول والثاني محذوف عند الأخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الإتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لأن ذلك من جملة الأشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء علم قدرته على ذلك قطعاً والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لثبوتية المهابة والإشعار بمناط الحكم فإن شمول القدرة لجميع الأشياء من الأحكام الألوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فإن عنوان الألوهية مدار أحكام ملكوتها والجار ١٠٧
 - والمجرور خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ والجملة خبر لأن إثاره على أن يقال أن الله ملك السموات والأرض للقصد إلى تقوى الحكم بتكرار الإسناد وهو إما تكرير للتقرير وإعادة للاستشهاد على ما ذكر وإنما لم يعطف أن مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها وما لزيادة التأكيد وإشعاراً باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود وإما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الأشياء أي ألم تعلم أن الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما إيجاداً وإعداماً وأمرأً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض لا أمره ولا معقب
 - لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته شيء من الأشياء وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من ولي

أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ البقرة ٢

ولا نصير) معطوف على الجملة الواقعة خبراً لأن داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه إشارة إلى تناول الخطابين السابقين للأمة أيضاً وإنما إفراده عليه السلام بهما لما أن علومهم مستندة إلى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع إلى اسم أن لترية المهابة والإيدان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق إرادته تعالى بما ذكر من الإتيان بما هو خير من المنسوخ أو بمثله فإن مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وإنما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك ولياً ونصيراً لهم فمن علم أنه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعاً أنه لا يفعل به إلا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في أمر النسخ وغيره أصلاً والفرق بين الولي والنصير أن الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبياً من المنصور وما إما تسمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من الاستغراق وإما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يميز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حين النصب على الحالية من اسمها لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً ومعناه سوى الله والمعنى أن قضية العلم بما ذكر من الأمور الثلاثة هو الجزم والإيقان بأنه تعالى لا يفعل بهم في أمر من أمور دينهم أو دنياهم إلا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الأمر إليه من غير إصغاء إلى أقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في أمر النسخ وقوله تعالى (أَمْ تَرِيدُونَ) تجريد الخطاب عن النبي ﷺ وتخصيص له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال من حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك وأمارات التأثير من أقاويل الكفرة إلى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة إنكار وقوع الإرادة منهم واستبعاده لما أن قضية الإيمان وازعة عنها وتوجيه الإنكار إلى الإرادة دون متعلقها للبالغة في إنكاره واستبعاده ببيان أنه بما لا يصدر عن العاقل إرادته فضلاً عن صدور نفسه والمعنى بل أتريدون (أن تسألوا) وأتم مؤمنون (رسولكم) وهو في تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في أموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشئونه سبحانه قيل لعلمهم كانوا يطلبون منه عليه الصلاة والسلام بيان تفاصيل الحكم الداعية إلى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين أن يجعل لهم ذات أنواط

- كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويلقون عليها الماء كحل والمشروب وقوله تعالى (كما سئل موسى) مصدر تشبيه أي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية أي سؤالاً مشبهاً بسؤال موسى عليه السلام حيث قيل له اجعل لنا إلهاً وأرنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر أن يقال كما سألو موسى لأن المشبه هو المصدر من المبني للفاعل أعني سائليه المخاطبين لا من المبني للمفعول أعني مسئولية

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ البقرة

- الرسول ﷺ حتى يشبهه بمسئولية موسى عليه السلام فلعله أريد التشبيه فيهما معاً ولكنه أوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية وفي جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز أن تكون ماموصولة على أن العائد محذوف أى كالسؤال الذى سئلته موسى عليه السلام وقوله تعالى (من قبل) متعلق بسئل حتى به للتأكيد وقرئ سئل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة ● بين بين (ومن يقبل الكفر) أى يختره ويأخذه لنفسه (بالإيمان) بمقابلته بدلامنه وقرئ ومن يبدل من أبدل وكان مقتضى الظاهر أن يقال ومن يفعل ذلك أى السؤال المذكور أو إرادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التى من جملتها الآيات النسخة التى هى خير محض وحق بحث واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) أى عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل إلى معالم الحق والهدى وتاه فى تيه الهوى وتردى فى مهاوى الردى وإنما أُوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من أول الأمر بأنه كفر وارتداد وأن كونه كذلك أمر واضح غنى عن الإخبار به بأن يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيقة بأن يعد من المسلمات ويجعل مقدماً للشرطية روماً للبالغة فى الزجر والإفراط فى الردع وسواء السبيل من باب إضافة الوصف إلى الموصوف لقصد المبالغة فى بيان قوة الانقصاف كأنه نفس السواء على منهاج حصول الصورة فى الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا أن ينزل الله عليهم كتاباً من السماء وقيل للشركيين حين قالوا لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الخ فإضافة الرسول ﷺ إليهم على القولين باعتبار أنهم من أمة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالإيمان وهم بمعزل من الإيمان ترك صرف قدرتهم إليه مع تمكنهم من ذلك وإيثارهم للكفر عليه (ود كثير من أهل الكتاب) هم رهط من أحبار اليهود . روى أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهما بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فإني عاهدت أن لا أكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ما عشت فقالت اليهود أما هذا فقد صبا وقال حذيفة أما أنا فقد رضيت بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبله وبالمؤمنين إخواناً ثم أتيا رسول الله ﷺ وأخبراه فقال أصبتما خيراً وأفلحتما فنزلت (لو يردونكم) حكاية لودادتهم ولو فى معنى التنى وصيغة الغيبة كما فى قوله حلف ليفعلن وقيل هى بمنزلة ● أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وبما بعدها مصدر يقع مفعولاً لودوا التقدير ودوا ردكم وقيل هى على حقيقة وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفاراً ألسروا بذلك و (من بعد إيمانكم) ● ١٩٠ - أبى السعود ج ١

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ البقرة

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ البقرة

- متعلق بـ يردونكم وقوله تعالى (كفاراً) مفعول ثان له على تضمين الرد معنى النصير أى يصيرونكم كفاراً كما فى قوله [رمى الحدثنان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سمودا] [فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سودا] وقيل هو حال من مفعوله والاول أدخل لما فيه من الدلالة صريحاً على كون الكفر المفروض بطريق القسر وإيراد الظرف مع عدم الحاجة إليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد إلى الكفر بدون سبق الإيذان مع توسيطه بين المفعولين لإظهار كمال شناعة ما أرادوه وغاية بعده من الوقوع إما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته وإما للممانعة الإيذان له كأنه قيل من بعد إيمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى (حسداً) علة لود أو حال أريد به نعت الجمع أى حاسدين لكم والحسد الأسف على من له خير بخيره (من عند أنفسهم) متعلق بود أى ودوا ذلك من أجل تشبههم وحظوظ أنفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولوعلى زعمهم
- أو بحسد أى حسداً منبعثاً من أصل نفوسهم بالغاً أقصى مراتبه (من بعد ما تبين لهم الحق) بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا فى التوراة من الدلائل وعلوا أنكم متمسكون به وهم منهمكون فى الباطل (فاعفوا واصفحوا) العفو ترك المؤاخذه والعقوبة والصفح ترك التثريب والتأنيب (حتى يأتى الله بأمره) الذى هو قتل بنى قريظة وإجلاء بنى النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم أو الإذن فى القتال وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه منسوخ بآية السيف ولا يقدر فى ذلك ضرب الغاية لأنها لا تعلم إلا شرعاً ولا يخرج الوارد بذلك من أن يكون ناسخاً كأنه قيل فاعفوا واصفحوا إلى ورود الناسخ (إن الله على كل شئ قدير)
- ١١٠ فينتقم منهم إذا حان حينه وأن أوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على فاعفوا أمروا بالصبر والمداواة واللجأ إلى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية (وما تقدموا لأنفسكم من خير) كصلاة أو صدقة أو غير ذلك أى شئ من الخيرات تقدموه لمصلحة أنفسكم (تجدوه عند الله) أى تجدوا ثوابه وقرىء تقدموا من أقدم (إن الله بما تعملون بصير) فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرىء بالياء فهو وعيد للكافرين (وقالوا) عطف على ود والضمير لأهل الكتابين جميعاً
- (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى) أى قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة أن السامع برد كلا منهما إلى قائله ونحوه وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا وليس مرادهم بأولئك من أقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ البقرة

- والتحريف على وجهها بل أنفسهم على ما هم عليه لأنهم إنما يقولونه لإضلال المؤمنين وردمهم إلى الكفر والهود جمع هائد كعوز جمع عائد وبزل جمع بازل والإفراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره باعتبار معناه وقرىء إلا من كان يهودياً أو نصرانياً (تلك أمانهم) الأمانى جميع أمنية وهي ما يتمنى كالأعجوبة والأصحوكة ● والجملة معترضة مبنية لبطلان ما قالوا وتلك إشارة إليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع وقيل فيه حذف مضاف أى أمثال تلك الأمنية أمانهم وقيل تلك إشارة إليه وإلى ما قبله من أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردم كفاراً ويرده قوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) فإنهما ليسا بما يطلب ● له البرهان ولا بما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا أصله آتوا قلبت الهمزة هاء أى أحضروا حاجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين فى دعواكم . هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه إجماز التنزيل أن يحمل الأمر التبكيتي على طلب البرهان على أصل الدخول الذى يتضمنه دعوى الاختصاص به فإن قوله تعالى (بلى) الخ إثبات من جهة تعالى لما نفوه مستلزم لنفى ما أثبتوه وإذ ١١٢ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفى مجرد اختصاصهم به مع بقاء أصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه بإذن الله تعالى ظهر أن المنفى أصل دخولهم ومن ضرورته أن يكون هو الذى كفوا إقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الإثبات والنفى وإنما عدل عن إبطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك لإبانة لغاية حرمانهم مما علقوا به أطباعهم وإظهار الكمال عجزم عن إثبات مدعاهم لأن حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن إقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من أصل الدخول وعجزهم عن إثباته وأما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن إثباته فهم من الاختصاص به أبعد وعن إثباته أعجز وإنما الفائز به من انتظمه قوله سبحانه (من أسلم وجهه لله) أى أخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئاً عبر عنها بالوجه لأنه أشرف الأجزاء ● ويجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذى هو من أخص خصائص الإخلاص أو توجهه وقصده بحسب لا يلوى عزيمته إلى شيء غيره (وهو محسن) حال من ضمير أسلم أى والحال أنه محسن فى ● جميع أعماله التى من جملتها الإسلام المذكور وحقيقة الإحسان الإتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسرهُ ﷺ بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (فله أجره) الذى وعده له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة أو عما يدخل هو فيه دخولا أولاً ● وأياً ما كان فتصويره بصورة الأجر للإيدان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نياله بدونه وقوله تعالى (عند ربه) حال من أجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب ● مضافاً إلى ضمير من أسلم موضع ضمير الجلالة لإظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة أى فله أجره

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ
الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ٢ البقرة

- عند مالكة ومدير أموره ومبلغه إلى كماله والجملة جواب من إن كانت شرطية وخبرها إن كانت موصولة
والفاء لتضمينها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز أن يكون من فاعلا لفعل مقدر
أى بلى بدخلها من أسلم وقوله تعالى فله أجره معطوف على ذلك المقدر وأياً ما كان فتعليق ثبوت الأجر
بما ذكر من الإسلام والإحسان المختصين بأهل الإيمان قاض بأن أولئك المدعين من دخول الجنة بمعزل
● ومن الاختصاص به بألف معزل (ولا خوف عليهم) في الدارين من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون)
من فوات مطلوب أى لا يعترهم ما يوجب ذلك لا أنه يعترهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع
١١٣ في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضمائر الأول باعتبار اللفظ (وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء) بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه إثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم .
نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ وأتاهم أخبار اليهود فتناظروا فارتفعت أصواتهم فقالوا
لهم لستم على شيء أى أمر يعتد به من الدين أو على شيء مامنه أصلاً مبالغته في ذلك كما قالوا أقل من لا شيء .
● وكفروا بعبسى والإنجيل (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) على الوجه المذكور وكفروا بموسى
● والتوراة لا أنهم قالوا ذلك بناء للأمر على منسوخية التوراة (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال واللام
للجنس أى قالوا ما قالوا والحال إن كل فريق منهم من أهل العلم والكتاب أى كان حق كل منهم أن يعترف
● بحقيقة دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فإن كتب الله تعالى متصادقة (كذلك) أى مثل ذلك الذى سمعت به
والكاف في محل النصب إما على أنها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لإفادة القصر أى قولاً مثل ذلك
● القول بعينه لا قولاً مغايراً له (قال الذين لا يعلمون) من عبدة الأصنام والمعتلة ونحوهم من الجملة أى
قالوا لأهل كل دين ليسوا على شيء وإما على أنها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال أى قال
● القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذى سمعت به (مثل قولهم) إما بدل من محل الكاف
● وإما مفعول للفعل المنفى قبله أى مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ
● عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم أصلاً (فالله يحكم بينهم) أى بين اليهود
والنصارى فإن مساق النظم لبيان حالهم وإنما تعرض لمقالة غيرهم لإظهار كمال بطلان مقالهم ولأن الحاجة
● المحوجة إلى الحكم إنما وقعت بينهم (يوم القيامة) متعلق يحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف
● المعنى (فيما كانوا فيه يختلفون) بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم أن يكذبهم
ويدخلهم النار والظرف الأخير متعلق يختلفون قدم عليه للحفاظ على رموس الآى لا بكانوا

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ البقرة

- (ومن أظلم ممن منع مساجد الله) إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبب التركيب متعرضاً لإنكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فإذ قيل من أكرم من فلان أولاً أفضل من فلان فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في أى مسجد كان وإن كان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص .
- روى أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخرّبوه وأحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن طيطيوس الرومى ملك النصارى وأصحابه غزوا بنى إسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خراباً حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضى الله عنه وإنما أوقع المنع على المساجد وإن كان الممنوع هو الناس لما أن فعلهم من طرح الأذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث أنها مبطلّة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله ﷺ أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة أن المشركين من جملة الجاهلين القائلين لكل من عداهم ليسوا على شيء (أن يذكر فيها اسمه) ثانى مفعولى منع كقوله تعالى وما منع الناس أن يؤمنوا • وقوله تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ويجوز أن يكون ذلك بحذف الجار مع أن وأن يكون ذلك مفعولاً له أى كراهة أن يذكر فيها اسمه (وسعى في خرابها) بالهدم أو التعطيل • بانقطاع الذكر (أولئك) المانعون الظالمون الساعون في خرابها (ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) • أى ما كان ينبغي لهم أن يدخلوها إلا بخشية وخضوع فضلاً عن الاجترار على تخريبها أو تعطيلها أو ما كان الحق أن يدخلوها إلا على حال التهيّب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلاً أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها أو ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالآخرة إلا ذلك فيكون وعداً للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد أنجز الوعد والله الحمد . روى أنه لا يدخل بيت المقدس أحد من النصارى إلا متنكراً مسارقاً وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلاف الأئمة في ذلك فجوزه أبو حنيفة مطلقاً ومنعه مالك مطلقاً وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره (لهم) أى لأولئك المذكورين (في الدنيا خزي) أى خزي فظيع لا يوصف بالقتل والسبي • والإذلال بضرب الجزية عليهم (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عذاب النار لما أن سببه أيضاً وهو ما حكي من ظلمهم كذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق إلى ما يذكر بعده من الخزي والعذاب لما مر من أن تأخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس إليه فيتمكن فيها عند وروده فيضلّ تمسكها كما في

وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمُوجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلِيمٌ ﴿١١٥﴾ البقرة
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ﴿١١٦﴾ البقرة

- ١١٥ قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وأنزل لکم من الأنعام ثمانية أزواج إلى غير ذلك (ولله المشرق والمغرب) أى له كل الأرض التى هى عبارة عن ناحيتى المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فإن منعم من إقامة العبادة فى المسجد الأقصى أو المسجد الحرام (فأينما تولوا) أى فى أى مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة (فتم وجه الله) ثم اسم إشارة للمكان البعيد خاصة مبنى على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على أنها جواب الشرط أى هناك جهته التى أمر بها فإن إمكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد أو مكان دون آخر أو تم ذاته بمعنى الحضور العلى أى فهو عالم بما يفعل فيه ومثبت لكم على ذلك وقرىء بفتح التاء واللام أى فأينما توجهوا القبلة (إن الله واسع) بإحاطته بالأشياء أو برحمته يريد التوسعة على عباده (عليهم) بمصالحهم وأعمالهم فى الآماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضى الله عنهما نزلت فى صلاة المسافرين على الراحلة أينما توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو أخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن أن يكون فى جهة (وقالوا اتخذ الله ولداً) حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الأجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرىء بغير واو على الاستئناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ إما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى إلا إلى واحد وإما بمعنى التصيير والمفعول الأول محذوف أى صير بعض مخلوقاته ولداً (سبحانه) تنزيه وتبرئة له تعالى عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أسبح سبحانه أى أنزهه تنزيهاً لا ثقاً به وفيه من التنزيه البالغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والإبعاد فى الأرض ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول إلى المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل مالا يغنى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه أى تنزه بذاته تنزهها حقيقة به ففيه مبالغة من حيث إسناد البراءة إلى الذات المقدسة وإن كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به لا إثباتها له تعالى وقوله تعالى (بل له ما فى السموات والأرض) ردلما زعموا وتنبه على بطلانه وكلمة بل للإضراب عما تقتضيه مقالاتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشيء من المخلوقات ومن سرعة فئانه الموجهة إلى اتخاذ ما يقوم مقامه فإن مجرد الإمكان والفناء لا يوجب ذلك . ألا يرى أن الأجرام الفلكية مع إمكانها وفنائها بالآخرة مستغنية

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ٢ البقرة
وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ
تَشَبَّهتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ ٢ البقرة

- بدواها وطول بقائها عما يجري مجرى الولد من الحيوان أى ليس الأمر كما زعموا بل هو خالق جميع
الموجودات التى من جملتها عزيز والمسيح والملائكة (كل) التنوين عوض عن المضاف إليه أى كل ما فيها ●
كأننا ما كان من أولى العلم وغيرهم (له قانتون) منقادون لا يستعصى شيء منهم على تكوينه وتقديره ●
ومشيتته ومن كان هذا شأنه لم يتصور بجانسته شيء ومن حق الولدان يكون من جنس الوالد وإنما جرى
بما المختصة بغير أولى العلم تحقيقاً لشأنهم وإيداناً بكال بعدهم عما نسبوا إلى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء
في قانتون للتغليب أو كل من جعلوه الله تعالى ولداً له قانتون أى مطيعون عابدون له معترفون برؤيته تعالى
كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة (بديع السموات والأرض) أى مبدعها ١١٧
ومخترعها بلا مثال يحتديه ولا قانون ينتجيه فإن البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه
أساطين أهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى أنشأه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع
بمعنى المسمع في قوله أمن ربحانة الداعى السميع وقيل هو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها للتخفيف
بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور أى بديع سمواته من بدع إذا كان على شكل فائق وحسن
رائق وهو حجة أخرى لإبطال مقاتلهم الشنعاء تقريرها أن الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته
عنه والله سبحانه مبدع الأشياء كلها على الإطلاق منزّه عن الانفعال فلا يكون والد أو رفعه على أنه خبر
لمبتدأ محذوف أى هو بديع الخ وقرئ بالنصب على المدح وبالجر على أنه بدل من الضمير في له على رأى
من يجوز الإبدال من الضمير المجرور كما في قوله [على جوده لرضن بالماء حاتم] (وإذا قضى أمراً) أى ●
أراد شيئاً كقوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئاً وأصل القضاء الأحكام أطلق على الإرادة الإلهية المتعلقة
بوجود الشيء لإيجابها إياه البتة وقيل الأمر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ (فإنما يقول له كن فيكون) ●
كلاهما من الكون التام أى أحدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الأمر والامتثال وإنما هو تمثيل
لسهولة تأتى المقدورات بحسب تعلق مشيئته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في الباب من طاعة
المأمور المطيع للأمر القوى المطاع وفيه تقرير لمعنى الإبداع وتلويح لحجة أخرى لإبطال ما زعموه بأن
اتخاذ الولد شأن من يفتقر في تحصيل مراده إلى مباد يستدعى ترتيبها مرور زمان وتبدل أطوار وفعله
تعالى متعال عن ذلك (وقال الذين لا يعلمون) حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم في أمر النبوة ١١٨
بعد حكاية قدحهم في شأن التوحيد بنسبة الولد إليه سبحانه وتعالى واختلف في هؤلاء القائلين فقال ابن
عباس رضى الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة
كما ينبغي أو لعدم علمهم بموجب عملهم أو لأن ما يحكى عنهم لا يصدر عن له شائبة علم أصلاً وقال قتادة

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ البقرة
وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ
أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ البقرة

- وأكثر أهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا بآية كما أرسل الأولون وقالوا ألولا أنزل علينا
● الملائكة أو نرى ربنا (لولا يكلمنا الله) أى هلا يكلمنا بلا واسطة أمراً ونهياً كما يكلم الملائكة أو هلا
● يكلمنا تنصيهاً على نبوتك (أو تأتينا آية) حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار إلى حيث
أملوا نيل مرتبة المفاضة الإلهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة إلى حيث لم يعدوا
● ما آتاهم من البينات الباهرة التي تخبر لها صم الجبال من قبيل الآيات قاتلهم الله أنى يؤفكون (كذلك)
● مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن العناد والفساد (قال الذين من قبلهم) من الأمم الماضية (مثل
قولهم) هذا الباطل الشنيع فقالوا أرنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الآية وقالوا هل يستطيع
● ربك الخ وقالوا اجعل لنا إلهاً الخ (تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء وأولئك في العمى والعناد وإلا لما
● تشابهت أقوالهم الباطلة (قد بينا الآيات) أى نزلناها بينة بأن جعلناها كذلك في أنفسها كما في قولهم
● سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل لا أنا بيناها بعد أن لم تكن بينة (لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين
ويوقنون بالحقائق لا يعترهم شبهة ولا ريب وهذا رد لطلبهم الآية وفي تعريف الآيات وجمعها وإيراد التبيين
المفصّل عن كمال التوضيح مكان الإتيان الذي طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى أنهم اقترحوا آية فذرة ونحن
قد بينا الآيات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وإنما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله إيداناً بأنه
● ١١٩ من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له إلى الرد والجواب (إنا أرسلناك بالحق) أى متلبساً بالقرآن كما في
● قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم أو بالصدق كما في قوله تعالى أحق هو وقوله تعالى (بشيراً ونذيراً)
● حال من مفعول باعتبار تقييده بالحال الأولى أى أرسلناك متلبساً بالقرآن حال كونك بشيراً لمن آمن
بما أنزل عليك وعمل به ونذيراً لمن كفر به أو أرسلناك صادقاً حال كونك بشيراً لمن صدقك بالثواب
ونذيراً لمن كذبك بالعذاب ليختاروا لأنفسهم ما أحبوا لا قاصر لهم على الإيمان فلا عليك إن أصرّوا
● وكابروا (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما أرسلت به وقرىء لن تسأل
وما تسأل وقرىء لا تسأل على صيغة النهي إيداناً بكال شدة عقوبة الكفار وتهويلها كأنها لغاية فظاعتها
لا يقدر المخبر على إجرائها على لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمع خبرها وحمله على نهى النبي ﷺ
عن السؤال عن حال أبويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة
الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وإيدان بأنهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم
● ١٢٠ الإيمان قطعاً وقوله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) بيان لكال شدة شكيمة
هاتين الطائفتين خاصة إثر بيان ما يعمهما والمشركين من الإصرار على ما هم عليه إلى الموت وإيراد لا

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ٢ البقرة

يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ ٢ البقرة

- النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من أن تصلب اليهود في أمثال هذه العظائم أشد من النصارى والإشعار بأن رضى كل منهما مبين لرضى الأخرى أى ان ترضى عنك اليهود ولو خلمتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فأوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في إقناطه ﷺ من إسلامهم مالا غاية وراهه فإنهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل أملوا منه ﷺ مالا يكاد يدخل تحت الإمكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم في أنفسهم ومقاتلتهم فيما بينهم وأما لانهم أظهروها للنبي ﷺ وشافوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وإن بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فإن قوله عز وجل (قل إن هدى الله هو الهدى) صريح في أن ما وقع هذا جواباً ● عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها أو يلزمه من الدعوة إلى اليهودية والصراية وادعاء أن الاهتداء فيهما كقوله عز وجل حكاية عنهم كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا أى قل رداً عليهم إن هدى الله الذى هو الإسلام هو الهدى بالحق والذى يحق ويصح أن يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراه هدى وما تدعون إليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم) أى آراءهم الزائفة الصادرة عنهم بقضية شهوات أنفسهم وهى التى عبر عنها فيما قبل بملتهم إذ هى التى ينتمون إليها وأما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو المعنى الحقيقى للملة فقد غيرها تغييراً (بعد الذى جاءك من العلم) أى الوحى أو الدين المعلوم صحته (مالك من الله) ● من جهته العزيزة (من ولى) يلى أمرك عموماً (ولا نصير) يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفي الولى نفي النصير وسط لا بين المعطوفين لتأكيد النفي وهذا من باب التهيج والإلهاب والإفانئ يتوهم إمكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب للقسم الذى وطأه اللام واكتفى به عن جواب الشرط (الذين آتيناهم ١٢١ الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه (يتلونه حق تلاوته) بمراعاة لفظه ● عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر وما بعده مقرر له (أولئك) إشارة إلى الموصوفين بإيتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد ● منزلتهم في الفضل (يؤمنون به) أى بكتابتهم دون المحرفين فإنهم بمعزل من الإيمان به فإنه لا يجمع الكفر ببعض منه (ومن يكفر به) بالتحريف والكفر بما يصدقه (فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا ● الكفر بالإيمان (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمة التى أنعمت عليكم) ومن جملتها التوراة وذكر النعمة إنما ١٢٢

وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ٢ البقرة

وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ٢ البقرة

- يكون يشكرها وشكرها الإيمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي ﷺ ومن ضرورة الإيمان بها
- الإيمان به عليه الصلاة والسلام (وأنى فضلتمكم على العالمين) أفردت هذه النعمة بالذكر مع كونها
 - ١٢٣ مندرجة تحت النعمة السالفة لإناقتها فيما بين فنون النعم (واتقوا) إن لم تؤمنوا (يوماً لا تجزى) في
 - ذلك اليوم (نفس) من النفوس (عن نفس) أخرى (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الجزاء (ولا يقبل
 - منها عدل) أى فدية (ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وتخصيصهم بتكرير التذكير وإعادة التحذير
 - للبالغة في النصح والإيذان بأن ذلك فذلك القضية والمقصود من القصة لما أن نعم الله عز وجل عليهم
 - ١٢٤ أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات) شروع في تحقيق أن هدى الله هو ما عليه
 - النبي ﷺ من التوحيد والإسلام الذى هو ملة إبراهيم عليه السلام وأن ما عليه أهل الكتابين أهواء
 - زائغة وأن ما يدعون من أنهم على ملته عليه الصلاة والسلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن إبراهيم
 - وأبنائه الأنبياء عليهم السلام من الأقاويل والأفاعيل الناطقة بحقية التوحيد والإسلام وبطلان الشرك
 - وبصحة نبوة النبي ﷺ وبكونه ذلك النبي الذى استدعاه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بقولهما
 - ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فإذ منصوب على المفعولية بمضمرة مقدم خوطب به النبي ﷺ بطريق
 - التلويح أى واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الأمور الداعية إلى التوحيد
 - الوازنة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون
 - ما وقع فيه من الحوادث مع أنها المقصودة بالذات قد مروجها في أثناء تفسير قوله عز وجل وإذ قال ربك
 - للإسلامك إني جاعل في الأرض خليفة وقيل على الظرفية بمضمرة مؤخر أى وإذ ابتلاه كان كيت وكيت
 - وقيل بما سيجىء من قوله تعالى قال الحق والاول هو اللائق بحزالة التنزيل ولا يبعد أن ينتصب بمضمرة
 - معطوف على اذكروا خوطب به بنو إسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عن ينتمون إلى ملته من إبراهيم وأبنائه
 - عليهم السلام من الأفعال والأقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء فى الأصل الاختبار أى
 - تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لأمر يشق عليه غالباً فعله أو تركه وذلك إنما يتصور حقيقة بمن
 - لا وقوف له على عواقب الأمور وأما من العلم الخبير فلا يكون إلا مجازاً من تمكينه للعبد من اختيار
 - أحد الأمرين قبل أن يرتب عليه شيئاً هو من مبادئه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة
 - فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه وإبراهيم اسم أجمعى قال السهيلي كثيراً ما يقع الاتفاق أو التقارب بين

- السرياني والعربي ألا يرى أن إبراهيم تفسيره أب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لأطفال المؤمنين الذين يموتون صغراً إلى يوم القيامة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا أن النبي ﷺ رأى في الروضة إبراهيم عليه السلام وحوله أولاد الناس وهو مفعول مقدم لإضافة فاعله إلى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وإيدان بأن ذلك الابتلاء تربية له وترشيع لأمر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه أو امر ونواهى يظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الإمامة العظمى وتحمل أعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لإرشادهم إلى طريق إتقان الأمور ببنائها على التجربة وللإيدان بأن بعثة النبي ﷺ أيضاً مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي أوجب بهادعوة إبراهيم عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد في المذكورة بعدها ورد بأنه يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضاً في شرعه وهن سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الحتان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر أن إبراهيم عليه السلام أول من قص الشارب وأول من اختتن وأول من قلم الأظفار وقال عكرمة عن ابن عباس لم يبتل أحد بهذا الدين فأقامه كله إلا إبراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من خصال الإسلام عشر منها في سورة براءة الثائبون الخ وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله عز وجل والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة أشياء بالشمس والقمر والنجوم والاختتان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هن محاجته قومه والصلاة والزكاة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الآيات ثم قيل إنما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لأنه يقتضى سابقة الوحي وأوجب بأن مطلق الوحي لا يستلزم البعثة إلى الخلق وقرئ برفع إبراهيم ونصب ربه أي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إلهن أولاً (فاتمهن) أي قام بهن حق القيام وأداهن أحسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وإبراهيم الذي وفى وعلى القراءة الأخيرة فأعطاه الله تعالى ما سأل من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه بقوله رب اجعل الآيات وقوله عز وجل (قال) على تقدير انتصاب إذ بمضمرة جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الكلام فإن الابتلاء تمهيد لأمر معظم وظهور فضيلة المبتهلى من دواعي الإحسان إليه فبعد حكايتهما ترقب النفس إلى ما وقع بعدها كأنه قيل فإذا كان بعد ذلك فقيل قال (إني جاعلك للناس إماماً) أو بيان لقوله تعالى ابتلى على رأى من جعل الكلمات عبارة عما ذكر أثره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب إذ يقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطفت القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال أي وقال ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير أحد مفعوليه الضمير والثاني إماماً واسم الفاعل بمعنى المضارع وأوكده منه لدلالته على أنه جاعل

وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ٢ البقرة

له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاءك أى لا جل الناس أو بمحذوف وقع
حالا من إماماً إذ لو تأخر عنه لكان صفة له والإمام اسم لمن يؤتم به وكل نبى إمام لا مته وإمامته عليه
السلام عامة مؤبدة إذ لم يبعث بعده نبى إلا كان من ذريته ما موراً باتباع ملته (قال) استئناف مبنى على
سؤال مقدر كأنه قيل فإذا قال إبراهيم عليه السلام عنده فقيل قال (ومن ذريتي) عطف على الكاف
ومن تبعية متعلقة بجاءك أى وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيداً لمن يقول سأكرمك أو بمحذوف
أى واجعل فريقاً من ذريتي إماماً وتخصيص البعض بذلك لبداية استحالة إمامة الكل وإن كانوا على الحق
وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت أو ذريت والأصل ذرووة
أو ذروية فاجتمع فى الأولى وآوان زائدة وأصلية فقلبت الأصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت واو
وياه وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء فصارت ذرية أو فعيلة منهما والأصل
فى الأولى ذرووة فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق إحداهما بالسكون فصارت ذرية كالثانية
فأدغمت الياء فى مثلها فصارت ذرية أو فعيلة من الذر بمعنى الخلق والأصل ذريثة تخففت الهمزة بإبدالها ياء
كهزمة خطيئة ثم أدغمت الياء الزائدة فى المبدلة أو فعيلة من الذر بمعنى التفريق والأصل ذريرة قلبت الراء
الأخيرة ياء لتوالى الأمثال كما فى تسرى وتفضى وتظنى فأدغمت الياء فى الياء كما مر أو فعولة منه والأصل
ذرووة فقلبت الراء الأخيرة ياء لجاء الإدغام وقرئ بكسر الذال وهى لغة فيها وقرأ أبو جعفر المدنى بالفتح
وهى أيضاً لغة فيها (قال) استئناف مبنى على سؤال ينساق إليه الذهن كما سبق (لا ينال عهدى الظالمين) ليس
هذا رداً لدعوته عليه الصلاة بل إجابة خفية لها وعدة إجمالية منه تعالى بتشرىف بعض ذريته عليه السلام بنيل
عهد الإمامة حسبما وقع فى استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف يميز لهم عن جميع من عداهم فإن
التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز إذ ليس معناه أنه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة
استحالة ذلك كما أشير إليه ولعل إيثار هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادئ الإمامة من ذريته إجمالاً أو
تفصيلاً وإرسال الباقيين لئلا ينتظم المقتدون بالآئمة من الآئمة فى ملك المحرومين وفى تفصيل كل فرقة من
الإطناب مالا يخفى مع ما فى هذه الطريقة من تخيب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع أطعامهم
الفارغة من نيلها وإنما أوثر النيل على الجعل إيماء إلى أن إمامة الأنبياء عليهم السلام من ذريته عليه السلام
كما سمعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى
وعيسى وسيدنا محمد ﷺ تسليماً كثيراً ليست يجعل مستقل بل هى حاصلة فى ضمن إمامة إبراهيم عليه السلام
تنال كلا منهم فى وقت قدره الله عز وجل وقرئ الظالمون على أن عهدى مفعول قدم على الفاعل اهتماماً
ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصبة الأنبياء عليهم السلام من الكبار على الإطلاق وعدم صلاحية
الظالم الإمامة وقوله تعالى (وإذ جعلنا البيت) أى الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف

- على إذا بتلى على أن العامل فيه هو العامل فيه أو مضمحل مستقل معطوف على المضمحل الأول والجعل إما بمعنى التصيير ف قوله عز وجل (مثابة) أى مرجعاً يثوب إليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه أو أمثالهم أو موضع ثواب
- يثابون بحججه واعتباره مفعوله الثانى وإما بمعنى الإبداع فهو حال من مفعوله واللام فى قوله تعالى (للناس) متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة أى مثابة كائنة للناس أو جعلنا أى جعلناه لأجل الناس وقرىء مثابات باعتبار تعدد الثائبين (وأمنأ) أى أمنأ كما فى قوله تعالى حرماً أمنأ على إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل للبالغة أو على تقدير المضاف أى ذا أمن أو على الإسناد المجازى أى أمنأ من حجه من عذاب الآخرة
- من حيث إن الحجيج يجب ما قبله أو من دخله من التعرض له بالعقوبة وإن كان جانباً حتى يخرج على ما هو رأى أبى حنيفة ويجوز أن يعتبر الأمن بالقياس إلى كل شئ كائناً ما كان ويدخل فيه أمن الناس دخولا أولياً وقد اعتيد فيه أمن الصيد حتى أن الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فإذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) على إرادة قول هو عطف على جعلنا أو حال من فاعله أى وقتلنا أو قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الأمر الذى يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كأنه قيل ثوبوا إليه واتخذوا الخ وقيل على المضمحل العامل فى إذوقيل هى جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الأخيرة له عليه السلام ولأمنته والأول هو الأليق بجزالة النظم الكريم والأمر صريحاً كان أو مفهوماً من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه أترقدمه عليه السلام والموضع الذى كان عليه حين قام ودعا الناس إلى الحج أو حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى إما موضع الصلاة أو موضع الدعاء روى أنه ﷺ أخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر رضى الله عنه أفلا نتخذ مصلى فقال لم أؤمر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الأمر بركعتى الطواف لما روى جابر رضى الله عنه أنه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وللشافعى فى وجوبهما قولان وقيل مقام إبراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجار واتخاذها مصلى أن يدعى فيها ويتقرب إلى الله تعالى وقرىء واتخذوا على صيغة الماضى عطفاً على جعلنا أى واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذى وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها
- (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) أى أمرناهما أمراً مؤكداً (أن طهرا بيتى) بأن طهرا على أن أن مصدرية حذف عنها الجار حذفاً مطرداً لجواز كون صلتهما أمراً ونهياً كما فى قوله عز وجل وأن أقم وجهك للدين حنيفاً لأن مدار جواز كونها فعلاً إنما هو دلالة على المصدر وهى متحققة فيهما وجوب كونها خبرية فى صلة الموصول الاسمى إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجل وهى لا بوصف بها إلا إذا كانت خبرية وأما الموصول الحر فى فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء فى الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهى صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى الماضى والاستقبال أو أى طهرا على أن أن مفسرة لتضمن العهد معنى القول وإضافة البيت إلى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الأمر بالتطهير ههنا إليهما عليهما السلام لا ينافى ما فى سورة الحج من تخصيصه بإبراهيم

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ البقرة

- عليه السلام فإن ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وكان
إسماعيل عليه السلام حينئذ بمنزل من مثابة الخطاب وظاهر أن هذا بعد بلوغه مبلغ الأمر والنهي وتمام
البناء بمباشرته كما ينبي عنه إirاده أثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الأول والثاني والانجاس
وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به (للطائفين) حوله (والعاكفين) المجاورين المقيمين
- عنده أو المعتسكفين أو القائمين في الصلاة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين والركع السجود جمع
راكع وساجد أي للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب
الآخرين ذاتا وزماناً ترك العاطف بين موصوفيهما أو إخلاصه لهؤلاء لئلا ينشأ غيرهم وفيه إيماء إلى أن
- ١٢٦ ملايسة غيرهم به وإن كانت مع مقارنة أمر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه (وإذ قال إبراهيم) عطف
● على ما قبله من قوله وإذ جعلنا الخ إما بالذات أو بعامله المضمر كامر (رب اجعل هذا بلداً آمناً) ذا أمن
كعيشة راضية أو آمناً أهله كليله نائم أي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك أول ما قدم عليه
السلام مكة كما روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه عليه الصلاة والسلام لما أسكن لإسماعيل
وهاجر هناك وعاد متوجهاً إلى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها
جواباً حتى قالت آله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذن لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى إذا استوى على ثنية
كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة إبراهيم
إن حمل على تعدد السؤال لما أنه عليه السلام سأل أولاً كلا الأمرين البلدية والأمن فاستجيب له في أحدهما
وتأخر الآخر إلى وقت المقدرة له لما تقتضيه الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبها هو المعتاد في الدعاء
والإتهال أو كان المسئول أولاً البلدية ومجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب إلى
ذلك وثانياً الأمن المعهود أو كان هو المسئول أولاً أيضاً وقد أجيب إليه لكن السؤال الثاني لاستدامته
والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لأنه المقصد الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار
بعد التحقق بخلاف الأمن وإن حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن
المسئول كلا الأمرين وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الأمن اكتفاء عن حكاية
سؤال البلدية بحكاية سؤال أفئدة الناس تهوى إليه كما سيأتي تفصيله هناك بإذن الله عز وجل
- (وارزق أهله من الثمرات) من أنواعها بأن تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبي إليه من الأقطار
الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى أنه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الطائف كانت من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام
بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهري أنه تعالى نقل قرية من

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ٢ البقرة

- قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من أهله بدل البعض خصهم بالدعاء لإظهار الشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماما بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيباً وترهيباً لقريش وغيرهم من أهل الكتاب (قال) استئناف مبنى على السؤال كما مر مراراً وقوله تعالى (ومن كفر) عطف على مفعول فعل محذوف تقديره أرزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى (فأمتعه) معطوف على ذلك الفعل أو في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فأمتعه خبره أى فأنا أمتعه وإنما دخلته الفاء تشبيهاً له بالشرط والكفر وإن لم يكن سبباً للتمتع المطلق لكنه يصلح سبباً لتقليله وكونه موصولاً بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كأنه قيل قل وارزق من كفر فإنه أيضاً مجاب كأنه عليه السلام قاس الرزق على الإمامة فنبه تعالى على أنه رحمة دينية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة الحاصلة بالخواص وقرى فأمتعه من أمتع وقرى فتمتعه (قليلاً) متممياً قليلاً أو زماناً قليلاً (ثم أضطره إلى عذاب النار) أى ألزه إليه لئلا المضطر للكفر وتضييعه ما تمتعه به من النعم وقرى ثم فاضطره على وفق قراءة فتمتعه وقرى فأمتعه قليلاً ثم اضطره بلفظ الأمر فيهما على أنهما من دعاء إبراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وإنما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للإيدان بأن الكفر سبب لا مضطر أزم إلى عذاب النار وأما رزق من آمن فإنما هو على طريقة التفضل والإحسان وقرى بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة وأطره يادغام الضاد في الطاء وهى لغة مرذولة فإن حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس (وبئس المصير) المخصوص بالذم محذوف أى بئس المصير النار أو عذابها (وإذ يرفع إبراهيم ١٢٧ القواعد من البيت) عطف على ما قبله من قوله عز وعلا وإذ قال إبراهيم على أحد الطريقتين المذكورتين في وإذ جعلنا وصيفة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهى الأساس صفة غالبية من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لأنه ينقلها من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وإن كان هو الذى بنى عليها لكنهما لما التأما صاراً شيئاً واحداً فكأنها نمت وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فإن كل ساف قاعدة لما يبنى عليها ويرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت وإظهار شرفه ودعاء الناس إلى حجه وفى إلهامها أولاً ثم تبينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى وإذ يرفع إبراهيم ما قعد من البيت واستوطاً يعنى يجعل هيئة القاعدة المستوطاة مرتفعة عالية بالبناء روى أن الله عز وجل أنزل البيت بقوة من يواقيت الجنة له بابان من زمر دشرقي وغربي وقال لآدم أهبط لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من أرض الهند إليه ماشياً وتلقته الملائكة فقالوا برحمتك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالني عام وحج آدم عليه السلام أربعين حجة من أرض الهند إلى مكة على رجله فكان على ذلك إلى أن رفعه الله أيام الطوفان إلى السماء الرابعة فهو البيت المعمور

وكان موضعه خالياً إلى زمن إبراهيم عليه السلام فأمره سبحانه بينائه وعرفه جبريل عليه السلام بمكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها إبراهيم عليه السلام حتى أتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سمحاً على قدر البيت وسار إبراهيم في ظلها إلى أن وافت مكة المعظمة فوقفت في موضع البيت فنودي أن ابن علي ظلها ولا تزد ولا تنقص وقيل بناء من خمسة أجبل طور سيناء وطور زبتا ولبنان والجودي وأسس من حراء وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الأسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه في أيام الطوفان وكان ياقوته يبيض من يواقيت الجنة فلما لمست الحوض في الجاهلية أسود وقال الفاسي في مثير الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة أنها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الأسماء واللغات والأزرق في تاريخه وذكر أنه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال بعث الله عز وجل جبريل إلى آدم عليهما السلام فقال له ولحواء ابني إلى بيتاً فخط جبريل وجعل آدم يحفر وحواء تنقل التراب حتى إذا أصاب الماء نودي من تحته حسبك آدم فلما بنياه أوحى إليه أن يطوف به فقبل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وهكذا ذكره الأزرق في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بنى آدم عند ما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتاً من الطين والحجارة فلم يزل معموراً يعمرونه هم ومن بعدهم إلى أن مسه الفرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الأزرق بسنده إلى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور في ما بين قاص ودان ومنها بناء العمالة ومنها بناء جرهم ذكرهما الأزرق بسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل الجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلي أن بناءها لم يكن في الدهر إلا خمس مرات الأولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه أعلم (وإسماعيل) عطف على إبراهيم ولعل تأخيرها عن المفعول للإيدان بأن الأصل في الرفع هو إبراهيم وإسماعيل تبع له قيل إنه كان يناوله الحجارة وهو بينها وقيل كانا يبنياه من طرفين (ربنا تقبل منا) على إرادة القول أي بقولان وقد قرئ به على أنه حال منهما عليهما السلام وقيل على أنه هو العامل في إذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا إذ يرفعان أي وقت رفعهما وقيل وإسماعيل مبتدأ خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون إبراهيم هو الرفع وإسماعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية أي وإذ يرفع إبراهيم القواعد والحال أن إسماعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبثة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الإجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدد من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية (إنك أنت السميع) لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا (العليم) بكل

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ٢ البقرة

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ٢ البقرة

المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع أعمالنا والجملة لتعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث إن كونه تعالى سميعاً لدعائهما عليهما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث إن عليه تعالى بصحة نياتهما وإخلاصهما في أعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلاً وتأكيده الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نفق السمع والعلم عليه تعالى لإظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم أن الظاهر أن أول ما جرى من الأمور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والأمن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جملة مثابة للناس والأمر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنبه تعالى في سلك مستقل ونظم الأمور الواقعة من جهة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الأفعال والأقوال في سلك آخر وأما قوله تعالى ومن كفر الخ فإنما وقع في تضاعيف الأحوال المتعلقة بإبراهيم لاقتضاء المقام واستيجاب ماسبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه أصلاً كما أن وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك (ربنا واجعلنا مسلمين ١٢٨ لك) مخلصين لك أو مستسلمين من أسلم إذا استسلم وانقاد وأياً ما كان فال المطلوب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الإخلاص والإذعان وقرىء مسلمين على صيغة الجمع يادخال هاجر معهما في الدعاء أو لأن التثنية من مراتب الجمع (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) أي واجعل بعض ذريتنا وإنما خصصهم بالدعاء لأنهم أحق بالشفقة ولأنهم إذا صلحوا صلح الأتباع وإنما خصصهم لما علياً أن منهم ظلمة وأن الحكمة الإلهية لا تقتضي اتفاق الكل على الإخلاص والإقبال الكلي على الله عز وجل فإن ذلك مما يخل بأمر المعاش ولذلك قيل لولا الحق لحربت الدنيا وقيل أراد بالامة المسلمة أمة محمد ﷺ وقد جوز أن يكون من مبينة قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن الأرض مثلهن والأصل وأمة مسلمة لك من ذريتنا (وأرنا) من الرؤية بمعنى الإبصار أو بمعنى التعريف أي بصرنا أو عرفنا (مناسكنا) أي متعبداتنا في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرىء أرنا قياساً على نخذ في نخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة من الهمة الساقطة دليل عليها وقرىء بالاختلاس (وتب علينا) استجابة لندريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والإيمان أو توبة لهما عما فرط منهما سهواً ولعلمهما قالا هضماً لأنفسهما وإرشاداً لندريتهما (إنك أنت التواب الرحيم) وهو لتعليل الدعاء ومزيد استدعاء للإجابة قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من أسمائه وصفاته (ربنا وابعث فيهم) أي في الأمة المسلمة ١٢٩

وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾ البقرة

- (رسولا منهم) أى من أنفسهم فإن البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي ﷺ فهو الذى أجيب به دعوتهما عليهما السلام روى أنه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان قال عليه السلام أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أوى وتخصيص إبراهيم عليه السلام بالاستجابة له لما أنه الأصل فى الدعاء وإسماعيل تبع له عليه السلام (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من البينات (ويعلمهم) بحسب قوتهم النظرية (الكتاب) أى القرآن (والحكمة) وما يكمل به نفوسهم من أحكام الشريعة والمعارف الحقة (ويزكيهم) بحسب قوتهم العملية أى يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصى (إنك أنت العزيز) الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد (الحكيم) الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء وإجابة المستول فإن وصف الحكمة مقتضى لإفاضة ما تقتضيه الحكمة من الأمور التى من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لا متناع وجود المانع بالمرّة (ومن يرغب عن ملة إبراهيم) إنكار واستبعاد لأن يكون فى العقلاء من يرغب عن ملته التى هى الحق الصريح والدين الصحيح أى لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء (إلا من سفه نفسه) أى أذلها واستمتمها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل أوبق أو أهلك أو جهل نفسه قال المبرد وتعلب سيفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد فى الخبر الكبير أن تسفه الحق وتغصص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل أصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ونحو قوله [ونأخذ بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام] وقوله [وما قوى بشعبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقاب] ذلك لأنه إذا رغب عما لا يرغب عنه أحد من العقلاء فقد بالغ فى إذلال نفسه وإذالتها وإهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روى أن عبد الله بن سلام دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام فقال لهما قد علمنا أن الله تعالى قال فى التوراة إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر ففزلت (ولقد اصطفيناه فى الدنيا) أى اخترناه بالنبوة والحكمة من بين سائر الخلق وأصله اتخاذ صفوة الشيء كما أن أصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررّة لمضمون ما قبلها أى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) أى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل فى حيز القسم مؤكداً لمضمونها مقررّاً لما تقرر ولا حاجة إلى جعله اعتراضاً آخر أو حالاً مقدرة فإن من كان صفوة للعباد فى الدنيا مشهوداً له بالصلاح فى الآخرة كان حقيقاً بالاتباع لا يرغب عن ملته إلا سفیه أو متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر والتأمل وإيثار الاسمية لما أن انتظامه فى زمرة صالحى أهل الآخرة أمر مستمر فى الدارين لا أنه

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ ٢ البقرة

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ٢ البقرة

يحدث في الآخرة والتأكيد بأن واللام لما أن الأمور الآخروية خفية عند المخاطبين لحاجتها إلى التأكيد أشد من الأمور التي تشهد آثارها وكلية في متعلقة بالصالحين على أن اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على أنه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله [ربيته حتى إذا تمعددا * كان جزائي بالعصا أن أجلدًا] أو بمحذوف من لفظه أي وأنه لصالح في الآخرة لمن الصالحين أو من غير لفظه أي أعني في الآخرة نحو لك بعد رعيًا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على أن في النظم الكريم تقديمًا وتأخيرًا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين (إذ قال له) ظرف لاصطفيناه لما أن المتوسط ليس بأجنبي بل هو مقرر له لأن اصطفاه في الدنيا ١٣١ إنما هو النبوة وما يتعلق بصالح الآخرة أو تعليل له أو منصوب بالذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة والتقدم وأنه مانال مانال إلا بالمبادرة إلى الإذعان والانقياد لما أمر به وإخلاص سره على أحسن ما يكون حين قال له (ربه أسلم) أي لربك (قال أسلمت لرب العالمين) وليس الأمر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى أخطر بياله دلائل التوحيد المؤدية إلى المعرفة الداعية إلى الإسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل أسلم أي أذعن وأطع وقيل اثبت على ما أنت عليه من الإسلام والإخلاص أو استقم وفوض أمورك إلى الله تعالى فالأمر على حقيقته والاتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والإضافة إليه عليه السلام لإظهار مزيد اللطف به والاعتناء بربيته وإضافة الرب في جوابه عليه الصلاة والسلام إلى العالمين للإيذان بكمال قوة إسلامه حيث أيقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المأمور به (ووصى بها إبراهيم بنيه) شروع ١٣٢ في بيان تكميله عليه السلام لغيره إثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم إلى الغير بما فيه خير وصلاح للسليين من فعل أو قول وأصلها الوصلة يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن الموصى يصل فعله بفعل الوصى والضمير في بها لليلة أو قوله أسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما عبر بها عن قوله تعالى إني براء عما تعبدون إلا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرىء أوصى والاول أبلغ (ويعقوب) عطف على إبراهيم أي وصى بها هو أيضًا وقرىء بالنصب عطفًا على بنيه (يا بني) على إضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لأنه في معنى القول كما في قوله [رجلان من ضبة أخبرانا * أنا رأينا رجلًا عريانا] فهو عند الأولين بتقدير القول وعند الآخرين متعلق بالإخبار الذي هو في معنى القول وقرىء أن يا بني وبنو إبراهيم عليه السلام كانوا أربعة إسماعيل وإسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وزبولون وزوانا وفتونا

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ
وَالْإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة

- وكوزا وأوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام (إن الله اصطفى لكم الدين) دين الإسلام الذي هو
- صفوة الأديان ولا دين غيره عنده تعالى (فلا تموتن إلا وأنتن مسلمون) ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الإسلام والمقصود الأمر بالثبات على الإسلام إلى حين الموت أى فائدتوا عليه ولا تفارقوه أبداً كقولك لا تصل إلا وأنت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه وأن حقه أن لا يحل بهم وأنه يجب أن يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وأنت شهيد روى أنه اليهود ١٣٣ قالوا الرسول الله ﷺ ألسنت تعلم أن يعقوب أوصى باليهودية يوم مات فنزلت (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) أم منقطعة مقدرة بيل والهمزة والخطاب لأهل الكتاب الراغبين عن ملة إبراهيم وشهداء جمع شهيد أو شاهد بمعنى الحاضر وإذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور أسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به إذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك إجمالاً ومعنى بل الإضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة إبراهيم عليه السلام إلى توبيخهم على إقراءهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكى عنهم وأما تعميم الإقراء ههنا لسائر الأنبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب بالذكر وما سياتى من قوله عز وجل أم تقولون إن إبراهيم الخ ومعنى الهمزة إنكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيته وقوله تعالى (إذ قال) بدل من إذ حضر
- أى ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله (لبنيه ما تعبدون من بعدى) أى أى شئ تعبدونه بعد موتى فن أين لكم أن تدعوا عليه عليه السلام ما تدعون رجماً بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والإنكار والتبكيك ثم بين أن الأمر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وأنه عليه السلام أراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والإسلام وأخذ ميثاقهم على الثبات عليهما إذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن إلا وأنتن مسلمون وما يسأل به عن كل شئ مالم يعرف فإذا عرف خص العقلاء بمن إذا سئل عن شئ بعينه
- وإن سئل عن وصفه قيل ما زيد أفعيه أم طيب فقوله تعالى (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ
- عن حكاية سؤال يعقوب عليه السلام كأنه قيل فإذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا (نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق) حسبما كان مراد أبيهم بالسؤال أى نعبد الإله المتفق على وجوده وإلهيته ووجوب عبادته وعد إسماعيل من آبائه تغليبا للأب والجد لقوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو أبيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرىء أليك على أنه جمع بالواو والنون كما في قوله [فلما تبين أصواتنا * بكين وفديننا بالآلينا] وقد سقطت النون بالإضافة أو مفرد إبراهيم عطف بيان له
- وإسماعيل وإسحق معطوفان على أليك (إلهاً واحداً) بدل من إله آبائك كقوله تعالى بالناسية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور أو نصب

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ٢ البقرة
وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ ٢ البقرة

- على الاختصاص (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله أو منهما معاً ويحتمل أن يكون اعتراضاً محققاً لمضمون ما سبق (تلك أمة) مبتدأ وخبر والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين ١٣٤ والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس أي يقصدونها ويقتدون بها (قد خلت) صفة للخبر أي مضت بالموت وانفردت عن عداها وأصله صارت إلى الخلاء وهي الأرض التي لا أنيس بها (لها ما كسبت) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو صفة أخرى لامة أو حال من الضمير في خلت وما موصولة أو موصوفة والعائد إليها محذوف أي لها ما كسبته من الأعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها إلى غيرها فإن تقديم المسند يوجب قصر المسند إليه عليه كما هو المشهور (ولكم ما كسبتم) عطف على نظيرتها على الوجه الأول وجملة مبتدأة على الوجهين الآخرين إذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال أي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فإن تقديم المسند قد يقصده قصره على المسند إليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين أي ولي ديني لادينكم وحمل الجملة الأولى على هذا القصر على معنى أن أولئك لا ينفعهم إلا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام إذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج إلى بيان امتناعه وإنما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بأن أعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم إلى غيرهم وليس هؤلاء إلا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم إليهم وإنما ينفعهم اتباعهم لهم في الأعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) إن أجرى السؤال على ظاهره فالجملة مقررمة لمضمون ما مر من الجملتين تقريراً ظاهراً وإن أريد به مسيبه أعنى الجزاء فهو تميم لما سبق جار مجرى النتيجة له وأياً ما كان فالمراد تخيب المخاطبين وقطع أطباعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وإنما أطلق العمل لإثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذه والموصول عن السيئات فقيل أي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تتأبون بحسناتهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم مزهونون من كسب السيئات فمن أين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه (وقالوا) شروع في بيان فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم لإثريان ضلالهم في أنفسهم والضمير ١٣٥ لأهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لإبعادهم من مقام المخاطبة والإعراض عنهم وتعديد جنائياتهم عند غيرهم أي قالوا للؤمنين (كونوا هوداً أو نصارى) ليس هذا القول مقولاً لكلهم أو لأمي طائفة كانت من الطائفتين بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنياً عن التصريح به أي قالت اليهود كونوا هوداً أو النصارى كونوا نصارى ففعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى اعتماداً على ظهور المرام (تهتدوا) جواب

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَلَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ البقرة

- للأمر أى إن تكونوا كذلك (قل) خطاب للنبي ﷺ أى قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق
- لديهم وإرشادهم إليه (بل ملة إبراهيم) أى لا نكون كما يقولون بل نكون أهل ملته عليه السلام وقيل بل تتبع ملته عليه السلام وقد جوز أن يكون المعنى بل اتبعوا أتم ملته عليه السلام أو كونوا أهل ملته
- وقرىء بالرفع أى بل ملتنا أو أمرنا ملته أو نحن ملته أى أهل ملته (خفيفاً) أى مائلاً عن الباطل إلى الحق وهو حال من المضاف إليه كما في رأيت وجهه هند قائمة أو المضاف كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم
- من غل إخواننا الخ (وما كان من المشركين) تعريض بهم وإيذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام
- ١٣٦ مع إشرأ كههم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (قولوا) خطاب للؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالاتهم الشنعاء على الإجمال وإرشاد لهم إلى طريق التوحيد والإيمان على ضرب من التفصيل أى
- قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقاً وإرشاداً ضمنياً لهم إليه (آمنّا بالله وما أنزل إلينا) يعنى القرآن قدم على
- سائر الكتب الإلهية مع تأخره عنها نزولاً لاختصاصه بنا وكونه سبباً للإيمان بها (وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) الصحف وإن كانت نازلة إلى إبراهيم عليه السلام لكن من بعده
- حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت أحكامها جعلت منزلة إلههم كما جعل القرآن منزلاً إلينا والأسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام أو أبناؤه الاثنا عشر وذرايرهم
- فإنهم حفدة إبراهيم وإسحق (وما أوتى موسى وعيسى) من التوراة والإنجيل وسائر المعجزات الباهرة
- الظاهرة بأيديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وإيراد الإيتاء لما أشير إليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر
- لما أن الكلام مع اليهود والنصارى (وما أوتى النبيون) أى جملة المذكورين وغيرهم (من ربهم) من
- الآيات البينات والمعجزات الباهرات (لا نفرق بين أحد منهم) كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وإنما اعتبروا عدم التفريق بينهم مع أن الكلام فيما أوتوه لا استلزام عدم التفريق بينهم
- بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما أوتوه وهمزة أحد إما أصلية فهو اسم موضوع إن يصلح أن يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال
- بين الناس ومنه ما في قوله ﷺ ما أحلت الغنائم لأحد سود الرءوس غيركم حيث وصف بالجمع وإما مبدلة
- من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف
- لظهوره أى بين أحد منهم وبين غيره كما في قول النابغة [فما كان بين الخير لوجاء سالماً] أبو حجر إلا
- ليال قلائل [أى بين الخير وبينى وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداه كائناً من كان ما ليس فى أن يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير فى آمناً وقوله عز وجل
- (ونحن له مسلمون) أى مخلصون له ومذعنون حال أخرى منه أو عطف على آمناً .

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ ٢ البقرة

- (فإن آمنوا) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن ما تقدم من إيمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لإيمان ١٣٧
 أهل الكتابين لما أنه مشتمل على ما هو مقبول عندهم (بمثل ما آمنتم به) أي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على
 أن المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما
 آمنتم به وقراءة أبي بالذي آمنتم به ويجوز أن تكون الباء للاستعانة على أن المؤمن به محذوف لظهوره بمروره
 آخفاً أو على أن الفعل مجرى مجرى اللازم أي فإن آمنوا بما مر مفصلاً أو فإن فعلوا الإيمان بشهادة مثل
 شهادتك وأن تكون الأولى زائدة والثانية صلة لأنتم وما مصدرية أي فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم بما ذكر
 مفصلاً وأن تكون للبابسة أي فإن آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به أو فإن آمنوا إيماناً ملتبساً بمثل
 ما آمنتم إيماناً ملتبساً به من الإذعان والإخلاص وعدم التفريق بين الأنبياء عليهم السلام فإن ما وجد فيهم
 وصدر عنهم من الشهادة والإذعان وغير ذلك مثل ما للؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فإنه لا يتصور فيه التعدد
 (فقد اهتدوا) إلى الحق وأصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق وأما ما قيل من أن المعنى
 فإن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فإن وحدة المقصد لا تأتي تعدد الطريق
 فيأباه أن مقام تعيين طريق الحق وإرشادهم إليه بعينه لا يلائم تجويز أن يكون له طريق آخر ورأه (وإن
 تولوا) أي أعرضوا عن الإيمان على الوجه المذكور بأن أخذوا بشيء من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا
 ببعض كما هو دينهم ودينهم (فإنما هم في شقاق) المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف
 والمعاداة والعداء من العدو أي الجانب فإن أحد المخالفين يعرض عن الآخر صورة أو معنى ويؤليه
 خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم أي هم مستقرون في خلاف عظيم
 بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب إيمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة
 إما جواب الشرط كما هي على أن المراد مشاققتهم الحادثة بعد توليتهم عن الإيمان بجواب الشرطية الأولى
 وإنما أوترت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك وإما بتأويل فاعلموا إنما هم في شقاق .
 هذا هو الذي يستدعيه نخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فإن آمنوا الخ من باب التعميز
 والتبكيك على مناهج قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله والمعنى فإن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم مائلاً له
 في الصحة والسداد فقد اهتدوا وإذا لا إمكان له فلا إمكان لاهتدائهم ولا ريب في أنه مما لا يليق بحمل
 النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وأن ذلك مما يؤدي إلى الجدال والقتال
 لا محالة عقب ذلك بتسليية رسول الله ﷺ وتفريح المؤمنين بوعده النصر والغلبة وضمأن التأييد والإعزاز
 وعبر بالسین الدالة على تحقق الوقوع البتة فقل (فسيكفيكم الله) أي سيكفيك شقاقهم فإن الكفاية
 لا تتعلق بالأعيان بل بالأفعال وقد أنجز عز وجل وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ٢ البقرة

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ٢ البقرة

- النصير وتلوين الخطاب بتجريد النبي ﷺ مع أن ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما أنه الأصل والعمدة في ذلك والإيدان بأن القيام بأمور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الأعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام أتم وأكمل (وهو السميع العليم) تذييل لما سبق من الوعد وتأكيده والمعنى أنه تعالى يسمع ما تدعون به ويعلم ما في نيتك من إظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك إلى مرادك أو وعيد للكفرة أي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فإن وعيد الكفرة وعد المؤمنين (صبغة الله) الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الإيمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيراً للمؤمنين من أضرار الكفر وحلية تزنيهم بآثاره الجميلة وامتداد خلا في قلوبهم كأن شأن الصبغ بالنسبة إلى الثوب كذلك وقيل للشاكلة التقديرية فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويزعمون أنه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم وإضافتها إلى الله عز وجل مع استناده فيما سلف إلى ضمير المتكلمين للتشريف والإيدان بأنها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي إذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كأنه قيل صبغة الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الإغراء أي ألزموا صبغة الله وإنما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان أنه الإيمان الحق وبه الاهتمام ومسارعة إلى تسليته عليه الصلاة والسلام (ومن أحسن من الله) مبتدأ وخبر والإستفهام للإنكار والنفي وقوله تعالى (صبغة) نصب على تمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته أحسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما أي لا صبغة أحسن من صبغته تعالى على معنى أنها أحسن من كل صبغة على ما أشير إليه في قوله تعالى ومن أظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والفرضى المبنى على زعم الكفرة لم يلزم منه أن يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة الجملة اعتراضية مقرر لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج (ونحن له) أي الله الذي أولانا تلك النعمة الجليلة (عابدون) شكرأ لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا داخل معه تحت الأمر وإيثار الاسمية للإشعار بدوام العبادة أو على فعل الإغراء بتقدير القول أي ألزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن أحسن من الله صبغة حيث يجرى مجرى التعليل للإغراء (قل أتحاجوننا) تجريد الخطاب للنبي ﷺ عقيب الكلام الداخل تحت الأمر الوارد بالخطاب العام لما أن المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام وقرىء بإدغام النون والهمزة للإنكار والتوبيخ أي أتحادلوننا (في الله) أي في دينه وتدعون أن دينه الحق هو اليهودية

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ
أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ٢ البقرة

- والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وتارة كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا (وهو ربنا وربكم) جملة حالية وكذلك ما عطف عليها أي
- أجادلونا والحال أنه لا وجه للجدالة أصلاً لأنه تعالى ربنا أي مالك أمرنا وأمركم (ولنا أعمالنا) الحسنة الموافقة لأمره (ولكم أعمالكم) السيئة المخالفة لحكمه (ونحن له مخلصون) في تلك الأعمال لا نبغى بها إلا وجهه فأنى لكم المحاجة وادعاء حقيقة ما أنتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس إليه وكلمة أم في قوله تعالى (أم تقولون) إما معادلة للهمزة في قوله تعالى أجادلونا داخلية في حيز الأمر على ١٤٠ معنى أي الأمرين تأتون إقامة الحجة وتنوير البرهان على حقيقة ما أنتم عليه والحال ما ذكر أم التشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء وتقولون (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا
 - كانوا هوداً أو نصارى) فنحن بهم مقتدون والمراد إنكار كلا الأمرين والتوبيخ عليهما وإما منقطعة مقدرة بيل والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام وقرىء أم يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلية تحت الأمر واردة من جهته تعالى توبيخاً لهم وإنكاراً عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا وأما ما قيل من أن المعنى أجادلونا في شأن الله واصطفائه نبياً من العرب دونكم لما روى أن أهل الكتاب قالوا الأنبياء كلهم منا فلو كنت نبياً لكنت منا فزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أنه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كما أكرمكم بأعمالكم كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحونه إلخافاً وتبكيئاً فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء وإما إفاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتجلى بالإخلاص فكما أن لكم أعمالاً ربما يعتبرها الله تعالى في إعطائها فلنا أيضاً أعمال ونحن له مخلصون أي لا أنتم فع عدم ملامته لسباق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير كون كلمة أم معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما أن المراد بالأعمال من الطرفين ما أشير إليه من الأعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في أن أمر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الأعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب (قل أنتم أعلم أم الله) إعادة الأمر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الإنكار عليهم بل الإيذان بأن ما بعده ليس متصلاً بما قبله بل بينهما كلام للخطابين مترتب على ما سبق مستتبعا لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحاً لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الأنبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون وقوله عز قاتلاً قال أسجدلن خلقت طيناً قال أرايتك هذا الذي كرمت على فإن تكرير قال في الموضعين وتوسطه بين قولي قائل واحد
- ٢٢ أبو السمود ج ١

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْهَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ البقرة
سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْتُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ أَلَّا كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ البقرة

للإيدان بأن بينهما كلاماً لصاحبه متعلقاً بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله أى كذبهم
في ذلك وبكتهم قاتلاً إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون وقد نبي عن إبراهيم عليه السلام كلا الأمرين حيث قال
ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً واحتج عليه بقوله تعالى وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده
وهؤلاء المعطوفون عليه عليه السلام أتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما
تصفون (ومن أظلم) إنكار لأن يكون أحد أظلم (من كتم شهادة) ثابتة (عنده) كائنة (من الله) وهى
شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلى آنفاً فعنده صفة لشهادة
وكذا من الله جىء بهما لتعليل الإنكار وتأكيده فإن ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز
وجل من أقوى الدواعى إلى إقامتها وأشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الأول مع أنه متأخر في الوجود
لمراعاة طريقة الترقى من الأدنى إلى الأعلى والمعنى أنه لا أحد أظلم من أهل الكتاب حيث كنتموا هذه
الشهادة وأثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليل الأظلمية بمطلق الكتمان للإيماء إلى أن مرتبة من
يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان أولا أحد أظلم منا لو كتمانها فالمراد بكتمتهم عدم
إقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية أظلمية أهل الكتاب على نحو ما أشير إليه وفي إطلاق الشهادة
مع أن المراد بها ما ذكر من الشهادة المعنية تعريض بكتانهم شهادة الله عز وجل للنبي ﷺ في التوراة
والإنجيل (وما الله بغافل عما تعملون) من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته سبحانه وافتراؤهم
على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام دخولا أو لياً أى هو محيط بجميع ما تأتون وما تذكرون فبما قبكم بذلك
أشد عقاب وقرىء عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير إما لمن كتم باعتبار المعنى وإما لأهل الكتاب
وقوله تعالى ومن أظلم إلى آخر الآية مسوق من جهة تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد (تلك
أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) تكرير للبالغة في الزجر عما هم
عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على أعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذير عن الاقتداء
بهم وقيل المراد بالآمة الأولى الأنبياء عليهم السلام وبالثانية أسلاف اليهود (سيقول السفهاء) أى
الذين خفت أحلامهم واستمهنوا بالتقليد والإعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفیه إذا كان
خفيف النسج وقيل السفیه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم
اليهود على ما روى عن ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهم قالوه إنكاراً للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا
يأنسون بموافقة عليه الصلاة والسلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون وهو الأنسب بقوله عز وجل ألا
لأنهم هم السفهاء وإنما قالوه لجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقبة القبلة الأولى وبطلان الثانية إذ ليس

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا
 الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا
 عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَّبِعُ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ٢ البقرة

- كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل إلى مكة بل طعنا في الدين فإنهم كانوا يقولون رغب عن قبله آباءه ثم رجع إليها وليرجعوا إلى دينهم أيضاً وقيل هم القادحون في التحويل منهم جميعاً فيكون قوله تعالى (من الناس) أى الكفرة لبيان أن ذلك القول المحكى لم يصدر عن كل فرد
- فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن أشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الأظهر إذ لو أريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهاً بهم بالذكر لا يقتضى تسليم الباقيين للتحويل وارتضاءهم إياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقاً أو بالعبارة المحكية (ما ولاهم) أى
- أى شئ صرفهم والاستفهام للإنكار والنفي (عن قبلتهم) القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهى الحال التى يقابل الشئ غيره عليها كالجلسة للحالة التى يقع عليها الجلوس يقال لا قبله له ولا دبره إذا لم يهتد لجهة أمره غلبت على الجهة التى يستقبلها الإنسان فى الصلاة والمراد بها ههنا بيت المقدس وإضافتها إلى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى (التي كانوا عليها) أى ثابتين مستمرين على التوجه إليها ومراعاتها واعتقاد
- حقيقتها لتأكيد الإنكار فإن الاختصاص بالشئ والاستمرار عليه باعتقاد حقيقته مما ينافى الانصراف عنه فإن أريد بالقائلين اليهود فدار الإنكار كراهمهم للتحويل عنها وزعمهم أنه خطأ وإن أريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد إلى الطعن فى الدين والقدح فى أحكامه وإظهار أن كلا من التوجه إليها والانصراف عنها واقع بغير داع إليه لا لكراهمهم الانصراف عنها أو التوجه إلى مكة وتعليق الإنكار بما بوليهم عنها لا بما يوجههم إلى غيرها مع تلازمهما فى الوجود لما أن ترك الدين القديم أبعد عند العقول وإنكار سببه أدخل لا الإيذان بأن المنكرين هم اليهود ديناء على أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذى هو القبلة الحقة عندهم لا التوجه إلى خصوصية قبلة أخرى أوهم المشركون بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه إلى الكعبة لأنه الحق عندهم فإنه بمعزل عن ذلك كيف لا والمنافقون من أحد الفريقين لا محالة والإخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد ما يبيد كبتهم فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق وأشد
- والجواب العتيد لثغيب الخصم الألد أردو قوله عز وجل (قل لله المشرق والمغرب) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا أقول عند ذلك فقيل قل الخ أى الله تعالى ناحيتا الأرض أى الجهات كلها ملكا وملكاً وتصرفاً فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبله بدون ما عداها بل إنما هو بأمر الله سبحانه ومشيتته (يهدى من يشاء) أن يهديه مشيئة تابعة للحكم الخفية التى لا يعلمها إلا هو (إلى صراط مستقيم) موصل
- إلى سعادة الدارين وقد هدانا إلى ذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة لحكم آية ومصالح خفية (وكذلك جعلناكم) توجيه الخطاب إلى المؤمنين ١٤٣

بين الخطابين المختصين بالرسول ﷺ لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك إشارة إلى مصدر جعلناكم لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق كإفيل وتوحيد الكاف مع القصد إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكالتميز به وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير جعلناكم أمة وسطاً جعلنا كائناتنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنسبة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتاً له أي ذلك الجعل البديع جعلناكم (أمة وسطاً) لا جعلنا آخر أدنى منه والوسط في الأصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب إليه كمرکز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والأعواز والأوساط محمية محوطة كإفيل واستشهد عليه بقول ابن أوس الطائي [كانت هي الوسط المحمي فاكنتفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفاً] فإن تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام إذ لا ملازمة بينها وبين أهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها الظهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجرأة والبلاهة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الأوساط المحفوفة بأطرافها ثم أطلق على المنتصف بها ما لفظه كأنه نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكور والمؤنث رعاية لجانب الأصل كدأب سائر الأسماء التي بوصف بها وقدر وعيت ههنا نكتة رائعة هي أن الجعل المشار إليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى إلى الحق الذي عبر عنه بالصرط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب فإننا إذا فرضنا خطوطاً كثيرة واصله بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطاً بين الطرق الجائرة كون الأمة المهتدية إليه أمة وسطاً بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة أي متصفة بالخصال الحميدة خياراً وعدولاً مزكّين بالعلم والعمل (لتكونوا شهداء على الناس) بأن الله عز وجل قد أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكروهي غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فإن العدالة كما أشير إليه حيث كانت هي الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار إلى رتبته بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً كان المنتصف بها واقفاً على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين حاوياً لشرائط الشهادة عليهم . روى أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينه وهو أعلم إقامة للحجة على المنكرين وزيادة لحزبهم بأن كذبهم من بعدهم من الأمم فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بأخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي ﷺ ويسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعد التهم وذلك قوله عز قاتلاً (ويكون الرسول عليكم شهيداً) وكلمة

- الاستعلاما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة إلا من العدول الاختيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) جرد الخطاب للنبي ﷺ رمزاً إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقية بأن يخص معرفته به عليه السلام وليس الوصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من أن الجعل تحويل الشيء من حالة إلى أخرى فالملتبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفاً فينبغي أن يكون المفعول الأول هو الوصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي ينساق إليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي إلى العكس فإن المقصود إفادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيد ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالوصول هي الكعبة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها أولاً ثم لما هاجر أمر بالصلاة إلى الصخرة تألفاً لليهود أو هي الصخرة لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن أن يراد بالقبلة الأولى الكعبة وأما الصخرة فيتأتى إرادتها على الروایتين والمعنى على الأول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها أثرى أثر وهو الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة (إلا لنعلم) استثناء مفرغ من أعم العمل أي وما جعلنا ذلك لشيء من الأشياء إلا لنتحقق الناس أي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ (من يتبع الرسول) في التوجه إلى ما أمر به من الدين أو القبلة والالتفات إلى الغيبة مع إirاده عليه السلام بعنوان الرسالة للإشعار بعلّة الاتباع (من ينقلب على عقبيه) يرتد عن دين الإسلام أو لا يتوجه إلى القبلة الجديدة أو لنعلم الآن من يتبع الرسول من لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الأول ما رددناك إلى ما كنت عليه إلا لنعلم الثابت على الإسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف إيمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزء من العلم الحالي أي ليتعلق علمنا به موجوداً بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين وإسناده إليه سبحانه لما أنهم خواصه وليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجحول من صيغة الغيبة والعلم إما بمعنى المعرفة أو متعلق بما في من من معنى الاستفهام أو مفعوله الثاني من ينقلب الخ أي لنعلم من يتبع الرسول متميزاً من ينقلب على عقبيه (وإن كانت لكبيرة) أي شاقة ثقيلة وإن هي المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى إن كان وعد ربنا لمفعولاً وزعم الكوفيون أنها نافية واللام بمعنى إلا أي ما كانت إلا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع إلى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة أو التولية أو التحويلة أو الردة أو القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على أن كان مزيدة كما في قوله [وأخوان لنا كانوا كرام] وأصله وإن هي لكبيرة كقوله إن زيد لمنطلق (إلا على الذين هدى الله) أي إلى سرائر الأحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح إجمالاً وتفصيلاً وهم المهديون إلى الصراط المستقيم الثابتون على الإيمان واتباع الرسول عليه السلام (وما كان الله ليضيع إيمانكم) أي ماصح وما استقام له

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ البقرة

أن يضيع ثباتكم على الإيمان بل شكر صنيعكم وأعد لكم الثواب العظيم وقيل لإيمانكم بالقبلة المنسوخة
وصلاتكم إليها لما روى أنه عليه السلام لما توجه إلى الكعبة قالوا كيف حال إخواننا الذين مضوا وهم
يصلون إلى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع إما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأى البصرية
وانتصاب الفعل بعدها بأن المقدرة أى ما كان الله مريداً أو متصدياً لأن يضيع الخ ففي توجيه النفي إلى
إرادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجهه إلى نفسه وإما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو
● رأى الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى (إن الله
بالناس لرؤوف رحيم) تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فإن اتصافه عز وجل بهما يقتضى لا محالة أن لا يضيع
أجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه أبلغ منه لما مر في وجه
تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة أكثر من الرأفة في الكمية والرأفة أقوى منها في الكيفية لأنها
عبارة عن إيصال النعم الصافية عن الآلام والرحمة إيصال النعمة مطلقاً وقد يكون مع الآلام كقطع
العضو المتأكل وقرىء رؤوف بغير مد كندس (قد نرى تقلب وجهك في السماء) أى تردده وتصرف نظرك
في جهتها تطلعاً للوحى وذلك أن رسول الله ﷺ كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل أن يحوله
إلى الكعبة لأنها قبله إبراهيم وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولخالفه اليهود
● فكان يراعى نزول جبريل بالوحى بالتحويل (فلنولينك قبلة) الفاء الدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام أى فوالله لنولينك أى لنعطينكم ولنمكنكم
من استقبالتها من قولك وليته كذا أى صيرته والياء له أو لنجعلنك تلى جهتها أو لنحولنك على أن نصب
● قبله بحذف الجار أى إلى قبلة وقيل هو متعدد إلى مفعولين (ترضاه) تحبها وتشتاق إليها لمقاصد دينية
● وافقت مشيئته تعالى وحكمته (فول وجهك) الفاء لتفريع الأمر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص
● التولية بالوجه لما أنه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن أى فاصرفه (شطر المسجد الحرام)
أى نحوه وهو نصب على الظرفية من ول أو على نزع الخافض أو على أنه مفعول ثان له وقيل الشطر
في الأصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطوره إذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وإن
لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم أى محرم فيه القتال أو ممنوع من الظلمة أن يتعرضوا له وفي ذكر المسجد
الحرام دون الكعبة إيدان بكفاية مراعاة الجهة لأن في مراعاة العين من البعيد حرجاً عظيماً بخلاف
القريب . روى عن البراء بن عازب أن نبي الله ﷺ قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشرة شهراً ثم
وجه إلى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله ﷺ في

وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ البقرة

- مسجد بنى سلبه وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجداً القبليتين (وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) خص الرسول ﷺ بالخطاب تعظيماً لجناحه وإيذاناً بإسعاف مرأته ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف أمتهم تأكيداً للحكم وتصريحاً بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحشاً للأمة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى أيا ما تدعوا فله الasma الحسنی (وإن الذين أوتوا الكتاب) من فريقي اليهود والنصارى (ليعلمون أنه) أى التحويل أو التوجه المفهوم من التولية (الحق) لا غير لعلمهم بأن عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعابنتهم لما هو مسطور في كتبهم من أنه عليه الصلاة والسلام يصلى إلى القبليتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بإيتاء الكتاب وإن مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولى يعلمون أو مسد مفعوله الواحد على أن العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق أى كائناً من ربهم أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى الكائن من ربهم (وما الله بغافل عما تعملون) وعدد وعيد للفریقین والخطاب للكل تغليباً وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لأهل الكتاب (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب) وضع ١٤٥ الموصول موضع المضمر للإيذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما يرغمهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كانوا في قبوله (بكل آية) أى حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى (ما تبعوا قبلك) جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى أنهم ما تركوا قبلك لشبهة تزيلها الحجة وإنما خالفوك مكابرة وعناداً وتجريده الخطاب للنبي ﷺ بعد تعميمه للأمة لما أن الحاجة والإتيان بالآية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى (وما أنت بتابع قبلتهم) جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع أطعاهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو أن تكون صاحبنا الذى ننظره تغريراً له عليه الصلاة والسلام وداماً في رجوعه وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وإفراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم أن مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الإضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) فإن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه (ولئن أتبع أحوالهم) الزائفة المتخالفة (من بعد ما جاءك من العلم) بيطلاهما وحقبة ما أنت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التوبيخ والإلهاب للثبات على الحق أى ولئن أتبع أحوالهم فرضاً (إنك إذا لمن الظالمين) وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن

الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلِكْتَبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ البقرة

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ البقرة

- متابعة الهوى فإن من ليس من شأنه ذلك إذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه مراتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك وإذن حرف جواب وجزاء توسط بين اسم إن وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة إذ كان حقها أن تتقدم أو تتأخر فلم تتقدم لئلا يتوهم أنها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لأن المذكور جواب القسم ولم تتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الأنبياء عليهم السلام (الذين آتيناهم الكتاب) أى علماءهم إذ هم العمد في إيتائه ووضع الموصول موضع المضمرة مع قرب العهد للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى (يعرفونه) للرسول ﷺ والالتفات إلى الغيبة للإيدان بأن المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها أنه عليه السلام يصل إلى القبلتين كأنه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو إضمار قبل الذكر للإشعار بفخامة شأنه عليه الصلاة والسلام أنه علم معلوم بغير إعلام فتأمل وقيل الضمير للعلم أو سببه الذى هو الوحي أو القرآن أو التحويل ويؤيد الأول قوله عز وجل (كما يعرفون أبناءهم) أى يعرفونه عليه الصلاة والسلام بأوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم ولا يشبهه عليهم كما لا يشبهه أبناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم أعرف عندهم منهم بسبب كونهم أحب إليهم عن عمر رضى الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ فقال أنا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لأنى لست أشك فيه أنه نبي فأما ولدى ففعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضى الله عنهما (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) هم الذين كبروا وعاندوا الحق والباقيون هم الذين آمنوا منهم فإنهم يظهر الحق ولا يكتمونه وأما الجبهة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فاهم بصدد الإظهار ولا بصدد الكتم وإنما كفرهم على وجه التقليد (الحق) بالرفع على أنه مبتدأ وقوله تعالى (من ربك) خبره واللام للعهد والإشارة إلى ما عليه النبي ﷺ أو إلى الحق الذى يكتمونه أو للجنس والمعنى أن الحق ما ثبت أنه من الله تعالى كالذى أنت عليه لا غيره كالذى عليه أهل الكتاب أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هو الحق وقوله تعالى من ربك إما حال أو خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على أنه بدل من الأول أو مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من إظهار اللطف به عليه السلام مالا يخفى (فلا تكونن من الممترين) أى الشاكين في كتابهم الحق عالمين به وقيل في أنه من ربك وليس المراد به نهى الرسول ﷺ عن الشك فيه لأنه غير متوقع

وَلِكُلِّ وِجْهَةً هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ٢ البقرة

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ ٢ البقرة

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ٢ البقرة

- منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل لإماتة تحقيق الأمر وأنه بحيث لا يشك فيه ناظر أو أمر الأمة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الأبلغ (واكل) أى ولكل أمة من الأمم على أن التنوين ١٤٨ عوض من المضاف إليه (وجهة) أى قبله وقد قرئ كذلك أو لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة (هو موليا) أحد المفعولين محذوف أى موليا وجهه أو الله موليا إياه وقرئ ولـ لكل وجهة بالإضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليا أهلها واللام مزيدة للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ موليا أى مولى تلك الجهة قدوليا (فاستبقوا الخيرات) أى تسابقوا إليها بنزع الجار كما فى قوله [ثنائى عليكم آل حرب ومن يمل * سواكم فى مهتد غير مائل] وهو أبلغ من الأمر بالمسارعة لما فيه من الحث على إحراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع أنواعها من أمر القبله وغيره بما ينال به سعادة الدارين أو الفاضلات من الجهات وهى المسامنة للكعبة (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً) أى فى أى موضع تكونوا من موافق أو مخالف مجتمع الأجزاء أو متفرقها يحشركم الله تعالى إلى المحشر للجزاء أو أينما تكونوا من أعماق الأرض وقلل الجبال يقبض أرواحكم أو أينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كأنها صلاة إلى جهة واحدة (إن الله على كل شىء قدير) فيقدر على الإماتة والإحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق (ومن حيث خرجت) تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الأمر فى حالتى السفر والحضر ١٤٩ ومن متعلقة بقوله تعالى (فول) أو بمحذوف عطف هو عليه أى من أى مكان خرجت إليه للسفر فول (وجهك) عند صلاتك (شطر المسجد الحرام) أو افعل ما أمرت به من أى مكان خرجت إليه فول الخ (وإنه) أى هذا الأمر (للحق من ربك) أى الثابت الموافق للحكمة (وما الله بغافل عما تعملون) فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو وعد للؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين (ومن حيث خرجت) إليه فى أسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة (فول وجهك شطر المسجد الحرام) الكلام فيه كما مر آنفاً (وحيثما كنتم) من أقطار الأرض مقيمين أو مسافرين حسبما يعزب عنه إثارة ١٥٠
- ٢٣ - أبى السعود ج ١ ،

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ البقرة

- كنتم على خرجتم فإن الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل
- وحيشا خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الأماكن المختلفة من حيث إقامتهم فيها (فولوا وجوهكم)
 - من محالكم (شطره) والتكرير لما أن القبلة لها شأن خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحرى أن يؤكد أمرها مرة غيب أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة (لئلا يكون للناس عليكم حجة)
 - متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كأنه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى أن التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بأن المنعوت في التوراة من أوصافه أنه يحول إلى الكعبة واحتجاج المشركين بأنه يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته (إلا الذين ظلموا منهم) وهم أهل مكة أي لئلا يكون لاحد من الناس حجة إلا المعاندين منهم الذين يقولون ماتحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه وحباً لبلده أو بداله فرجع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع أنها أخش الأباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهما حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للبالغة في نفي الحجة رأساً كالذي في قوله [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *]
 - بهم فلول من قراع الكتائب | ضرورة أن لا حجة للظالم وقرىء إلا الذين بحرف التنبيه على أنه استئناف (فلا تخشوم) فإن مطاعهم لا تضركم شيئاً (واخشوني) فلا تخالفوا أمرى (ولا تتم نعمتى عليكم واعلمكم تهتدون) علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم أى وأمرتكم بما مرا تمام النعمة عليكم لما أنه نعمة جليلة ولا رادى اهتدائكم لما أنه صراط مستقيم مؤد إلى سعادة الدارين كما أشير إليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وفى التعبير عن الإرادة بكلمة لعل الموضوع للزجى على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية مالا يخفى أو عطف على علة مقدرة أى واخشوني لأحفظكم عنهم وأتم الخ أو على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسط قوله تعالى فلا تخشوم الخ بينهما للسرعة إلى التسلية والتثبيت وفى الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الإسلام
 - (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم) متصل بما قبله والظرف الأول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما فى صفاته من الطول والظرف الثانى متعلق بمضمر وقع صفة لرسولاً مبينة لتمام النعمة أى ولا تتم نعمتى عليكم فى أمر القبلة أو فى الآخرة إتماماً كأننا كإتمامى لها بإرسال رسول كأن منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده أى كما ذكرتم بالإرسال فاذكرونى الخ
 - وإينار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء (يتلو عليكم آياتنا)
 - صفة ثانية لرسول كاشفة لجمال النعمة (ويذكركم) عطف على يتلو أى يحملكم على ما تصيرون به أذكيا
 - (ويعلمكم الكتاب والحكمة) صفة أخرى مترتبة فى الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التى

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ۝١٥٢ البقرة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝١٥٣ البقرة

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ۝١٥٤ البقرة

- هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعالم المترتب على التلاوة والإيذان بأن كلام من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلوروعى ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم لتبادر إلى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الأحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) صريح في ذلك فإن الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعاً قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك إلا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم أنه ليس من شأنهم أن يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانهصار الطريق في الوحي (فاذكروني) الفاء للدلالة على ترتيب الأمر على ما قبله من موجباته أي فاذكروني ١٥٢ بالطاعة (أذكركم) بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الإشعار بما يوجبه (واشكروا لي) ما أنعمت به عليكم من النعم (ولا تكفرون) بجحدها وعصيان ما أمرتكم به (يا أيها الذين آمنوا) وصفهم بالإيمان ١٥٣ لآثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطاً لهم وحثاً على مراعاة ما يعقبه من الأمر (استعينوا) في كل ما تأتون وما تذكرون (بالصبر) على الأمور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية إلى مقاتلتهم (والصلاة) التي هي أم العبادات ومنعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين (إن الله مع الصابرين) تعليل للأمر بالاستعانة بالصبر خاصة لما أذاع الجحش إلى التعليل وأما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين أجلاً المطالب كما ينبغي عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الأمر بالاستعانة بها إلى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتعبة للنصرة وإجابة الدعوة ودخول مع على الصابرين لما أنهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحثيثة (ولا تقولوا) عطف على استعينوا الخ مسوق ١٥٤ لبيان أن لا غائلة للأمر به وأن الشهادة التي ربما يؤدي إليها الصبر حياة أبدية (لمن يقتل في سبيل الله أموات) أي هم أموات (بل أحياء) أي بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) بحياتهم وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة الجسدية وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رحمه الله أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيفصل إليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدواً وعشياً فيفصل إليهم الألم والوجع قلت رأيت في المنام سنة

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٢ البقرة

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ٢ البقرة
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ٢ البقرة

تسع وثلاثين وتسعمائة أنى أزور قبور شهداء أحد رضى الله تعالى عنهم أجمعين وأنا أتلو هذه الآية وما
فى سورة آل عمران وأرددها متفكراً فى أمرهم وفى نفسى أن حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما أنا على
ذلك إذ رأيت شاباً منهم قاعداً فى قبره تام الجسد كامل الخلقة فى أحسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس
عليه شيء من اللباس قهعبداً منه مافوق السرة والباقي فى القبر خلا أنى أعلم يقيناً أن ذلك أيضاً كما ظهر
ولمّا لا يظهر لكونه عورة فنظرت إلى وجهه فرأيت به نظراً إلى متبسم كأنه ينبهنى على أن الأمر بخلاف
رأى فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا أربعة عشر وفيها
دلالة على أن الأرواح جواهر قائمة بأنفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه
جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص
الشهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادئ الشهادة ولا اختصاصهم بمزيد القرب من
الله عز وعلا (ولنبلونكم) لنصيبنكم إصابتهم من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء
● (بشيء من الخوف والجوع) أى بقليل من ذلك فإن ما وقاهم عنه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرة
وكذا ما يصيب به معانديهم وإنما أخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم
● له حسبما أخبر به وليعلموا أنه شيء يسير له عاقبة حميدة (ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) عطف
على شيء وقيل على الخوف وعن الشافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص
من الأموال الزكاة والصدقات ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد وعن النبى ﷺ إذا
مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول عز وجل أقبضتم ثمرة
قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا
لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد (وبشر الصابرين) (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه
١٥٦ راجعون) الخطاب للرسول ﷺ أو لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الإنسان من مكروه
لقوله عليه السلام كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب
بأن يتصور ما خلق له وأنه راجع إلى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى أن ما أبقي عليه أضعاف
١٥٧ ما استرده منه فيكون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده (أولئك) إشارة إلى
● الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه الإيذان بعلور تبتهم (عليهم صلوات من

إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرَّةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَنَ حَجَّ الْبَيْتِ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطُوفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ البقرة

- رهم ورحمة) الصلاة من الله سبحانه المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة المبالغة كما في قوله تعالى رافعة ورحمة رءوف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لإظهار مزيد العناية بهم أي أولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافعة الفائضة من مالك أمورهم ومبلغهم إلى كالاتهم اللاتفة بهم وعن النبي ﷺ من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبتها وأحسن عقابه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه (وأولئك) إشارة إليهم إما بالاعتبار السابق والتكرير لإظهار كمال العناية بهم وإما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات والرحمة المترتب على الاعتبار الأول فعلى الأول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل (هم المهتدون) هو الاهتداء للحق والصواب مطلقاً لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما أنه متقدم عليهما فلا بد لتأخيرهما عما هو نتيجة لهما من داع يوجبهما وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كأنه قيل وأولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى أولئك هم الفائزون بمباغيتهم الدينية والدنيوية فإن من نال رافعة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب (إن الصفا والمروة) علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم ١٥٨ (من شعائر الله) من أعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة (فمن حج البيت أو اعتمر) الحج في اللغة القصد والاعتبار الزبارة غلباً في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الأعيان وحيث أظهر البيت وجب تجريده عن التعلق به (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) أي في أن يطوف بهما أصله يتطوف قلبت التاء طاء فأدغمت الطاء في الطاء وفي إيراد صيغة التفعّل إيذان بأن من حق الطائف أن يتكلف في الطواف ويذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا والشافعي وعن مالك رحمهما الله أنه ركن وإيراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما أنه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له أساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا إذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلما جاء الإسلام وكسر الأصنام تخرج المسلمون أن يطوفوا بينهما لذلك فزلات وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما (ومن تطوع خيراً) أي فعل طاعة فرضاً كان أو نفلاً أو زاد على ما فرض عليه من حج أو عمرة أو طواف وخيراً حيثنذ نصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي تطوعاً خيراً أو على حذف الجار وإيصال الفعل إليه أو على تضمين معنى فعل وقرىء يطوع وأصله يتطوع مثل يطوف وقرىء ومن يتطوع بخير (فإن الله شاكر) أي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الإحسان إلى العباد (عليهم) مبالغ في العلم بالأشياء فيعلم مقادير أعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من أجورهم شيئاً وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كأنه قيل ومن تطوع خيراً أجازاه الله وأثابه فإن الله شاكر عليم

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿٢٥٥﴾ البقرة

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٥٦﴾ البقرة

- ١٥٩ (إن الذين يكتمون) قيل نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا ما في التوراة من نعوت النبي ﷺ وغير ذلك من الأحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدي والربيع والأصم أنها نزلت في أهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيئاً من أحكام الدين لعموم الحكم لكل والأقرب هو الأول فإن عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك إظهار الشيء قصداً مع مساس الحاجة إليه وتحقيق الداعي إلى إظهاره وذلك قد يكون بمجرد دستره وإخفائه وقد يكون بإزالته ووضع شيء آخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء (ما أنزلنا من البينات) من الآيات الواضحة الدالة
- على أمر محمد ﷺ (والهدى) أى والآيات الهادية إلى كنه أمره ووجوب اتباعه والإيمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للأصل وهى المرادة بالبينات أيضاً والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الأدلة العقلية ويأباه الإنزال والكتم (من بعد ما بيناه للناس) متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تعالى (في الكتاب) فإن تعلق جازين بفعل واحد عند اختلاف المعنى لما لا ريب في جوازه أو الأخير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله أى كائنا في الكتاب وتبينه لهم تلخيصه وإيضاحه بحيث يتلقاه كل أحد منهم من غير أن يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم أو تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والأول أنسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه إزالته ووضع غيره في موضعه فإنهم يحوانعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ (أولئك) إشارة إليهم باعتبار ما وصفوا به للإشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للإيدان يترامى أمرهم وبعد منزلتهم
 - في الفساد (يلعنهم الله) أى يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات إلى الغيبة بإظهار اسم الذات الجامع للصفات لترية المهابة وإدخال الروعة والإشعار بأن مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الإنزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة (ويلعنهم اللاعنون) أى الذين يتأتى منهم اللعن
 - أى الدعاء عليهم باللعن من الملائكة ومؤمنى الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى (إلا الذين تابوا) أى عن الكتمان (وأصلحوا) أى ما أفسدوا بأن
 - أزالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا أزالوه عند التحريف (ويتوبوا) للناس معانيه فإنه غير الإصلاح المذكور أو يتوبوا لهم ما وقع منهم أولاً وآخرأ فإنه أدخل في إرشاد الناس إلى الحق وصرّهم عن طريق الضلال الذى كانوا أوقعهم فيه أو يتوبوا بتبهم ليحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدى بهم أضربهم

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ البقرة

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ البقرة

وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ البقرة

- وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالإصلاح والتبیین مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالإيمان وقوله تعالى (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للإشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك (أتوب عليهم) أى بالقبول وإفاضة المغفرة والرحمة وقوله تعالى (وأنا التواب الرحيم) أى المبالغ في قبول التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات إلى التكلم للافتتان في النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى مامر من اختلاف المبدأ في فعلية تعالى السابق واللاحق (إن الذين كفروا) جملة مستأنفة سبقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأکید دوامه واستمراره ١٦١ على غير التائبين حسبما يفيد الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والإصلاح والتبیین مبنى على ما أشير إليه فكما أن وجود تلك الأمور الثلاثة مستلزم للإيمان الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعاً أى إن الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة (وماتوا وهم كفار) لا يرفعون عن حالتهم الأولى (أولئك) الكلام فيه كما فيها قبله (عليهم) أى مستقر عليهم (لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) بمن يعتد بلغتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتى بعد بيان دوامها التجددى وقيل الأول لغتهم أحياء وهذا لغتهم أمواتاً وقرىء والملائكة والناس أجمعون عطفاً على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبنى ضرب زيد وعمرو تريد من أن ضرب زيد وعمرو وكأنه قيل أولئك عليهم أن لغتهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر أى وبلغتهم الملائكة (خالدين فيها) أى في اللعنة أو في النار على أنها أضمرت من غير ذكر ١٦٢ تفخيماً لشأنها وتحويلاً لأمرها (لا يخفف عنهم العذاب) إما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف إثر بيان كثرتهم من حيث الكم أو حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل أو من الضمير في عليهم على طريقة الترادف (ولا هم ينظرون) عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام النقي واستمراره أى لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة (والهمكم) خطاب عام لسكافة الناس أى المستحق منكم للعبادة (إله واحد) أى فرد ١٦٣ في الإلهية لاصححة لتسمية غيره إلهاً أصلاً (لا إله إلا هو) خبر ثان للابتداء أو صفة أخرى للخبر أو اعتراض وأياً ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيج لما عسى يتوهم أن في الوجود إلهاً لكن لا يستحق العبادة (الرحمن الرحيم) خبران آخران للابتداء أو لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فإنه تعالى حيث كان مولياً لجميع النعم أصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ماسواً كائناً ما كان مفتقراً إليه في وجوده وما تنفرع عليه من كالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعاً قبل كان للبشر كين

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مِمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ البقرة

حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنفا فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (إن في خلق السموات والأرض) أى في إبداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من التعجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من أنها طبقات متخالفة الحقائق دون الأرض (واختلاف الليل والنهار) أى اعتقابهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفا أو اختلاف كل منهما فى أنفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى (والفلك التى تجرى فى البحر) عطف على ما قبله وتأنيثه لما بتأويل السفينة أو بأنه جمع فإن ضمة الجمع مغايرة لضمة الواحد فى التقدير إذ الأولى كما فى حمر والثانية كما فى قفل وقرىء بضم اللام (بما ينفع الناس) أى متلبسة بالذى ينفعهم مما يحمل فيها من أنواع المنافع أو بنفعهم (وما أنزل الله من السماء من ماء) عطف على الفلك وتأخيرها عن ذكرها مع كونه أعم منها نفعاً لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لأن منشأهما البحر فى غالب الأمر ومن الأولى ابتدائية والثانية يمانية أو تبعضية وأياً ما كان فتأخيرها لما مر مراراً من التشويق والمراد بالسماء الفلك أو السحاب أو جهة العلو (فأحيا به الأرض) بأنواع النبات والأزهار وما عليها من الأشجار (بعد موتها) باستيلاء السيوس عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يوزن به إيراد الموت فى مقابلة الإحياء (وبث فيها) أى فرق ونشر (من كل دابة) من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على أنزل داخله تحت حكم الصلة وقوله تعالى فأحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا فى حكم شيء واحد كأنه قيل وما أنزل فى الأرض من ماء وبث فيها الخ أو على أحيا بمحذف الجار والمجرور العائد إلى الموصول وإن لم تتحقق الشرائط المعهودة كما فى قوله [وإن لسانى شهدة يشتمى بها * ولكن على من صبه الله علقم] أى علقم عليه وقوله [لعل الذى أصعدتنى أن يردنى * إلى الأرض إن لم يقدر الخير قادره] على معنى فأحيا بالماء الأرض وبث فيها من كل دابة فإنهم ينفون بالخصب ويعيشون بالحيا (وتصريف الرياح) عطف على ما أنزل أى تقليبها من مهب إلى آخر أو من حال إلى أخرى وقرىء على الأفراد (والسحاب) عطف على تصريف أو الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه فى الجو (المسخر بين السماء والأرض) صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما فى قوله تعالى سحاباً ثقلاً وتسخيره تقليبه فى الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تأخير تصريف الرياح وتسخير السحاب فى الذكر عن جريان الفلك وإنزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجى لما مر فى قصة البقرة من الإشعار باستقلال كل من الأمور المذكورة فى

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ البقرة

- كونها آية ولو روعى الترتيب الخارجى لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة (آيات) اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفاً أى آيات عظيمة كثيرة ● دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به سبحانه (لقوم يعقلون) أى يتفكرون فيها وينظرون إليها بغيون العقول وفيه تعريض بحمل المشركين الذين اقترحوا على النبي ﷺ آية تصدقه في قوله تعالى وإلهكم إله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرهما فإن كل واحد من الأمور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة وأحكام مخصوصة من غير أن تقتضى ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبعا لحكم مستقل فإذا لم يبدله حتما من موجود قادر حكيم بوجهه حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته متعال عن معارضة الغير إذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم إما اجتماع المؤثرين على أثر واحد أو التمانع المؤدى إلى فساد العالم (ومن الناس من يتخذ من دون الله) بيان لكمال ١٦٥ ركاكة آراء المشركين أثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة المملجة للعقلاء إلى الاعتراف بها الفائضة باستحالة أن يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الألوهية والكلام في إعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق يتخذ أى من الناس من يتخذ من دون ذلك الإله الواحد الذى ذكرت شئونه الجليلة وإيثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غيب تعيينه بالصفات (أنداداً) أى أمثالا وهم رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لاسيما في الأوامر والنواهي كما يفصح عنه ماسياتى من وصفهم بالتبرى من المتبعين وقيل هى الأصنام وإرجاع ضمير العقلاء إليها في قوله عز و علا (يحبونهم) مبنى على آرائهم الباطلة في شأنها من وصفهم بما لا يوصف به إلا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها والفعل منها حب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على أحب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب أقل منه ومحبة العبد لله سبحانه إرادة طاعته في أوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مرضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حين النصب إما صفة لأنداداً أو حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراده باعتبار لفظها (كحب الله) مصدر تشبيهى أى نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضية كونه مبنياً للفاعل كونه أيضاً كذلك والظاهر اتحاد فاعلها فإنهم كانوا يقررون به تعالى أيضاً ويتقربون إليه فالمعنى يحبونهم حبا كأننا كحبهم لله تعالى أى يسوون بينه تعالى وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم

إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ البقرة

- المؤمنون فالمعنى حباً كأننا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في أصل الحب لا في وصفه كما أو كيفاً لما سيأتى من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول أى كما يحب الله تعالى ويعظم وإنما استغنى عن ذكر من يحبه لأنه غير ملبس وأنت خير بأنه لا مشابهة بين محبتهم لأناداهم وبين محبته تعالى فالمصير حينئذ ما أسلفناه في تفسير قوله عز قائلًا كما سئل موسى من قبل وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لترية المهابة وتفخيم المضاف وإبانة كمال قبح ما ارتكبه (والذين آمنوا أشد حباً لله) جملة مبتدأة جىء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف أى المؤمنون أشد حباً له تعالى منهم لأناداهم ومآله أن حب أولئك له تعالى أشد من حب هؤلاء لأناداهم فيه من الدلالة على كون الحب مصدراً من المبني للفاعل ما لا يخفى وإنما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما أن المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضاً وذلك إنما يتصور في حبهم لأناداهم لكونه منوطاً بمبان فاسدة ومباد موهومة يزول بزوالها . قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد إلى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنماً أياً ما فإذا وجدوا آخر ففضوه إليه وقد أكلت باهلة إلهها عام المجاعة وكان من حيس وأنت خير بأن مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الآهوال كإسيأتى بل اعتباره مخلاً بما يقضيه مقام المبالغة في بيان كمال قبح ما ارتكبه وغاية عظم ما اقترفه وإيثار الإظهار في موضع الإضمار لتفخيم الحب والإشعار بعلته (ولو يرى الذين ظلموا) أى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود (إذ يرون العذاب) المعد لهم يوم القيامة أى لو علموا إذا عاينوه وإنما أوتر صيغة المستقبل لجر يانها مجرى الماضى
- في الدلالة على التحقق في إخبار علام الغيوب (أن القوة لله جميعاً) ساد مسد مفعولى يرى (وأن الله شديد العذاب) عطف عليه وفائدته المبالغة في تهويل الخطب وتفضيع الأمر فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للإيدان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم الإحاطة بكنهه وإما لضيق العبارة عنه وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع عليه أى لو علموا إذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه أحد من أناداهم أن القوة لله جميعاً ولا دخل لأحد في شيء أصلاً لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يسكاد بوصف وقرىء ولو ترى بالتاء الفوقانية على أن الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب
- فالجواب حينئذ لرأيت أمراً لا يوصف من الهول والفظاعة وقرىء إذ يرون على البناء للمفعول (وأن الله شديد العذاب) على الاستئناف وإضمار القول (إذ تبرا الذين اتبعوا) بدل من إذ يرون أى إذ تبرا الرؤساء (من الذين اتبعوا) من الاتباع بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا وبدعونهم إليه من فنون الكفر والضلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول إبليس إني كفرت بما أشركتموني من قبل وقرىء بالعكس أى تبرا الاتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل (ورأوا

وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدَّبُهُمْ فَلَنَكُونَنَّ أَكْثَرًا فَتَتَّبِعُنَا وَمِنَّا كَافِرٌ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ البقرة

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ البقرة

- العذاب) حالية وقد مضى وقيل عاطفة على تبرأ والضمير في رأوا للموصوفين جميعاً (وتقطعت بهم الأسباب) والوصل التي كانت بينهم من التبعية والمتبوعة والاتفاق على الملة الزائغة والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقي به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد جوز عطفها على الجملة الحالية (وقال الذين اتبعوا) حين عابوا ١٦٧
- تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم في الدنيا (لو أن لنا كرة) أي ليت لنا رجعة
 - إلى الدنيا (فتتبرأ منهم) هناك (كما تبرأوا منا) اليوم (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده
 - لا إلى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الأمور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية أي ذلك الإراء الفظيع (يربهم الله أعمالهم حسرات عليهم) أي ندامات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والسكد وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسيير أي منقطع القوة وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فهي حال والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم (وما هم بخارجين من النار)
 - كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار والأصل وما يخرجون والعدول إلى الاسمى لإفادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم كما في قوله [هم يفرشون اللبد كل طمرة]
 - وأجرد سباق يند المغاليا (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض) أي بعض ما فيها من أصناف المأكولات ١٦٨
 - التي من جعلتها ماحر متموه اقترأ على الله من الحرث والأنعام قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموها على أنفسهم ما حرموها من الحرث والبحائر
 - والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى (حلالاً) حال من الموصول أي كلوه حال كونه حلالاً أو
 - مفعول لكلوا على أن من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد أي أكلا حلالاً ويؤيد الأولين
 - قوله تعالى (طيباً) فإنه صفة له ووصف الأكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموها
 - على أنفسهم رفيع الأطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) أي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى فإنه صريح في أن الخطاب للكفرة. كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهداً ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلاً عن كونه تقولا واقترأ على الله تعالى وإنما الذي نزل فيهم ما في

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ البقرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَى نَتَّبِعُ مَا أَفْنَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ البقرة

- سورة المائدة من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم الآية وقرىء خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرىء بضميتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وبفتحتين على أنها جمع خطوة وهي المرة من الخطو (لأنه لكم عدو مبين) تعليل للنهي أي ظاهر العدواة عند ذوى البصيرة وإن كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي ولياً في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء) استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وإفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك والسوء في الأصل مصدر ساءه يسوؤه سوءاً ومساءة إذا أضرته يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح أو أفعال القلوب لا شراك كلها في أنها تسوء صاحبها والفحشاء أفصح أنواعها وأعظمها مساءة (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) عطف على الفحشاء أي وبأن تفتروا على الله بأنه حرم هذا وذلك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون أن الله تعالى أمر به وتعليق أمره بتقوهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقوهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع أن حالهم ذلك للبالغ في الزجر فإن التحذير من الأول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على أبلغ وجه وآكده والإيذان بأن العاقل يجب عليه أن لا يقول على الله تعالى ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلاً عن أن يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأياً وأما اتباع المجتهد لما أدى إليه ظنه فستند إلى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) التفات إلى الغيبة تسجيل بكال ضلالهم وإيذاناً بإيجاب تعداد ما ذكر من جنائياتهم لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إلى العقلاء وتفصيل مساوى أحوالهم لهم على نهج المبائة أي إذا قيل لهم على وجه النصيحة والإرشاد اتبعوا كتاب الله الذي أنزله (قالوا) لا تتبعه (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) أي وجدناهم عليه إما على أن الطرف متعلق بمحذوف وقع حالاً من آباءنا وألفينا متعد إلى واحد وإما على أنه مفعول ثان له مقدم على الأول نزلت في المشركين أمروا باتباع القرآن وسائر ما أنزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبيانات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول إما عبارة عما سبق من اتخاذ الأنداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك وإما باق على عمومته وما ذكر داخل فيه دخولا أولاً وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لأنهم كانوا خيراً منا وأعلم فعلى هذا يعم ما أنزل الله تعالى التوراة لأنها أيضاً تدعو إلى الإسلام وقوله عز وجل (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) استئناف مسوق من جهته تعالى رداً لمقاتلهم الحمقاء وإظهاراً لبطلان آرائهم والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا

لإنكار الوقوع كالتى فى قوله تعالى أو لو كنا كارهين وكلمة لو فى أمثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هى لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق بالذات أو بالواسطة من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفائه مع ماعده من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنفى القوى فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم أنها لا تستقصا الأحوال على سبيل الإجمال وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والأمر والنهى كما فى قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيراً وبخيل لا يعطى ولو كان غنياً وقولك أحسن إليه ولو أساء إليك ولا تنهه ولو أهانك لبقائه على حاله وأما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الإنكار عليه لكن الأصل فى الكل واحد إلا أن كلمة لو فى الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وأن ما يقصد ببيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وأن الجملة حال من ضميره أو مما يتعلق به وأن ما فى حيز لو باقى على ما هو عليه من الاستبعاد غالباً بخلاف ما نحن فيه لما أن كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وأن ما يقصد ببيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وأن الجملة حال مما يتعلق به لا بما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وأن المقصود بالأصلى لإنكار مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة وأما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وأن ما فى حيز لو لا يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الإشعار بأنه أمر محقق إلا أنه أخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة آبائهم إلى كمال الجهالة والضلالة جلد الثمر فيركبوا متن العناد ومبالغة فى الإنكار من جهة اتباعهم لآبائهم حيث كان منكر أم مستقبلاً عند احتمال كون آبائهم كما ذكر احتمالاً بعيداً فلأن يكون منكر عند تحقق ذلك أولى والتقدير أيتبعون ذلك لو لم يكن آبائهم لا يعقلون شيئاً من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة فى حيز النصب على الحالية من آبائهم على طريقة قوله تعالى أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً كأنه قيل أيتبعون دين آبائهم حال كونهم عاقلين وجاهلين ضالين إنكاراً لما أفاده كلامهم من الاتباع على أى حالة كانت من الحالتين غير أنه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيهاً على أنها هى الواقعة فى نفس الأمر وتعويل على اقتضاءها للحالة الأولى اقتضاء بيننا فإن اتباعهم الذى تعلق به الإنكار حيث تحقق مع كون آبائهم جاهلين ضالين فلأن يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين أولى إن قلت الإنكار المستفاد من الاستفهام الإنكارى بمنزلة النفي ولا ريب فى أن الأولوية فى صورة النفي معتبرة بالنسبة إلى النفي ألا يرى أن الأولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها أعنى عدم الغنى هو عدم الإعطاء لأن نفسه فكان ينبغى أن يكون الأولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهى حالة كون آبائهم عاقلين ومهتدين إنكار الاتباع لأنفسه إذ هو الذى يدل عليه أيتبعون الخ فلم اختلفت الحال بينهما قلت لما أن مناط الأولوية هو الحكم الذى أريد ببيان تحققه على كل حال وذلك

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْرٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٧١﴾ ٢ البقرة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ ٢ البقرة

في مثال النفي عدم الإعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور وأما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر إذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق أعنى قولهم بل تتبع الخ وأما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لإنكار ما يفيدده واستقبح ما يقتضيه لأنه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما إذا كانت الهمزة لإنكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى أولو كنا كارهين ١٧١ وقيل الواو حالية ولكن التحقيق أن المعنى يدور على معنى العطف في سائر اللغات أيضاً (ومثل الذين كفروا) جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة مثل عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع إلى ما يرجع إليه الضمائر السابقة لذهمهم بما في حيز الصلة وللإشعار بعلّة ما أثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحاله الحقيقة لغرابتها بأن تسمى مثلاً وتسير في الآفاق فيما ذكر من دعوته إياهم إلى اتباع الحق وعدم رفعهم إليه رأساً لأنهما كهم في التقليد وإخلاصهم إلى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي إلى الدعاء من غير أن يلقوا أذهانهم إلى ما يلقى عليهم (كمثل الذي ينec بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) من البهائم فإنها لا تسمع إلا صوت الراعي وهتفه بها من غير فهم لكلامه أصلاً وقيل إنما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فإنها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل أي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهما كهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما ألقى إليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينec بها وهي لا تسمع منه إلا جرس النعمة ودوى الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آباتهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ماتحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الأصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا غنى عن الإضمار لكن لا يساعده قوله إلا دعاء ونداء فإن الأصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت أن حسن التمثيل فيما إذا تشابه أفراد الطرفين (صم بكم عمى) بالرفع على الذم أي هم صم الخ (فهم لا يعقلون) شيئاً لأن طريق التعقل هو التدبر في مبادئ الأمور المعقولة والتأمل في ترتيبها وذلك إنما يحصل باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فإذا كانوا صما بكما عمياً فقد انسد عليهم أبواب التعقل وطرق الفهم بالكلية (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) أي مستلذاته (واشكروا لله) الذي رزقكموها والالتفات لترية المهابة (إن كنتم إياه تعبدون) فإن عبادته تعالى لا تتم إلا بالشكر له وعن النبي ﷺ يقول الله عز وجل إني والإنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ البقرة

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْتُمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ البقرة

- (إنما حرم عليكم الميتة) أى أكلها أو الانتفاع بها وهى التى ماتت على غير ذكاة أو السمك والجراد خارجان عنها ١٧٣
- بالعرف أو استثناء الشرع وخرج الطحال من الدم (والدم ولحم الخنزير) إنما خص لحمه مع أن سائر أجزائه
- أيضاً فى حكمه لأنه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر أجزائه بمنزلة التابع له (وما أهل به لغير الله) أى رافع به الصوت عند ذبحه للصنم والإهلال أصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك إهلالاً ثم قيل لرفع الصوت وإن كان لغيره (فمن اضطر غير باغ) بالاستئذان على مضطر آخر (ولا عاد) سد الرق والجوع وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصى بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول أحمد رحمه الله (فلا إثم عليه) فى تناوله (إن الله غفور) لما فعل (رحيم) بالرخصة إن قيل كلمة إنما تنفيد قصر الحكم على ما ذكرتم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحله لا مطلقاً أو قصر حرمة على حالة الاختيار كأنه قيل إنما حرم عليكم هذه الأشياء
 - ما لم تضطروا إليها (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) المشتمل على فنون الأحكام التى من ١٧٤ جملتها أحكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر آنفاً وقال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبى ﷺ (ويشترون به) أى يأخذون بدله (ثمنًا قليلاً) عوضاً حقيراً وأقدم
 - سر التعبير عن ذلك بالثمن الذى هو وسيلة فى عقود المعاوضة وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار انصافه بما فى حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عن عداهم أكمل تمييز الجاعلين إياهم بحيث كأنهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للإيدان بغاية بعد منزلتهم فى الشر والفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (ما يأكلون فى بطونهم إلا النار) والجملة خبر لأن أو اسم
 - الإشارة مبتدأ ثان أو بدل من الأول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى أكلهم النار أنهم يأكلون فى الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكأنه عين النار وأكله أكلها كقوله [أكلت دماً إن لم أركع بضرة] بعيدة مهوى القرط طيبة النشر [أو يأكلون فى المال يوم القيامة عين النار عقوبة على أكلهم الرشا فى الدنيا وفى بطونهم متعلق بياكلون وفائدته تأكيد الأكل وتقريره ببيان مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما فى قولهم أكل فى بطنه وأكل فى بعض بطنه ومنه كلاً فى بعض بطونكم تعفوا فلا بد من الاتجاه إلى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدره من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء وإلا فتعليقه بياكلون يودى إلى قصر ما يأكلونه إلى الشبع على النار والمقصود قصر ما يأكلونه مطلقاً عليهم

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ٢ البقرة
 ذَلِكَ بِأَنَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ٢ البقرة
 لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ
 السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ
 فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ٢ البقرة

- (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعرض بحرمانهم ما أتبع للمؤمنين
- من فنون الكرامات السنية والزلفى (ولا يذكهم) لا يثنى عليهم (ولهم) مع ما ذكر (عذاب أليم)
- ١٧٥ مؤلم (أولئك) إشارة إلى ما أشير إليه بنظيره بالاقتدار المذكور خاصة لأمع ما يتلوه من أحوالهم
- الفضيلة إذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد إثباته ههنا فإن المقصود تصوير ما ياترؤه من المعاملة بصورة
- قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل أصلاً ببيان حقيقة ما يذوه وإظهار كنه ما أخذوه وإبداء فظاعة
- تبعاته وهو مبتدأ خبره الموصول أى أولئك المشترون بكتاب الله عز وجل ثمناً قليلاً ليسوا بمشتريين
- للثمن وإن قل بل هم (الذين اشتروا) بالنسبة إلى الدنيا (الضلالة) التى ليست مما يمكن أن يشتري قطعاً
- (بالهدى) الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وإن جل (والعذاب) أى اشتروا بالنظر إلى الآخرة
- العذاب الذى لا يتوهم كونه مما يشتري (بالمغفر) التى يتنافس فيها المتنافسون (فما أصبرهم على النار) تعجب
- من حالهم الهائلة التى هى ملاستهم بما يوجب النار إيجاباً قطعياً كأنه عينها . وما عند سيئويه نكرة تامة
- مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصصها كتخصص شرفى شرأهر ذا ناب خبرها ما بعدها أى شيء .
- ما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها أى أى شيء أصبرهم على النار وقيل
- هى موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف أى الذى أصبرهم على النار أو شيء أصبرهم على النار
- ١٧٦ أمر عجيب فظيع (ذلك) العذاب (بأن الله نزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) أى ملتبساً به فلا
- جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجمل والغواية مبتلى بمثل هذا من أفاضل العذاب
- (وإن الذين اختلفوا فى الكتاب) أى فى جنس الكتاب الإلهى بأن آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا
- ببعضها أو فى التوراة بأن آمنوا ببعض آياتها وكفروا ببعض كآيات المغيرة المشتملة على أمر بعثه النبي
- ﷺ ونعوته الكريمة فعنى الاختلاف التخلف عن الطريق الحق أو الاختلاف فى تأويلها أو فى القرآن
- بأن قال بعضهم إنه سحر وبعضهم إنه شعر وبعضهم أساطير الأولين كما حكى عن المفسرين (لنى شقاق بعيد)
- ١٧٧ عن الحق والصواب مستوجب لأشد العذاب (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب)

- البر اسم جامع لمراضى الخصال والخطاب لأهل الكتابين فإنهم كانوا أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حولت إلى السكبة وكان كل فريق يدعى خيرية التوجه إلى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية إما لرعاية ما بينهما من الترتيب المنفرع على ترتيب الشروق والغروب وإما لأن توجه اليهود إلى المغرب ليس لكونه مغرباً بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة واقعاً في جانب الغرب فقليل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه إلى تينك الجهتين على أن البر خبر ليس مقدماً على اسمها كما في قوله [سلي إن جهلت الناس عني وعنهم * فليس سواء عالم وجهول] وقوله [أليس عظيماً أن تلم ملة * وليس علينا في الخطاب مقل] وإنما أخر ذلك لما أن المصدر المؤول أعرف من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به والآخر أعرف أحق بالاسمية ولأن في الاسم طولاً فلوروعى الترتيب المعمود لغات تجاوب أطراف النظم الكريم وقرى برفع البر على أنه اسمها وهو أقوى بحسب المعنى لأن كل فريق يدعى أن البر هذا فيجب أن يكون الرد موافقاً لدعوائهم وما ذلك إلا بكون البر اسماً كما يفصح عنه جعله مخبراً عنه في الاستدراك بقوله عز وجل (ولكن البر من آمن بالله) وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لحصول البر بما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها أي ولكن البر المعمود الذي يحق أن يهتم بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده إيماناً بريئاً من شائبة الإشراك لا كما يمان اليهود والنصارى والمشركون بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله (واليوم الآخر) أي على ما هو عليه لا كما يزعمون من أن النار لا تمسهم إلا أياماً معدودة وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بأن إيمان أهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن إيماناً وفي تعليق البر بهما من أول الأمر عقيب ففيه عن التوجه إلى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كأنه قيل ولكن البر هو التوجه إلى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة (والملائكة) أي وآمن بهم وبأنهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين أنبيائه بإلقاء الوحي وإنزال الكتب (والكتاب) أي بحسب الكتاب الذي من أفراد الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتبتهم نعوت النبي ﷺ واشترائهم بما أنزل الله تعالى ثمناً قليلاً (والنبيين) جميعاً من غير تفرقة بين أحد منهم كما فعل أهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح وسيأتي في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (وآتى المال على حبه) حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال أي آتاه كائناً على حب المال كما في قوله ﷺ حين سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتبه وأنت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضى الله عنه أن تؤتبه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتحشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقة قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى أي آتاه كائناً على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض لباذل الرشى وأخذها لتغيير التوراة وقيل للمصدر أي كائناً على حب الإبتاء (ذوى القربى) مفعول أول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني أعني المال للاهتمام به أو لأن في الثاني مع ما عطف عليه طولاً ولوروعى الترتيب لغات تجاوب الأطراف

- في الكلام وهو الذى اقتضى تقديم الحال أيضاً وقيل هو المفعول الثانى (واليتامى) أى المحاويج منهم على
- ما يدل عليه الحال وتقديم ذوى القربى عليهم لما أن إيتاءهم صدقة وصلة (والمساكين) جمع مسكين وهو
- الدائم السكون لما أن الخلة أسكنته بحيث لا حراك به أو دائم السكون إلى الناس (وابن السبيل) أى
- المسافر سمي به لملازمته إياه كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف (والسائلين) الذين ألجأتهم الحاجة
- والضرورة إلى السؤال قال عليه الصلاة والسلام أعطوا السائل ولو جاء على فرس (وفى الرقاب) أى
- وضعه فى فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الأسارى وقيل فى ابتياع
- الرقاب وإعتاقها وأياً ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للبالسكية كالذين من قبلهم إما للإيذان
- بعدم قرار ملكهم فيما أوتوا كما فى الوجهين الأولين أو بعدم ثبوته رأساً كما فى الوجه الأخير وإما
- للإشعار برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لما أن فى للظرفية المنبئة عن محليتهم لما يؤتى (وأقام الصلاة) أى
- المفروضة منها (وأتى الزكاة) أى المفروضة على أن المراد بما مر من إيتاء المال التنفل بالصدقات قدم
- على الفريضة مبالغة فى الحث عليه أو المراد بهما المفروضة والأول لبيان المصارف والثانى لبيان وجوب
- الأداء (والموفون بعهدهم) عطف على من آمن فإنه فى قوة أن يقال ومن أوفوا بعهدهم وإيثار صيغة
- الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً من العمود
- الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى (إذا عاهدوا) للإيذان بعدم كونه من ضروريات الدين (والصابرين)
- نصب على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيهاً على فضيلة الصبر ومزيبته وهو فى الحقيقة معطوف
- على ما قبله . قال أبو على إذا ذكرت صفات للهدح أو الذم فخولاف فى بعضها الإعراب فقد خولف
- للافتنان ويسمى ذلك قطعاً لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب فى استماع المذكور ومزبد
- اهتمام بشأنه كما مر فى صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين (فى البأساء) أى فى
- الفقر والشدة (والضراء) أى المرض والزمانة (وحين البأس) أى وقت مجاهدة العدو فى مواطن
- الحرب وزيادة الحين للإشعار بوقوعه أحياناً وسرعة انقضائه (أولئك) إشارة إلى المذكورين باعتبار
- اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من التنبيه على علو طبقتهم وسمو
- رتبهم (الذين صدقوا) أى فى الدين واتباع الحق وتحرى البر حيث لم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم
- الأحوال (وأولئك هم المتقون) عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الإشارة لزيادة تنويه شأنهم
- وتوسيط الضمير الإشارة إلى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات
- البشرية برمتها تصريحاً أو تلويحاً لما أنها مع تكثير فوائدها وتشعب شجونها منحصرة فى خلال ثلاث
- صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد أشير إلى الأولى بالإيمان بما فصل وإلى
- الثانية بإيتاء المال وإلى الثالثة بإقامة الصلاة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظراً إلى إيمانهم
- واعتقادهم وبالتقوى اعتباراً بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق وإليه يشير قوله ﷺ من

يَنبَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى
فَمَنْ عَنِ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ
فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ البقرة

- عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان (يأياها الذين آمنوا) شروع في بيان بعض الأحكام الشرعية ١٧٨
على وجه التلافي لما فرط من المخالين بما ذكر من أصول الدين وقواعده التي عليها بني أساس المعاش
والمعاد (كتب عليكم) أي فرض وألزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدر فيه قدرة الولي على
العفو فإن الوجوب إنما اعتبر بالنسبة إلى الأحكام أو القاتلين (القصاص في القتل) أي بسبب قتلهم
كما في قوله ﷺ إن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها أي بسبب ربطها إياها (الحرب بالحر والعبد بالعبد
والأنثى بالأنثى) كان في الجاهلية بين حين من أحياء العرب دماء وكان لا أحدهما طول على الآخر
فأقسموا لقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت
فأمرهم أن يتوبوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي أيضاً لأن اعتبار المفهوم
حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه ههنا وإنما
يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله بما روى على رضى الله عنه أن رجلاً قتل عبده فجعله رسول
الله ﷺ ونفاه سنة ولم يقده وبما روى عنه رضى الله عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل مسلم بذي عهد
ولا حر بعبد وبأن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة من
غير تكبير وبالقياس على الأطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى أن النفس بالنفس فإن
شريعة من قبلنا إذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على أنها شريعة لنا ولأن
القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين أو بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء
للفاعل ونصب القصاص (فمن عني له من أخيه شيء) أي شيء من العفو لأن عفا لازم وفائدته الإشعار
بأن بعض العفو بمنزلة كله في إسقاط القصاص وهو الواقع أيضاً في العادة إذ كثيراً ما يقع العفو من
بعض الأولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عني ترك شيء مفعول به وهو ضعيف إذ لم يثبت
عفا بمعنى تركه بل أعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال [ديار عفاها جور كل معاند]
وقوله [عفاها كل حنان * كثير الوبل هطال] فيكون المعنى فمن عني له من أخيه شيء صرف للعبارة
المتدولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود إلى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال الناس فإنهم
لا يستعملون العفو في باب الجنایات إلا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن إلى الجاني والذنب قال تعالى
عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كأنه قيل فمن عني له عن
جنايته من جهة أخيه يعنى ولي الدم وإيراده بعنوان الأخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني آدم عليه
السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه (فاتباع بالمعروف) فالأمر اتباع أو فليكن اتباع والمراد

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ٢ البقرة
كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ
حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ٢ البقرة

- وصية العاني بالمساحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعسف وقوله عز وجل (وأداء إليه بإحسان) حث
- للدفع عنه على أن يؤديها بإحسان من غير مماثلة وبخس (ذلك) أي ما ذكر من الحكم (تخفيف من
- ربكم ورحمة) لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية
- وعلى النصارى العفو على الإطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث تيسيراً
- عليهم وتنزيلاً للحكم على حسب المنازل (فمن اعتدى بعد ذلك) بأن قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم
- أو قتل القاتل بعد العفو أو أخذ الدية (فله) باعتدائه (عذاب أليم) أما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله
- ١٧٩ يغير حق وأما في الآخرة فبالنار (ولكم في القصاص حياة) بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع
- لاتنال غايته حيث جعل الشيء محلاً لضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس
- نوعاً من الحياة عظيماً لا يبلغه الوصف وذلك لأن العلم به يردع القاتل عن القتل فيقتسب حياة نفسه ولأنهم
- كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتشور الفتنة بينهم فإذا اقتصر من القاتل سلم الباقيون فيكون
- ذلك سبباً لحياتهم وعلى الأول فيه إضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الآخروية فإن
- القاتل إذا اقتصر منه في الدنيا لم يؤخذ به في الآخرة والظرفان إما خبران لحياة أو أحدهما خبر والآخر
- صلة له أو حال من المستكن فيه وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في القرآن
- حياة للقلوب (يا أولى الألباب) أي ذوى العقول الخالصة عن شوب الأوهام خوطبوا بذلك بعد
- ما خوطبوا بعنوان الإيمان بتشيطاً لهم إلى التأمل في حكمة القصاص (لعلكم تتقون) أي تقون أنفسكم من
- المساهلة في أمره والإهمال في المحافظة عليه والحكم به والإذعان له أو في القصاص فتكفوا عن القتل المؤدى
- إليه (كتب عليكم) بيان لحكم آخر من الأحكام المذكورة (إذا حضر أحدكم الموت) أي حضر أسبابه
- وظهر أماراته أو دنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت
- وروده عليها (إن ترك خيراً) أي مالا وقيل مالا كثيراً لما روى عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد
- أن يوصي وله سبعة مائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيراً أو إن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن
- عائشة رضي الله عنها أن رجلاً أراد الوصية وله عيال وأربع مائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلاً وأراد آخر
- أن يوصي فسألته كم مالك فقال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله تعالى إن ترك
- خيراً وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك (الوصية الوالدين والأقربين) مرفوع بكتب آخر عما بينهما
- لما مر مرار وإيثار تذكير الفعل مع جواز تأنيثه أيضاً للفصل أو على تأويل أن يوصى أو الإيصاء ولذلك
- ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه وإذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث

فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَأَنَّمَا إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ البقرة

- صدور الكتب عنه تعالى بل من حيث تعلقه بهم تعلقاً فعلياً مستتباً لوجوب الأداء كما ينبى عنه البناء للفعول وكلية الإيجاب ولا مساع لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره الوالدين والجملة جواب الشرط بإضمار الفاء كما في قوله [من يفعل الحسنات الله يشكرها] ورد بأنه إن صح فن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الإسلام ثم نسخ عند نزول آية الموارث بقوله عليه السلام إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه إلا وصية لوارث فإنه وإن كان من أخبار الأحاد لكن حيث تلقته الأمة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند أئمتنا على أن التحقيق أن النسخ حقيقة هي آية الموارث وإنما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان أنه تعالى كان قد كتب عليكم أن تؤدوا إلى الوالدين والأقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير أنصابتهم بل فوض ذلك إلى آرائكم حيث قال (بالمعروف) أى بالعدل فالآن قدر فع ذلك الحكم عنكم لتبيين طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات وأعطى كل ذى حق منهم حقه الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئاً فيه مدخل لرأيكم أصلاً حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه لإذاتحقق هذا ظهر لك أن ما قيل من أن آية الموارث لا تعارضه بل تحققه وتؤكد من حيث أنها تدل على تقديم الوصية مطلقاً والحديث من الأحاد وتلقى الأمة إياه بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والأقربين بقوله تعالى يوصيكم الله أو بإيصال المحتضر لهم بتوفير ما أوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من أن الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الآية من غير تعيين لأنصابتهم فلما نزلت آية الموارث بياناً للانصباء بلفظ الإيصال فهم منها بتنبية النبي ﷺ أن المراد منه هذه الوصية التى كانت واجبة كانه قيل إن الله تعالى أوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها إليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا أن فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فإن مدلول آية الوصية حيث كان تفويضاً للأمر إلى آراء المكلفين على الإطلاق وتسنى الخروج عن عمدة التكليف بأداء ما أدى إليه آراؤهم بالمعروف فتكون آية الموارث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها بما لا يشتبه على أحد وقوله تعالى (حقاً على المتقين) مصدر مؤكد أى حق ذلك حقاً (فمن بدله) أى غيره من الأوصياء ١٨١ والشهود (بعد ما سمعه) أى بعد ما وصل إليه وتحقق لديه (فإنما إنهم) أى إنهم الإيصال المغير أو إثم التبديل (على الذين يبدلونه) لأنهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول في موضع الضمير الراجع إلى من لتأكيد الإيذان بعلية ما في حيز الصلة الأولى وإيثار الجمع للإشعار بتعداد المبدلين أنواعاً أو كثرتهم أفراداً والإيذان بشمول الإثم لجميع الأفراد (إن الله سميع عليم) وعيد شديد للمبدلين

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ البقرة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ البقرة
أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ
طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ البقرة

- ١٨٢ (فمن خاف من موص) أى توقع وعلم من قولهم أخاف أن يرسل السماء وقرىء من موص (جنفاً) أى ميلاً بالخطأ فى الوصية (أو إثمًا) أى تعمدًا للجنف (فأصلح بينهم) أى بين الموصى لهم بإجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة (فلا إثم عليه) أى فى هذا التبديل لأنه تبديل باطل إلى حق بخلاف الأول (إن الله غفور رحيم) وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الإثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) بيان لحكم آخر من الأحكام الشرعية وتكرير النداء لإظهار مزيد الاعتناء والصيام والصوم فى اللغة الإمساك عما تنزع إليه النفس ومنه قوله تعالى إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم الآية وقيل هو الإمساك عن الشيء مطلقاً ومنه صامت الريح إذا أمسكت عن الهبوب والفرس إذا أمسكت عن العدو قال [خيل صيام وخيل غير صائمة ه تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما] وفى الشريعة هو الإمساك نهاراً مع النية عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ما تشتهيه النفس (كما كتب) فى حيز النصب على أنه نعت للمصدر المؤكد أى كتاباً كائناً كما كتب أو على أنه حال من المصدر المعرفة أى كتب عليكم الصيام المكتب مشبهاً بما كتب فما على الوجهين مصدرية أو على أنه نعت لمصدر من لفظ الصيام أى صوماً مماثلة للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة أو على أنه حال من الصيام
- أى حال كونه مماثلاً لما كتب (على الذين من قبلكم) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والائمة من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطيب لآنف المحاطين به فإن الشاق إذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة إما المماثلة فى أصل الوجوب وإما فى الوقت والمقدار كما يروى أن صوم رمضان كان مكتوباً على اليهود والنصارى أما اليهود فقد تركته وصامت يوماً من السنة زعموا أنه يوم غرق فرعون وكذبوا فى ذلك فإنه كان يوم عاشوراء وأما النصارى فإنهم صاموا رمضان حتى صادفوا أحراً شديداً فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه فى الربيع وزادوا عليه عشرة أيام كفارة لما صنعوا فصار أربعين ثم مرض ملكهم أو وقع فيهم موتان فزادوا عشرة أيام فصار خمسين (لعلكم تتقون) أى المعاصى فإن الصوم يكسر الشهوة الداعية إليها كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو تتقون الإخلال بأدائه لأصاليته أو تصلون بذلك إلى رتبة التقوى .
- ١٨٤ (أياماً معدودات) مؤقتات بعدد معلوم أو قلائل فإن القليل من المال يعد عدداً والكثير يهال هيلاً والمراد بها إمار رمضان أو ما وجب فى بدء الإسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وانتصابه

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ سورة البقرة

- ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما بأجنبي بل بمضمر دل هو عليه أعنى صوموا إما على الظرفية أو المفعولية اتساعاً وقيل بقوله تعالى كتب على أحد الوجهين وفيه أن الأيام ليست محلاً له بل المكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعاً (فمن كان منكم مريضاً) أى مرضاً يضرب الصوم
- أو يعسر معه (أو على سفر) مستمرين عليه وفيه تلويح ورمز إلى أن من سافر في أثناء اليوم لم يفطر (فعدة) أى فعلية صوم عدة أيام المرض والسفر (من أيام آخر) إن أفطر لحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب أى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب وإليه ذهب الظاهرية وبه قال أبوهريرة رضى الله عنه (وعلى الذين يطبقونه) أى وعلى المطبقين للصيام إن أفطروا (فدية) أى إعطاء فدية وهى (طعام مسكين) وهو نصف صاع من بر أو من غيره عند أهل العراق ومد عند أهل الحجاز وكان ذلك فى بدء الإسلام لما أنه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعددين له فاشتد عليهم فخص لهم فى الإفطار والفدية وقرئ يطبقونه أى يكفونه أو يقلدونه ويتطوقونه ويتطوقونه بإدغام التاء فى الطاء ويطبقونه بمعنى يطبقونه وأصلهما يطوقونه ويتطوقونه من فاعل وتفعيل من الطوق فأدغمت الياء فى الواو بعد قلبها ياء كة ولهم تدبر المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطبقونه والثانى يكفونه أو يتكفونه على جهد منهم وعسروهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الإفطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز أن يكون هذا معنى يطبقونه أى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيراً) فزاد فى الفدية (فهو) أى التطوع أو الخير الذى تطوعه (خيراً) وأن تصوموا
 - أيها المطبقون أو المطوقون وتحملوا على أنفسكم وتجهدوا طاقتكم أو المرخصون فى الإفطار من المرضى والمسافرين (خير لكم) من الفدية أو من تطوع الخير أو منهما أو من التأخير إلى أيام آخر والانتفاء إلى الخطاب للهز والتشبيط (إن كنتم تعلمون) أى ما فى صومكم مع تحقق المبيع الإفطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره أى اخترتموه أو سارتم إليه وقيل معناه إن كنتم من أهل العلم والتدبير علمتم أن الصوم خير من ذلك (شهر رمضان) مبتدأ سياتى خبره أو خبر لمبتدأ محذوف أى ذلك شهر رمضان أو ١٨٥
- بدل من الصيام على حذف المضاف أى صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على إضمار صوموا أو على أنه مفعول تصوموا أو بدل من أياما معدودات ورمضان مصدر مرض أى احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وأراد على حذف المضاف للأمن من الالتباس وإنما سمي بذلك إما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب بالصيام فيه أو لوقوعه فى أيام رمض الحر عند

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ ﴿١٨٦﴾ البقرة

- نقل اسماء المشهور عن اللغة القديمة (الذي أنزل فيه القرآن) خبر للبستدأ على الوجه الأول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى إنزاله فيه أنه ابتدئ إنزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر أو أنزل فيه جملة إلى السماء الدنيا ثم نزل منجماً إلى الأرض حسبما تقتضيه المشيئة الربانية أو أنزل في شأنه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي ﷺ نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين منه والإنجيل لثلاث عشرة منه والقرآن لأربع وعشرين (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) حالان من القرآن أى أنزل حال كونه هدية للناس بما فيه من الإعجاز وغيره وآيات واضحة
- مرشدة إلى الحق فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والأحكام (فمن شهد منكم الشهر) أى حضر فيه ولم يكن مسافراً ووضع الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب أو لتضمن المبتدأ معنى الشرط أو زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هى جزائية كأنه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه (فليصمه) أى فليصم فيه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور اتساعاً وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على أنه مفعول به كقولك شهدت الجمعة أى صلاتها فيكون مابعد مخصصاً له كأنه قيل (ومن كان مريضاً)
- وإن كان مقيماً حاضراً فيه (أو على سفر) وإن كان صحيحاً (فعدة من أيام آخر) أى فعلية صيام أيام آخر لأن المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك أو لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه (بريد
- الله) بهذا الترخيص (بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) لغاية رأفته وسعة رحمته (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون) علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق أى ولهذه الأمور شرع مأمور من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص لهم بمراعاة عدة ما أفطروه ومن الترخيص في إباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا عدة الأمر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما عليه من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز أن تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم أو لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر أى يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والشاء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الإلهال وما تحتل المصدرية
- ١٨٦ والموصولة أى على هدايته إياكم أو على الذي هداكم إليه وقرئ ولتكملوا بالثبديد (وإذا سأل عبادي عني) في تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ ما لا يخفى من تشریفه ورفع محله (فإنى قريب) أى فقل لهم إنى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بأفوال العباد وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه روى أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ أقرب ربنا فتناجيه أم بعيد فتناديه فنزلت (أجيب دعوة

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا تَبْشِرُوا بِهِ هُنَّ حُجُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ٢ البقرة

- الداع إذا دعان (تقرير للقرب وتحقيق له و وعد للداعى بالإجابة) فليستجيبوا (الى) إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أجيبهم إذا دعوني لمهامهم (وليؤمنوا بي) أمر بالثبات على ما هم عليه (لعلمهم يرشدون) راجين إصابة الرشد أى الحق وقرىء بفتح الشين وكسرها ولما أمرهم الله تعالى بصوم الشهر ومرعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على أنه تعالى خير بأحوالهم سميع لا قواهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه ثم شرع في بيان أحكام الصيام فقال (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) روى أن المسلمين كانوا إذا أمسوا حل لهم الأكل والشرب والجماع إلى أن يصلوا العشاء الأخيرة أو يرقدوا ثم إن عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فتندم وأتى النبي ﷺ واعتذر إليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت . ليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائماً والرفث كناية عن الجماع لأنه لا يكاد يخلو من رفث وهو الإفصاح بما يجب أن يكنى عنه وعدى إلى لتضمنه معنى الإفضاء والإنهاء وإشاره ههنا لاستقباح ما ارتكبه ولذلك سمى خيانة وقرىء الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل لما مر مراراً من التشويق فإن ما حقه التقديم إذا أخرجت النفس مترتبة إليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) استئناف مبين لسبب الإحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابس بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباساً للآخر لا اعتناقهما واشتغال كل منهما على الآخر بالليل قال [إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباساً] أو لأن كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) استئناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان أباح من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب (فتاب عليكم) عطف على علم أى تاب عليكم لما تبتم بما اقترعتموه (وعفا عنكم) أى محاذرة عنكم (فالآن) لما نسخ التحريم (باشروهن) المباشرة إلزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة (وابتغوا ما كتب الله لكم) أى واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره في اللوح من الولد وفيه أن المباشر ينبغي أن يكون غرضه الولد فإنه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لإفضاء الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل وقيل عن غير المأثى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ
بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٨﴾ البقرة

- الله لكم (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخطيط الأبيض من الخطيط الأسود من الفجر) شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين الأبيض والأسود واكتفى ببيان الخطيط الأبيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخطيط الأسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة إلى التمثيل ويجوز أن يكون من للتبعض فإن ما يبدو بعض الفجر وما روى من أنها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال إلى خيطين أبيض وأسود وطفقوا يأكلون ويشربون حتى يتبيننا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان إلى وقت الحاجة جائز أو اكتفى أولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة إلى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل إليه وصحة صوم من أصبح جنباً (ثم أتوا الصيام إلى الليل) بيان لآخر وقته (ولا تبشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) أى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج إلى امرأته فيبشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على أن الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض دون بعض وأن الوطء فيه حرام ومفسد له لأن النهى في العبادات يوجب الفساد (تلك حدود الله) أى الأحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده (فلا تقربوها) فضلا عن تجاوزها نهى أن يقرب الحد الحائز بين الحق والباطل مبالغة في النهى عن تخطيها كما قال ﷺ إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فنرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ويجوز أن يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه (كذلك) أى مثل ذلك التبیین البليغ (بين الله آياته) الدالة على الأحكام التي شرعها (للناس لعلمهم يتقون) مخالفة أو امره ونواهيته (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) نهى عن أكل بعضهم أموال بعض على خلاف حكم الله تعالى بعد النهى عن أكل أموال أنفسهم في نهار رمضان أى لا يأكل بعضهم أموال بعض بالوجه الذى لم يبيحه الله تعالى وبين نصب على الظرفية أو الحالية من أموالكم (وتدلوا بها إلى الحكام) عطف على المنهى عنه أو نصب بإضمار أن والإدلاء الإلقاء أى ولا تلقوا حكو منها إلى الحكام (لتأكلوا)
- بالتحاكم إليهم (فريقاً من أموال الناس بالإثم) بما يوجب إثماً كشهادة الزور واليمين الفاجرة أو متلبسين بالإثم (وأنتم تعلمون) أنكم مبطلون فإن ارتكاب المعاصى مع العلم بها أقبح . روى أن عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة أرض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله ﷺ بأن يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه الصلاة والسلام إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية فارتدع عن اليمين فسلم الأرض إلى عبدان فنزلت . وروى أنه اختصم إليه خصمان فقال عليه السلام إنما أنا بشر مثلكم وأنتم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فن قضيت له بشئ من حق أخيه فإنما أقضى له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حتى لصاحبي

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ٢ البقرة

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ٢ البقرة

- فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه (يسألونك عن الاهلة) سألته معاذ ١٨٩
ابن جبل و ثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو رقيقاً كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ (قل هي مواقيت للناس والحج) كانوا قد سألوه عليه الصلاة والسلام عن الحكمة في اختلاف ●
حال القمر وتبدل أمره فأمره الله العزيز الحكيم أن يجيبهم بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن تكون معالم للناس في عبادتهم لاسيما الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء وقضاء وكذا في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميعات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها إلى منتهاها والزمان مدة مقسومة إلى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لأمر (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كانت الأنصار إذا أحرمو الم يدخلوا داراً ولا فسطاطاً ●
من بابه وإنما يدخلون ويخرجون من نقب أو فرجة ورامها ويعدون ذلك برأفين لهم أنه ليس ببر فقيل (ولكن البر من اتقى) أى بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين ●
أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر عقيبها ما هو من أفعالهم في الحج استطراداً أو أنهم لما سألوا عما لا يعنهم ولا يتعلق بعلم النبوة فإنه عليه الصلاة والسلام مبعوث لبيان الشرائع لايبيان حقائق الأشياء وتركوا السؤال عما يعنهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها أو أريد به التنبيه على تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجترأ على مثله (وأتوا البيوت من أبوابها) إذ ليس في العدول برأو باشروا الأمور من وجوها ●
(واتقوا الله) في تغيير أحكامه أو في جميع أموركم أمر بذلك صريحاً بعد بيان أن البر بر من اتقى ●
إظهاراً لزيادة الاعتناء بشأن التقوى وتمهيداً لقوله تعالى (لعلمكم تفلحون) أى لكى تظفروا بالبر ●
والهدى (وقاتلوا في سبيل الله) أى جاهدوا لإعزاز دينه وإعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول ١٩٠ ●
الصريح لإبراز كمال العناية بشأن المقدم (الذين يقاتلونكم) قيل كان ذلك قبل ما أمروا بقتال المشركين ●
كافة المقاتلين منهم والمهاجرين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والراهبنة والنساء أو الكفرة جميعاً فإن الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الأول ما روى أن المشركين صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى ثلاثة أيام فرجع لعمره القضاء يخاف المسلمون أن لا يفوالهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده لإيراده في أثناء بيان أحكام الحج (ولا تعتدوا) بابتداء

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تُقْفِتُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ البقرة

فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ البقرة

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ البقرة
الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مِّمَّنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ
مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ البقرة

- القتال أو بقتال المعاهد والمفاجأة به من غير دعوة أو بالمثلثة وقتل من نهيتهم عن قتله من النساء والصبيان
١٩١ ومن يجرى مجراهم (إن الله لا يحب المعتدين) أى لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهى (واقتلوهم حيث
تقفتوهم) أى حيث وجدتموهم من حل أو حرم وأصل الثقف الحذق فى إدراك الشيء علماً أو عملاً
وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال [فإما تتقفونى فاقتلونى * فمن أثقف فليس إلى خلود]
● (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها
● (والفتنة أشد من القتل) أى المحنة التى يفتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن أصعب من القتل
● لدوام تعبها وبقاء تألم النفس بها وقيل شركهم فى الحرم وصددهم لكم عنه أشد من قتلهم إياهم فيه (ولا
تقاتلوهم عند المسجد الحرام) أى لا تقاتلوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام (حتى يقاتلوكم
● فيه فإن قاتلوكم) ثمة (فاقتلوهم) فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لأنهم الذين هتكوا حرمة فاستحقوا أشد العذاب
وفى العدول عن صيغة المفاعلة التى بها ورد النهى والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرىء ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم
● فإن قاتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو أسد (كذلك جزاء الكافرين) يفعل بهم مثل
١٩٢ ما فعلوا بغيرهم (فإن انتهوا) عن القتال والكفر بعد ما رآوا قتالكم (فإن الله غفور رحيم) يغفر لهم ما قد سلف
١٩٣ (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى شرك (ويكون الدين لله) خالصاً ليس للشيطان فيه نصيب (فإن انتهوا)
● بعدمقاتلتكم عن الشرك (فلا عدوان إلا على الظالمين) أى فلا تعتدوا عليهم إذ لا يحسن الظلم إلا لمن ظلم
فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشكلة كما فى قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء
١٩٤ (الشهر الحرام بالشهر الحرام) قاتلوهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة فقبل لهم عند خروجهم لعمرة
القضاء فى ذى القعدة أيضاً وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وتهتك بهتكم فلا
● تبالوا به (والحرمت قصاص) أى كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه يجرى فيها القصاص فلما هتكوا
● حرمة شهركم بالصدف فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم إن قاتلوكم كما قال تعالى (فمن اعتدى

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ البقرة
وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ
نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ البقرة

- عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وهو فذلكم مقرر لما قبلها (واتقوا الله) في شأن الانتصار
- واحذروا أن تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم (واعلموا أن الله مع المتقين) فيحرسهم ويصلح شئونهم بالنصر
- والتمكين (وأنفقوا في سبيل الله) أمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالأنفس أى ولا تمسكوا كل الإمساك ١٩٥
- (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه
- فإن ذلك مما يقوى العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ماروى عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أنه قال لما أعز الله الإسلام وكثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدى إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكاً وهو فى الأصل انتهاء الشيء فى الفساد والإلقاء طرح الشيء وتعديته إلى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة مصدر كالنصرة والنسرة وهى والهلك والهلاك واحد أى لا توقعوا أنفسكم فى الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها
- آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم أنفسكم إليها لحذف المفعول (وأحسنوا) أى أعمالكم وأخلاقكم أو
- تفضلوا على الفقراء (إن الله يحب المحسنين) أى يريد بهم الخير وقوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) ١٩٦
- بيان لوجوب إتمام أفعالهما عند التصدي لأدائهما وإرشاد للناس إلى تدارك ما عسى يعتريهم من العوارض المحلة بذلك من الإحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما فى أنفسهما من الوجوب وعدمه كما فى قوله تعالى ثم أتموا الصيام إلى الليل فإنه بيان لوجوب مد الصيام إلى الليل من غير تعرض لوجوب أصله وإنما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما أن وجوب الحج بقوله تعالى والله على الناس حج البيت الآية فإن الأمر بإتمام فعل من الأفعال ليس أمراً بأصله ولا مستلزماً له أصلاً فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعاً وادعاء أن الأمر بإتمامها أمر بإنشائها تامين كاملين حسبما تقتضيه قراءة وأقيموا الحج والعمرة وأن الأمر للوجوب مالم يدل على خلافه دليل بما لا سداد له ضرورة أن ليس البيان مقصوراً على أفعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق أن تلك القراءة أيضاً محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب إقامة أفعالها كما ينبغى من غير تعرض لحالهما فى أنفسهما فالمعنى أكملوا أركانها وشرائطها وسائر أفعالها المعروفة شرعاً لوجه الله تعالى من غير إخلال منكم بشيء منها . هذا وقد قيل لإتمامها أن تحرم

- بهما من دويبة أهلك روى ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل أن تفرد لكل واحد منها سفرأ كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا وقيل أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الأغراض الدنيوية وأياً ما كان فلا تعرض في الآية الكريمة لوجوب العمرة أصلاً وأما ما روى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضى الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج العمرة مكتوبين على أهلت بهما وفي رواية فأهلت بهما جميعاً فبمعزل من إفادة الوجوب مع كونه معارضاً بما روى عن جابر أنه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن أن تعتمر خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر (فإن أحصرتم) أى منعتم من الحج يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه من المضى لوجهه مثل صده وأصدده والمراد منع العدو عند مالك والشافعى رضى الله عنهما لقوله تعالى فإذا أمنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر إلا حصر العدو وكل منع من عدو أو مرض أو غيرهما
- عند أبي حنيفة رضى الله عنه لما روى عن النبي ﷺ من كسر أو عرج فعليه الحج من قابل (فما استيسر من الهدى) أى فعليكم أو قالوا يجب ما استيسر أو فاهدوا ما استيسر والمعنى أن المحرم إذا أحصر وأراد أن يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه من بدنة أو بقرة أو شاة حيث أحصر عند الأكثر وعندنا يبعث به إلى الحرم ويجعل للبعوث بيده يوم أماره فإذا جاء اليوم وظن أنه ذبح تحلل لقوله تعالى (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله) أى لا تحلقوا حتى تعلموا أن الهدى المبعوث إلى الحرم بلغ مكانه الذى يجب أن ينحر فيه وحمل الأولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلالاً كان أو حرماً و مرجعهم في ذلك أن رسول الله ﷺ ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل قلنا كان محصره عليه الصلاة والسلام طرف الحديبية الذى إلى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى أن رسول الله ﷺ نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هى طرف الحرم على تسعة أميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على
- المسكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرىء من الهدى جمع هدية كقطي ومطية (فمن كان منكم مريضاً) مرضاً محوجاً إلى الخلق (أو به أذى من رأسه) كجراحة أو قتل (فقدية) أى فعليه فدية
- إن حلق (من صيام أو صدقة أو نسك) بيان لجنس الفدية وأما قدرها فقد روى أنه ﷺ قال لكعب بن عجرة لعلك أذاك هو أمك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة أيام أو تصدق بفرق على ستة مساكين
- أو أنسك شاة والفرق ثلاثة أصع (فإذا أمنتم) أى الإحصار أو كنتم في حال أمن أو سعة (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج) أى فمن انتفع بالتقرب إلى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في أشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الإحرام إلى أن يحرم بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه إذا أحرم بالحج ولا يأكل منه
- عند الشافعى وعندنا هو كالأضحية (فمن لم يجد) أى الهدى (فصيام ثلاثة أيام في الحج) أى في أشهره بين الإحرامين وقال الشافعى في أيام الاشتغال بأعماله بعد الإحرام وقبل التحلل والأحب أن يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتسعه فلا يصح يوم النحر وأيام التشريق (وسبعة إذا رجعت) أى نفرتم وفرغتم من

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيَنَّكُمْ أَلْبَابُ ۚ ﴿١٩٧﴾ البقرة

- أعماله وفي أحد قولي الشافعي إذا رجعتكم إلى أهليكم وقرىء وسبعة بالنصب عطفاً على محل ثلاثة أيام (تلك عشرة) فذلك الحساب وفائدتها أن لا يتوهم أن الواو بمعنى أو كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وأن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلاً فإن أكثر العرب لا يعرف الحساب وأن المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك أيضاً (كاملة) صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد أو مبينة لكمال العشرة فإنها أول عدد كامل إذ به ينتهي الأحاد ويتم مراتبها أو مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى (ذلك) إشارة إلى التمتع عندنا وإلى الحكم المذكور عند الشافعي (لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا وأهل الحل عند طاوس وغير أهل مكة عند مالك (واتقوا الله) في المحافظة على أوامره ونواهيه لا سيما في الحج (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن لم يتق به كي يصدكم العلم به عن العصيان وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لثبوت المهابة وإدخال الروعة (الحج) أي وقته (أشهر معلومات) معروفة ١٩٧ بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف أن المراد بوقته وقت إحرامه أو وقت أعماله أو مناسكه أو ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقاً فإن مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وأبو حنيفة وإن صحح الإحرام به قبل شوال فقد استكرهه وإنما سمي شهرين وبعض شهر أشهر إقامة للبعض مقام الكل أو إطلاقاً للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء بالآلف والتاء (فمن فرض فيهن الحج) أي أوجبه على نفسه بالإحرام فيهن أو بالتلبية أو بسوق الهدى (فلا رفت ولا فسوق) أي لا جماع أو فلا خش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنازع بالألقاب (ولا جدال) أي لا مراء مع الخدم والرفقة (في الحج) أي في أيامه والإظهار في مقام الإضمار لإظهار كمال الاعتناء بشأنه والإشعار بعلّة الحكم فإن زيارة البيت المعظم والتقرب بها إلى الله عز وجل من موجبات ترك الأمور المذكورة وإثارة النفي للمبالغة في النهي والدلالة على أن ذلك حقيق بأن لا يكون فإن ما كان منكراً مستقبهاً في نفسه ففي تضاعيف الحج أقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القرآن لأنه خروج عن مقتضى الطبع والعادة إلى محض العبادة وقرىء الأولان بالرفع على معنى لا يكون رفت ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الإخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك أن قریشاً كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارفع الخلاف بأن أمروا بأن يقفوا أيضاً بعرفات (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) فيجزي به خير جزاء وهو حث على فعل الخير إثر النهي عن الشر (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي تزودوا للمعادكم التقوى فإنه خير زاد وقيل نزلت في أهل اليمن كانوا يحمجون ولا يتزودون ويقولون

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ
الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ البقرة

ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ البقرة

- نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فأمرنا أن يتزودوا ويتقوا الإبرام في السؤال والتثقل على
● الناس (واتقون يا أولي الألباب) فإن قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى
ثم أمرهم بأن يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتهربوا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعري
١٩٨ عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب أولو الألباب (ليس عليكم جناح أن تبتغوا) أى فى أن
● تبتغوا أى تطلبوا (فضلا من ربكم) عطاء ورزقا منه أى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو
المجاز أسواقهم فى الجاهلية يقيمونها أيام مواسم الحج وكانت معاشهم منها فلما جاء الإسلام تأثروا منه
● فنزلت (فإذا أفضتم من عرفات) أى دفعتم منها بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة وأصله أفضتم
أنفسكم فحذف المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كأذرعات وإنما نون وكسروفيه
علمية وتأنيت لما أن تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهب الكسرة
تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وههنا ليس كذلك أولان التأنيت إما بالناء المذكورة
وهى ليست بناء التأنيت وإنما هى مع الألف التى قبلها علامة جمع المؤنث أو بناء مقدرة كما فى سعاد ولا
سبيل إليه لأن المذكورة تأبى تقديرها لما أنها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كبناء بنت وإنما سمي
الموقف عرفة لأنه نعت لإبراهيم عليه السلام فلما أبصره عرفه أولان جبريل عليه السلام كان يدور به
فى المشاعر فلما رآه قال عزفت أولان آدم وحواء التقيا فيه فتعارقا أولان الناس يتعارفون فيه وهى من
الاسماء المرتجلة إلا من يجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لأن الإفاضة لا تكون
إلا بعده وهى مأمور بها بقوله تعالى ثم أفيضوا وقد قال النبي ﷺ الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك
● الحج أو مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر إذ الذكر غير واجب والأمر به غير مطلق (فأذكروا الله)
● بالتلبية والتلهيل والدعاء وقيل بصلاة العشاءين (عند المشعر الحرام) هو جبل يقف عليه الإمام ويسمى
قزح وقيل ما بين مازى عرفة ووادى محسر ويؤيد الأول ما روى جابر أنه عليه الصلاة والسلام لما صلى الفجر
يعنى بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وإنما
سمى مشعرا لأنه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمة ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فإنه
● أفضل وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر (وأذكروه كما هداكم) أى كما علمكم أو أذكروه
● ذكرأ حسنا كما هداكم هداية حسنة إلى المناسك وغيرها وما مصدرية أو كافة (وإن كنتم من قبله)
● من قبل ما ذكر من هدايته إياكم (لمن الضالين) غير العاملين بالإيمان والطاعة وإن هى المخففة واللام
١٩٩ هى الفارقة وقيل هى نافية واللام بمعنى إلا كما فى قوله عز وعلا وإن نظنك لمن الكاذبين (ثم أفيضوا

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ البقرة
وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ البقرة
أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ البقرة

- من حيث أفاض الناس) أى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يهفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعاً عليهم فأمرُوا بأن يساووهم وثم لتفاوت ما بين الإفاضتين كإلى قولك أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلا إلى كريم وقيل من مزدلفة إلى منى بعد الإفاضة من عرفة إليها والخطاب عام وقرىء الناس بكسر السين أى الناسى على أن يراد به آدم عليه السلام من قوله تعالى ففسى والمعنى أن الإفاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه (واستغفروا الله) من جاهلييتكم فى تغيير المناسك (إن الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار أو للأمر به (فإذا قضيتُم مناسككم) ٢٠٠ عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها (فاذكروا الله كذكركم آبائكم) أى فاكثرُوا ذكره تعالى وبالغوا فى ذلك كما تفعلون بذكر آبائكم ومفاخرهم وأيامهم وكانت العرب إذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن أيامهم (أو أشد ذكرًا) إما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذا كرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرًا كأنتم مثل ذكركم آبائكم أو كذكر أشد منه وأبلغ أو على ما أضيف إليه بمعنى أو كذكر قوم أشد منكم ذكرًا أو منصوب بالعطف على آبائكم وذكرًا من فعل المذكر بمعنى أو كذكركم أشد مذكور من آبائكم أو بمضمر دل عليه المعنى تقديره أو كونوا أشد ذكرًا لله منكم لآبائكم (فمن الناس) تفصيل للذاكرين إلى من لا يطلب بذكر الله إلا الدنيا وإلى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الإكثار والانتظام فى سلك الآخرين (من يقول) أى فى ذكره (ربنا آتنا فى الدنيا) أى اجعل إيتاءنا ومنحتنا فى الدنيا خاصة (وماله فى الآخرة من خلاق) أى من حظ ونصيب لاقتصارهم على الدنيا فهو بيان لحاله فى الآخرة أو من طلب خلاق فهو بيان لحاله فى الدنيا وتأكيده قصر دعائه على المطالب الدنيوية (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) هى الصحة والكفاف والتوفيق ٢٠١ للخير (وفى الآخرة حسنة) هى الثواب والرحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة وروى عن على رضى الله عنه أن الحسنة فى الدنيا المرأة الصالحة وفى الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء وعن الحسن أن الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشبهات والذنوب المؤدية إلى النار (أولئك) إشارة إلى الفريق الثانى باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة ٢٠٢ وما فيه من معنى البعد لما مررأ من الإشارة إلى علو درجاتهم وبعد منزلاتهم فى الفضل وقيل إليهما معاً فالتنوين فى قوله تعالى (لهم نصيب مما كسبوا) على الأول للتفخيم وعلى الثانى للتنويع أى لكل منهم نوع نصيب

وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ البقرة
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ البقرة

- من جنس ما كسبوا أو من أجله كقوله تعالى ما خطيئاتهم أغرقوا أو مادعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسباً لما أنه من الأعمال (والله سريع الحساب) يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة أعمالهم في مقدار لحظة واحذروا من الإخلال بطاعة من هذا شأن قدرته أو يوشك أن يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا
- ٢٠٣ إلى الطاعات واكتساب الحسنات (واذكروا الله) أي كبروه في أعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها (في أيام معدودات) هي أيام التشريق (فمن تعجل) أي استعجل في النفر أو النفر فإن التفعّل والاستفعال يجنيان لآزمين ومتعدين يقال تعجل في الأمر واستعجل فيه وتعجله واستعجله
- والأول أوفق للتأخر كما في قوله [قد يدرك المتأني بعض حاجته] وقد يكون من المستعجل الزلل (في يومين) أي في تمام يومين بعد يوم النحر هو يوم القر ويوم الرموس واليوم بعده ينفر إذا فرغ من رمي الجمار (فلا إثم عليه) بتعجله (ومن تأخر) في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال أو بعده وعند الشافعي
- بعده فقط (فلا إثم عليه) بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التذجل والتأخر ولا يقدح فيه أفضلية الثاني وإنما ورد بنى الإثم تصريحاً بالرد على أهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم
- للمتأخر (لمن اتقى) خبر لمبتدأ محذوف أي الذي ذكر من التخيير ونفى الإثم عن المتعجل والمتأخر أو من الأحكام لمن اتقى لأنه الحاج على الحقيقة والمنفعة به أو لأجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمله منهما
- (واتقوا الله) في مجامع أموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنظموا في سلك المغتصمين بالأحكام المذكورة والرخص أو احذروا الإخلال بما ذكر من الأحكام وهو الأنسب بقوله عز وجل
- (واعلموا أنكم إليه تحشرون) أي للجزاء على أعمالكم بعد الإحياء والبعث وأصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تأكيد للأمر بالتقوى وموجب للامتثال به فإن من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان
- ٢٠٤ ذلك من أقوى الدواعي إلى ملازمة التقوى (ومن الناس من يعجبك قوله) تجريد الخطاب وتوجيه له إليه عليه الصلاة والسلام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس في شأن التقوى إلى حزبين وتعيين
- ما ل كل منهما ومن موصولة أو موصوفه وإعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر أي ومنهم من يروفك كلامه ويعظم موقعه في نفسه لما تشاهد فيه من ملاءمة الفحوى ولطف
- الأداء والتعجب حيرة تعرض للإنسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه (في الحياة الدنيا) متعلق بقوله أي ما يقوله في حق الحياة الدنيا ومعناها فإنها الذي يريده بما يدعيه من الإيمان ومحبة الرسول ﷺ وفيه إشارة إلى أن له قولاً آخر ليس بهذه الصفة أو يعجبك أي يعجبك قوله في الدنيا بحلاوته

وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ البقرة
وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ البقرة
وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ البقرة

- وفصاحته لا في الآخرة لما أنه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وأنت خبير بأنه لا مبالغة حينئذ في سوء حاله فإن مآله بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الآخرة وقيل معنى في الحياة الدنيا مدة الحياة الدنيا أى لا يصدر منه فيها إلا القول الحسن (ويشهد الله على ما في قلبه) أى بحسب إدعائه حيث يقول الله يعلم أن ما في قلبي موافق لما في لسانى وهو عطف على يعجبك وقرىء ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضى الله عنهما والله يشهد على ما في قلبه على أن كلمة على لكون المشهود به مضرراً له فالجملعة اعتراضية وقرىء ويستشهد الله (وهو ألد الخصام) أى شديد العداوة والخصومة للسلبيين على أن الخصام مصدر وإضافة ألد إليه بمعنى في كقوله لم ثبت العذر أو أشد الخصوم لهم خصومة على أنه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله ﷺ ويدعى الإسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملعة حال من الضمير المجرور في قوله أو من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين (وإذا تولى) أى من مجلسك وقيل إذا صار والياً (سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) ٢٠٥ كما فعله الأخنس بشقيف حيث يتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم أو كما يفعله ولادة السوء بالقتل والإتلاف أو بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرىء ويهلك الحرث والنسل على إسناد الهلاك إليهما عطفاً على سعى وقرىء بفتح اللام وهى لغة وقرىء على البناء للفعول من الإهلاك (والله لا يحب الفساد) أى لا يرضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض نذيلي (وإذا قيل له) على نهج العظة والنصيحة (اتق الله) وأترك ما تبشره من الفساد أو النفاق واحذر سوء مغبته (أخذته العزة بالإثم) أى حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الإثم الذى نهى عنه لجأجا وعناداً من قولك أخذته بكذا إذا حملته عليه أو ألزمته إياه (فحسبه جهنم) مبتدأ وخبر أى كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتقاده على الفاء الرابطة للجملعة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض أى كفته جهنم (وللبئس المهاد) جواب قسم مقدر والخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعيينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملعة اعتراض (ومن الناس من يشترى نفسه) ٢٠٧ مبتدأ وخبر كما مر أى يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعرضها للمهلك في الحروب أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن ترتب عليه القتل (ابتغاء مرضات الله) أى طالباً لرضاه وهذا كمال التقوى وإبراده قسيماً للأول من حيث أن ذلك يأنف من الأمر بالتقوى وهذا يأمر بذلك وإن أدى إلى الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومى أخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال إني شيخ كبير

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ البقرة
 فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ البقرة
 هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
 الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ البقرة

- لا أنفعكم إن كنت معكم ولا أضركم إن كنت عليكم غفلوني وما أنا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه
- ماله فأتى المدينة فيشرى حينئذ بمعنى يشترى لجريان الحال على صورة الشرى (والله رءوف بالعباد)
- ٢٠٨ ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجللة اعتراض تذييل (يأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم)
- أى الاستسلام والطاعة وقيل الإسلام وقرىء بفتح السين وهى لغة فيه وبفتح اللام أيضاً وقوله تعالى
- (كافة) حال من الضمير فى ادخلوا أو من السلم أو منهما معاً كما فى قوله [خرجت بها تمشى تجر وراءنا
- على أثرنا ذيل مرط مرجل] وهى فى الأصل اسم لجماعة تكف مخالفتها ثم استعملت فى معنى
- جميعاً وتأوها ليست للتأنيث حتى يحتاج إلى جعل السلم مؤنثاً مثل الحرب كما فى قوله عز وجل وإن جنحوا
- للسلم فاجنح لها وفى قوله [السلم تأخذ منها ما رزيت به • والحرب يكفيك من أنفاسها جرع] وإنما هى
- للتنقل كما فى عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله تعالى وأطيعوه جملة ظاهر أو باطناً والخطاب للنافقين
- أو ادخلوا فى الإسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى أهل الكتاب فإنهم كانوا يراعون
- بعض أحكام دينهم القديم بعد إسلامهم أو فى شرائع الله تعالى كلها بالإيمان بالأنبياء عليهم السلام
- والكتب جميعاً والخطاب لأهل الكتاب كلهم ووصفهم بالإيمان إما على طريقة التغليب وإما بالنظر إلى
- إيمانهم القديم أو فى شعب الإسلام وأحكامه كلها فلا يخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وإنما خوطب
- أهل الكتاب بعنوان الإيمان مع أنه لا يصح الإيمان إلا بما كلفوه الآن إيذاناً بأن ما يدعونه لا يتم
- بدونه (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) بالتفرق والتفريق أو بمخالفة ما أمرتم به (إنه لكم عدو مبين)
- ٢٠٩ ظاهر العداوة أو مظهر لها وهو تعليل للنهى أو الانتهاء (فإن ذللت) أى عن الدخول فى السلم وقرىء
- بكسر اللام وهى لغة فيه (من بعد ما جاء تكلم) الآيات (البينات) والحجج القطعية الدالة على حقيقته
- الموجبة للدخول فيه (فأعلموا أن الله عزيز) غالب على أمره لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا يترك
- ٢١٠ ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على أوامره (هل ينظرون) استفهام إنكارى فى معنى
- النفي أى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتثال بما أمروا به والانهاء عما نهوا عنه (إلا
- أن يأتيهم الله) أى أمره وبأسه أو يأتيهم الله بأمره وبأسه فحذف الماتى به لدلالة الحال عليه والالتفات
- إلى الغيبة للإيذان بأن سوء صنيعهم موجب للإعراض عنهم وحكاية جنائهم لمن عداهم من أهل
- الإنصاف على طريقة المباشرة وإيراد الانتظار للإشعار بأنهم لانهما كهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة

سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ البقرة

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ البقرة

- كأنهم طالبون لها مترقبون لوقوعها (في ظلل) جمع ظلة كقلال في جمع قلة وهي ما أظلك وقرىء في
- ظلال كقلال في جمع قلة (من الغمام) أى السحاب الأبيض وإنما أتاهم العذاب فيه لما أنه مظنة الرحمة
- فإذا أتى منه العذاب كان أظطع وأقطع للمطامع فإن إتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف بإتيانه
- من حيث يرجى منه الخير (والملائكة) عطف على الاسم الجليل أى وبأتيهم الملائكة فإنهم وسائط في
- إتيان أمره تعالى بل هم الآتون بياسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للإيدان بأن الآتى أو لامن
- جنس ما يلبس الغمام ويترتب عليه عادة وأما الملائكة وإن كان إتيانهم مقارناً لما ذكر من الغمام لكن
- ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرىء بالجر عطفاً على ظلل أو الغمام (وقضى الأمر) أى أنهم أمر إهلاكمهم
- وفرغ منه وهو عطف على يأتيهم داخل في حين الانتظار وإنما عدل إلى صيغة الماضي دلالة على تحققه
- فكأنه قد كان أو جملة مستأنفة جىء بها إنباء عن وقوع مضمونها وقرىء وقضاء الأمر عطفاً على الملائكة
- (وإلى الله) لا إلى غيره (ترجع الأمور) بالتأنيث على البناء للمفعول من الرجوع وقرىء بالتذكير وعلى
- البناء للفاعل بالتأنيث من الرجوع (سل بنى إسرائيل) الخطاب للرسول ﷺ أو لكل أحد من أهل الخطاب ٢١١
- والمراد بالسؤال تبيكيتهم وتقريعتهم بذلك وتقرير المجىء البينات (كم آتيناهم من آية بينة) معجزة ظاهرة على
- أيدي الأنبياء عليهم السلام وآية ناطقة بحقيقة الإسلام المأمور بالدخول فيه وكم خبرية أو استفهامية مقرررة
- ومحلها النصب على المفعولية أو الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مبرزها (ومن يبدل نعمة الله)
- التى هى آياته الباهرة فإنها سبب للهدى الذى هو أجل النعم وتبديلها جعلها سبباً للضلالة وإزدباد الرجس
- أو تحريفها وتأويلها الزائغ (من بعد ما جاءته) ووصلت إليه وتمسك من معرفتها والتصریح بذلك مع أن
- التبديل لا يتصور قبل المجىء للإشعار بأنهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفصيلها كما فى قوله عز وجل ثم
- يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وإنما حذف للإيدان بعدم الحاجة إلى
- التصريح به لظهوره (فإن الله شديد العقاب) تعليل للجواب كأنه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه أشد عقوبة
- فإنه شديد العقاب وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة (زين للذين كفروا الحياة الدنيا) ٢١٢
- أى حسنت فى أعيانهم وأشربت محبتها فى قلوبهم حتى تهلكوا عليها وتهاقنوا فيها معرضين عن غيرها
- والتزيين من حيث الخلق والإيجاد مستند إلى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل إذ
- ما من شئ إلا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما فى الدنيا من الأمور البهية والأشياء
- الشبيهة مزين بالعرض (ويسخرون من الذين آمنوا) عطف على زين وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي
مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ البقرة

- على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضى الله عنهم كانوا يستردلونهم ويستهمون بهم على رفضهم الدنيا وإقبالهم على العقبي ومن ابتدائية فكأنهم جعلوا السخرية مبتدأة
- منهم (والذين اتقوا) هم الذين آمنوا بعينهم وإنما ذكروا بعنوان التقوى للإيدان بأن إعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها محلة بقتلهم إلى جناب القدس شاعلة عنه (فوقهم يوم القيامة) لأنهم في أعلى
- عليين وهم في أسفل سافلين أو لأنهم في أوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة أو لأنهم يتناولون عليهم في الآخرة فيسخرهم منهم كما سخرهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الاسمية
- للدلالة على دوام مضمونها (والله يرزق من يشاء) أى في الدارين (بغير حساب) بغير تقدير فيوسع
- ٢١٣ في الدنيا استدراجاً تارة وابتلاء أخرى (كان الناس أمة واحدة) متفقين على كلمة الحق ودين الإسلام
- وكان ذلك بين آدم وإدريس أو نوح عليهم السلام أو بعد الطوفان (فبعث الله النبيين) أى فاختلّفوا فبعث
- الخ وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقد حذف تعويلاً على ما يذكر عقبيه (مبشرين ومنذرين) عن كعب الذى علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفاً والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة
- عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس أمة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة
- إدريس أو نوح فبعث الله النبيين فاختلّفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم (وأُنزل معهم
- الكتاب) أى جنس الكتاب أو مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لأمع كل واحد منهم
- على الإطلاق إذ لم يكن لبعضهم كتاب وإنما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي
- خصوص الضمير العائد إليه بمعونة المقام (بالحق) حال من الكتاب أى ملتبساً بالحق أو متعلق بأنزل
- كقوله عز وعلا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل (ليحكم) أى الكتاب أو الله سبحانه وتعالى أو كل واحد من
- النبيين (بين الناس) أى المذكورين والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التعيين (فيما اختلفوا فيه) أى
- في الحق الذى اختلفوا فيه أو فيما التبس عليهم (وما اختلف فيه) أى في الحق أو في الكتاب المنزل
- ملتبساً به والواو حالية (إلا الذين أوتوه) أى الكتاب المنزل لإزالة الاختلاف وإزاحة الشقاق والتعبير
- عن الإنزال بالإيثار للتنبيه من أول الأمر على كمال تمسكهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فإن
- الإنزال لا يفيد تلك الفائدة أى عكسوا الأمر حيث جعلوا ما أنزل لإزالة الاختلاف سبباً لاستحكامه
- ورسوخه (من بعد ما جاءتهم البينات) أى رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام
- أى فاختلّفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع إلا عنه كما في قولك ما قام إلا زيد يوم

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ
وَزُلْزُلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٥﴾ البقرة
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَاللَّذِينَ الْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ البقرة

- الجمعة (بغياً بينهم) متعلق بما تعلقت به من أى اختلفوا بغياً وتهالكا على الدنيا (فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب (لما اختلفوا فيه) أى للحق الذى اختلف فيه من اختلف (من الحق) بيان لما وفى إبهامه أولاً وتفسيره ثانياً ما لا يخفى من التفخيم (بإذنه) بأمره أو بتيسيره ولطفه (والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) موصل إلى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ماسبق (أم حسبتم) ٢١٤
- خطب به رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين حثاً لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهنم لإثريان اختلاف الأمم على الأنبياء عليهم السلام وقد بين فيه مآل اختلافهم ومآل الأنبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وأن عاقبة أمرهم النصر وأم منقطعة والهمزة فيها للإنكار والاستبعاد أى بل أحسبتم (أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) من الأنبياء ومن معهم من المؤمنين أى والحال أنه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تقتلوا بما ابتلوا به من الأحوال الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدّة وهو متوقع ومنتظر (مستهم) استشاف وقع جواباً عما ينساق إليه الذهن كأنه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم (البأساء) أى الشدة من الخوف والفاقة (والضراء) أى الآلام والأمراض (وزلزلوا) أى أزعجوا إزعاجاً شديداً بما دهمهم من الأحوال والإفواض (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه) أى انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرم الضجر إلى أن يقول الرسول وهو أعلم الناس بشئون الله تعالى وأوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره (متى) أى متى يأتى (نصر الله) طلباً وتمنيآله واستطالة لمدة الشدة والعناء وقرئ حتى يقول بالرفع على أنه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسول مع علو كعبهم فى الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم أن الأمر بلغ إلى غاية لا مطمح وراءها (ألا إن نصر الله قريب) على تقدير القول أى فقيل لهم حينئذ ذلك إسعافاً لهم والمراد بالقرب القرب الزمانى وفى إثارة الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها وتقديره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما أنها فى حكم إنشاء الوعد لرسول الله ﷺ والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحقيقه للإيدان بعدم الحاجة إلى ذلك لاستحالة الحلف ويجوز أن يكون هذا وارداً من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا وارداً عند وقوع المحكى وفيه رمز إلى أن الوصول إلى جناب القدس لا يتسنى إلا برفض الذات ومكابدة المشاق كما ينبيء عنه قوله ﷺ حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات (يسألونك ٢١٥

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ البقرة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ البقرة

ماذا ينفقون) أى من أصناف أموالهم (قل ما أنفقتم من خير) ما إماما شرعية وإما موصولة حذف العائد إليها
 أى ما أنفقتموه من خير أى خير كان فقيه تجوز الاتفاق من جميع أنواع الأموال وبيان لما فى السؤال إلا أنه
 ● جعل من جملة ما فى حيز الشرط أو المصلحة وأبرز فى معرض بيان المصرف حيث قيل (فلو الدين والأقربين)
 للإبذان بأن الأهم بيان المصارف المعدودة لأن الاعتداد بالاتفاق بحسب وقوعه فى موقعه وعن ابن عباس
 رضى الله عنهم أنه جاء عمرو بن الجحوم وهو شيخ هرم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا تنفق من أموالنا وأين
 ● نضعها فنزلت (واليتامى) أى المحتاجين منهم (والمساكين وابن السبيل) ولم يتعرض للسائلين والرقاب إما
 ● اكتفاء بما ذكر فى المواقع الأخر وإما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى (وما تفعلوا من خير) فإنه
 ● شامل لكل خير واقع فى أى مصرف كان (فإن الله به عليم) فىوفى ثوابه وليس فى الآية ما ينافيه فرض
 ٢١٦ الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدى (كتب عليكم القتال) ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال أى قتال الكفرة
 وقرىء ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرىء كتب عليكم القتال أى قتل الكفرة والواو
 ● فى قوله تعالى (وهو كره لكم) حاله أى والحال أنه مكروه لكم طبعاً على أن الكره مصدر وصف به
 المفعول مبالغة أو بمعنى المفعول كالحبب بمعنى المحبوز وقرىء بالفتح على أنه بمعنى المضموم كالضعف
 ● والضعف أو على أنه بمعنى الإكراه مجازاً كأنهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم (وعسى
 أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وهو جميع ما كلفوه من الأمور الشاقة التى من أجلها القتال فإن
 ● النفوس تكرهه وتفر عنه والجملة اعتراضية دالة على أن فى القتال خيراً لهم (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو
 شر لكم) وهو جميع ما نهوا عنه من الأمور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الإعراب
 ● (والله يعلم) ما هو خير لكم فلذلك يأمركم به (وأنتم لا تعلمون) أى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه أو
 ٢١٧ والله يعلم ما هو خير وشر لكم وأنتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا فى ذلك رأيكم وامثلوا بأمره تعالى (يسألونك
 عن الشهر الحرام) روى أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل
 قتال بدر بشهرين ليتصدوا غير القریش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمى وثلاثة معه فقتلوه وأسروا
 اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنون أنه من جمادى

- الآخرة فقالت قريش وقد استحل محمد الشهر الحرام شهراً يأمن فيه الخائف ويذعر فيه الناس إلى معاشهم فوقف رسول الله ﷺ العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله ﷺ العير والأسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت أخذ رسول الله ﷺ الغنيمة والمعنى يسألك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على أن قوله عز وجل (قتال فيه) بدل اشتغال من الشهر وتنكيره لما أن سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا من آمن منهم وقرئ قتل فيه (قل) في جوابهم (قتال فيه كبير) جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وإنما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصيصه إما بالوصف إن تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له أى قتال كائن فيه وإما بالعمل إن تعلق به وإنما أوتر التنكير احترازاً عن توهم التعيين وإذناً بأن المراد مطلق القتال الواقع فيه أى قتال كان . عن عطاء أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام لحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه وما نسخت وأكثر الأقاويل أنها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده أى ومنع عن الإسلام الموصل للعبد إلى الله تعالى (وكفر به) عطف على صد عامل فيما بعده مثله أى وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله فرداً من أفراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى (والمسجد الحرام) على سبيل الله لأنه ليس بأجنبي محض وقيل هو أيضاً معطوف على صد بتقدير المضاف أى وصد المسجد الحرام (وإخراج أهله) وهو النبي ﷺ والمؤمنون (منه) أى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به (أكبر عند الله) خبر للأشياء المعدودة أى كباثر السائلين أكبر عند الله مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وأفضل يستوى فيه الواحد والجمع والمذكور والمؤنث (والفتنة) أى ما أرتكبه من الإخراج والشرك وصد الناس عن الإسلام ابتداء وبقاء (أكبر من القتل) أى أفضح من قتل الحضرمي (ولا يزالون يقاتلونكم) بيان لاستحكام عداوتهم وإصرارهم على الفتنة في الدين (حتى يردوكم عن دينكم) الحق إلى دينهم الباطل وإضافة الدين إليهم لتذكير تأكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الاقتراق (إن استطاعوا) إشارة إلى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كأنه قيل وأنى لهم ذلك (ومن يرتدد منكم عن دينه) تحذير من الارتداد أى ومن يفعل ذلك يضلّهم وإغوائهم (فيمت وهو كافر) بأن لم يرجع إلى الإسلام وفيه ترغيب في الرجوع إلى الإسلام بعد الارتداد (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر إلى المعنى أى أولئك المصرون على الارتداد إلى حين الموت (حبطت أعمالهم) الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الإسلام حبوطاً لا تلافى له قطعاً (في الدنيا والآخرة) بحيث لم يبق لها حكم من الأحكام الدنيوية والآخروية (وأولئك) الموصوفون بما ذكر سابقاً ولاحقاً من القبائح (أصحاب النار) أى ملابسوها وملازموها (هم فيها خالدون) كدأب

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ البقرة

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَالِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ البقرة

٢١٨ سائر الكفرة (إن الذين آمنوا) نزلت في أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فلا أجر لهم (والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) كرر الموصول مع أن المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء (أو لك) المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (برجون) بما لهم من مبادئ الفوز (رحمة الله) أي ثوابه أثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيدان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لأن في فوزهم اشتباها (والله غفور) مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ (رحيم) يجزل لهم الأجر والثواب والجملة

٢١٩ اعتراض محقق لمضمون ما قبلها (يسألونك عن الخمر والميسر) تواردت في شأن الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعتاب تتخذون منه سكراً ورزقا حسناً فطفق المسلمون بشربونها ثم إن عمر ومعاذاً ونفراً من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قالوا أفنتا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوها فسكروا فأم أحدهم فقراً قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتب بن مالك سعد أبي وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجه موشحة فشكا إلى رسول الله ﷺ فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله تعالى فهل أتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبئيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فبئت فيه الكلام لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان والتقى حقاً رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . والخمر مصدر خمره أي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها نفس الستركا سميت سكرأ لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته إذا قرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال يسر من غير كد وتعب وإما من اليسار لأنه سلب له وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح هي الأزلام والأقلام الفذ والتوأم والرقب والحلس والنافس والمسبل والمعل والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة هي المنيع والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم

- سهمان والرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الرابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فنخرج له قدح من ذوات الأنصاء أخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الأنصاء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونهم البرم وفي حكمه جميع أنواع القهار من الردو الشطرنج وغيرهما وعن النبي ﷺ أنه قال إياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فإنهما مياسر العجم وعن علي كرم الله وجهه أن الرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر . والمعنى يسألونك عن حكمهما وعمّا في تعاطيهما (قل فيهما إثم كبير) أي في تعاطيهما ذلك لما أن الأول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للأموال (ومنافع للناس) من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرىء إثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان لإثمه ووصفه بالكبر وتأخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الأول ما لا يخفى على مانطق به قوله تعالى (وإثمهما أكبر من نفعهما) أي المفساد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرىء أقرب من نفعهما (ويسألونك ماذا ينفقون) عطف على يسألونك عن الخراج عطف القصة على القصة أي شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجوح أيضاً سأل أو لامن أي جنس ينفق من أجناس الأموال فلما بين جواز الإنفاق من جميع الأجناس سأل ثانياً من أي أصنافها تنفق أمن خيارها أم من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفقه منه فقيل (قل العفو) بالنصب أي ينفقون العفو أو انفقوا العفو وقرىء بالرفع على أن ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون أي الذي ينفقونه العفو قال الواحدى أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ماسهل ويسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدى وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروى أن رجلاً أتى النبي ﷺ ببضيضة من ذهب أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فكرر ذلك مراراً حتى قال عليه السلام مفضباهاتها فأخذها فخذفها عليه خذفالو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى (كذلك) إشارة إلى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجة المشار إليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق أو لعدم القصد إلى تعيين المخاطب كما مر وحله النصيب على أنه نعمت لمصدر محذوف أي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسئلة المارة (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام الشرعية المذكورة لا بياناً أدنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً وتبيين الآيات تنزيلها مبينة الفحوى واضحة المدلول لا أنه تعالى بينها بعد أن كانت مشبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة (لعلكم تتفكرون) لكي تتفكروا فيها

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
يَعْلَمُ الْمُنَافِقُ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْ اللَّهِ غَيْرُهُ حِكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ البقرة
وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَئِمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا
الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ البقرة

٢٢٠ وتفقوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى (في الدنيا والآخرة) متعلق إما بيبين أى
يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات وإما بمحذوف وقع حالا من الآيات أى يبينها لكم كأنه
فيها أى مبينة لأحوالكم المتعلقة بهما وإنما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتناء بشأن التفكير وإما بقوله
تعالى تتفكرون أى تتفكرون فى الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة فى الأحكام الواردة فى أجوبة
الأسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيها وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام
تعداد الأحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة فذلك حينئذ إشارة إلى
مأمور من البيانات كلاً أو بعضاً لا إلى مصدر ما بعده فإنه حينئذ فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات
والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد فى الأجوبة المذكورة يبين الله لكم الآيات
والدلائل لعلكم تتفكرون فى أموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيها
● وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة (ويسألونك عن اليتامى) عطف على ما قبله من نظيره
روى أنه لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتهدأ أموالهم
● فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي ﷺ فنزلت (قل إصلاح لهم خير) أى التعرض لأحوالهم وأموالهم على
● طريق الإصلاح خير من مجانبتهم اتقاء (وإن تخالطوهم) وتعاشروهم على وجه ينفعهم (فأخوانكم)
أى فهم إخوانكم أى فى الدين الذى هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة وموجبها المخالطة
● بالإصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) العلم بمعنى المعرفة المتعدية
إلى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز أى يعلم من يفسد فى أمورهم عند المخالطة أو من يقصد بمخالطته الخيانة
والإفساد بمنزلة من يصلح فيها أو يقصد الإصلاح فيجازى كلاهما بعمله فقيه وعد وعيد خلا أن فى
● تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد (ولو شاء الله لأغنتكم) أى لو شاء أن يغنتكم أى يكفكم
● ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم (إن الله عزيز) غالب على أمره لا يعز
● عليه أمر من الأمور التى من جملتها إعانتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل (حكيم) أى
فاعل لأفعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية إلى بناء التكليف على أساس الطاقة دليل على ما تفيد كلمة لو من
٢٢١ انتفاء مقدمها (ولا تنكحوا المشركات) أى لا تزوجوهن وقرىء بضم التاء من الإنكاح أى لا تزوجوهن

- من المسلمين (حتى يؤمن) والمراد بهن إما ما يعبر عن الكتابيات أيضاً حسبما يقتضيه عموم التعليلين الآتين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم وأما غير الكتابيات فهي ثابتة وروى أن رسول الله ﷺ بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان يهودى امرأة في الجاهلية أسماها عناق فآتته فقالت ألا تخلف فقال وبحك إن الإسلام حال بيننا فقالت هل لك أن تزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى النبي ﷺ فاستأمره فاستأمره فنزلت (ولامة مؤمنة) تعليل للنهي عن مواصلةهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار وأصل أمة أمو حذفت لامها على غير قياس وعوض منه تاء التانيث ودليل كون لامها واو أرجوعها في الجمع قال الكلبي [أما الإماء فلا يدعونني ولداً] إذا تداعى بنو الأموات بالعار وظهورها في المصدر يقال هي أمة بينة الأموة وأقرت له بالأموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف أى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر (خير) بحسب الدين والدنيا (من مشركة) أى امرأة مشركة مع مالها من شرف الحرية ورفعة الشأن (ولو أعجبكم) قد مر أن كلمة لوفى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لا انتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذفت ثقة بدلالة ما قبلها عليه من انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدّها منافاة له ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عده من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوى فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الأحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم إنها لا تستقصا الأحوال على وجه الإجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو أعجبكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة إذ المآل ولامة مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم إعجابها وحال إعجابها إياكم بجماها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادئ الإعجاب وموجبات الرغبة فيها أى على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو أشد منافاة للخيرية تنبيهاً على أنها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره أولى وقيل الواو الحالية وليس بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق أنها عاطفة مستتعبة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز أن تكون الجملة الأولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر
- (ولا تنكحوا المشركين) من الإنكاح والمراد بهم الكفار على الإطلاق لما مر أى لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر أو إماء (حتى يؤمنوا) ويتركوا ما هم فيه من الكفر (ولعبد مؤمن) مع ما به من ذل المملوكية (خير من مشرك) مع ماله من عز المالكية (ولو أعجبكم) بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة إلى ذاته وصفاته (أولئك) استئناف مقرر لمضمون التعليلين السابقين أى أولئك المذكورون من المشركين (يدعون) من يقارنهم ويعاشرهم (إلى النار) أى إلى ما يؤدى إليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم (والله يدعو) بواسطة عباده

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ البقرة

- المؤمنون من يقارنهم (إلى الجنة والمغفرة) أى إلى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصولين إليهما وتقديم
- الجنة على المغفرة مع أن حق التخلية أن تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء (بإذنه) متعلق يدعو
- أى يدعو ملتبساً بتوفيقه الذى من جملة إرشاد المؤمنين لمقارنهم إلى الخير ونصيحتهم لإيادهم فهم أحقاء
- بالمواسلة (وبين آياته) المشتملة على الأحكام الفائقة والحكم الراقية (لناس لعلمهم يتذكرون) أى لى يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا إليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو وأولياء الله يدعون وهم المؤمنون على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تشريفاً لهم وأنت خير بأن الضمير فى المعطوف على الخبر أعنى قوله تعالى وبين الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو بأحكامه المذكورة إلى الجنة والمغفرة فإنها موصلة لمن عمل بها إليهما وهذا وإن كان مستدعياً لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين فى الجمالتين المتعاطفتين الواقعتين خبراً للبند لكن يفوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى أولئك يدعون إلى النار ولعل الطريق الأسلم ما أوضحناه أولاً وإيراد التذكير هنا للإشعار بأنه
- ٢٢٢ واضح لا يحتاج إلى التفسير كما فى الأحكام السابقة (ويسألونك عن المحيض) عطف على ما تقدم من مثله وعلل حكاية هذه الأسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك فى وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روى أن أهل الجاهلية كانوا لا يسألون المحيض ولا يؤاكلونهم كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك إلى أن سأل
- عن ذلك أبو الدحداح فى نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فنزلت (قل هو أذى) أى شئ يستغفر منه ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له (فأعزلوا النساء فى المحيض) أى فاجتنبوا مجامعتهن فى حالة
- المحيض قيل أخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فأخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الأعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن أثرناهن هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت المحيض فقال
- ﷺ إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن ولم يأمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم وقيل إن النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالمحيض واليهود كانوا يفرطون فى الاعتزال فأمر المسلمون
- بالاعتصاف بين الأمرين (ولا تقربوهن حتى يطهرن) تأكيد لحكم الاعتزال وتنبه على أن المراد به عدم قربانهم لا عدم القرب منهم وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند أبى حنيفة رحمه الله فإن كان ذلك فى أكثر المدة حل القربان كما انقطع وإلا فلا بد من الاغتسال أو من مضى وقت صلاة وعند الشافعى رحمه
- الله أن يغتسل بعد الانقطاع كما تفصح عنه القراءة بالتشديد وينبى عنه قوله عز وجل (فإذا تطهرن)
- فإن التطهر هو الاغتسال (فأتوهن من حيث أمركم الله) من المأتى الذى حلله لكم وهو القبل (إن الله يحب التوابين) مما عسى يتدر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب (ويحب المتطهرين)
- المتزهين عن الفواحش والاعتذار وفى ذكر التوبة إشعار بمساس الحاجة إليها بارتكاب بعض الناس لما

نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ البقرة

وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ البقرة

- نہوا عنه وتکریر الفعل لمزید العناية بأمر التطهر (نساؤکم حرت لکم) أى مواضع حرت لکم شہن ٢٢٣
- بہا لما بین ما یلتقی فی أرحامہن و بین البذور من المشابہة من حیث أن کلا منہما مادۃ لما یحصل منہ (فأتوا حرتکم) لما عبر عنہن بالحرت عبر عن مجامعتہن بالإتیان وهو بیان لقولہ تعالی فأتوہن من حیث أمرکم اللہ (أنی شئتم) من أى جهة شئتم . روى أن الیہود كانوا یزعمون أن من أتى امرأته فی قبلہا من دبرہا ●
- یأتی ولده أحول فذكر ذلك لرسول اللہ ﷺ فنزلت (وقدموا لأنفسکم) أى ما یدخر لکم من الثواب ●
- وقیل هو طلب الولد وقیل هو التسمیة عند المباشرة (واتقوا اللہ) بالاجتناب عن معاصیہ الی من جملتها ●
- ماعد من الأمور (واعلموا أنکم ملاقوہ) فتعرضوا لتحصیل ما تنتفعون بہ حیثئذ واجتنبوا اقتراف ●
- ما تفتضحون بہ (وبشر المؤمنین) الذین تلقوا ما خوطبوا بہ من الأوامر والنواہی بحسن القبول والامثال ●
- بما یقصر عنہ البیان من الکرامة والنعیم المقیم أو بكل ما یدشر بہ من الأمور الی تسربہا القلوب وتقربہا العیون وفیہ مع ما فی تلوین الخطاب وجعل المبشر رسول اللہ ﷺ من المبالغة فی تشریف المؤمنین ما لا یخفی (ولا تجعلوا اللہ عرضة لأیمانکم) قیل نزلت فی عبد اللہ بن رواحہ حین حلف أن لا یکلم ختنتہ ٢٢٤
- بشیر بن النعمان ولا یصلح یدنہ و بین أختہ وقیل فی الصدیق رضی اللہ عنہ حین حلف أن لا ینفق علی مسطح لحوضہ فی حدیث الإفک والعرضة فعلۃ بمعنی مفعول کالقبضة والغرفة تطلق علی ما یمرض دون الشیء فیصیر حاجزاً عنہ كما یقال فلان عرضة للخیر و علی المعرض للأمر كما فی قولہ [فلا تجعلونی عرضة للوائم] فالمعنی علی الوجه الأول لا تجعلوا اللہ مانعاً للأمر الحسنۃ الی تحلفون علی ترکها وعبر عنہا بالآیمان للملابستہا بها كما فی قولہ علیہ السلام لعبد اللہ بن سمرۃ إذا حلفت علی یمین فرأیت غیرہا خیراً
- منہا فأت الذی هو خیر وكفر عن یمینک وقولہ تعالی (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بین الناس) عطف ●
- بیان لأیمانکم أو بدل منہا لما عرفت أنها عبارة عن الأمور المحلوف علیہا واللام فی لأیمانکم متعلقة بالفعل أو بعرضۃ لما فیہا من معنی الاعتراض أى لا تجعلوا اللہ لبرکم وتقواکم وإصلاحکم بین الناس عرضة أى برزخاً حاجزاً بأن تحلفوا بہ تعالی علی ترکها أو لا تجعلوہ تعالی عرضة أى شیئاً یمترض الأمور المذكورة ویحجزہا بما ذکر من الحلف بہ تعالی علی ترکها وقد جوز أن تكون اللام للتعلیل ویتعلق أن تبروا الخ بالفعل أو بعرضۃ فیکون الآیمان بمعناها وأنت خیر بأنه یؤدی إلی الفصل بین العامل ومعمولہ بأجنبی و علی الوجه الثانی لا تجعلوا اللہ معرضاً لأیمانکم تبتذلونہ بکثرة الحلف بہ ولذلك ذم من نزلت فیہ ولا تطع کل حلاف مہین بأشنع المذاق وجعل الحلاف مقدمتها وأن تبروا حیثئذ علة للنہی أى إرادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لأن الحلاف مجترى علی اللہ سبحانه غیر معظم لہ فلا یکون برأ متقیاً ثقة

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ البقرة
 لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ البقرة
 وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ البقرة

- بين الناس فيكون بمنزلة من التوسط في إصلاح ذات البين (والله سميع) يسمع أيمانكم (عليم) يعلم نياتكم لحفظوا على ما كلفتموه (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) اللغو ماسقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الأيمان مالا عقد معه ولا قصد كما ينبغي عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان وهو المعنى بقوله عز وجل (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وقد اختلف فيه فعندنا هو أن يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فإنه لا قصد فيه إلى الكذب وعند الشافعي رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير إخطار الحلف بالبال فالمعنى على الأول لا يؤاخذكم الله أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يخلفه أحدكم ظاناً أنه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من إثم القصد إلى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه إلى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط (والله غفور) حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئاً من عدم التثبت وقلة المبالاة (حلیم) حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة اعتراض مقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه إيدان بأن المراد بالمؤاخذة المعاقبة لإيجاب الكفارة إذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه (للذين يؤلون من نسائهم) الإيلاء الحلف وحقه أن يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد أي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل أن يراد لهم من نسائهم (تربص أربعة أشهر) كقولك لي منك كذا وقرىء ألوا من نسائهم وقرىء يقسمون من نسائهم والإيلاء من المرأة أن يقول والله لا أقربك أربعة أشهر فصاعداً على التقيد بالأشهر أو لا أقربك على الإطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه أنه إن فاء إليها في المدة بالوطء إن أمكن أو بالقول إن عجز عنه صح النفي وحسن القادر ولزمت كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وإن مضت الأربعة بآنت بتطبيقه والتربص الانتظار والتوقف أضيف إلى الظرف اتساعاً أي لهم أن ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بقاء أو طلاق (فإن فاءوا) أي رجعوا عن اليمين بالحنث والفاء للتفصيل كما إذا قلت أنا نزيلكم هذا الشهر فإن أحمدتكم أقت عندكم إلى آخره وإلا لم ألبث إلا ريثما أتحوّل (فإن الله غفور رحيم) يغفر للولي بفيئته التي هي كتوبته إثم حنثه عند تكفيره أو ما قصد بالإيلاء من ضرر المرأة (وإن عزموا الطلاق) وأجمعوا عليه (فإن الله سميع) بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاوله التي لا تخلو عنها الحال عادة (عليم) بنياتهم وفيه من الوعيد على الإصرار وترك الفبئة ما لا يخفى .

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ البقرة

- (والمطلقات) أى ذوات الأقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين أن لعدة على غير المدخول بها ٢٢٨ وأن عدة من لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل بالأشهر ووضع الحمل وأن عدة الأمة قرآن أو شهران (يتربصن) خبر فى معنى الأمر مفيد للتأكيد بإشعاره بأن المأمور به مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى الإتيان به فكأنهن امتثلن بالأمر بالتربص فتخبر به موجوداً متحققاً وبنائه على المبتدأ مفيد لزيادة تأكيد (بأنفسهن) الباء للتعدية أى يقيمونها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الإنباء عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح إلى الرجال فيحملن ذلك على الإقدام على الإتيان بما أمرن به (ثلاثة قروء) نصب على الظرفية أو المفعولية بتقدير متى أى تربصن مدة ثلاثة قروء أو تربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله ﷺ دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله ﷺ طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللاتى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر ولأن المقصود بالأصلى من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال أقرأت المرأة إذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهى الحيض الثلاث وإيراد جمع الكثرة فى مقام جمع القلة بطريق الاتساع فإن إيراد كل من الجمعين مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قروء بغير همز (ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن) من الحيض والولد استعجالاً فى العدة وإبطالاً لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن فى ذلك نفياً وإثباتاً (إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر) جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله دلالة واضحة أى فلا يجترئن على ذلك فإن قضية الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر الذى يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعاً (وبعولتهن) البعولة جمع بعول وهو فى الأصل السيد المالك والناء لتأنيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة أو مصدر بتقدير مضاف أى أهل بعولتهن أى أزواجهن الذين طلقوهن طلاقاً رجعياً كما ينبى عنه التعبير عنهم بالبعولة والضمير لبعض أفراد المطلقات (أحق بردهن) إلى ملكهم بالرجعة إليهن (فى ذلك) أى فى زمان التربص وصيغة التفضيل لإفادة أن الرجل إذا أراد الرجعة والمرأة تأبأها وجب إثبات قوله على قولها لا أن لها أيضاً حقاً فى الرجعة (إن أرادوا) أى الأزواج بالرجعة (إصلاحاً) لما بينهم وبينهن وإحساناً إليهن ولم يريدوا مضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الإصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد الضرر (ولهن) عليهن من الحقوق (مثل الذى) لهم (عليهن بالمعروف) من الحقوق التى يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها (والرجال عليهن درجة) أى زيادة فى الحق لأن حقوقهم فى أنفسهن وحقوقهن فى المهر
- ٢٩ - أبى السعود ج ١

الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ مَاتَ تَبْتِمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ البقرة

- والكفاف وترك الضرر ونحوها أو مزية في الفضل لما أنهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في أيديهن
- يشاركون فيها هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والإنفاق (والله عزيز) بقدر على
 - ٢٢٩ الاتِّتَامُ مَنْ يَخَالَفُ أَحْكَامَهُ (حكيم) تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح (الطلاق) هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعى لما أنه السابق الأقرب حكمه ولما روى أنه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده أى عدد الطلاق الذى يستحق الزوج
 - فيه الرد والرجعة حسبا بين آنفاً (مرتان) أى اثنان وإيثار ما ورد به النظم الكريم عليه للإيدان بأن
 - حكمهما أن يقع مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وإن كان حكم الرد ثابتاً حينئذ أيضاً (فإمساك) أى فالحكم
 - بعدهما إمساك لهن بالرجعة (بمعروف) أى بحسن عشرة ولطف معاملة (أو تسريح بإحسان) بالطلقة
 - الثالثة كما روى عنه عليه السلام أو بعدم الرجعة إلى أن تنقضى العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعى وبالمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما فى قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة والمعنى أن التطليق الشرعى تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين أو الثلاث فإن ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فإمساك الخ حكم مبتدأ وتخيير مستأنف والفاء فيه للترتيب على التعليم كأنه قيل إذا علمت كيفية التطليق
 - فأمركم أحد الأمرين (ولا يحل لكم أن تأخذوا) منهن بمقابلة الطلاق (مما آتيتموهن) أى من الصدقات وتخصيصها بالذكر وإن شاركنها فى الحكم سائر أموالهن إما لرعاية العادة أو للتنبيه على أنه إذا لم يحل لهم أن يأخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع عند خروجه عن ملككم فلأن لا يحل أن يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع
 - أولى وأحرى (شيئاً) أى نزعاً يسيراً فضلاً عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مراراً وأخطاب مع
 - الحكام وإسناد الأخذ والإيتاء إليهم لأنهم الأمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الأزواج وما بعده
 - مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة (إلا أن يخافا) أى الزوجان وقرىء
 - يظننا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن (أن لا يقيما حدود الله) أى أن لا يراعى ما واجب أحكام الزوجية
 - وقرىء يخافا على البناء للفعول وإبدال أن بصلته من الضمير بدل الاشتغال وقرىء تخافا وتقيما بناء الخطاب
 - (فإن خفت) أيها الحكام (أن لا يقيما) أى الزوجان (حدود الله) بمشاهدة بعض الآمارات والمخايل (فلا جناح عليهما) أى على الزوجين (فيما افتدت به) لا على الزوج فى أخذ ما افتدت به ولا عليها إعطائه إياه
 - وروى أن جميلة بنت عبد الله بن أبى بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فأتى رسول الله عليه السلام فقالت لا أنا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شيء والله ما أعيب عليه فى دين ولا خلق ولكن أكره الكفر بعد الإسلام ما أطيقه بغضاً لى رفعت جانب الحياء فرأيت أنه أقبل فى عدة فإذا هو أشدم سواداً

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا
 إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ البقرة
 وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
 ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ، وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ البقرة

- وأقصرهم قامة وأقبحهم وجهاً فنزلت فاختلفت منه بجدية كان أصدقها إياها (تلك) أى الأحكام المذكورة
- (حدود الله فلا تعتدوها) بالمخالفة والرفض (ومن يتعد حدود الله فأولئك) المتعدون والجمع باعتبار معنى
- الموصول (هم الظالمون) أى لا أنفسهم بتعريضها لخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في
- المواقع الثلاثة الأخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وإدخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للبالغة في التهديد
- (فإن طلقها) أى بعد الطلقتين السابقتين (فلا تحل) هى (له من بعد) أى من بعد هذا الطلاق (حتى ٢٣٠
- تنكح زوجاً غيره) أى حتى تزوج غيره فإن النكاح أيضاً يسند إلى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر
- على العقد والجمهور على اشتراط الإصابة لما روى أن امرأة رفاة قالت لرسول الله ﷺ إن رفاة طلقني
- فبت طلاقى وإن عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وأن مامعه مثل هدية الثوب فقال ﷺ أريدن إن ترجعي
- إلى رفاة قالت نعم قال ﷺ لا إلا أن تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك وبمثله تجوز الزيادة على الكتاب
- وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة
- إلى الطلاق والعود إلى المطلقة ثلاثاً والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا ويروى عدم
- الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحاً به وفاسد عند الأكثرين لقوله ﷺ لعن الله المحلل والمحلل له (فإن
- طلقها) أى الزوج الثاني (فلا جناح عليهما) أى على الزوج الأول والمرأة (أن يتراجعا) أن يرجع كل
- منهما إلى الآخر بالعقد (إن ظنا أن يقيما حدود الله) التى أوجب مراعتها على الزوجين من الحقوق ولا
- وجه لتفسير الظن بالعلم لما أن العواقب غير معلومة ولأن أن الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد
- يقال علمت أن يقوم زيد (وتلك) إشارة إلى الأحكام المذكورة إلى هنا (حدود الله) أى أحكامه المعينة
- المحمية من التعرض لها بالتغير والمخالفة (يبينها) بهذا البيان اللائق أو سيبينها فيما سيأتى بناء على أن بعضها
- يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كافى قوله تعالى فإذا
- هى حية تسعى أو حال من حدود الله والعامل معنى الإشارة (لقوم يعلمون) أى يفهمون وتخصيصهم
- بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما أنهم المنتفعون بالبيان أولاً لأن ما سيلحق ببعض النصوص من البيان
- لا يقف عليه إلا الراعون في العلم (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى آخر عدتهن فإن الأجل كما ينطلق ٢٣١

- على المدة ينطلق على منهاها والبلوغ هو الوصول إلى الشيء وقد يقال للدنونه اتساعا وهو المراد ههنا لقوله عز وجل (فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف) إذ لا مكان للإمساك بعد تحقق بلوغ الأجل أى فراجعوهن بغير ضرار أو خلوهن حتى ينقضى أجلهن بإحسان من غير تطويل وهذا كما ترى لإعادة للحكم في بعض صورته اعتناء بشأنه ومبالغة في إيجاب المحافظة عليه (ولا تمسكوهن ضرارا) تأكيد للأمر بالإمساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه أى لا تراجعوهن لإرادة الإضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى إذا شارفت انقضاء الأجل يراجعها لالرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهى عنه بعد ما أمر بضده لما ذكر وضرار أنصب على العلية أو الحالية أى لا تمسكوهن للضرارة أو مضارين واللام في قوله (لتعتدوا) متعلقة بضرار أى لتظلموهن بالإلجاء إلى الافتداء (ومن يفعل ذلك) أى ما ذكر من الإمساك المؤدى إلى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد (فقد ظلم نفسه) في ضمن ظلمه لمن يتعرضها للعقاب (ولا تتخذوا آيات الله) المنطوية على الأحكام المذكورة أو جميع آياته وهى داخلة فيها دخولا أولياً (هزوا) أى مهزوا بها بأن تعرضوا عنها وتهاونوا في المحافظة على ما فى تضاعيفها من الأحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد فى الأمر أنت هازى. كأنه نهى عن الهزوها وأريد ما يستلزمه من الأمر بضده أى جدوا فى الأخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها وإلا فقد أخذتموها هزوا ولعباً ويجوز أن يراد به النهى عن الإمساك ضرارا فإن الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله تعالى بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينسكح ويطلق ويعتق ثم يقول إنما كنت ألعب فنزلت ولذلك قال ﷺ ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق (واذكروا نعمة الله عليكم) حيث هداكم إلى ما فيه سعادتك الدينية والدينية أى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله أى كائنة عليكم أو صفة لها على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أى الكائنة عليكم ويجوز أن يتعلق بنفسها إن أريد بها الإناعام لأنها اسم مصدر كنبات من أنبت ولا يقدح فى عمله تاء التأنيث لأنه مبنى عليها كما فى قوله [فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كما لوارد] (وما أنزل عليكم) عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن فى قوله عز وجل (من الكتاب والحكمة) بيانية أى من القرآن والسنة أو القرآن الجامع للعنوانين على أن العطف لتغاير الوصفين كما فى قوله [إلى الملك القرم وابن الهمام] وفى إبهامه أولا ثم بيانه من التفضيم مالا يخفى وفى إفراده بالذكر مع كونه أول ما دخل فى النعمة المأمور بذكرها لإبانته بخطره ومبالغة فى البعث على مراعاة ما ذكر قبله من الأحكام (يعظكم به) أى بما أنزل حال من فاعل أنزل أو من مفعوله أو منهما معاً (واتقوا الله) فى شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة (واعلموا أن الله بكل شىء عليم) فلا يخفى عليه شىء مما تأتون وما تذررون فيؤاخذكم بأفانين العقاب

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَضَوْا بَيْنَهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ البقرة

- (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن) بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الأجل حقيقة بعد بيان ٢٣٢
حكم ما كانوا يفعلونه عند المشاركة إليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب يعضها
ولم يخرج والمراد المنع والخطاب إما للأولياء لما روى أنها نزلت في معقل بن يسار حين عضل أخته جملاً
أن ترجع إلى زوجها الأول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل أخته عم له وإسناد
التطليق إليهم لتسبيهم فيه كما ينبي عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الأجل مع جواز الزوج
بالزوج الأول قبله أيضاً لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على أن ليس للمرأة أن تزوج
نفسها وإلا لما احتيج إلى نهى الأولياء عن العضل لما أن النهى لدفع الضرر عنهن فإنهن وإن قدرن على
تزويج أنفسهن لكنهن يحتزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة وإما للأزواج حيث كانوا يعضلون
مطلقاتهم ولا يدعونهم يتزوجن ظلماً وقسراً لحماية الجاهلية وإما للناس كافة فإن إسناد ما فعله واحد
منهم إلى الجميع شائع مستفيض والمعنى إذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل
الأولياء أو من جهة الأزواج أو من غيرهم وفيه تهويل لأمر العضل وتحذير منه وإيدان بأن وقوع
ذلك بين ظهرانهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة (أن
ينكحن) أي من أن ينكحن فحلله النصب عند سيديويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور
وقيل هو بدل اشتغال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن (أزواجهن)
إن أريد بهم المطلقون فالزوجة إما باعتبار ما كان وإما باعتبار ما يكون وإلا فبالاعتبار الأخير (إذا
تراضوا) ظرف للتعضلو وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقيد به لأنه المعتاد
لا لتجوز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لأن ينكحن وقوله تعالى (بينهم) ظرف للتراضي مفيد
لرسوخه واستحكامه (بالمعروف) الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء إما متعلقة بمحذوف
وقع حالاً من فاعل تراضوا أو نعتاً لمصدر محذوف أي تراضيا كائناً بالمعروف وإما بتراضوا أي يراضوا
بما يحسن في الدين والمرء وفيه إشعار بأن المنع من الزوج بغير كفؤ أو بما دون مهر المثل ليس من باب
العضل (ذلك) إشارة إلى ما فصل من الأحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار إليه والخطاب لجميع
المكلفين كما فيما بعده والتوحيد إما باعتبار كل واحد منهم وإما بتأويل القبيل والفريق وإما لأن الكاف
لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين أو الرسول ﷺ كما في قوله تعالى يا أيها
النبي إذا طلقتم النساء الدلالة على أن حقيقة المشار إليه أمر لا يكاد يعرفه كل أحد (يوعظ به من كان منكم
يؤمن بالله واليوم الآخر) فيسارع إلى الامتثال بأوامر ونواهيه لإجلاله وخوفاً من عقابه وقوله تعالى

وَالْوَلَدَاتُ يَرْضَعْنَ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَلَدُهُ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى
الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ
أَنْ تَسْرِعُوا وَلَدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ البقرة

- منكم إما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها وإما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن أي
● كائناً منكم (ذلكم) أي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه (أزكى لكم) أي أنمى وأنفع (وأطهر) من أدناس الآثام
● وأوضار الذنوب (والله يعلم) ما فيه من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمون) ذلك أو والله يعلم ما فيه صلاح أموركم
من الأحكام والشرائع التي من جملتها ما بينه ههنا وأنتم لا تعلمونها فدعوا رأيكم وامثلوا أمره تعالى ونهيه في
٢٣٣ كل ما تأتون وما تذكرون (والوالدات يرضعن أولادهن) شروع في بيان الأحكام المتعلقة بأولادهن خصوصاً
واشتركا وهو أمر أخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب أو الوجوب
إن خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير أو فقدان الظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار والتعبير عنهن
بالعنوان المذكور لهن عطفهن نحو أولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن إذ الكلام
● فيهن (حولين كاملين) التأكيد بصفة الكمال لبيان أن التقدير تحقيق لا تقريبي مبنى على المسامحة المعتادة
● (لمن أراد أن يتم الرضاعة) بيان لمن يتوجه إليه الحكم أي ذلك لمن أراد إتمام الرضاعة وفيه دلالة على
جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فإن الأب يجب عليه الإرضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال
● أرضعت فلانة لفلان ولده (وعلى المولود له) أي الوالد فإن الولد يولد له وينسب إليه وتغيير العبارة
● للإشارة إلى المعنى المقتضى لوجوب الإرضاع ومثونة المرضعة عليه (رزقهن وكسوتهن) أجرة لهن
واختلف في استئجار الأم وهو غير جائز عندنا مادامت في النكاح أو العدة جائز عند الشافعي رحمه
● الله (بالمعروف) حسبما يراه الحاكم وينبغي به وسعه (لا تكلف نفس إلا وسعها) تعليل لإيجاب المؤن
بالمعروف أو تفسير للمعروف وهو نص على أنه تعالى لا يكلف العبد مالا يطيقه وذلك لا ينافي إمكانه
● (لا تضار الولدة بولدها ولا مولود له بولده) تفصيل لما قبله وتقرير له أي لا يكلف كل واحد منهما الآخر
مالا يطيقه ولا يضاره بسبب ولده وقرىء لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف وأصله على القراءتين لا تضار
بالكسر على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للفعول وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون بمعنى تضار والباء
من صلته أي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرىء لا تضار بالسكون مع
التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على أنه من ضاره يضره وإضافة الولد إلى كل منهما لاستعاطفهما
● إليه وللتنبية على أنه جذبر بأن يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي أن يضرابه أو يتضارا بسببه (وعلى الوارث

وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ البقرة

- (مثل ذلك) عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل أو تفسير معترض والمراد به وارث الصبي من كان ذارحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي رحمه الله هو وارث الأب وهو الصبي أى تمان المربعة من ماله عند موت الأب ولا نزاع فيه وإنما الكلام فيما إذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الأبوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وذلك إشارة إلى ماوجب على الأب من الرزق والكسوة (فإن أراد) أى الوالدان (فصلاً) أى فطاماً عن الرضاع قبل تمام الحولين والتسكير للإيدان بأنه فصال غير معتاد (عن تراض) متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أى صادراً عن تراض (منهما) أى من الوالدين لا من أحدهما فقط لا احتمال لإقدامه على ما يضر بالولد بأن تمل المرأة الإرضاع ويبخل الأب بإعطاء الأجرة (وتشاور) فى شأن الولد وتفحص عن أحواله وإجماع منهما على استحقاقه للفظام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى من شرت العسل إذا استخرجته وتسكيرهما للتفخيم (فلا جناح عليهما) فى ذلك لما أن تراضيهما إنما يكون بعد استقرار رأيهما أو اجتهدهما على أن صلاح الولد فى الفطام وقلبا يتفقان على الخطأ (وإن أردتم) بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات إلى خطاب الآباء لهم إلى الامتثال بما أمروا به (أن تسترضعوا أولادكم) بحذف المفعول الأول استغناء عنه أى أن تسترضعوا المراضع لا أولادكم يقال أرضعت المرأة الصبي واسترضعتها إياه وقيل إنما يتعدى إلى الثانى بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبي أى أن تسترضعوا المراضع لا أولادكم لحذف حرف الجر أيضاً كما فى قوله تعالى وإذا كالوهم أى كالواهم (فلا جناح عليكم) أى فى الاسترضاع وفيه دلالة على أن للأب أن يسترضع للولد ويمنع الأم من الإرضاع (إذا سلمتم) أى إلى المراضع (ما أتيتن) أى ما أردتم إتيانه كما فى قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما أتيتن من أتى إليه إحساناً إذا فعله وقرئ ما أتيتن أى من جهة الله عز وجل كما فى قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم إلى التسليم (بالمعروف) متعلق بسلمتم أى بالوجه المتعارف المستحسن شرعاً وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو نداء إلى ما هو اللائق والأولى فإن المراضع إذا أعطين ما قدر لهن ناجزاً يداً بيد كان ذلك أدخل فى استصلاح شئون الأطفال (واتقوا الله) فى شأن مراعاة الأحكام المذكورة (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لثرية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى (والذين) ٢٣٤ على حذف المضاف أى وأزواج الذين (يتوفون منكم) أى تقبض أرواحهم بالموت فإن التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان واستوفيته منه أى أخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين (ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً) أو على حذف العائد إلى المبتدأ فى الخبر

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَدْرُوْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ البقرة

- أى يترصد بعدكم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم أى منوان منه وقرىء يتوفون بفتح الياء أى يستوفون آجالهم وتأنيت العشر باعتبار الليالى لأنها غرر الشهور والآيام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير فى مثله أصلاً حتى أنهم يقولون صمت عشر أو من البين فى ذلك قوله تعالى إن لبئس ما أمرتم إن لبئس إلا يوم ما ولعل الحكمة فى هذا التقدير أن الجنين إذا كان ذكراً يتحرك غالباً لثلاثة أشهر وإن كان أنثى يتحرك لأربعة فاعتبر أقصى الأجلين وزيد عليه العشر استظهاراً لإذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتائية والحررة والامة فى هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف فى الامة وقوله عز وجل وأولات الاحمال خص الحامل منه وعن على وابن عباس رضى الله عنهم أنها تعتد بأبعد الأجلين احتياطاً (فإذا بلغن أجلهن) أى انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم)
- أيها الحكم والمسلمون جميعاً (فيما فعلن فى أنفسهن) من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكره الشرع وفيه إشارة إلى أنهم لو فعلن ما ينكره الشرع فعليه
 - أن يكفوهن عن ذلك وإلا فعليه الجناح (والله بما تعملون خبير) فلا تعملوا خلاف ما أمرتم به (ولا جناح عليكم) خطاب للكل (فيما عرضتم به) التعريض والتلويح لإيهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازاً كقول السائل جئتكم لأسلم عليكم وأصله إمالة الكلام عن نهجه إلى عرض منه أى جانب والكنية
 - هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للبضياف (من خطبة النساء) الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هى مأخوذة من الخطاب أى الشأن الذى له خطر لما أنها شأن من الشئون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لأنها نوع مخاطبة تجرى بين جانب الرجل وجانب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض لخطبتهن أن يقول لها إنك جميلة أو صالحة أو نافعة ومن غرضى أن أتزوج ونحو ذلك مما يوم أنه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه إن رغب فيه ولا يصرح بالنكاح (أو أكننتم فى أنفسكم)
 - أى أضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحاً ولا تعريضاً (علم الله أنكم ستدرونهن) ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن إظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة الثبوت (ولكن لا تواعدن سراً) استدراك عن محذوف دل عليه ستدرونهن أى فاذكروهن ولكن لا تواعدن نكاحاً بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لأن مسببه الذى هو الوطء مما يسره وإيثاره على اسمه للإيدان بأنه مما ينبغى أن يسره ويكتم وحمله على الوطء ربما يوم الرخصة فى المحذور الذى هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سراً على الظرفية أى لا تواعدنهن فى السر على أن المراد بذلك

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ البقرة

- المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه (إلا أن تقولوا أقولا معروفا) استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى أى لا تواعدة من مواعدة ما إلا مواعدة معروفة غير منكرة شرعاً وهى ما يكون بطريق التعريض والتلويح أو إلا مواعدة بقول معروف أو لا توعدوهن بشئ من الأشياء إلا بأن تقولوا أقولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لا دانه إلى جعل التعريض موعوداً وليس كذلك (ولا تعزموا عقدة النكاح)
- من عزم الأمر إذا قصده قصداً جازماً وحقيقته القطع بدليل قوله ﷺ لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لمن لم يبيت الصيام والنهى عنه للمبالغة فى النهى عن مباشرة عقد النكاح أى لا تعزموا عقد عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) أى العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح أى لا تبرموا ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهياً عن نفس الفعل لا عن قصده (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من ذوات الصدور التى من جملتها العزم على ما نهيتهم عنه (فاحذروه) بالاجتناب عن العزم ابتداء أو إقلا عنه بعد تحققه (واعلموا أن الله غفور) يغفر لمن يقطع عن عزمه خشية منه تعالى (حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على أن ما نهيتهم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخظة وإظهار الاسم الجليل فى موضع الإضمار لإدخال الروعة (لا جناح عليكم) أى لا تبعه من مهر ٢٣٦ وهو الأظهر وقيل من وزر إذ لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى ﷺ يكثّر النهى عن الطلاق فظن أن فيه جناحاً فنفى ذلك (إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن) أى ما لم تجمعهن وقرىء تماسوهن بضم التاء فى جميع المواضع أى مدة عدم مساسكم إياهن على أن ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل أبو البقاء أنها شرطية بمعنى أن فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثانى قيد الأول كافى قولك إن تأتني إن تحسن إلى أكرمك أى إن تأتني محسناً إلى والمعنى إن طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى أقعد من الأول لما أن ما الظرفية إنما يحسن موقعها فيما إذا كان المظروف أمراً ممتداً منطبقاً على ما أضيف إليها من المدة أو الزمان كما فى قوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والأرض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ولا يخفى أن التطبيق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفى الجناح ربما يؤهم إمكان المسيس بعد الطلاق فالوجه أن يقدر الحال مكان الزمان والمدة (أو تفرضوا لهن فريضة) أى إلا أن تفرضوا لهن أو حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرأ على أن فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية إلى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز أن يكون مصدرأ صيغة وإعراباً والمعنى أنه لا تبعه على المطلق بمطالبة المهر أصلاً إذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال إلا فى حال تسمية المهر فإن عليه حينئذ نصف المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لانصف مهر المثل وأما إذا كان بعد المساس فعليه فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة أو عاطفة مدخولها على

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ البقرة

- ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر (ومتعوهن) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في إيجاب المنة جبراً بإحاش الطلاق وهي
- درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى (على الموسع قدره وعلى المقتر قدره) أى ما يليق بحال كل منهما وقرىء بسكون الدال وهي جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب مبنية لمقدار المنة بالنظر إلى حال المطلق إيساراً وإقتاراً أو حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط أى على الموسع منكم الخ أو على جعل الآف واللام عوضاً من المضاف إليه عند من يجوزه أى على موسعكم الخ وهذا إذا لم يكن مهر مثلها أقل من ذلك فإن كان أقل فلها الأقل من نصف مهر المثل ومن المنة ولا ينقص
- عن خمسة دراهم (متاعاً) أى تمتيعاً (بالمعروف) أى بالوجه الذى تستحسنه الشريعة والمروءة (حقاً)
- صفة لمتاعاً أو مصدر مؤكد أى حق ذلك حقاً (على المحسنين) أى الذين يحسنون إلى أنفسهم بالمسارعة إلى الامتثال أو إلى المطلقات بالتتمتع بالمعروف وإنما سموا محسنين اعتباراً للشارفة وترغيباً وتحريضاً
- ٢٣٧ (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن) قبل ذلك (فريضة) أى وإن طلقتموهن من قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق أى عند النكاح مهراً على أن الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز أن تكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة إليهما ونفس الفرض من المبنى للفاعل أو للمفعول وإن لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذا الحال
- في اتصاف المطلقة بكونها مفروضاً لها فيما سبق (فنصف ما فرضتم) أى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر أو فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في أن المتني في الصورة السابقة إنما هو تبعه المهر وقرىء بالنصب أى فادوا نصف ما فرضتم ولعل تأخير حكم النسمية مع أنها الأصل في العقد والأكثر في الوقوع لما أن الآية الكريمة نزلت في أنصاري تزوج امرأة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها
- فتخاصموا إلى رسول الله ﷺ فقال له ﷺ عند إظهار أن لا شيء له متعها بقلنسوتك (إلا أن يعفون) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى فلهن نصف المفروض معيناً في كل حال إلا حال عفوهم فإنه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتأنيث وإنما الفرق في الاعتبار والتحقيق فإن الواو في الأولى ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه أن تأثيره فيما عطف على محله من قوله تعالى (أو يعفوا) بالنصب وقرىء بسكون الواو (الذى بيده عقدة النكاح) أى يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود إليه من نصف المهر الذى ساقه إليها كاملاً على ما هو المعتاد تكرماً فإن ترك حقه عليها عفو بلا شبهة أو سمي ذلك عفواً في صورة عدم السوق

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ البقرة

- مشكلة أو تغليباً لحال السوق على حال عدمه فرجع الاستثناء حينئذ إلى منع الزيادة في المستثنى منه كما أنه في الصورة الأولى إلى منع النقصان فيه أى فلهن هذا القدر بلا زيادة ولا نقصان في جميع الأحوال إلا في حال عفو هن فإنه حينئذ لا يكون هن القدر المذكور بل ينتفي ذلك أو ينحط أو في حال عفو الزوج فإنه حينئذ يكون هن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الأول وأما على التفسير الثاني فلا بد من المصير إلى جعل الاستثناء منقطعاً لأن في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رحمه الله أن المراد عفو الولى الذى بيده عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر المأخذ خلا أن الأول أنسب بقوله تعالى (وأن تعفوا أقرب للتقوى) إلى آخره فإن إسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم أنه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول وأكمل لها الصداق وقال أنا أحق بالعفو وقرىء بالياء (ولا تنسوا الفضل بينكم) أى لا تركوا أن يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسى وقرىء بكسر الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعاً بطريق التغليب (إن الله بما تعملون بصير) فلا يكاد يضيع ما عملتم من الفضل والإحسان (حافظوا على الصلوات) أى داوموا ٢٣٨ على أدائها لا وقتها من غير إخلال بشيء منها كما تنبى عنه صيغة المفاعلة المفيدة للبالغة ولعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام للإيدان بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن أنفسهم أيضاً كما يفصح عنه الأمر بها في حالة الخوف ولذلك أمر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الأحكام الشرعية المتشابهة الآخذ بعضها بحجة بعض (والصلاة الوسطى) أى المتوسطة بينها أو الفضلى منها وهى صلاة العصر لقوله ﷺ يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله تعالى بيوتهم ناراً وقال ﷺ إنها الصلاة التى شغل عنها سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار حينئذ وقيل هى صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وكانت أشق للصلوات عليهم لما أن رسول الله ﷺ كان يصليها بالهاجرة فكانت أفضلها لقوله ﷺ أفضل العبادات أحزها وقيل هى صلاة الفجر لأنها بين صلاتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولأنها مشهودة كصلاة العصر وقيل هى صلاة المغرب لأنها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي النهار والليل ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هى صلاة العشاء لأنها بين الجهرتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ كان يقرأ والصلاة الوسطى وصلاة العصر فتكون حينئذ إحدى الأربع قد خصت بالذكر مع العصر لا تفرادها بالفضل وقرىء وعلى الصلاة الوسطى وقرىء بالنصب على المدح وقرىء الوسطى (وقوموا لله) أى في الصلاة (قانتين) ذاكرين له تعالى في القيام لأن القنوت هو الذكر فيه وقيل هو إكمال الطاعة وإتمامها بغير إخلال بشيء من أركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح .

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ البقرة
وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيُذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ البقرة

- ٢٣٩ (فإن خفتهم) أى من عدو أو غيره (فرجالاً) جمع راجل كقيام وقائم أو رجل بمعنى راجل وقرىء بضم الراء
● مع التخفيف وبضمها مع التشديد أيضاً وقرىء فرجالاً أى راجلاً (أو ركبناً) جمع راكب أى فصلوا راجلين
أو راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بهما ما أمكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعى رحمه الله أداءها
● حال المسابقة أيضاً (فإذا أمنتهم) بزوال الخوف (فاذكروا الله) أى فصلوا صلاة الا من عبر عنها بالذكر
● لأنه معظم أركانها (كما علمكم) متعلق بمحذوف وقع وصفاً لمصدر محذوف أى ذكر أكاننا كما علمكم أى كتعليمه
● إياكم (ما لم تكونوا تعلمون) من كيفية الصلاة والمراد بتشبيهه أن تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه
الله تعالى وإيرادها بذلك العنوان لتذكير النعمة أو اشكروا الله تعالى شكرياً يوازي تعليمه إياكم ما لم
تكونوا تعلمونه من الشرائع والأحكام التى من جملتها كيفية إقامة الصلاة حالتى الخوف والا من هذا
وفي إيراد الشرطية الأولى بكلمة أن المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرتة وتصدير الشرطية الثانية
بكلمة إذا المنبئة عن تحقق وقوع الا من وكثرتة مع الإيجاز فى جواب الأولى والإطناب فى جواب
الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المأوربه فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلاً مستديماً لإجراء
مقتضى المقام الأول فى كل منهما مجرى مقتضى المقام الثانى من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة
٢٤٠ لاولى الأبصار (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) عود إلى بيان بقية الأحكام المفصلة فيما
● سلف إثر بيان أحكام وسط بينهما لما أشير إليه من الحكمة الداعية إلى ذلك (وصية لأزواجهم) أى
يوصون أوليوصوا أو كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لأزواجكم
وقرىء بالرفع على تقدير مضاف فى المبتدأ أو الخبر أى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية
لأزواجهم أو الذين يتوفون أهل وصية لأزواجهم أو كتب عليهم وصية أو عليهم وصية وقرىء مناع
● لأزواجهم بدل وصية (متاعاً إلى الحول) منصوب بيوصون إن أضمرته وإلا فالوصية أو بمناع على القراءة
● الأخيرة (غير إخراج) بدل منه أو مصدر مؤكد كما فى قولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم
أى غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل الاحتضار لأزواجهم بأن يتمتع بعدهم
حولاً بالنفقة والسكنى وكان ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى أربعة أشهر وعشراً فإنه وإن
كان متقدماً فى التلاوة متأخراً فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع أو الثمن وكذلك السكنى عندنا
● وعند الشافعى هى باقية (فإن خرجن) عن منزل الأزواج باختيارهن (فلا جناح عليكم) أيها الأئمة
● (فيما فعلن فى أنفسهن من معروف) لا ينكره الشرع كالتزين والتعطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب
وفيه دلالة على أن المحظور إخراجها عند إرادة القرار وملزمة مسكن الزوج والحداد من غير أن يجب

وَالْمُطَلَّقَاتِ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ البقرة

كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ البقرة

- عليها ذلك وأنها كانت مخيرة بين الملازمة مع أخذ النفقة وبين الخروج مع تركها (والله عزيز) غالب على أمره يعاقب من خالفه (حكيم) يراعى في أحكامه مصالح عباده (والمطلقات) سواء كن مدخولاً بهن ٢٤١ أولاً (متاع) أى مطلق المنعة الشاملة للواجبة والمستحبة وأوجبها سعيد بن جبير وأبو العالية والزهرى للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن والتأكيد (بالمعروف) شرعاً وعادة (حقاً على المتقين) أى مما ينبغي (كذلك) أى مثل ذلك البيان الواضح (يبين) ٢٤٢ الله لكم آياته) الدالة على أحكامه التى شرعها لعباده (لعلكم تعقلون) لئلى تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها ● (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب الأخبار وتعجب من شأنهم البديع فإن ٢٤٣ سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية أو العلية أو لكل أحد من له حظ من الخطاب إيذاناً بأن قصتهم من الشهرة والشبوع بحيث يحق لكل أحد أن يحمل على الإقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وإن لم يكن ممن رآهم أو سمع بقصتهم فإن هذا الكلام قد جرى مجرى المثل فى مقام التعجب لما أنه شبه حال غير الرأى لشيء عجيب بحال الرأى له بناء على ادعاء ظهور أمره وجلالته بحيث استوى فى إدراكه الشاهد والغائب ثم أجرى الكلام معه كما يجرى مع الرأى قصداً إلى المبالغة فى شهرته وعراقته فى التعجب وتعدية الرؤية بإلى فى قوله تعالى (إلى الذى خرجوا من ديارهم) على تقدير كونها بمعنى الإبصار ● باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها إدراكاً قلبياً لتضمنين معنى الوصول والانتهاى على معنى ألم ينته عليك إليهم (وهم ألو ف) أى ألو ف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون ألفاً والجملة ● حال من ضمير خرجوا وقوله عز وجل (حذر الموت) مفعول له روى أن أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا أن لا مفر من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حز قيل بعد زمان طويل وقد عربت عظامهم وتفرقت أوصالهم فلوى شدقيه وأصابه تعجباً مما رأى من أمرهم فأوحى إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فإذا هم قيام يقولون سبْحانَكَ اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وقيل هم قوم من بنى إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد فهربوا حذراً من الموت فأماتهم الله تعالى ثمانية أيام ثم أحياهم وقوله عز وجل (فقال لهم الله موتوا) إما عبارة عن تعلق إرادته تعالى بموتهم دفعة وإما تمثيل لأمانته تعالى لإياهم ميتة نفس واحدة فى أقرب وقت وأدناه وأسرع زمان وأوحاه بأمر أمر مطاع لأمور مطيع كما فى قوله تعالى

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ البقرة

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ
وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ البقرة

- إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (ثم أحيام) عطف إما على مقدر يستدعيه المقام أى فماتوا ثم أحيام وإنما حذف الدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن إرادته وإما على قال لما أنه عبارة عن الإمانة وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لأسباب الشهادة وأن الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر فأولى أن يكون في سبيل الله تعالى (إن الله لذو فضل) عظيم (على الناس) قاطبة أما أولئك فقد أحيام ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى وأما الذين سمعوا قصتهم فقد هدام إلى مسلك الاعتبار والاستبصار (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وإظهار الناس في مقام الإضمار
- ٢٤٤ لمزبد التشنيع (وقاتلوا في سبيل الله) عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم أن الفرار لا ينبجى من الحمام وأن المقدر لا مرد له فإن كان قدحان الآجل فموت في سبيل الله عز وجل وإلا فنصر عز ووثواب (واعلموا أن الله سميع) يسمع مقالة السابقين والمتخلفين (عليم) بما يضمرونه في أنفسهم وهو من وراء الجزاء خيراً وشرّاً فسارعوا إلى الامتثال
- ٢٤٥ واحذروا المخالفة والمساهلة (من ذا الذى يقرض الله) من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له أو بدل منه وإقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلباً للثواب الآجل والمراد ههنا إما الجهاد الذى هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته وإما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاماً أولياً (قرضاً حسناً) أى إقراضاً مقروناً بالإخلاص وطيب النفس
- أو مقرضاً حلالاً طيباً (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام حملاً على المعنى فإنه في معنى أيقرضه وقرىء بالرفع أى يضاعف أجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهراً وصيغة المفاعلة للبالغة وقرىء فيضعفه بالرفع والنصب (أضعافاً) جمع ضعف ونصبه على أنه حال من الضمير المنصوب أو مفعول بأن يضمن المضاعفة معنى التصيير أو مصدر مؤكد
- على أن الضعف اسم للبصدر والجمع للتوین (كثيرة) لا يعلم قدرها إلا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة
- (والله يقبض ويبسط) أى يقتر على بعض ويوسع على بعض أو يقتر تارة ويوسع أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كي لا يبدل أحوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للإيحاء إلى أنه يعقبه في الوجود تسلياً للفقراء وقرىء يبسط بالصاد لمجاورة الطاء (وإليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم من الأعمال خيراً وشرّاً .

أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ اأَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِذَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة

- (ألم تر) تقربر وتعجيب كما سبق قطع عنه للإيدان باستقلاله في التعجب مع أن له مزيداً تباط بما وسط بينهما ٢٤٦
- من الأمر بالقتال (إلى الملائ من بني إسرائيل) الملائ من القوم وجوهم وأشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحده ●
- من لفظه كالحطوط والقوم سمو بذلك لما أنهم يملئون العيون مهابة والمجالس بهاء أولانهم مليشون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية ومن في قوله تعالى (من بعد موسى) ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالاً من الملائ أي كائنين ●
- بعض بني إسرائيل من بعد وفاة موسى ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظاً عند اختلافهما معنى (إذ قالوا) ●
- منصوب بمضمر يستدعيه المقام أي ألم تر إلى قصة الملائ أو حديثهم حين قالوا (لنبي لهم) هو يوشع بن نون بن إفرائيم بن يوسف عليهما السلام وقيل شمعون بن صعبة بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب عليهما السلام وقيل أشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية إسماعيل . قال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد أشمويل بن هلقايا (أبعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله) أي أنهض للقتال معنا ●
- أمير أنصدر في تدبير أمر الحرب عن رأيه وقرىء نقاتل بالرفع على أنه حال مقدر أي أبعث لنا مقدرين القتال أو استئناف مبنى على السؤال وقرىء يقاتل بالياء مجزوماً ومرفوعاً على الجواب للأمر والوصف للملك (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه قيل فإذا قال لهم النبي حينئذ فقيل ●
- قال (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به أي ●
- هل قاربتم أن لا تقاتلوا كما أتوقعه منكم والمراد تقرير أن المتوقع كائن وإنما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بأن قيل هل عسيتم أن بعثت لكم ملكاً الخ مع أنه أظهر تعلقاً بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للبالغة في بيان تخلفهم عنه فإنهم إذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بإيجاب الله تعالى فلأن لا يقاتلوا عند عدم فرضيته أولى ولأن إيراد ما ذكره ربما يوم أن سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لانفس القتال وقرىء عسيتم بكسر السين وهى ضعيفة (قالوا) استئناف كما سبق (وما لنا أن لا نقاتل) ●
- أي أي سبب لنا في أن لا نقاتل (في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) أي والحال أنه قد عرض لنا ما يوجب القتال إيجاباً قوياً من الإخراج عن الديار والأوطان والاعتراب من الأهل والأولاد وإفراد الأبناء بالذكر لمزيد تقوية أسباب القتال وذلك أن جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من أولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني إسرائيل وأخذوا ديارهم وسبوا أولادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربع مائة

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ البقرة

- وأربعين نفساً وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم (فلما كتب عليهم القتال) بعد سؤال النبي ﷺ ذلك وبعث الملك (تولوا) أى عرضوا وتحلفوا لكن لافى ابتداء الأمر بل بعدمشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجى تفصيله وإنما ذكر ههنا مال أمرهم إجمالاً لإظهار لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين (إلا قليلاً منهم) وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثمانمائة وثلاثة عشر
- بعدد أهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وتنافى أقوالهم ٢٤٧ وأفداهم والجملة اعتراض تذييلي (وقال لهم نبيهم) شروع فى تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الأقوال والأفعال إثراً للإشارة الإجمالية إلى مصير حالهم أى قال لهم بعد ما أوحى إليه ما أوحى (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتامن الطول بأباه منع صرفه وملكاً حال منه روى أنه عليه السلام لما دعا ربه أن يجعل لهم ملكاً أتى بعضاً يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت (قالوا) استئناف كما مر (أنى يكون له الملك علينا) أى من أين يكون أو كيف يكون ذلك (ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) الواو الأولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملةتين فى الحكم أى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد أن النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من أسباط بنى إسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعياً وقيل دباغاً وقيل سقاء (قال إن الله اصطفاه عليكم) لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك أولاً بأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم وثانياً بأن العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب ويقدر على مقاومة الأعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل (وزاده بسطة فى العلم) أى العلم المتعلق بالملك أو به وبالديانات أيضاً وقيل قد أوحى إليه ونبي (والجسم) قيل بطول القامة فإنه كان أطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة (والله يؤتى ملكه من يشاء) لما أنه مالك الملك والمملوك فعال لما يريد فله أن يؤتیه من يشاء من عبادته (والله واسع) يوسع على الفقير ويغنيه (عليم) بمن يليق بالملك بمن لا يليق به وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة .

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ البقرة

- (وقال لهم نبيهم) توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للإشعار بعدم اتصال أحدهما ٢٤٨ بالآخر وتحال كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستمتع لللاحق كأنهم طلبوا منه عليه السلام آية تدل على أنه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم . روى أنهم قالوا ما آية ملكه فقال (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) أي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما أنه لا يزال يرجع إليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت والمشهور أن يوقف على تائه من غير أن تقلب هاء ومنهم من يقلبها إياها والمراد به صندوق التوراة وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطاً على بني إسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون إليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال أرباب الأخبار إن الله تعالى أنزل على آدم تابوتاً فيه تماثيل الأنبياء عليهم السلام من أولاده وكان من عود الشمشاد نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام إلى أن توفي فتوارثه أولاده واحد بعدواحد إلى أن وصل إلى يعقوب عليه السلام ثم بقي في أيدي بني إسرائيل إلى أن وصل إلى موسى عليه السلام فكان عليه الصلاة والسلام يضع فيه التوراة وكان إذا قاتل قدمه فكانت تسكن إليه نفوس بني إسرائيل وكان عنده إلى أن توفي ثم تداولته أيدي بني إسرائيل وكانوا إذا اختلفوا في شيء تحاكموا إليه فيحكم بينهم وكانوا إذا حضروا القتال يقدمونه بين أيديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فإذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما أراد الله تعالى أن يملك طالوت عليهم البلاء حتى أن كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلك من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار أن ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فأخرجوه وجعلوه على ثورين فأقبل الثوران يسيران وقد وكل الله تعالى بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما حتى أتوا منزل طالوت فلما ألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي إن آية ملكه أنكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده أقنوا بملكه (فيه سكينة من ربكم) أي في إتيانه سكون لكم وطمانينة كائنة من ربكم أو في التابوت ما تسكنون إليه وهو التوراة المودعة فيه بناء على ما مر من أن موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فسكن إليه نفوس بني إسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه وجناحان فتن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمشون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن أعلى رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ریح هفافة (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) ●
- ٣١ أبو السعود ج ١

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فِتْنَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئْتَهُ كَثِيرَةٌ يَبِذْنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ البقرة

- هي رضاء الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان قدر رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام وألهمها أبناؤهما أو أنفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما أو أنبياء بني إسرائيل (تحمله الملائكة) حال من التابوت أي إن آية ملكه إتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الأخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له (إن في ذلك) إشارة إلى ما ذكر من شأن التابوت فهو من تمام كلام النبي عليه السلام لقومه أو إلى نقل القصة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جرى به قبل تمام القصة إظهار الكمال العناية به وإفراد حرف الخطاب مع تعدد مخاطبين على التقديرين بتأويل الفريق أو غيره كما سلف (لآية) عظيمة (لكم) دالة على ملك طالوت أو على نبوة محمد ﷺ حيث أخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر (إن كنتم مؤمنين) أي مصدقين بتمليككم
- ٢٤٩ عليكم أو بشيء من الآيات وإن شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى إذ (فلما فصل طالوت بالجنود) أي انفصل بهم عن بيت المقدس والأصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كالفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه أصلا برأسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه ووقفا وكصد صدودا وصدده صدأ ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت أي ملتبساً بهم ومصاحباً لهم روى أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشغول بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يين عليها ولا أبتغى إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه من اختاره ثمانون ألفاً وكان الوقت قيظاً وسلكوا مفازة فسألوا أن يجرى الله تعالى لهم نهراً فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته تعالى من جهة النبي عليه السلام أو بطريق الوحي عند من يقول بنبوته (قال إن الله مبتليكم بنهر) بفتح الهاء وقرئ بسكونها (فمن شرب منه) أي ابتداء شربه من النهر بأن كرع لأنه الشرب منه حقيقة (فليس مني) أي من جملي وأشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لكمال اختلاطهما (ومن لم يطعمه) أي لم يذقه من طعام الشيء إذا ذاقه ما كولا كان أو مشروباً أو غيرهما قال [وإن شئت حرمت النساء سواكم] وإن شئت لم أطعم نقاخاً ولا برداً [أي نوماً] فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وإنما أخر عن الجملة الثانية لإبراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على أنها مصدر والباء متعلقة باغتراف أو بمحذوف وقع صفة لغرفة أي غرفة كائنه بيده يروى أن الغرفة كانت

- تكفى الرجل لشربه وأدواته ودوابه وأما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبيهم العطش (فشربوا
- منه) عطف على مقدر يقتضيه المقام أى فابتلوا به فشربوا منه (إلا قليلاً منهم) وهم المشار إليهم فيما سلف بالاستثناء من التولى وقرىء إلا قليل منهم ميلاً إلى جانب المعنى وضرباً عن عدوة اللفظ جانباً فإن قوله تعالى فشربوا منه فى قوة أن يقال فلم يطيعوه فحق أن يرد المستثنى مرفوعاً كما فى قول الفرزدق [وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال إلا مسحت أو مجلف] فإن قوله لم يدع فى حكم لم يبق (فلما جاوزه) أى النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا معه) عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل
- والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبراً من الموصول كأنه قيل فلما جاوزه والحال أن الذين آمنوا كانوا معه وهم أولئك القليل وفيه إشارة إلى أن من عداهم بمعزل من الإيمان (قالوا) أى بعض من معه من المؤمنين لبعض (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده)
- أى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلاً عن أن يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة . قيل كانوا مائة ألف مقاتل شاكى السلاح (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال مخاطبهم فقليل قال (الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) قيل أى الخالص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وإفراهم بذلك الوصف لا ينافى إيمان الباقين فإن درجات المؤمنين فى التيقن والتوقع متفاوتة أو الذين يعلمون أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير فى قالوا للمخاضين عنهم كأنهم قالوه اعتذاراً عن التخلف والنهر بينهما (كم من فئة) أى فرقة وجماعة من الناس من فأتت رأسه إذا شققها أو من فاء إليه إذا رجع فوزنها على الأول ففة وعلى الثانى فلة (قليلة غلبت فئة كثيرة) وكم خبرية كانت أو استفهامية مفيدة للتكثير وهى فى حيز الرفع بالابتداء
- خبرها غلبت أى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة (ياذن الله) أى بحكمه وتيسيره فإن دوران كافة الأمور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره وإن قل عدده ولا يعز من خذله وإن كثر أسبابه وعدده وقدر وعى فى الجواب نكتة بدیعة حيث لم يقل أطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع فى كلام أصحابهم مبالغة فى رد مقاتلتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل فى ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لاسيما بالاستشهاد فإن العلم به ربما يورث اليأس من الغلبة ولالتوقع ثوابه تعالى ولا ريب فى أن ما ذكر فى حيز الصلة ينبغى أن يكون مداراً للحكم الوارد على الموصول فلا أقل من أن يكون وصفاً ملائماً له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتأيدته عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل (والله مع الصابرين) فإن المراد به معية نصره وتوفيقه
- حتماً وحملها على المعية بالإثابة كما فعل ياباه أنهم إنما قالوه تنميماً لجوابهم وتأيداً له بطريق الاعتراض التذييل تشجيعاً لأصحابهم وتثبيتاً لهم على الصبر المؤدى إلى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالإثابة قطعاً وكذا الحال إذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جرى به تقريراً لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون أو يعلمون من جهة النبى أو من جهة الثابوت والسكينة أنهم ملاقوا نصر الله العزيزكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ياذن الله تعالى فنحن أيضاً نغلب جالوت وجنوده وإيراد خبر أن اسماً مع أن اللقاء

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ البقرة

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
النَّاسَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ البقرة

- ٢٥٠ مستقبل للدلالة على تقررهِ وتحقيقهِ (ولما برزوا) أى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا إلى
- براز من الأرض في موطن الحرب (لجالوت وجنوده) وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وأيقنوا
 - أنهم غير مطيعين بهم عادة (قالوا) أى جميعاً عند تقوى قلوب الفريق الأول منهم بقول الفريق الثاني
 - متضرعين إلى الله تعالى مستعينين به (ربنا أفرغ علينا صبراً) على مقاساة شدايد الحرب وافتحام موارد
 - الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال وإيثار الإفراغ العرب عن
 - الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة مالا يخفى (وثبت أقدامنا) في مداحض القتال
 - ومنزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة
 - لا مجرد التقرر في حيز واحد (وانصرتنا على القوم الكافرين) بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في
 - موضع الضمير العائد إلى جالوت وجنوده للإشعار بعلّة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيباً بديعاً
 - حيث قدموا سؤال إفراغ الصبر الذى هو ملاك الأمر ثم سؤال تثبيت القدم المنفرع عليه ثم سؤال
- ٢٥١ النصر الذى هو الغاية القصوى (فهزموهم) أى كسروهم بلا مكث (ياذن الله) بنصره وتأيدته إجابة
- لدعائهم وإيثار هذه الطريقة على طريقة قوله عز وجل فأتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون
 - قولهم غلبت فئة كثيرة ياذن الله (وقتل داود جالوت) كان أيشى أبو داود فى عسكر طالوت معه نسته
 - من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيراً يرعى الغنم فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أنه الذى يقتل
 - جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار قال له كل منها احملها فإنك بنا تقتل جالوت
 - فحملها فى مخلاته قيل لما أبطا على أبيه خبر إخوته فى المصاف أرسل داود إليهم ليأتيه بخبرهم فأتاهم وهم فى
 - القراع وقد برز جالوت بنفسه إلى البراز ولا يكاد يبارزه أحد وكان ظله ميلاً فقال داود لأخوته أما فيكم
 - من يخرج إلى هذا الأقفى فزجروه فنجا ناحية أخرى ليس فيها إخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض
 - الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الأقفى قال طالوت أنكحه بنتى وأعطيه شطر
 - مملكتى فبرز له داود فرماه بما معه من الأحجار بالمقلاع فأصابه فى صدره فنفذ الأحجار منه وقتلت بعده
 - ناساً كثيراً وقيل إنما كلمته الأحجار عند بروزه لجالوت فى المعركة فأنجز له طالوت ما وعده وقيل إنه حسده
 - وأخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه إلى أن قتل وملك داود عليه السلام وأعطى النبوة
 - وذلك قوله تعالى (وأتاه الله الملك) أى ملك بنى إسرائيل فى مشارق الأرض المقدسة ومغازيها (والحكمة)
 - أى النبوة ولم يجتمع فى بنى إسرائيل الملك والنبوة قبله إلا له بل كان الملك فى سبط والنبوة فى سبط

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ البقرة
 تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى
 ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
 الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ أَخْتَلَفُوا فَهُمْ مِنْ ءَآمِنٍ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ
 مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ البقرة

- آخر وما اجتمعوا قبله على ملك قط (وعليه بما يشاء) أى بما يشاء الله تعالى تعليمه إياه لا بما يشاء داود عليه السلام كما قيل لأن معظم ما عليه تعالى إياه مما لا يكاد يخطر ببال أحد ولا يقع فى أمنية بشر ليمكن من طلبه ومشيتهم كالسردي بالانه الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الأمور الخفية (ولولا دفع الله الناس بعضهم) الذين يباشرون الشر والفساد (ببعض) آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما فى القصة المحكية أو غيره وقرىء دفاع الله على أن صيغة المبالغة للمبالغة (لفسدت الأرض) وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض (ويصلحها) وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بعيثهم وقتلهم المسلمين أو لولم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل أهل الأرض قاطبة (ولكن الله ذو فضل) عظيم لا يقادر قدره (على العالمين) كافة وهذا إشارة إلى قياس استثنائى مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالى خلا أنه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستتبعه أعنى كونه تعالى ذا فضل على العالمين إيداناً بأنه تعالى متفضل فى ذلك الدفع من غير أن يجب عليه ذلك وأن فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من أفراد فضله العظيم كأنه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الأرض وتنظم به مصالح العالم وتنصلح أحوال الأمم (تلك) إشارة إلى ما سلف ٢٥٢ من حديث الألف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو شأن المشار إليه (آيات الله) المنزلة من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى (تتلوها عليكم) أى بواسطة جبريل عليه السلام إما حال من الآيات والعامل معنى الإشارة وإما جملة مستقلة لا محل لها من الإعراب (بالحق) فى حيز النصب على أنه حال من مفعول تتلوها أى ملتبسة باليقين الذى لا يرتاب فيه أحد من أهل الكتاب وأرباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما فى كتبهم أو من فاعله أى تتلوها عليكم ملتبيين بالحق والصواب أو من الضمير المجرور أى ملتبساً بالحق والصدق (ولأنك لمن المرسلين) أى من جملة الذين أرسلوا إلى الأمم لتبليغ رسالاتنا وإجراء أوامرنا وأحكامنا عليهم فإن هذه المعاملة لا تجرى بيننا وبين غيرهم فهى شهادة منه سبحانه برسالاته عليه الصلاة والسلام لإثبات ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين بها (تلك الرسل) استئناف فيه رمز إلى أنه عليه الصلاة والسلام من ٢٥٣

- أفاضل الرسل عليهم الصلاة والسلام إثر بيان كونه من جملتهم والإشارة إلى الجماعة الذين من جملتهم النبي ﷺ فاللام في المآل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للإيدان بعلو طبقتهم وبعد منزلاتهم وقيل إلى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل إلى الذين ثبت عليه ﷺ بهم (فضلنا بعضهم على بعض)
- في مراتب الكمال بأن خصصناه حسبما تقتضيه مشيئتنا بما أثر جليلة خلا عنها غيره (منهم من كلم الله)
- تفصيل للتفضيل المذكور إجمالاً أي فضله بأن كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه الصلاة والسلام حيث كلمه تعالى ليلة الخيرة وفي الطور وقرىء كلم الله بالنصب وقرىء كلم الله من المكاملة فإنه كلم الله تعالى كما أنه تعالى كلمه ويؤيده كلم الله بمعنى مكالمه وإيراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لترية المهابة والرمز إلى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من إيتاء البينات والتأييد
- بروح القدس من التفاوت (ورفع بعضهم درجات) أي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الأسلوب لترية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر أنه رسول الله ﷺ كما نبىء عنه الإخبار بكونه عليه الصلاة والسلام منهم فإن ذلك في قوة بعضهم فإنه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضائل العلية والعملية الفاتنة للحصر والإبهام لتفخيم شأنه والإشعار بأنه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل إنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خصه تعالى بكرامة الخلة وقيل
- لإدريس عليه السلام حيث رفعه مكاناً علياً وقيل أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام (وآتيناه عيسى ابن مريم البينات) الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص والإخبار بالمغيبات أو الإنجيل (وأيدناه) أي قويناه (روح القدس) بضم الدال وقرىء بسكونها أي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي روح عيسى وإنما وصفت بالقدس للكرامة أولاً أنه عليه السلام لم تضمه الأضلاب والأرحام الطوامث وقيل بمجبريل وقيل بالإنجيل كما مر وإفراذه عليه السلام بما ذكر لرد ما بين أهل الكتابين في شأنه عليه السلام من التفريط والإفراط والآية ناطقة بأن الأنبياء عليهم السلام متفاوتة الأقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أي جاءوا من بعد الرسل من الأمم المختلفة أي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق ففعل المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة
- المعروفة وقيل تقديره ولو شاء هدى الناس جميعاً ما اقتتل الخ وليس بذلك (من بعد ما جاءتهم) من جهة أولئك الرسل (البينات) المعجزات الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الإعراض عن سبيلهم المؤدى إلى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل (ولكن اختلفوا) استدراك من الشرطية أشير به إلى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها إلا أنه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للإيدان بأن الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى
- ابتداء كأنه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لأنهم اختلفوا اختلافاً فاحشاً (فمنهم من آمن) بما جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا به (ومنهم من كفر) بذلك كفرأ لا أروعاه له عنه فاقتضت الحكمة

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ
وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ البقرة

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ البقرة

- عدم مشيئته تعالى لعدم اقتناهم فاقتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم (ولو شاء الله) عدم اقتناهم بعد هذه
- المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبين للاقتتال بحسب العادة (ماقتلوا) وما نبض منهم عرق
- النطاول والتعادي لما أن الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس موجب لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتناهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك موضعه بل هو سبحانه مخار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتناهم ماقتلوا كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل (ولكن الله يفعل ما يريد) أي من الأمور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتناهم
- فإن الراك أيضاً من جملة الأفعال أي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير أن يوجه عليه موجب أو يمنعه منه مانع وفيه دليل بين على أن الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خير أكان أو شرأ إيماناً كان أو كفرأ (يا أيها ٢٥٤ الذين آمنوا أنفقوا) في سبيل الله (مما رزقناكم) أي شيئاً مما رزقناكموه على أن ماموصولة حذف عائدها
- والتعرض لوصوله منه تعالى للبحث على الإنفاق كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد (من قبل أن يأتي يوم لا يبيع فيه ولا خلة ولا شفاع) كلمة
- من متعلقة بما تعلقت به أختها ولا ضمير فيه لا اختلاف معنيهما فإن الأولى تبعيضية وهذه لا ابتداء الغاية أي أنفقوا بعض ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه إذ لا تبائع فيه حتى تتبايعوا ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به أخلاقكم أو يعينوك عليه ولا شفاع إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً حتى تنسولوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وإنما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب هل فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقرئ بفتح الكل (والكافرون)
- أي والتاركون للزكاة وإيثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج والإيذان بأن ترك الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (هم الظالمون) أي
- الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه إلى غير وجهه (الله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر أي هو المستحق للعبودية لا غير وفي إضمار خبر لا مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنجاحة معروف (الحى) الباقي الذى لا سبيل عليه للموت والفناء وهو إما خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من لا إله إلا هو أو بدل من الله أو صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح
- لا اختصاصه بالنعمة (القيوم) فاعول من قام بالأمراً إذا حفظه أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل

- هو القائم بذاته المقيم لغيره (لا تأخذه سنة ولا نوم) السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدى بن الرقاع العاملي [وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم] والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الإحساس رأساً والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء منهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لأنهما قاصران بالنسبة إلى القوة الإلهية فإنه بمنزلة من مقام التنزيه فلا سبيل إلى حمل النظم الكريم على طريقة الكبالة والترقي بناء على أن القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع النوم القوى كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وإنما تأخير النوم للحفاظة على ترتيب الوجود الخارجى وتوسيط كلمة لا للتخصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وأما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الأخذ فلبراعة الواقع إذ عروض السنة والنوم لمعروضهما وإنما يكون بطريق الأخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً قيوماً فإن من يعتربه أحدهما يكون موقوف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكداً لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم (له ما في السموات وما في الأرض) تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء وغيرهم (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يداينه أحد ليقدر على تغيير ما يريد شفاعاً وضراعة فضلاً عن أن يدافعه عناداً أو مناصبة (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس لأنك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى أو أمور الدنيا وأمر الآخرة أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم أو لما دل عليه من ذا الذى من الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا يحيطون بشيء من علمه) أى من معلوماته (إلا بما شاء) أن يعلموه وعطفه على ما قبله لما أنهما جميعاً دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتى التام الدال على وحدانيته (وسع كرسيه السموات والأرض) الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب إلى الكرسي الذى هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه وإحاطة علمه بالآشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلوا ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه أخذاً من كرسي العالم وقيل عن ملكه أخذاً من كرسي الملك فإن الكرسي كلما كان أعظم تكون عظمة القاعد أكثر وأوفر فغير عن شمول علمه أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه وإحاطته بالآقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش يحيط بالسموات السبع لقوله ﷺ ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا حلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصرى أنه العرش (ولا يؤده) أى لا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) أى حفظ السموات والأرض وإنما يتعرض لذكر ما فيهما لما أن حفظهما مستتبع لحفظه (وهو العلى) المتعالى بذاته عن الأشياء والأنداد (العظيم)

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ البقرة

الذى يستحق بالنسبة إليه كل ما سواه ولما ترى من انطواء هذه الآية الكريمة على أمهات المسائل الإلهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فإنها ناطقة بأنه تعالى موجود متفرد بالإلهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما أن القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزّه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الأشباح ولا يعتريه ما يعترى النفوس والأرواح مالك الملك والملوك ومبدع الأصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده إلا من أذن له فيه العالم وحده بجميع الأشياء جليها وخفيها كليها وجزئها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه أن يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما تناله الأوهام عظيم لا تحديق به الأفهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها أخواتها قال ﷺ إن أعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته إلى الغد من تلك الساعة وقال عليه الصلاة والسلام ما قرئت هذه الآية في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا على علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وقال ﷺ من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صديق أو عابد ومن قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والآيات حوله وقال عليه الصلاة والسلام سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا نخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيدا أيام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وتخصيص سيادته ﷺ للعرب بالذكر في أثناء تعداد السیادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه الأخبار المستفيضة وانعقد عليه الإجماع من سيادته ﷺ لجميع أفراد البشر .

(لا إكراه في الدين) جملة مستأنفة جاء بها إثريان تفرده سبحانه وتعالى بالشئون الجليلة الموجبة للإيمان به ٢٥٦ وحده إيداناً بأن من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعم وقيل هو خبر في معنى النهي أى لا تكرهوا في الدين فقبل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص بأهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروى أنه كان لأنصارى من بنى سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه ﷺ ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلميا فأيا فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فنزلت نخلهما (قد تبين الرشد من الغي) ● استئناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدنى عذراً أى إذ قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التى يمتنع توهم اشتراك غيره فى شيء منهما الإيمان الذى هو الرشد الموصل إلى السعادة الأبدية من الكفر الذى هو الغي المؤدى إلى الشقاوة السرمدية (فمن يكفر ●

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ البقرة

- بالطاغوت) هو بناء مبالغة من الطغيان كالمكوت والجبروت قلب مكان عينه ولا مه فقيل هو في الأصل مصدر وإليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس مفرد مذكر وإنما الجمع والتأنيث لإرادة الألهة وهو رأى سيديوه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل يستوى فيه المفرد والجمع والتذكير والتأنيث أى فمن يعمل أثراً ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان أو بالأصنام أو بكل ما عبد من دون الله تعالى أو صد عن عبادته تعالى لما تبين له كونه بمزل من استحقاق العبادة (ويؤمن بالله) وحده لما شاهد من نعمه الجليلة المقتضية لاختصاص الألوهية به عز وجل الموجبة للإيمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه فإن التخلية متقدمة على التحلية (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى بالغ في التمسك بها كأنه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه (لا انفصام لها) الفصم الكسر بغير إبانة كما أن الفصم هو الكسر بإبانة ونفى الأول يدل على انتفاء الثانى بالأولوية والجملة إما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة وإما حال من العروة والعامل استمسك أو من الضمير المستتر فى الوثقى ولها فى حيز الخبر أى كائن لها والكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذى لا يحتمل النقيض أصلاً لثبوتها بأبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة فى المفردات ويجوز أن تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذى هو الإيمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدى إليه كما قيل فإنه غير مذكور فى حيز الشرط والاستمسك بها مستعاراً لما ذكر من الملازمة أو ترشيحاً للاستعارة الأولى (والله سميع) بالأقوال (عليم) بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييل
- ٢٥٧ حامل على الإيمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد (الله ولي الذين آمنوا) أى معينهم أو متولى أمورهم والمراد بهم الذين ثبت فى علمه تعالى إيمانهم فى الجملة مآلاً أو حالاً (يخرجهم)
- تفسير للولاية أو خبر ثان عند من يجوز كونه جملة أو حال من الضمير فى ولي (من الظلمات) التى هى أعم من ظلمات الكفر والمعاصى وظلمات الشبه بل مما فى بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس إلى مراتبها القوية الجليلة بل مما فى جميع مراتبها بالنظر إلى مرتبة العيان كما ستعرفه (إلى النور) الذى يعم نور الإيمان ونور الإيقان بمراتبه ونور العيان أى يخرج بهدأته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التى وقع فيها إلى ما يقابلها من النور وإفراد النور لوحدة الحق كما أن جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال (والذين كفروا) أى الذين ثبت فى علمه تعالى كفرهم (أولياؤهم الطاغوت) أى الشياطين وسائر المضلين عن طريق الحق فالوصول مبتدأ أو أولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للأول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت فى

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُبْعَثُ
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ البقرة

- مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الإسناد مع الإيماء إلى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير أيضاً (يخرجونهم) بالوساوس وغيرها من طرق الإضلال والإغواء (من النور) الفطري الذي جبل عليه الناس كافة أو من نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي ﷺ بتنزيل تمكينهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها (إلى الظلمات) ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت أو خبر ثان كما مر ولإسناد الإخراج من حيث السببية إلى الطاغوت لا يقدح في استناده من حيث الخلق إلى قدرته سبحانه (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح (أصحاب النار) أي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم (هم فيها خالدون) ما كئون أبداً (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) استشهاد على ٢٥٨ ما ذكر من أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى ألم تر أنهم في كل واديهيمون كما أن ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للؤمنين وتقرير لها وإنما بدى بهذا الرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولا استقلاله بامر عجيب حقيق بأن يصدر به المقال وهو اجترأوه على الحاجة في الله عز وجل وما أتى بها في أثنائها من العظيمة المنادية بكال حماقته ولأن فيما بعده تعدداً وتفصيلاً يورث تقديمه انتشار النظم على أنه قد أشير في تضاعيفه إلى هداية الله تعالى أيضاً بواسطة إبراهيم عليه السلام فإن ما يحكى عنه من الدعوة إلى الحق وإدحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمة الاستفهام لإنكار النفي وتقرير المنفى أي ألم تنظر أو ألم ينته عليك إلى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لإضلال الناس وإخراجهم من النور إلى الظلمات أي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على أن أمره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من له حظ من الخطاب فظهر أن الكفرة أولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام تشریف له وإبذان بتأييده في الحاجة (أن آتاه الله الملك) أي لآل آتاه إياه حيث أبطره ذلك وحمله على الحاجة أو حاجه لأجله وضعاً للحاجة التي هي أقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديته لأن أحسنت إليك أو وقت أن آتاه الله الملك وهو حجة على من منع إيتاء الله الملك للكافر (إذ قال إبراهيم) ظرف لحاج أو بدل من آتاه على الوجه الأخير (ربى الذي يحيى ويميت) بفتح ياء ربى وقرئ بمحذوها * روى أنه ﷺ لما كسر الأصنام سجنه ثم أخرجه فقال من ربك الذي تدعوا إليه قال ربى الذي يحيى ويميت أى يخلق الحياة والموت فى الأجساد (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل كيف حاجه فى هذه المقالة القوية الحققة فقل قال (أنا أحى وأميت) روى أنه دعا برجلين فقتل أحدهما وأطلق الآخر فقال ذلك (قال إبراهيم) استئناف كما سلف كأنه قيل

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة

- فإذا قال إبراهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة وبماذا ألحظه فقيل قال (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق)
- حسبما تقتضيه مشيئته (فأت بها من المغرب) إن كنت قادر أعلى مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام إلى إبطال مقالة اللعين إيداناً بأن بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد وأن التصدي لإبطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل وأتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالاً للتنمويه والتلبيس (فهت الذي كفر) أي صار مهوياً وقرىء على بناء الفاعل على أن الموصول مفعوله أي فغلب إبراهيم الكافر وأسكنه وإيراد الكفر في حيز الصلة للإشعار بعلّة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفراً (والله لا يهدي القوم الظالمين) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أي لا يهدي الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب إعراضهم عن قبول الهداية إلى مناهج الاستدلال أو إلى سبيل النجاة أو إلى طريق الجنة يوم القيامة (أو كالذي مر على قرية) استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وإيثار أو الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من أول الأمر والكاف إما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل نصر وإما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى أولم تر إلى مثل الذي أول إلى الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور البيان والشهود أي قدر أيت ذلك وشاهدته فإذن لا ريب في أن الله ولي الذين آمنوا الخ. هذا وأما جعل الهمزة لمجرد التعجب على أن يكون المعنى في الأول ألم تنظر إلى الذي حاج الخ أي انظر إليه وتعجب من أمره وفي الثاني أو أريت مثل الذي مر الخ إيداناً بأن حاله وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه رأى الجمهور فغير خليف بجزالة التنزيل ونخامة شأنه الجليل فتدبروا المار هو عزيز بن شريحاً قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن يزيد والضحاك والسدي رضي الله عنهم وقيل هو أرميا بن حلقيا من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل أرميا هو الخضر بعينه . قال مجاهد كان المار رجلاً كافراً بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابور آباد وقال السدي هي ديار سلما باد والاول هو الأظهر والأشهر روى أن بني إسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله تعالى عليهم بمختصر البابل فصار إليهم في ستمائة ألف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني إسرائيل أثلاثاً ثلث منهم قتلهم وثلث منهم أقرم بالشام وثلث منهم سبهم وكانوا مائة ألف

- غلام يافع وغير يافع قسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل ملك منهم أربعة غلبة وكان عزيز من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بجواره على بيت المقدس فرآه على أفطع مرأى وأوحش منظر وذلك قوله عز وجل (وهي خاوية على عروشها) أى ساقطة على سقوفها بأن سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت إذا سقط أو من خوت الأرض أى تهدمت والجملة حال من ضمير مرأو من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقاً (قال) أى تلهفا عليها وتشوقاً إلى عمارتها مع استئثار اليأس عنها (أنى يحيى هذه الله) وهى على ما يرى من الحالة العجيبة المبينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث أن الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية إن كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل يحيى وأياً ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها الذين تفرقوا أبداً ومن غيرهم وإنما عبر عنها بالإحياء الذى هو علم فى البعد عن الوقوع عادة تهويلاً للخطاب وتأكيذاً للاستبعاد كما أنه لأجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل (بعد موتها) وحيث كان هذا التعبير معرباً عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ وجه وآكده أراه الله عز وجل أثر ذى أثر أبعد الأمرين فى نفسه ثم فى غيره ثم أراه ما استبعده صريحاً مبالغة فى إزاحة ما عسى يختلج فى خلدته وأما محل إحيائها على إحياء أهلها فبأب التعرض لحال القرية دون حالهم والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم تراباً وعظاماً مع كونه أدخل فى الاستبعاد لشدة مباينته للحياة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم يتعلق إرادته تعالى بإحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به خبراً (فأما ناه الله) والبشه على الموت (مائة عام) روى أنه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم يربها أحدًا فقال ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فأما ناه الله تعالى فى منامه وهو شاب وأما حماره وبقية تينه وعنبه وعصيره عنده ثم أعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وعلا ملكاً عظيماً من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه وأهلك الله تعالى بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله تعالى من بقى من بنى إسرائيل وردداهم إلى بيت المقدس وتراجع إليه من تفرق منهم فى الأكناف فعمره ثلاثين سنة وكثروا وكانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزيز أحياء الله تعالى وذلك قوله تعالى (ثم بعثه) وإيناره على أحياء للدلالة على سرعته وسهولة تأتية على البارى تعالى كأنه بعثه من النوم وللإيدان بأنه أعاده كهينته يوم موته عاقلاً قاهماً مستعداً للنظر والاستدلال (قال) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال له بعد بعثه فقيل قال (كم لبثت) ليظهر له عجزه عن الإحاطة بشئونه تعالى وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين فى الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به مادة استبعاده بالمرءة ويطلع فى تضاعفه على أمر آخر من بدائع آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهر أطويلاً من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية يميزها محذوف أى كم وقتاً لبثت والقائل هو الله تعالى أو ملك مأمور بذلك من قبله تعالى قيل نودى من السماء يا عزيز كم لبثت بعد الموت (قال لبثت يوماً أو

بعض يوم) قاله بناء على التقريب والتخمين أو استقصار أمدته لبثه وأما ما يقال من أنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس يوماً فالتفت إليها فرأى منها بقية فقال أو بعض يوم على وجه الإضراب فبمعزل من التحقيق إذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حساب الغروب

- لتحقق نقصان من أوله (قال) استئناف كما سلف (بل لبثت مائة عام) عطف على مقدر أى ما لبثت
- ذلك القدر بل هذا المقدار (فانظر) لتعاین امرآ آخر من دلائل قدرتنا (إلى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه إلى الفساد . روى أنه وجد تينه وعنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغيره واو كقوله تعالى لم يمسه سواه إما من الطعام والشراب وإفراد الضمير لجر يائهما مجرى الواحد كالغذاء وإما من الأخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الأول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك لم يتسن والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة لما أن لأمها هاء أو واو وقيل أصله لم يتسن من الحما المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضى البازى وقد جوز أن يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت لاحقيقة بل تشبهاً أى هو على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه
- بإدغام الناء في السين (وانظر إلى حمارك) كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت لبتين
- لك ما ذكر من اللبث المديد وقطعتن به نفسك وقوله عز وجل (ولنجعلك آية للناس) عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق أى فعلنا ما فعلنا من إحيائك بعد ما ذكر
- لتعاین ما استبعدته من الإحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل القرون الخالية يأخذوا منك ما طوى عنهم منذ أحقاب من علم التوراة كما سيأتى أو متعلق بفعل مقدر بعده أى ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر
- من اللبث المديد ولذلك فرق بينه وبين الأمر بالنظر إلى حماره وتكرير الأمر في قوله تعالى (وانظر إلى العظام) مع أن المراد عظام الحمار أيضاً لما أن المأمور به أولاً هو النظر إليها من حيث دلالتها على ما ذكر
- من اللبث المديد وثانياً هو النظر إليها من حيث تعثرها بالحياة ومباديهها أى وانظر إلى عظام الحمار لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعد ما شاهدت نفسه في نفسك (كيف ننشزها) بالزأى المعجمة أى نرفع بعضها إلى بعض وردها إلى أملاكها من الجسد فتركبها تركيباً لا نقاً بها وقال الكسائى نليناها ونعظمها ولعل من فسر بنحيبها أراد بالإحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشزها بالراء من أنشأ الله تعالى الموتى أى أحيأها لا معناه الحقيقي لقوله تعالى (ثم نكسوها لحماً) أى نسترها به كما يستر الجسد باللباس وأما من قرأ ننشزها بفتح النون وضم الشين فلعله أراد به ضد الطى كما قال الفراء فالمعنى كيف نبسطها والجملة إما حال من العظام أى وانظر إليها مركبة مكسوة لحماً أو بدل اشتمال أى وانظر إلى العظام كيفية إنشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما أنها بما لا تقتضى الحكمة بيانه . روى أنه نودى أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمع كل جزء من أجزائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها إلى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بمحملها والرأس بموضعها ثم الأعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَبْطِئَنَّ قَلْبِي
قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ
سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٣٠﴾ البقرة

- ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينطق (فلما تبين له) أى ماذا، عليه الأمر بالنظر إليه من كيفية الإحياء بمبادئه والفاء للعطف على مقدر يستدعيه الأمر المذكور وإنما حذف للإيدان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر والإشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقراً عنده بعد قوله أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل فأنشزها الله تعالى وكساها لحماً
- فنظر إليها فتبين له كيفيته فلما تبين له ذلك أى اتضح اتضاحاً تاماً (قال أعلم أن الله على كل شيء) من الأشياء التى من جملتها ما شاءه في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار (قدير) لا يستعصى عليه أمر من الأمور وإيثار صيغة المضارع للدلالة على أن علمه بذلك مستمر نظراً إلى أن أصله لم يتغير ولم يتبدل بل إنما تبدل بالعيان وصفه وفيه إشعار بأنه إنما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادى واستعظام الأمر وقد قيل فاعل تبين مضمرة يفسره مفعول أعلم أى فلما تبين له أن الله على كل شيء قد ير قال أعلم أن الله على كل شيء قد ير فتدبر وقرىء تبين له على صيغة المجهول وقرىء قال أعلم على صيغة الأمر . روى أنه ركب حماره وأتى محلته وأنكره الناس وأنكر الناس وأنكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو يبعجوز عيماً مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم وأين ذكرى عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكى شديداً قال فإني عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أماننى الله مائة عام ثم بعثنى قالت إن عزيراً كان رجلاً مستجاب الدعوة فادع الله لى يرد على بصرى حتى أراك فدعا ربه ومسح يده عينيها فصحتا فأخذ بيدها فقال لها قومى يا ذن الله فقامت صحيحة كأنها نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت إلى محلة بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فهض الناس فأقبلوا إليه فقال ابنه كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر بيوت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخرم منها حرفاً فقال رجل من أولاد المسييين ممن ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثنى أبى عن جدى أنه دفن التوراة يوم سبيننا فى خاية فى كرم فإن أرىتمونى كرم جدى أخرجهما لكم فذهبوا إلى كرم جده ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير من ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (وإذا قال إبراهيم) ٢٦٠ دليل آخر على ولايته تعالى للؤمنين وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور وإنما لم يسلك به مسلك

- الاستشهاد كما قبله بأن يقال أو كالذى قال رب الخ لجرى ذكره عليه السلام في أثناء المحاجة ولأنه لا دخل لنفسه عليه السلام في أصل الدليل كدأب عزيز عليه السلام فإن ما جرى عليه من إحيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أئى واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله تعالى لتقف على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الأمر بالذكر في أمثال هذه المواقف إلى الوقت دون ما وقع فيه من الوقائع مع أنها المقصودة بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت لإيجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها مفصلة فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية أو لم يذكر كأنها مشاهدة عياناً (رب) ●
- كلة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الإجابة (أرنى) من الرؤية البصرية المتعدية إلى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولاً آخر هو الجملة الاستفهامية المتعلقة لها فإنها تعلق كما يعلق النظر البصرى أى اجعلنى مبصراً (كيف تحيى الموتى) بأن يحييها وأنا أنظر إليها وكيف فى محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الأخفش والعامل فيها يحيى أى فى أى حال أو على أى حال يحيى قال القرطبي الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمستول فلا استفهام ههنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أى بصرفى كيفية إحيائك للموتى وإنما سأل عليه السلام ليتأكد إيقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئناناً على اطمئنان وأما ما قيل من أن نمرود لما قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم عليه السلام إن إحياء الله تعالى برد الأرواح إلى الأجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على أن يقول نعم فانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ذلك فإياه تعليل السؤال بالاطمئنان (قال) استئناف كما مر غير مرة (أو لم تؤمن) عطف على مقدر أى ألم تعلم ولم تؤمن بأنى قادر على الإحياء كيف أشاء حتى تسألنى إرادته قاله عز وعلا وهو أعلم بأنه عليه السلام أثبت الناس إيماناً وأقوام يقيناً ليجيب بما أجاب به فيكون ذلك لطفاً للسامعين (قال بلى) علمت وآمنت بأنك قادر على الإحياء على أى كيفية شئت (ولكن) سألت ما سألت (ليطمئن قلبي) بمضامة العيان إلى الإيمان والإيقان وأزداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة (قال فخذ) الفاء لجواب شرط محذوف أى إن أردت ذلك فخذ (أربعة من الطير) قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين فى هين ومن متعلقة بفخذ أو بمحذوف وقع صفة لأربعة أى أربعة كائنة من الطير قيل هى طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر يدل الأخير وتخصيص الطير بذلك لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان ولسهولة تأتى ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك (فصرهن) من صارهن يصوره أى أماله وقرىء بكسر الصاد من صارهن يصيره أى أملهن واخضعهن وقرىء فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وقرىء فصرهن من التصرية بمعنى الجمع أى اجمعهن (إليك) لتأملها وتعرف شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءاً من أجزائها لم ينتقل من موضعه الأول أصلاً . روى أنه أمر بأن يذبحها وينتفريشها ويقطعها ويفرق

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ البقرة

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ البقرة

- أجزاءها ويخلط ريشها ودماها ولحومها ويمسك رموسها ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً) أى جزئهن وافرّق أجزاءهن على ما يحضرتك من الجبال قيل كانت أربعة أجبل وقيل سبعة لجعل على كل جبل ربعا أو سبعة من كل طائر وقرى جزوا بضمّتين وجزأ بالتشديد بطرح همزته تخفيفاً ثم تشديده عند الوقف ثم إجرأ الوصل مجرى الوقف (ثم ادعهم بأتينك) فى حيز الجزم على أنه جواب الأمر ولكنه بنى لاتصاله بنون جمع مؤنث (سبعياً) أى سابعات مسرعات أو ذوات سعى طيراناً أو مشياً وإنما اقتصر على حكاية أوامره عز وجل من غير تعرض لامتناله عليه السلام ولما ترتب عليه من عجائب آثار قدرته تعالى كما روى أنه عليه السلام نادى فقال تعالى يا ذن الله لجعل كل جزء منهن يطير إلى صاحبه حتى صارت جثثاً ثم أقبلن إلى رموسهن فانضمت كل جثة إلى رأسها فعادت كل واحدة منهن إلى ما كانت عليه من الهيئة للإبذان بأن ترتب تلك الأمور على الأمر الجليل واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له إلى الذكر أصلاً وناهيك بالقصة دليلاً على فضل الخليل وبين الضراعة فى الدعاء وحسن الأدب فى السؤال حيث أراه الله تعالى ما سأل في الحال على أيسر ما يكون من الوجوه وأرى عزيزاً ما أراه بعد ما أماته مائة عام (واعلم أن الله عزيز) غالب على أمره لا يعجزه شيء عما يريد (حكيم) ذو حكمة بالغته فى أفعاله فليس بناء أفعاله على الأسباب العادية لعجزه عن إيجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمناً للحكم والمصالح .
- (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) أى فى وجوه الخيرات من الواجب والنفل (كمثل حبة) ٢٦١ لا بد من تقرير مضاف فى أحد الجانبين أى مثل نفقهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة (أتبت سبع سنابل) أى أخرجت ساقاً تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبل (فى كل سنبل مائة حبة) كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن فى الأراضى المغلة بل أكثر من ذلك وإسناد الإنبات إلى الحبة مجازى كما سنده إلى الأرض والريبع وهذا التمثيل تصوير للأضعاف كأنها حاضرة بين يدي الناظر (والله يضاعف) تلك المضاعفة أو فوقها إلى ما شاء الله تعالى (لمن يشاء) أن يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من إخلاصه وقبته ولذلك تفاوتت مراتب الأعمال فى مقادير الثواب (والله واسع) لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة (عليم) بنية المنفق ومقدار إنفاقه وكيفية تحصيل ما أنفق (الذين ينفقون) ٢٦٢ أموالهم فى سبيل الله) جملة مبتدأة جرى بها لبيان كيفية الإنفاق الذى بين فضله بالتمثيل المذكور (ثم

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ البقرة

يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْتَطِلُوا صَدَقَتُنَا بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنُفِلَ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ البقرة

- لا يتبعون ما أنفقوا) أى ما أنفقوه أو إنفاقهم (منأ ولا أذى) المن أن يعتد على من أحسن إليه يا حسانه ويريه أنه أوجب بذلك عليه حقاً والأذى أن يتطاول عليه بسبب إنعامه عليه وإنما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة للدلالة على شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لإظهار علو رتبة المعطوف
- قيل نزلت في عثمان رضى الله عنه حين جهز جيش العسرة بألف بعير بأفتابها وأحلاسها وعبدالرحمن ابن عوف رضى الله عنه حين أتى النبي ﷺ بأربعة آلاف درهم صدقة ولم يكذب يخطر ببالها شيء من المن والأذى (لهم أجرهم) أى حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً عن
- الموصول وفي تكرير الإسناد وتقييد الأجر بقوله (عند ربهم) من التأكيد والتشريف ما لا يخفى
- وتحلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للإيذان بأن ترتب الأجر على ما ذكر من الإنفاق وترك اتباع المن والأذى أمر بين لا يحتاج إلى التصريح بالسببية وأما إيهام أنهم أهل لذلك وإن لم يفعلوا فكيف بهم إذا فعلوا فإياه مقام الترغيب في الفعل والحث عليه (ولا خوف عليهم) في الدارين
- من حقوق مكروه من المكاره (ولا هم يحزنون) لقوات مطلوب من المطالب قل أو جل أى لا يعتريهم ما يوجب له أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم خوف وحزن أصلاً بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستنصار الخوف والحشية استعظاماً لجلال الله وبيانه
- واستقصاراً للجد والسعى في إقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفاعهما لا بيان انقضاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لما أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام (قول معروف) أى كلام جميل تقبله القلوب
- ولا تنكره رده السائل من غير إعطاء شيء (ومغفرة) أى ستر لما وقع من السائل من الإلحاف في المسألة وغيره مما ينقل على المستول وصفح عنه وإما صرح الابتداء بالنكرة في الأول لا اختصاصها بالوصف
- وفي الثاني بالعطف أو بالصفة المقدرة أى ومغفرة كائنة من المستول (خير) أى للسائل (من صدقة يتبعها أذى) لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الأولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن والأذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجليل أو بعفو السائل بناء على اعتبار الخيرية بالنسبة إلى المستول يؤدي إلى أن يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة إليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرّة (والله غنى) لا يحوج الفقراء إلى تحمل مؤنة المن والأذى ويزرقهم من جهة أخرى (حليم) لا يعاجل أصحاب المن والأذى بالعقوبة لا أنهم لا يستحقونها بسببها والجملة تذييل
- لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية بالنسبة إلى السائل قطعاً (بأيها الذين آمنوا)

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَفَاتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ البقرة

- أقبل عليهم بالخطاب لإثبات ما بين بطريق الغيبة مبالغة في إيجاب العمل بموجب النهي (لا تبطلوا
- صدقاتكم بالمن والاذى) أى لا تحبطوا أجرها بواحد منهما (كالذى) فى محل النصب إما على أنه نعت
- لمصدر محذوف أى لا تبطلوها بإبطال الذى (ينفق ماله رثاء الناس) وإما على أنه حال من فاعل
- لا تبطلوا أى لا تبطلوها مشابهين الذى ينفق أى الذى يبطل إنفاقه بالربا وقيل من ضمير المصدر
- المقدر على ما هو رأى سيئويه وانتصاب رثاء إما على أنه علة لينفق أى لأجل رثائهم أو على أنه حال من
- فاعله أى ينفق ماله مرثياً والمراد به المنافق لقوله تعالى (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) حتى يرجوا
- ثواباً أو يخشى عقاباً (فثله) الفاء لربط ما بعدها بما قبلها أى فثل المرائى فى الإنفاق وحالته العجيبة
- (كمثل صفوان) أى حجر أملس (عليه تراب) أى شيء يسير منه (فأصابه وابل) أى مطر عظيم القطر
- (فتركه صلباً) أملس ليس عليه شيء من الغبار أصلاً (لا يقدر أن على شيء مما كسبوا) لا ينتفعون بما
- فعلوا رثاء ولا يحدون له ثواباً قطعاً كقوله تعالى لجعلناه هباء منثوراً والجملة استئناف مبنى على السؤال
- كأنه قيل فإذا يكون حالهم حينئذ قليل لا يقدر أن الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من
- يشبههم وهم أصحاب المن والاذى كذلك والضمير ان الأخيران للوصول باعتبار المعنى كما فى قوله عز
- وجل وخضتم كالذى خاضوا لما أن المراد به الجنس أو الجمع أو الفريق كما أن الضمائر الأربعة السابقة
- له باعتبار اللفظ (واه لا يهدى القوم الكافرين) إلى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله
- وفيه تعريض بأن كلام من الربا والمن والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين أن يجتنبوها (ومثل ٢٦٥
- الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله) أى لطلب رضاه (وتثبيتاً من أنفسهم) أى ولتثبيت بعض
- أنفسهم على الإيمان فمن تبعية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه فإن المال شقيق الروح فمن
- بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبتها كلها أو تصديقاً للإسلام
- وتحقيقاً للجزاء من أصل أنفسهم فمن ابتدائية كما فى قوله تعالى حسداً من عند أنفسهم ويحتمل أن يكون
- المعنى وتثبيتاً من أنفسهم عند المؤمنين أنها صادقة الإيمان مخرصة فيه وبعضه قراءة من قرأ أو تبيناً من
- أنفسهم وفيه تنبيه على أن حكمة الإنفاق للنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو رأس كل
- خطيئة (كمثل جنة ربوة) الربوة بالحركات الثلاث وقد قرئت بها المكان المرتفع أى مثل نفقتهم فى
- الزكاه كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مأمون من أن يصطلبه البرد للطفة هوائه بهبوب الرياح الملطفة
- له فإن أشجار الربا تكون أحسن منظرأ وأزكى ثمراً وأما الأراضى المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد
- لكثافة هوائها بركون الرياح وقرىء كمثل حبة (أصابها وابل) مطر عظيم القطر (فأتت أكلمها) ثمرتها
- وقرىء بسكون الكاف تخفيفاً (ضعفين) أى مثل ما كانت تثمر فى سائر الأوقات بسبب ما أصابها من

أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ البقرة

- الواو ابل والمراد بالضعف المثل وقيل أربعة أمثال ونصبه على الحال من أكلها أى مضاعفاً (فإن لم يصبها وابل فطل) أى فطل يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطر وقيل فالذى يصيبها طل والمعنى أن نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وإن كانت تنفوت باعتبار ما يقارنها من الأحوال ويجوز أن يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما أصابها من المطر الكثير واليسير فكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكلها فكذلك نفقتهم جلت أو قلت بعد أن يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله (والله بما تعملون بصير) لا يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب في الإخلاص
- ٢٦٦ مع تحذير من الرياء ونحوه (أيود أحدكم) الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لإنكار الوقوع كما في قوله أأضرب أبى لا لإنكار الواقع كما في قولك أأضرب أباك على أن مناط الإنكار ليس جميع ما تعلق به الود بل إنما هو إصابة الإعصار وما يتبعها من الاحتراق (أن تكون له جنة)
- وقرىء جنات (من نخيل وأعنان) أى كائنة منهما على أن يكون الأصل والركن فيها هذين الجنسيتين الشريفتين الجامعين لفنون المنافع والباقي من المستنبعات لا على أن لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الأشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير | كأن عيني في غربي مفئلة • من النواضع تسقى جنة سخفاً |
- وعلى الأرض المشتعلة عليها والاول هو الأنسب بقوله عز وجل (تجرى من تحتها الأنهار) على الثاني لا بد من تقدير مضاف أى من تحت أشجارها وكذا لا بد من جعل إسناد الاحتراق إليها فيه يأتي مجازياً والجملة في محل الرفع على أنها صفة جنة كما أن قوله تعالى من نخيل وأعنان كذلك أو في محل نصب على أنها حال منها لأنها موصوفة (له فيها من كل الثمرات) الظرف الأول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ أى صفة للمبتدأ قائمة مقامه أى له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم أى وما منا أحد إلا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل إنما هو التكثير كما في قوله تعالى وأوتيت من كل شيء (وأصابه الكبر) أى كبر السن الذى هو مظنة شدة الحاجة إلى منافعها ومثنة كمال العجز عن تدارك أسباب المعاش والواو حالية أى وقد أصابه الكبر (وله ذرية ضعفاء) حال من الضمير فى أصابه أى أصابه الكبر والحال أن له ذرية صغار لا يقدر على الكسب وترتيب مبادئ المعاش وقرىء ضعاف (فأصابها إعصار) أى ريح عاصفة تستدير فى الأرض ثم تنعكس منها ساطعة إلى السماء على هيئة العمود (فيه نار) شديدة (فاحترقت) عطف على فأصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل أعمال البر والحسنات ويضم إليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيامة عند كمال حاجته إلى ثوابها هباء منثوراً في التحسر

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِءَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ الْبَقَرَةُ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ الْبَقَرَةُ

- والتأسف عليها (كذلك) توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعاً قد مر وجهه مراراً أى مثل ذلك البيان
- الواضح الجارى فى الظهور مجرى الأمور المحسوسة (يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون) كى تتفكروا
- فيها وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) بيان ٢٦٧
- لحال ما ينفق منه لئلا يبين أصل الإنفاق وكيفيته أى أنفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى
- لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (ومما أخرجنا لكم من الأرض) أى من طيبات ما أخرجنا لكم من
- الحبوب والثمار والمعادن لحذف لدلالة ما قبله عليه (ولا تيمموا) بفتح التاء أصله ولا تيمموا وقرئ
- بضمها وقرئ ولا تأمروا والكل بمعنى القصد أى لا تقصدوا (الخبث) أى الردى الحسيس وهو كالطيب
- من الصفات الغالبة التى لا تذكر موصوفاتها (منه تنفقون) الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبث
- والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا أى لا تقصدوا الخبث قاصرين الإنفاق عليه أو من
- الخبث أى مختصاً به الإنفاق وأياً ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من إنفاق الخبث
- خاصة لا لتسوية إنفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا يتصدقون بحشف التمر
- وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبث والضمير للبال المدلول عليه بحسب المقام
- أو البوصولين على طريقة قوله | كأنه فى الجلد توليع البهق | أو للثاني وتخصيصه بذلك لما أن التفاوت
- فيه أكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور أى ولا تقصدوا الخبث كائناً من المال أو مما كسبتم وما
- أخرجنا لكم أو مما أخرجنا لكم منفقين إياه وقوله تعالى (ولستم بأخذيه) حال على كل حال من واو تنفقون
- أى والحال أنكم لا تأخذونه فى معاملتكم فى وقت من الأوقات أو بوجه من الوجوه (إلا أن تغمضوا
- فيه) أى إلا وقت إغماضكم فيه أو إلا بإغماضكم فيه وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية أو الاستعارة
- يقال أغمض بصره إذا غمضه وقرئ على البناء للفعول على معنى إلا أن تحملوا على الإغماض وتدخلوا
- فيه أو توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا
- تيمموا الخبث ثم استؤنف ف قيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال أنكم لا تأخذونه
- إلا إذا أغمضتم فيه ومآله الاستفهام الإنكارى فكأنه قيل أمته تنفقون الخ (واعلموا أن الله غنى) عن
- إنفاقكم وإنما يأمركم به لمنفعتكم وفى الأمر بأن يعلموا ذلك مع ظهور عليهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من
- إعطاء الخبث وإيدان بأن ذلك من آثار الجهل بشأنه تعالى فإن إعطاء مثله إنما يكون عادة عند اعتقاد
- المعطى أن الأخذ محتاج إلى ما يعطيه بل مضطر إليه (حميد) مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد
- بقبول الجيد والإثابة عليه (الشيطان يعدكم الفقر) الوعد هو الإخبار بما سيكون من جهة الخبر مترتباً ٢٦٨

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَئِ
الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ البقرة

- على شيء من زمان أو غيره يستعمل في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا أي
يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وإنما عبر عن ذلك بالوعد مع أن الشيطان
لم يصف مجيء الفقر إلى جهته للإبذان بمبالغته في الإخبار بتحقيق مجيئه كأنه نزل في تقرر الوقوع منزلة
أفعاله الواقعة بحسب إرادته أو لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرىء بضم الفاء
والسكون وبضمتين وبفتحتين (ويأمركم بالفحشاء) أي بالخصلة الفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع
الصدقات إغراء الأمر للأمور على فعل المأمور به والعرب تسمى البخيل فاحشاً قال طرفة بن العبد أرى
الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيقة مال الفاحش المتشدد [وقيل بالمعاصي والسيئات (والله يعدكم)
أي في الإنفاق (مغفرة) لذنوبكم والجار في قوله تعالى (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة
لفخامتها التي أفادها تنكيرها أي مغفرة أي مغفرة كائنة منه عز وجل (وفضلاً) صفته محذوفة لدلالة
المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لنظائره أي وفضلاً كائناً منه تعالى أي خلفاً
● مما أنفقتم زائداً عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثواباً في الآخرة (والله واسع) قدرة وفضلاً
● فيحقق ما وعدكم به من المغفرة وإخلاف ما تنفقونه (عليم) مبالغ في العلم فيعلم إنفاقكم فلا يكاد يضيع
أجركم أو يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون
٢٦٩ ما قبله (يؤتي الحكمة) قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه روى عن ابن نجيم أنها الإصابة في القول
والعمل وعن إبراهيم النخعي أنها معرفة معاني الأشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الأشياء وقيل
هي الإقدام على الأفعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل أنها تفسر في القرآن بأربعة أوجه فتارة بمواعظ
القرآن وأخرى بما فيه من عجائب الأسرار ومرة بالعلم والفهم وأخرى بالنبوة ولعل الأنسب بالمقام
ما ينتظم الأحكام المبينة في تضاعيف الآيات الكريمة من أحد الوجهين الأولين ومعنى إبتائها تبينها
● والتوفيق للعلم والعمل بها أي يبينها ويوفق للعلم والعمل بها (من يشاء) من عباده أن يؤتيها إياه بموجب
سعة فضله وإحاطة عليه كما آتاكم ما بينه في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموا
وسارعوا إلى العمل بها والموصول مفعول أول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستأنفة مقررة
● لمضمون ما قبلها (ومن يؤت الحكمة) على بناء المفعول وقرىء على البناء للفاعل أي ومن يؤته الله الحكمة
● والإظهار في مقام الإضمار لإظهار الاعتناء بشأنها والإشعار بعلّة الحكم (فقد أوتي خيراً كثيراً) أي أي
● خير كثير فإنه قد خير له خير الدارين (وما يذكر) أي وما يتعظ بما أوتي من الحكمة أو وما يتفكر فيها
● (إلا أولوا الأبواب) أي العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون إلى مشايعة الهوى وفيه من
الترغيب في المحافظة على الأحكام الواردة في شأن الإنفاق ما لا يخفى والجملة إما حال أو اعتراض تذييلي

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ البقرة
 إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ
 سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ البقرة

- (وما أنفقتم من نفقة) بيان لحكم كل شئ لجميع أفراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في ٢٧٠
 سبيل الله وما إما شرطية أو موصولة حذف عاندها من الصلة أي وما أنفقتموه من نفقة أي نفقة
 كانت في حق أو باطل في سر أو علانية قليلة أو كثيرة (أو نذرتم) النذر عقد الضمير على شيء والتزامه
 وفعله كضرب ونصر (من نذر) أي نذر كان في طاعة أو معصية بشرط أو بغير شرط متعلق بالمال
 أو بالأفعال كالصيام والصلاة ونحوهما (فإن الله يعلمه) الفاء على الأول داخلية على الجواب وعلى الثاني
 مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة أو كما
 في قولك زيد أو عمرو أكرمه ولا يقال أكرمتها ولهذا صير إلى التأويل في قوله تعالى إن يكن غنياً
 أو فقيراً فالله أولى بهما بل يعاد الضمير تارة إلى المقدم رعاية للأولية كما في قوله عز وإذا رأوا
 تجارة أو لهوا انفضوا إليها وأخرى إلى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى
 ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً وحمل النظم على تأويلهما بالمذكور ونظائره أو على حذف
 الأول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
 الله وقوله نحن بما عندنا وأنت بما عندك زاض والرأى مختلف | ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة
 تعسف مستغنى عنه نعم يجوز إرجاع الضمير إلى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بأننا كيد
 مضمونها لإفادة لتحقيق الجزاء أي فإنه تعالى يجازيكم عليه البتة إن خير أئمة إن شر أئمة فهو ترغيب
 وترهيب ووعد ووعيد (وما للظالمين) بالإيقاع والنذر في المعاصي أو بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذر
 أو بإيقاع الحبس أو بالرياء والمن والأذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء
 في غير موضعه الذي يحق أن يوضع فيه (من أنصار) أي أعوان ينصرونهم من بأس الله وعقابه لاشفاعة
 ولا مدافعة وإيراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين أي وما لظالم من الظالمين من نصير من الأنصار والجملة
 استثنائية مقرر لما في قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الأعوان ورعاية
 الخللان (إن تبدوا الصدقات فنعما هي) نوع تفصيل لمعض ما أجل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف ١٧١
 بينهما أي إن تظهروا الصدقات فنعما شيئاً إبداءها بعد أن لم يكن رياء وسمعة وقرىء بفتح النون وكسر
 العين على الأصل وقرىء بكسر النون وسكون العين وقرىء بكسر النون وإخفاء حركة العين وهذا في
 الصدقات المفروضة وأما في صدقة التطوع فالإخفاء أفضل وهي التي أرادت بقوله تعالى (وإن تخفوها)
 أي تعطوها خفية (وتؤتوها الفقراء) ولعل التصريح بإيتائها الفقراء مع أنه واجب في الإبداء أيضاً
 لما أن الإخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فإن الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرّاً ولا

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسْكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا
ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٧﴾ البقرة

- يفعل ذلك عند الناس (فهو خير لكم) أى فالإخفاء خير لكم من الإبداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال وأما في الواجب فالأمر بالعكس لدفع التهمة . عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفاً وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفاً
- (ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى والله يكفر أو الإخفاء ومن تبعية أى شيئاً من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على رأى الأخفش وقرئ بالتاء مرفوعاً ومجزوماً على أن الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعاً عطفاً على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ونحن نكفر أو على أنها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوماً عطفاً على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط (والله بما تعملون) من
- ٢٧٧ الإسرار والإعلان (خبير) فهو ترغيب في الإسرار (ليس عليك هدام) أى لا يجب عليك أن تجعلهم مهدين إلى الإتيان بما أمروا به من المحاسن والانهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وإنما الواجب عليك الإرشاد
- إلى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما أوحى إليك من الآيات والذكر الحكيم (ولكن الله يهدي) هداية خاصة موصلة إلى المطلوب حتماً (من يشاء) هدايته إلى ذلك عن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جىء بها على تلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله ﷺ مع الالتفات إلى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فإن الإخبار بعدم وجوب تدارك
- أمرهم على النبي ﷺ مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله ﷺ المسلمين عن التصديق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزلت أى ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لأجل دخولهم في الإسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى (وما تنفقوا من خير)
- على الأول التفات من الغيبة إلى خطاب المكلفين لزيادة هزم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه إليهم وصرفه عن النبي ﷺ وما شرطية جازمة لتنفقوا منتزعة به على المفعولية ومن تبعية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبنية ومخصصة له أى أى شيء تنفقوا كائن من مال (فلا أنفسكم) أى فهو لأنفسكم لا ينفذ به غيركم فلا تمنوا على من أعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الحديث أو
- فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينفع به من حيث الدين من فقراء المشركين (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) استثناء من أعم العلل أو أعم الأحوال أى ليست نفقتكم لشيء من الأشياء إلا لا ابتغاء وجه الله أو ليست في حال من الأحوال إلا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون
- بها وتنفقون الحديث الذي لا يوجد مثله إلى الله تعالى وقيل هو نفى في معنى النهي (وما تنفقوا من خير يوف إليكم) أى أجره وثوابه أضعافاً مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ
التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ البقرة
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُمْ يُخْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ البقرة

- على أحسن الوجوه وأجملها فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة أو يوف إليكم ما يخلفه وهو من نتائج
دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للنفق خلفاً وللتمسك تلفاً وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر فأتتها
أمها تسألها وهي مشرعة فأبت أن تعطياها وعن سعيد بن جبير أنهم كانوا يتقون أن يرضخوا القراء باتهم من
المشركين وروى أن ناساً من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود دور ضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام
فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا فزلت وهذا في غير الواجب وأما الواجب فلا يجوز صرفه إلى الكافر وإن
كان ذمياً (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون شيئاً مما وعدتم من الثواب المضاعف أو من الخلف (للفقراء) ٢٧٣
متعلق بمحذوف ينساق إليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات إلى فرعون أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا
ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء (الذين أحصروا في سبيل الله) بالغزو والجهاد (لا يستطيعون)
لا اشتغالهم به (ضرباً في الأرض) أي ذهاباً فيها للكسب والتجارة وقيل هم أهل الصفة كانوا رضى الله عنهم نحواً
من أربع مائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغفرون أوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون
في كل سرية بعثهم رسول الله ﷺ (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من التعفف) أي من أجل تعففهم عن
المسألة (تعرفهم بسيماهم) أي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعين منهم من الضعف ورثانة الحال والخطاب
لرسول عليه السلام أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم (لا يسألون الناس
إلحافاً) أي إلحاحاً وهو أن يلزم السائل المستول حتى يعطيه من قولهم لحفى من فضل لحافه أي أعطاني
من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئاً وإن سألوا الحاجة اضطررتهم إليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا
الأمرين جميعاً على طريقة قوله [على لا حب لا يهتدى لمناره] أي لا منار ولا اهتداء (وما تنفقوا من
خير فإن الله به عليم) فيجازيكم بذلك أحسن جزاء فهو ترغيب في التصديق لاسيما على هؤلاء (الذين
ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية) أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير والصدقة وقيل
نزلت في شأن الصديق رضى الله عنه حيث تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف منه بالليل وعشرة
بالنهار وعشرة سراً وعشرة علانية وقيل في علي رضى الله عنه حين لم يكن عنده إلا أربعة دراهم فتصدق
بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للإيذان
بمزية الإخفاء على الإظهار وقيل في رباط الخيل والإنفاق عليها (فلهم أجرهم عند ربهم) خبر للموصول
والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين ألحوا بذلك جوز
٣٤٠ - أبو السعود ج ١

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّقَها
فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ البقرة

- ٢٧٥ الوقف على علانية (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم تفسيره (الذين يأكلوا الربا) أى يأخذونه
والتعبير عنه بالأكـل لما أنه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو
الزيادة في المقدار أو في الأجل حسبما فصل في كتب الفقه وإنما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم
● في أمثاله وزيدت الألف تشبيهاً بواو الجمع (لا يقومون) أى من قبورهم إذا بعثوا (إلا كما يقوم الذى
يتخبطه الشيطان) أى إلا قياماً كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان
● فيصرع والخبط الضرب بغير استواء خبط العشواء (من المس) أى الجنون وهذا أيضاً من زعماتهم
أن الجنى يمسّه فيختلط عقله فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفى أى لا يقومون
من المس الذى بهم بسبب أكلهم الربا أو يقيمون أو يتخبطه فيسكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم بل لأن الله تعالى أربى في بطونهم ما أكلوا من الربا فأثقلهم فصاروا مخبلين
● ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من حالهم وما
● فى اسم الإشارة من معنى البعد للإيدان بفضاعة المشار إليه (بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) أى ذلك
العقاب بسبب أنهم نظمو الربا والبيع فى سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه كاستحلاله وقالوا
يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا أصلاً فى الحل وقاسوا به
البيع مع وضوح الفرق بينهما فإن أحد الدرهمين فى الأول ضائع حتماً وفى الثانى منجبر بمساس
● الحاجة إلى السلعة أو بتوقع رواجها (وأحل الله البيع وحرم الربا) إنكار من جهة الله تعالى لتسويتهم
ولإبطال للقياس لوقوعه فى مقابلة النص مع ما أشير إليه من عدم الاشتراك فى المناط والجملة ابتدائية
● لاحتلالها من الإعراب (فمن جاءه موعظة) أى فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا ونهى عنه جاءته
(من ربه) متعلق بجاءه أو بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة للإشعار
● بكون مجيء الموعظة للربوبية (فانتهى) عطف على جاءه أى فانتعظ بلا تراخ وتبع النهى (فله ما سلف)
أى ما تقدم أخذه قبل التحريم ولا يسترده منه وما مرتفع بالظرف إن جعلت من موصولة
● وبالا ابتداءً إن جعلت شرطية على رأى سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله (وأمره إلى الله) يجازيه
● على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم فى شأنه ولا اعتراض لكم عليه (ومن
● عاد) أى إلى تحليل الربا (فأولئك) إشارة إلى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما أن الأفراد فى عاد باعتبار
● اللفظ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم فى الشر والفساد (أصحاب النار) أى ملازموها
● (هم فيها خالدون) ما كثر فيها أبداً والجملة مقررّة لما قبلها .

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ البقرة
 إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ البقرة

يُنَاقِشُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ البقرة
 فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ
 وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ البقرة

- (يمحق الله الربا) أى يذهب ببركته ويملك المال الذى يدخل فيه (ويربى الصدقات) يضاعف ثوابها ٢٧٦
 ويبارك فيها ويزيد المال الذى أخرجت منه الصدقة . روى عنه عليه السلام إن الله يقبل الصدقة ويربها كما يربى
 أحدهم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام ما نقصت زكاة من مال قط (والله لا يحب) أى لا يرضى لأن الحب
 مختص بالتوايين (كل كفار) مصر على تحليل المحرمات (أثيم) منهمك فى ارتكابه (إن الذين آمنوا) بالله ٢٧٧
 ورسوله وبما جاءهم به (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما
 فى الصالحات لاناقتما على سائر الأعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكال عقيب الملائكة عليهم
 السلام (لهم أجرهم) جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبراً لأن أى لهم أجرهم الموعود لهم وقوله تعالى (عند
 ربهم) حال من أجرهم وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الإفاضة إلى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم
 (ولا خوف عليهم) من مكروه آت (ولا هم يحزنون) من محبوب فات (بأيها الذين آمنوا اتقوا الله) ٢٧٨
 أى قوا أنفسكم عقابه (وذروا ما بقى من الربا) أى واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركاً كلياً
 (إن كنتم مؤمنين) على الحقيقة فإن ذلك مستلزم لامتنال ما أمرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة
 بما قبله أى إن كنتم مؤمنين فاتقوا وذروه الخ . روى أنه كان لثقيف مال على بعض قریش فطالبوهم عند
 المحل بالمال والربا فنزلت (فإن لم تفعلوا) أى ما أمرتم به من الاتقاء وترك البقايا إمام مع إنكار حرمة ٢٧٩
 وإمام مع الاعتراف بها (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أى فاعلموا بها من أذن بالشئ إذا علم به أما على
 الأول فكحرب المرتدين وأما على الثانى فكحرب البغاة . وقرئ فآذنوا أى فاعلموا غيركم قيل هو من
 الأذان وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وقرئ فأيقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتسكير حرب للنفخيم
 ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها أى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن
 من عند الله ورسوله روى أنه لما نزلت قالت ثقيف لا بد لنا بحرب الله ورسوله (وإن تبتم) من الارتباء
 مع الإيمان بحرماتها بعد ما سمعتموه من الوعيد (فلكم رؤوس أموالكم) تأخذونها كلها (لا تظلمون)
 غرامكم بأخذ الزيادة والجملة إما مستأنفة لا محل لها من الإعراب أو حال من الضمير فى لكم والعامل
 ما تضمنه الجار من الاستقرار (ولا تظلمون) عطف على ما قبله أى لا تظلمون أتم من قبلهم بالمطل

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ البقرة
وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ البقرة

والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لأن عدمها إن كان مع إنكار
الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند أبي حنيفة رضى الله عنه وكذا
سائر أموالهم عند الشافعى وعندنا هو لورثتهم ولا شيء لهم على كل حال وإن كان مع الاعتراف بها فإن
كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رهوسهم فكيف برهوس أموالهم وإلا فكذلك عند ابن
عباس رضى الله عنهما فإنه يقول من عامل الربا يستتاب وإلا ضرب عنقه وأما عند غيره فهم محبسون
إلى أن تظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات أصلاً فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من أموالهم بل إنما
يسلم بموتهم لورثتهم (وإن كان ذو عسرة) أى إن وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على أن كان تامة
● وقرىء ذاعسرة على أنها ناقصة (فنظرة) أى فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فلتكن نظرة وهى الإنظار
والإمهال وقرىء فناظره أى فالمستحق ناظره أى منتظره أو فصاحب نظره على طريق النسب وقرىء
● فناظره أمراً من المفاعلة أى فسأحه بالنظرة (إلى ميسرة) أى إلى يسار وقرىء بضم السين وهما لغتان
كشركة ومشاركة وقرىء بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كما فى قوله [وأخلفوك عداً] الذى
● وعدوا [(وأن تصدقوا)] بحذف إحدى التائين وقرىء بتشديد الصاد أى وأن تصدقوا على معسرى
● غرمائكم بالإبراء (خير لكم) أى أكثر ثواباً من الإنظار أو خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه
فهو ندى إلى أن تصدقوا برهوس أموالهم كلاً أو بعضاً على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وأن
تعفوا أقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحمل دين رجل مسلم فيؤخره
● إلا كان له بكل يوم صدقة (إن كنتم تعلمون) جوابه محذوف أى إن كنتم تعلمون أنه خير لكم عملتموه
٢٨١ (واتقوا يوماً) هو يوم القيامة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للبالغة فى التحذير عما فيه
● من الشدائد والأهوال (ترجعون فيه) على البناء للمفعول من الرجوع وقرىء على البناء للفاعل من الرجوع
● والاول أدخل فى التهويل وقرىء بالياء على طريق الالتفات وقرىء تردون وكذا تصيرون (إلى الله)
● لمحاسبة أعمالكم (ثم توفى كل نفس) من النفوس والتعميم للبالغة فى تهويل اليوم أى تعطى كلاً (ما
● كسبت) أى جزاء ما عملت من خير أو شر (وهم لا يظلمون) حال من كل نفس تفيد أن المعاقبين وإن
كانت عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين فى ذلك لما أنه من قبل أنفسهم وجمع الضمير لأنه أنسب بحال الجزاء
كما أن الأفراد أوفق بحال الكسب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها آخراية نزل بها جبريل عليه
السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله ﷺ بعدها أحداً وعشرين يوماً
وقيل أحداً وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات .

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْعًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقُوكُمْ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ٢ البقرة

- (يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين) شروع في بيان حال المدانة الواقعة في تصاعيف المعاوضات الجارية ٢٨٢
- فيما بينهم ببيع السلع بالنقود بعد بيان حال الربا أي إذا دايين بعضكم بعضاً وعامله نسيئة معطياً أو أخذاً وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة أو التنبية على تنوعه إلى الحال والمؤجل وأنه الباعث على الكتابة وتعين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر (إلى أجل) متعلق بتداينتم أو بمحذوف وقع ●
- صفة لدين (مسمى) بالأيام أو الأشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ●
- ونحوهما مما لا يرفعها (فاكتبوه) أي الدين بأجله لأنه أوثق وأرفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ●
- ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح في السلف (وليكتب بينكم كاتب) ●
- بيان لكيفية الكتابة المأمور بها وتعيين لمن يتولاها إثر الأمر بها إجمالاً وحذف المفعول إما لتعيينه أو ●
- للقصد إلى إيقاع نفس الفعل أي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للإيدان بأن الكاتب ينبغي أن يتوسط بين المتدائنين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام أحدهما وقوله تعالى (بالعدل) متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب ●
- أي كاتب كائن بالعدل أي وليكن المتصدى للكتابة من شأنه أن يكتب بالسوية من غير ميل إلى أحد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو أمر للمتدائنين باختيار كاتب فقيه دين حتى يحجى كتابه موثقاً به معدلاً بالشرع ●
- ويجوز أن يكون حالاً منه أي ملتبساً بالعدل وقيل متعلق بالفعل أي وليكتب بالحق (ولا يأب كاتب) ●
- أي ولا يمتنع أحد من الكتاب (أن يكتب) كتاب الدين (كما علمه الله) على طريقة ما علمه من كتبه الوثائق ●
- أو كما بينه بقوله تعالى بالعدل أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابه كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك (فليكتب) تلك الكتابة المعلمة أمر بها بعد النهي عن إبانها تأكيداً لها ويجوز ●
- أن تتعلق الكاف بالامر على أن يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة (وليملل الذي ●

- عليه الحق) الإملال هو الإملاء أى وليكن المملى من عليه الحق لأنه المشهود عليه فلا بد أن يكون
- هو المقر (وليتق الله ربه) جمع ما بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير أى وليتق المملى
 - دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى (ولا يبخس منه) أى من الحق الذى يملكه على الكاتب (شيثاً) فإنه
 - الذى يتوقع منه البخس خاصة وأما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو أريد نهيته لنهى
 - عن كليهما وقد فعل ذلك حيث أمر بالعدل وإنما شدد في تكليف المملى حيث جمع فيه بين الأمر بالاتقاء
 - والنهى عن البخس لما فيه من الدواعى إلى المأبى عنه فإن الإنسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه
 - وتخفيف ما في ذمته بما أمكن (فإن كان الذى عليه الحق) صرح بذلك في موضع الإضمار لزيادة الكشف
 - والبيان لا لأن الأمر والنهى لغيره (سفيها) ناقص العقل مبذراً مجازفاً (أو ضعيفاً) صديقاً أو شيخاً مختلاً
 - (أو لا يستطيع أن يمل هو) أى غير مستطيع للإملاء بنفسه لخرس أو عى أو جهل أو غير ذلك من
 - العوارض (فليملل وليه) أى الذى بلى أمره ويقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم (بالعدل) أى من
 - غير نقص ولا زيادة لم يكاف بعين ما كلف به من عليه الحق لأنه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس
 - (واستشهدوا شهيدين) أى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المدانة وتسميتهما شهيدين
 - لتزيل المشارف منزلة الكائن (من رجالكم) متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية أو بمحذوف وقع صفة
 - لشهيدين ومن تبعيضية أى شهيدين كائنين من رجال المسلمين الأحرار إذ الكلام في معاملاتهم فإن خطابات
 - الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه وأما إذا كانت المدانة بين الكفرة أو كان من
 - عليه الحق كافراً فيجوز استشهد الكافر عندنا (فإن لم يكونا) أى الشهيدين جميعاً على طريقة نفي الشمول
 - لا شمول النفي (رجلين) إما لإعوازهما أو لسبب آخر من الأسباب (فرجل وامرأتان) أى فليشهد
 - رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الأموال خاصة
 - عند الشافعى (من ترضون) متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان أى كائنون مرضيين عندكم
 - وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين
 - أى كائنين ممن ترضون ورد بأنه يلزم الفصل بينهما بالأجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد
 - بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله
 - وقوله عز وجل (من الشهداء) متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع إلى الموصول
 - أى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعليكم بعد انهم وثقتكم بهم وإدراج النساء في الشهداء بطريق
 - التغليب (أن تفضل إحداها فتذكر إحداها الأخرى) تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة
 - هي التذكير ولكن الضلال لما كان سبباً له نزل منزلته كما في قولك أعددت السلاح أن يحمى عدو فأدفعه
 - كأنه قيل أن تذكر إحداها الأخرى إن ضلت الشهادة بأن نسيتهما ولعل لإيثار ما عليه النظم الكريم على
 - أن يقال أن تفضل إحداها فتذكرها الأخرى لنا كيد الإيهام والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص
 - الضلال بإحداها بعينها والتذكير بالأخرى وقرئ فتذكر من الأذكاء وقرئ فتذا كرو قرئ أن تفضل
 - على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه (ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا) لا داء

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ رِءُوسٌ لِلْقَلْبِ وَأَلَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ البقرة

- الشهادة أو لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما يزيد عن فتادة أنه كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت (ولا تساموا) أي لا تملوا من كثرة مدايناتكم (أن تكتبوه) أي الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كنى به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى وقد قال النبي ﷺ لا يقول المؤمن كسلت (صغيراً أو كبيراً) حال من الضمير أي حال كونه صغيراً أو كبيراً أي قليلاً أو كثيراً أو مجحلاً أو مفصلاً (إلى أجله) متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه أي مستقراً في الذمة إلى وقت حلوله الذي أقربه المديون (ذلكم) إشارة إلى ما أمر به من الكتب والخطاب للبؤمنين (أقسط) أي أعدل (عند الله) أي في حكمه تعالى (وأقوم للشهادة) أي أثبت لها وأعون على إقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام فإنه قياسي عند سيبويه أو من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجوده (وأدنى أن لا ترتابوا) وأقرب إلى انتفاء ريكم في جنس الدين وقدره وأجله وشهوده ونحو ذلك (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم) استثناء منقطع من الأمر بالكتابة أي لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيها يدأييد (فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) أي فلا بأس بأن لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرىء برفع تجارة على أنها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها أو على أنها تامة (وأشهدوا إذا تبايعتم) أي هذا التبايع أو مطلقاً لأنه أحوط والأوامر الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في إحكامها ونسخها (ولا يضار كاتب ولا شهيد) نهى عن المضارة محتمل للبناءين كما ينبي عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الإجابة والتغيير والتحريف في الكتابة والشهادة أو نهى الطالب عن الضرار بهما بأن يجعلهما عن مهمهما أو يكلفهما الخروج عما حد لهما أو لا يعطى الكاتب جعله وقرىء بالرفع على أنه نفى في معنى النهى (وإن تفعلوا) ما نهيتهم عنه من الضرار (فإنه) أي فعلكم ذلك (فسوق بكم) أي خروج عن الطاعة ملتبس بكم (واتقوا الله) في مخالفة أوامره وتواهبه التي من جملتها نهيه عن المضارة (ويعلمكم الله) أحكامه المتضمنة لمصالحكم (والله بكل شيء عليم) فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لإدخال الروعة وترتبة المهابة والتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فإن الأولى حث على التقوى والثانية وعد بالإنعام والثالثة تعظيم لشأنه تعالى (وإن كنتم على سفر) أي مسافرين أو متوجهين إليه ٢٨٣ (ولم تجدوا كاتباً) في المدائنة وقرىء كتاباً وكتباً وكتاباً (فرهان مقبوضة) أي فالذى يستوثق به أو

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ البقرة

- فعليكم أو فليؤخذ أو فالمشروع رهن مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لأنه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودى بعشرين صاعاً من شعير أخذه لأهله بل لإقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق بالسكينة في السفر الذي هو مظنة إغواها وإنما لم يتعرض لحال الشاهد لما أنه في حكم الكاتب توثيقاً وإعوازاً والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرىء فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرىء بكون الهاء تخفيفاً (فإن أمن بعضكم بعضاً) أى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بأمانته عن الارتهان وقرىء فإن أو من بعضكم أى آمنه الناس ووصفوه بالأمانة قيل فيكون انتصاب بعضاً حينئذ على نزع الخافض أى على متاع بعض (فليؤد الذى أؤتمن) وهو المديون وإنما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقاً للإعلام وللملح على الأداء (أمانته) أى دينه وإنما سمي أمانة لانتهاه عليه بترك الارتهان به وقرىء أئتمن بقلب الهمزة ياء وقرىء بإدغام الياء في التاء وهو خطأ لأن المنقلبة من الهمزة لا تدغم لأنها في حكمها (وليتق الله ربه) في رعاية حقوق الأمانة وفي الجمع بين عنوان الألوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ● (ولا تكتموا الشهادة) أيها الشهود أو المديونون أى شهادة تكتم على أنفسكم عند المعاملة (ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) آثم خبر إن وقلبه مرفوع به على الفاعلية كأنه قيل يأثم قلبه أو مرفوع بالاقتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر إن وإسناد الإثم إلى القلب لأن الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا إلى العين والأذن أول للبالغه لأنه رئيس الأعضاء وأفعاله أعظم الأفعال كأنه قيل تمكن الإثم في نفسه وملك أشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه . عن ابن عباس رضى الله عنهما إن أكبر الكبائر الإشراف بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرىء قلبه بالنصب كما في سفه نفسه ٢٨٤ وقرىء آثم قلبه أى جعله آثماً (والله بما تعملون عليم) فيجازيكم به إن خيراً أو خيراً وإن شراً فشر (لله ما في السموات وما في الأرض) من الأمور الداخلة في حقيقتهم والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من أولى العلم وغيرهم أى كلها له تعالى خلقاً وملكاً وتصرفاً لاشركة لغيره في شئ منها بوجه من الوجوه (وإن تبدوا ما فى أنفسكم) من السوء والعزم عليه بأن تظهروه للناس بالقول أو بالفعل (أو تخفوه) بأن تكتموا منهم ولا تظهروه بأحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوسوس وأحاديث النفس التي لا عقد ولا عزيمة فيها إذ التكليف بحسب الوسع (يحاسبكم به الله) يوم القيامة وهو حجة على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به وأما تقديم الإبداء على الإخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله فلما أن المعلق بما فى أنفسهم ههنا هو المحاسبة والأصل فيها الأعمال البادية وأما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالأعمال الخفية

ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ البقرة

- كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن أن يكون بطريق حصول الصور بل وجود كل شيء في نفسه في أي طور كان علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة خلا أن مرتبة الإخفاء متقدمة على مرتبة الإبداء إذ ما من شيء يبدى إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمرة في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر في تفسير قوله تعالى أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (فيغفر) بالرفع على الاستئناف أي فهو يغفر بفضله (لمن يشاء) أن يغفر له (ويعذب) بعدله (من يشاء) أن يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفاً على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على أنهما بدل من الجواب بدل البعض أو الاشتغال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط في قوله [متى تأتانا لنعلم بنافي ديارنا] ٥ تجدد خطباً جزلاً وناراً تاججاً وإدغام الراء في اللام لحن (والله على كل شيء قدير) تذييل مقرر لمضمون ما قبله فإن كمال قدرته تعالى على جميع الأشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب (آمن الرسول) لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة أن ما أنزل إلى الرسول ٢٨٥ ﷺ من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الإيمان به وبما أنزل قبله من الكتب الإلهية وأنهم حازون لإثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقيق انصافهم بها إذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سؤال الأمم وغير ذلك ما تقتضيه الحكمة شرحه عين في خاتمها المتصفون بها وحكم بانصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكال الإيمان وحسن الطاعة وذكر ﷺ بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما أن حق الشهادة الباقية على مر الدهور أن لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكى عنهم من الدعوات الآتية لإيداناً بأنه أمر محقق غنى عن التصریح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وإيراده ﷺ بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه ﷺ صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى (بما أنزل إليه) ومزید توضیح لاندراجہ فی الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما أنزل إليه ما يعم كله وكل جزء من أجزائه ففيه تحقيق لكيفية إيمانه ﷺ وتعيين لعنوانه أي آمن عليه السلام بكل ما أنزل إليه (من ربه) إيماناً تفصيلياً متعلقاً بجميع ما فيه من الشرائع والأحكام والقصص والمواعظ وأحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث إنه منزل منه تعالى وأما الإيمان بحقيقة أحكامه وصدق أخباره ونحو ذلك فمن فروع الإيمان به من الحيثية المذكورة وفي هذا الإجمال لإجلال لمحله ﷺ وإشعار بأن تعلق إيمانه بتفاصيل ما أنزل إليه وإحاطته بجميع ما انطوى
- ٣٥٥ - أبو السعود ج ١

عليه من الظهور بحيث لا حاجة إلى ذكره أصلاً وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى
 • ضميره عليه السلام تشریف له وتنبيه على أن إنزاله إليه تربية وتكميل له عليه السلام (والمؤمنون) أى
 الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لإفنائها إلى خلو الكلام عن الجدوى وهو
 • مبتدأ وقوله عز وجل (كل) مبتدأ ثان وقوله تعالى (آمن) خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والرابط
 بينهما الضمير الذى ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لما أن المراد
 بيان إيمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك فى قوله تعالى وكل أتوه داخرين وتغيير
 سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد الإشعار بما بين إيمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين
 إيمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلى كأنهما مختلفان من كل وجه
 حتى فى هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الإسناد لما فى الحكم بإيمان كل واحد منهم على الوجه
 • الآتى من نوع خفاء محجج إلى التقوية والتأكيد أى كل واحد منهم آمن (باقه) وحده من غير شريك
 • له فى الألوهية والمعبودية (وملائكته) أى من حيث أنهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط
 بينه تعالى وبين الرسل بإزالة الكتب وإلقاء الوحي فإن مدار الإيمان بهم ليس من خصوصيات ذواتهم
 • فى أنفسهم بل هو من إضافتهم إليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب فى النظم (وكتبه
 ورسله) أى من حيث مجيئهما من عنده تعالى لإرشاد الخلق إلى ما شرع لهم من الدين بالآمر والنهى
 لكن لا على الإطلاق بل على أن كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى إلى رسول معين من أولئك
 الرسل عليهم الصلاة والسلام حسبما فصل فى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم
 وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم الآية ولا على
 أن مناط الإيمان خصوصية ذلك الكتاب أو ذلك الرسول بل على أن الإيمان بالكل مندرج فى الإيمان
 بالكتاب المنزل إلى الرسول ﷺ ومستند إليه لما تلى من الآية الكريمة ولا على أن أحكام الكتب السالفة
 وشرائعها باقية بالكلية ولا على أن الباقي منها معتبر بالإضافة إليها بل على أن أحكام كل واحد منها كانت
 حقة ثابتة إلى ورود كتاب آخر ناسخ له وأن ما لم ينسخ منها إلى الآن من الشرائع والأحكام ثابتة من
 حيث إنها من أحكام هذا الكتاب المصون عن النسخ إلى يوم القيامة وإنما لم يذكر ههنا الإيمان باليوم
 الآخر كما ذكر فى قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين لا ندراجه
 فى الإيمان بكتبه وقرىء وكتابه على أن المراد به القرآن أو جنس الكتاب كما فى قوله تعالى فبعث الله
 النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع أنه شائع فى أفراد الجنس والجمع
 فى جموعه ولذلك قيل الكتاب أكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى بما أنزل إليه
 من ربه اقتصر عليه لإبذانا بكفايته فى الإيمان الإجمالى المتحقق فى كل فرد من أفراد المؤمنين من غير نفي
 لزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت إيمانهم بالأمور المذكورة فى مراتب التفصيل تفاوتاً فاحشاً
 فإن الإجمال فى الحكاية لا يوجب الإجمال فى المحكى كيف لا وقد أجمل فى حكاية إيمانه عليه السلام بما
 أنزل إليه من ربه مع بداهة كونه متعلقاً بتفاصيل ما فيه من الجلال والقدائق ثم إن الأمور المذكورة

حيث كانت من الأمور الغيبية التي لا يوقف عليها إلا من جهة العلم الخبير كان الإيمان بها مصداقاً لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الإيمان بالغيب وأما الإيمان بكتبه تعالى فأشارة إلى ما في قوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز أن يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفاً على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع إلى المعطوفين معاً كأنه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل إليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا أنه قدم المؤمن به على المعطوف اعتناءً بشأنه وإبذاناً بأصالته عليه السلام في الإيمان به ولا يخفى أنه مع خلوه عما في الوجه الأول من كمال إجلال شأنه عليه السلام وتفضيل إيمانه محل بجزالة النظم الكريم لأنه إن حمل كل من الإيمانين على ما يليق بشأنه عليه السلام من حيث الذات ومن حيث التعلق بالتفاصيل استحال إسنادهما إلى غيره عليه السلام وضاع التكرير وإن حمل على ما يليق بشأن آحاد الأمة كان ذلك خطأً لرتبته العلية عليه السلام وأما حملهما على ما يليق بكل واحد من نسبا إليه من الآحاد ذاتاً وتعلقاً بأن يحمل بالنسبة إلى الرسول ﷺ على الإيمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة إلى آحاد الأمة على الإيمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الإجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله وقوله تعالى (لا تفرق بين أحد من رسله) في حين النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية للجانب المعنى منصوب على أنه حال من ضمير آمن أو مرفوع على أنه خبر آخر لكل أى يقولون لا تفرق بينهم بأن تؤمن ببعضهم ونكفر بآخرين بل تؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به إيمانهم تحقيقاً للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث أجمعوا على الكفر بالرسول ﷺ واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام أيضاً على أن مقصودهم الأصلى إبراز إيمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا إظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في أن القائمين بآحاد المؤمنين خاصة إذ لا يمكن أن يسند إليه عليه السلام أن يقول لا أفرق بين أحد من رسله وهو يريد به إظهار إيمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور إياه وإتمامه يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لما أن الأصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرىء بالياء على إسناد الفعل إلى كل وقرىء لا يفرقون حملاً على المعنى كما في قوله تعالى وكل أتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس إذ المراد شمول النفي لآل النفي الشمول والكلام في همزة أحد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا تفرق بين أحد منهم وفيه من الدلالة صريحاً على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائناً من كان ما ليس في أن يقال لا تفرق بين رسله وإيثار إظهار الرسل على الإضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما أوتى النبيون من ربهم لا تفرق بين أحد منهم إما للاحتراز عن توهم اندارج الملائكة في الحكم أو للإشعار بعلّة عدم التفريق أو للإيماء إلى عنوانه لأن الاعتبار عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحثيات الخاصة (وقالوا) عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية لامثالهم بالأمر إثر حكاية

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا
بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ البقرة

- إيمانهم (سمعنا) أى فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته (وأطعنا) مافيه من الأوامر والنواهي وقيل
- سمعنا أجبنا دعوتك وأطعنا أمرك (غفرانك ربنا) أى اغفر لنا غفرانك أو نسألك غفرانك ذنوبنا
- المتقدمة أو مالا يخلو عنه البشر من التقصير فى مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب
- الغفران لما أن تقديم الوسيلة على المستول أدعى إلى الإجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع
- الإضافة إليهم للبالغة فى التضرع والجوار (وإليك المصير) أى الرجوع بالموت والبعث لا إلى غيرك
- ٢٨٦ وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة إلى المغفرة لما أن الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى (لا يكلف الله
- نفساً إلا وسعها) جملة مستقلة جىء بها إثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة إظهاراً لما له تعالى
- عليهم فى ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجىء. هذا وقد روى
- أنه لما نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على أصحاب رسول
- الله ﷺ فأتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطبق الصلاة
- والصوم والحج والجهاد وقد أنزل إليك هذه الآية ولا نطبقها فقال رسول الله ﷺ أتريدون أن تقولوا كما
- قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فقراها
- القوم فأنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه إلى قوله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير
- فستوهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل فى قوله فيغفر لمن يشاء ثم أنزل الله تعالى لا يكلف الله نفساً
- إلا وسعها تهويناً للخطب عليهم ببيان أن المراد بما فى أنفسهم ما عزموا عليه من سوء خاصة لا ما يعم
- الخواطر التى لا يستطيع الاحتراز عنها والتكليف إلزام مافيه كلفة ومشقة والوسع ما يوسع الإنسان ولا
- يضيق عليه أى سنته تعالى أنه لا يكلف نفساً من النفوس إلا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى
- الطاقة والمجهود فضلاً منه تعالى ورحمة لهذه الأمة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
- وقرىء وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالحال لا على امتناعه وقوله تعالى (لها ما كسبت
- وعليها ما اكتسبت) للترغيب فى المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الإخلال بها ببيان أن
- تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير تتضمن مراعاة منفعة زائدة وأنها تعود إليها لا
- إلى غيرها ويستتبع الإخلال به مضرة تحقيق بها لا بغيرها فإن اختصاص منفعة الفعل بفاعله من أقوى
- الدواعى إلى تحصيله واقتصار مضرته عليه من أشد الزواجر عن مباشرته أى لها ثواب ما كسبت من
- الخير الذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالاً أو اشتراكاً ضرورة شمول كلمة مال كل جزء من أجزاء مكسوبها
- وعليها لا على غيرها بأحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر الذى كلفت تركه وإيراد

- الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها في طلبه (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) شروع في حكاية بقية دعواتهم إثريان سر التكليف أى لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما بما يدخل تحت التكليف أو بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر أو مطلقاً إذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلاً فإن المعاصي كالسوموم فكما أن تناولها ولو سهواً أو أخطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطى المعاصي أيضاً لا يبعد أن يفضى إلى العقاب وإن لم يكن عن عزيمة ووعدته تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فإن ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبي عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان . وقد روى أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئاً عجلت لهم العقوبة فدجاؤهم بعد العلم بتحقيق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لإبراز مزيد الضراعة والإصرار العبء الثقيل الذى يأصر صاحبه أى يجبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الإصرار الذنب الذى لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرى آصارا وقرى ولا تحمل بالتشديد للبالغة (كما حملته على الذين من قبلنا) فى حيز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أى حملاً مثل حملك إياه على من قبلنا أو على أنه صفة لإصرار أى إصراراً مثل الإصرار الذى حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو إسرائيل من بجمع النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك من التشديدات فإنهم كانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالاً لهم قال الله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الأمة عن أمثال ذلك وأنزل فى شأنهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم وقال ﷺ بعثت بالحنيفية السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الأولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال ﷺ رفع عن أمتي الخسف والمسوخ والفرق (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التى لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى إليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التى لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا فى المحافظة عليها فيكون التعبير عن إزاله العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى إليها وقيل هو تكرير الأول وتصوير للإصر بصورة مالا يستطيع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تنفى به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلاً على جواز عقله وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل إلى مفعول ثان (واعف عنا) أى آثار ذنوبنا (واغفر لنا) واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رهوس الأَشهاد (وارحنا) وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخليئة سابقة على التحلية (أنت مولانا) سيدنا ونحن عبيدك ● أو ناصرنا أو متولى أمورنا (فانصرنا على القوم الكافرين) فإن من حق المولى أن ينصر عبده ومن يتولى أمره على الأعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه إشارة إلى أن إعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيله تعالى حسباً أمر فى تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم . روى أنه عليه الصلاة والسلام لما دعا

بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت . وعنه ﷺ أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بالفي عام من قرأهما بعد العشاء الأخيرة أجزأتاه عن قيام الليل . وعنه ﷺ من قرأ آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكبره أن يقول سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال ﷺ السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال ﷺ السحرة .

(تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله سورة آل عمران)



فهرست

الجزء الأول من تفسير أبو السعود

صفحة

٣ - مقدمة قاضي القضاة أبو السعود

(الجزء الأول)

٧ - ١ - سورة الفاتحة

٢٠ - ٢ - سورة البقرة

تفسير قوله تعالى

٧١ - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها

٩٧ - أتأثرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم

١٠٥ - وإذا استسقى موسى لقومه

١١٦ - أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد

ما عقلوه وهم يعلمون

١٣٠ - ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون

١٤٢ - ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير

١٥٤ - وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن

(الجزء الثاني)

١٧٠ - سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

١٨١ - إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما

١٩٢ - ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر

٢٠٣ - يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها

٢١٠ - واذكروا الله في أيام معدودات

صفحة

- ٢١٨- يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما
٢٣٠- والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
٢٣٧- ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

(الجزء الثالث)

- ٢٤٥- تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
٢٥١- قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حميد
٢٦٤- ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء
٢٧١- وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً فإلهان مقبوضة

(تم فهرس الجزء الأول)

نظير السعدي

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه وإن كان

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العامري
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الثاني

الناشر
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٦٧ — سورة الملك

(مكية وهي ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٧ الملك

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

٦٧ الملك

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾

(سورة الملك مكية وتسمى الواقعة والمنجية لأنها تنجي قارئها من عذاب القبر وآياتها ثلاثون) (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبارك الذي بيده الملك) البركة والثناء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للبالغة في ذلك فإن ما لا يتصور نسبته إليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه إنما تنسب إليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغ حينئذ يجوز أن تكون لإفادة ثناء تلك الخيرات وازديادها شيئاً فشيئاً وأنا فأننا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولا استقلالها بالدلالة على غاية الكمال وإنابتها عن نهاية التعظيم لم يحز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعل الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى في كل الأمور (وهو على كل شيء) من الأشياء (قدير) مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررلة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكة تعالى في جلال الأمور ودقانها وقوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) شروع في تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه في حكم الشهادة بتعالیه تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء إلا مات وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حي فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمضى خلقه حينئذ تقديره أو إزالة الحياة وأياً ما كان فالأقرب أن المراد به الموت الطارئ وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) فإن استدعاء ملاحظتهما لإحسان العمل بما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن

فُطُورٍ ﴿٣﴾

٦٧ الملك

أدعى إلى إحسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عوض عن المضاف إليه ليعلمكم معاملة من يحتبركم أيكم أحسن عملاً فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله فإن لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد لإثر ذى أثر وإنما طريقها النظرى التفكير في بدائع صنع الله تعالى والتدبر في آياته المنصوبة في الأنفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكير في أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض وتعليق فعل البلوى أى تعقبيه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم إيراد المفعول أصلاً مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقق أصل الإيمان والطاعة في الباقيين أيضاً لكمال تماضد الموجبات له وأما الإعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام في سلك الغاية للأفعال الإلهية وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقى إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها ما لا يخفى (وهو العزيز) الغالب الذى لا يفوته من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذى ٣ خلق سبع سموات) قيل هو نعمت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والأوجه أنه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وإن كان منقطعاً عنهما إعراباً كما مر تفصيله في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه إليه سبحانه ومع الموصول الثانى في كونه مداراً للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وقوله تعالى (طيباً) صفة لسبع سموات أى مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل إذا خصفتها وصف به المفعول أو مصدر مؤكّد لمخدوف هو صفتها أى طوبقت طيباً وقوله تعالى (ماترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير * للتعظيم والإشعار بعلّة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً وبأن في إبداعها نعماً

ثُمَّ أَرْجَعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٦٧﴾
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ

السَّعِيرِ ﴿٦٨﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ﴿٦٩﴾

إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧٠﴾

جلية أو استئناف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن لنا كيد
النفي أى ماترى فيه شيئاً من تفاوت أى اختلاف وعدم تناسب من القوت فإن كلا من المتفاوتين يفوت
منه بعض ما فى الآخر وقرىء من تفوت ومعناها واحد وقوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور)
متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولاً بأنه لا تفاوت فى خلقهم ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح
لك ذلك بالمعينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره
فانفطر (ثم ارجع البصر كرتين) أى رجعتين أخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالثنائية التكرير والتكثير
كما فى ليك وسعديك أى رجعة بعد رجعة وإن كثرت (ينقلب إليك البصر خاسئاً) أى بعيداً محروماً
من إصابة ما التمس من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرداً بالصغار والقمامة (وهو حسير) أى
كليل لطول المعادة وكثرة المراجعة وقوله تعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات
فى غاية الحسن والبهاء إثرياً ببيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها
أى وبالله لقد زيننا أقرب السموات إلى الأرض (بمصاييح) أى بكواكب مضيئة بالليل لإضاءة السرج
من السيارات والثوابت تترامى كأن كلها مركوزة فيها مع أن بعضها فى سائر السموات وما ذاك إلا
لأن كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار فى فهمه الأفكار وطراز فائق تهيم فى دركه الأنظار
(وجعلناها رجوماً للشياطين) وجعلناها فائدة أخرى هى رجم أعدائكم بانقضاء الشهب المقتبسة
من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنوناً ورجوماً بالغيب للشياطين الإنس وهم المنجمون ولا
يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرمى به (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير)
٦ بعد الاحتراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا برههم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرىء
٧ بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم (وبئس المصير) أى جهنم (إذا ألقوا فيها
سمعوا لها) أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله تعالى (شهيقاً) لأنه فى الأصل صفته
فلما قدمت صارت حالاً أى سمعوا كأنها لها شهيقاً أى صوتاً كصوت الخير وهو حسيبها المنكر الفظيع
قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق (وهى تفور) أى والحال أنها تغلى بهم غليان الرجل بما فيه
وجعل الشهيق لأهلها منهم ومن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يردده قوله تعالى

نَكَادُ نَمِيزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ٦٧ الملك

قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ٦٧ الملك

وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ ٦٧ الملك

- (تكاد تميز) أى تتميز وتنفرد (من الغيظ) أى من شدة الغضب عليهم فإنه صريح فى أنه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظاً وزفيراً فإن هو من شهيقتهم الناشئة من شدة ما يقاسونه من العذاب الأليم والجملة إما حال من فاعل تقور أو خبر آخر وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج) استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتفريع ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرة على حسرة (ألم يأتكم نذير) يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم أيضاً (قالوا) اعترافاً بأنه تعالى قد أراح علمهم بالكلية (بلى قد جاءنا نذير) جامع بين حرف الجواب ٩ ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجىء النذير وتحسراً على ما فاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيداً لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واعتماً على ذلك أى قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة أو حكماً كأنبياء بنى إسرائيل فإنهم حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيراً من جهته تعالى (وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات إفراطاً فى التكذيب وتمادياً فى النكير (ما نزل الله) على أحد (من شيء) من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليهم (إن أقم) أى ما أقم فى ادعاء أنه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (إلا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتعليقه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتمادياً فى التضليل كما ينبى عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتماً وأما إقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر تحقيقى يصار إليه لتحويل ما ارتكبه من الجنايات لاسماخ لاعتباره من جهتهم ولا لإدراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة إجماع النذر على ما لا يختلف من الشرائع والأحكام باختلاف العصور والأعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا إذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد من الأفواج وأما إذا جعل حكاية عن الكل فالنذير إما بمعنى الجمع لأنه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الأول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الأخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز أن يكون الخطاب من كلام الخزانة للكفار على إرادة القول على أن مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سبيه وأن يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكموه للخزانة فتأمل وكن على الحق المبين (وقالوا) أيضاً معترفين بأنهم لم يكونوا ١٠

٦٧ الملك

فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

٦٧ الملك

إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

٦٧ الملك

وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

٦٧ الملك

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

- * من يسمع أو يعقل (لو كنا نسمع) كلاماً (أو نعقل) شيئاً (ما كنا في أصحاب السعير) أى في عدادهم ومن انبأهم وهم الشياطين لقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير كأن الحزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك (فاعترفوا بذنبهم) الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله (فسحقاً) بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر مؤكد إما لفعل متعد من المزيد بجذف الزوائد كما في قعدك الله أى فأسحقهم الله أى أبعدهم من رحمته سحقاً أى إسحاقاً أو لفعل مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فسحقوا أى بعدوا سحقاً أى بعداً كما في قول من قال [وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال إلا مسحت أو مجلف] أى لم تدع فلم يبق إلا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وأنبأنا نبأ أحسنًا واللام في قوله تعالى (لأصحاب السعير) للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب (إن الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون عذابه غائباً عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره (وأسروا قولكم أو أجهروا به) بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى كما في قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت في المشركين كانوا يناولون من النبي عليه الصلاة والسلام فيوحي إليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقبل لهم أسروا ذلك أو أجهروا به فإن الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للإيذان باقتضاهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدر منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السرية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ مامن شيء يجهر به إلا وهو أو مباديه مضمرة في القلب يتعلق به الأسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالاته الأولى متقدم على تعلقه بحالاته الثانية وقوله تعالى (إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتولية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التى في الصدر والمعنى إنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) ١٤

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ الملك
 أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ الملك
 أَمْ لَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ الملك
 وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ الملك

- إنكار ونفي لعدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أى ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار والنفي أى ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه إلى مظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوباً والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساع لإخلاء العلم عن المفعول بإجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى ألا يكون عالماً من خلق لأن الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ من الإفادة لأن نظم الكلام حينئذ ألا يكون عالماً وهو مبالغ في العلم (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً) لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن ماحقه التقديم إذا أخر لاسيما عند كون المقدم بما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل يتمكن والفاء في قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) لترتيب الأمر على الجعل المذكور أى فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنباهها عن أن يطأه الراكب بقدمه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشى في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله تعالى (وإليه النشور) أى المرجع بعد البعث لا إلى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه (أأمنتم من في السماء) أى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى في السماء أى أأمنتم من توعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الأرض) بعدما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيخيبكم فيها كما فعل بقارون وهو يدل اشتغال من من وقيل هو على حذف الجار أى من أن يخسف (فإذا هي تمور) أى تضطرب ذهاباً وحيثاً على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان (أأمنتم من في السماء) لإضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال إلى التهديد بوجه آخر أى بل أأمنتم من في السماء (أن يرسل عليكم حاصباً) أى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحاً فيها حجارة وحصاب كأنها تطلع الحصاب لشدها وقوتها وقيل هي سحاب فيها حجارة (فستعلمون) عن قريب البتة (كيف نذير) أى إنذارى عند مشاهدتكم للنذير به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرىء فسيعلمون بالياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والالتفات إلى الغيبة لإبراز

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفًى وَيَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿٦٧﴾ الملك
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٦٨﴾ الملك
 أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٦٩﴾ الملك

- * الإعراض عنهم (فكيف كان نكير) أى إنكارى عليهم بإزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى (أولم يروا) أغفلوا ولم ينظروا (إلى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صفن قوادمها صفاً (ويقبضن) ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار به على التحرك وهو السر في إثارة يقبض الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات (ما يمسكن) في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع (إلا الرحمن) الواسع رحمته كل شيء بأن برأه من على أشكال وخصائص وهياكل للجري في الهواء والجملة مستأنفة أحوال من الضمير في يقبضن (إنه بكل شيء بصير) يعلم كيفية إبداع المبدعات وتدير المصنوعات
- ٢٠ وقوله تعالى (أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) تبكيت لهم بنى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكن إلا الرحمن أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الأنسب بما سيأتى من قوله تعالى إن أمسك رزقه كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا في المعنيين معاً خلا أن الاستفهام هناك متوجه إلى نفس المانع وتحقيقه وهنأ إلى تعيين الناصر لتبكيته يظهر عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة بيل المفيدة للاتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عز وجل إلى التبكيته بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك ولا سبيل إلى تقدير الهزيمة معها لأن ما بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كافي قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده وإثارة هذا لتحقير المشار إليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الأول إما حال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم نصرأ كائنأ من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عز وجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية بما لا تقرب له أصلاً وقوله تعالى (إن الكافرون إلا فى غرور) اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال أى ما هم فى زعمهم أنهم محفوظون من التوائب بحفظ آلهتهم لاحتفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شيء يعتد به فى الجملة والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم للإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار فى موقع الإضمار لندمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى (أم من)
- ٢١

أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ٦٧ الملك
 قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ٦٧ الملك
 قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ٦٧ الملك
 وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ ٦٧ الملك

هذا الذي يرزقكم إن أمسك) أى الله عز وجل (رزقه) يأمساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى (بل لجوا في عتو ونفور) منبئ عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى (أفن يمشى مكباً على وجهه أهدى) الخ مثل ضرب ٢٢ للشرك والموحد توضيحاً لحالهما وتحقيقاً لشأن مذهبهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وخروهم في مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم في مسالك المحاجة إلى جهة يتوهم فيها رشد في الجملة فإن تقدم الهزمة عليها صورة إنما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهزمة هل لقليل فهل من يمشى مكباً الخ والمكب الساقط على وجهه يقال أكب خر على وجهه وحقيقته صار ذاكب ودخل في السكب كاقشع الغمام أى صار ذاقتشع والمعنى أفن يمشى وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى إلى المقصد الذى يؤمه (أم من يمشى سويًا) أى قائماً سالماً من الخبط والعتار (على صراط مستقيم) مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الأولى عليه ولا حاجة إلى ذلك فإن الثانية معطوفة على الأولى عطفت المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الأعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكباً هو الذى يحشر على وجهه إلى النار ومن يمشى سويًا الذى يحشر على قدميه إلى الجنة (قل هو الذى أنشأكم) لإنشاء بديعاً (وجعل لكم السمع) لتسمعوا آيات الله وتمثلوا بما فيها من الأوامر والنواهي وتعضوا بمواعظها (والأبصار) * لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشئون الله عز وجل (والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعون * وتجاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة (قليلاً ما تشكرون) * أى باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلاً نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أى شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم في الأرض) ٢٤ أى خلقكم وكثركم فيها لا غيره (وإليه تحشرون) للجزاء لا إلى غيره اشتراكاً أو استقلالاً فابنوا أموركم على ذلك (ويقولون) من فرط عتوهم وعنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله ٢٥ تعالى وإليه تحشرون (إن كنتم صادقين) يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا * ٢ - أبى السعود ج ٩ ،

٦٧ الملك

قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٦٧﴾

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٦٧﴾ ٦٧ الملك

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦٨﴾ ٦٧ الملك

قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٩﴾ ٦٧ الملك

٦٧ الملك

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٧٠﴾

- مشاركين له عليه الصلاة والسلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى
- ٢٦ إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فينبوا وقته (قل إنما أعلم) أى العلم بوقته (عند * الله) عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل إنما علمها عند ربى (وإنما أنا نذير مبين) أنذركم
- ٢٧ وقوع الموعود لاحالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار والقاء فى قوله تعالى (فلما رأوه) فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاكم الموعود فرأوه فلما رأوه إلى آخر كما مر تحقيقه فى قوله تعالى فلما رآه مستقراً عنده إلا أن المقدر هناك أمر واقع مرتب على ما قبله بالقاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى (زلفه) حال من مفعول رأوا إما بتقدير المضاف أى ذا زلفه وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مزدلفاً أو على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه فى مكان ذى زلفه (سيئت وجوه الذين كفروا)
- * بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساء به (وقيل) توبيخاً لهم وتشديد العذابهم (هذا الذى كنتم به توعدون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه إنكاراً واستهزاء على أنه تفعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لا بعث ولا حشر
- ٢٨ وقرئ تدعون هذا وقد روى عن مجاهد أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد (قل أرأيتم) أى أخبرونى (إن أهلكنى الله) أى أمانتى والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمتنا) بتأخير آجالنا فنحن فى جوار رحمة متربصون لإحدى الحسينين (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى لا ينجيكم منه أحد متناً أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به (قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها (آمننا به) وحده لما علمنا أن كل ماسواه إما نعمة أو منعم عليه (وعليه توكلتنا) لاعلى غيره أصلاً لعلمنا بأن ماعداه كأننا ما كان بمعزل من النفع والضرر (فستعلمون)
- ٣٠ عن قريب البتة (من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية (قل أرأيتم) أى أخبرونى (إن أصبح ماؤكم غوراً) أى غائراً فى الأرض بالكلية وقيل بحيث لاتناله الدلاء وهو مصدر

٦٨ - سورة القلم
(مكية وهي إثنان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٨ القلم

تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾

٦٨ القلم

مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

وصف به (فمن ياتيكم بماء معين) جار أو ظاهر سهل المأخذ . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنه أحيا ليلة القدر .

- (سورة القلم مكية إلا من آية ١٧ إلى آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى آية ٥٠ فدنية وآياتها اثنان وخمسون)
- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ن) بالسكون على الوقف وقرىء بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصباً اذ كراً لفتحاً كما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم إن جعل اسماً للحرف مسروداً على نمط التعديد للتحدى بأحد الطريقين المذكورين في موقعه أو اسماً للسورة منصوباً على الوجه المذكور أو مرفوعاً على أنه خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى (والقلم) * للقسم وإن جعل مقسباً به في العطف عليه وأياً ما كان فإن أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر وإن أريد به الجنس فاستحقاق ما في أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قائلنا لكنني به فضلاً موجباً لتعظيمه وقرىء بإدغام النون في الواو (وما يسطرون) الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ماموصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر ٢ هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون ملتبساً بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه صلى الله عليه وسلم والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما كانوا ينسبونه صلى الله عليه وسلم إليه من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه صلى الله عليه وسلم في غاية الغايات القاصية ونهاية

٦٨ القلم

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾

٦٨ القلم

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

٦٨ القلم

فَسَتَبْصُرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾

٦٨ القلم

بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾

٦٨ القلم

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

٦٨ القلم

فَلَا تَطْعَمُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٨﴾

- ٣ النهايات النائية من حصانة العقل ورزانة الرأى (وإن لك) بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم
 ٤ وتحمالك لأعباء الرسالة (لأجراً) لثواباً عظيماً لا يقادر قدره (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى عطاء
 ٥ غير مجزوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه عطاؤه تعالى بلا توسط (وإنك لعل خلق عظيم)
 لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضى الله
 عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألسنت تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجليلتان
 ٥ معطوفتان على جواب القسم (فستبصر ويبصرون) قال ابن عباس رضى الله عنهما فستعلم ويعلمون
 يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون فى الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الإسلام
 واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتكم مهيباً معظماً فى قلوب العالمين وكونهم أدلة صاغرين قال
 ٦ مقاتل هذا وعيد بعداب يوم بدر (بأيكم المفتون) أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم
 الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأى الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم
 بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تريض بأبى جهل بن هشام والوليد
 ٧ ابن المغيرة وأضرهما كقوله تعالى سيعلمون غداً من الكذاب الأشر وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم
 بمن ضل عن سبيله) تعليل لما ينبىء عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيذاً لما
 فيه من الوعد والوعيد أى هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى إلى سعادة الدارين وهام فى تيه
 الضلال متوجهاً إلى ما يفيضه إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذى لا يفرق بين النفع والضرر
 * بل يحسب الضرر نفعاً فيؤثره والنفع ضرراً فيهجره (وهو أعلم بالمهتدين) إلى سبيله الفائزين بكل
 مطلوب الناجين عن كل محذورهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب
 ٨ والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى (فلا تطعم المكذبين) لترتيب النهى على
 ما ينبىء عنه ما قبله من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا

٦٨ القلم

وَدُّوا لَوْ تَدَهْنُ فَيَدَهْنُونَ ﴿٩﴾

٦٨ القلم

وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾

٦٨ القلم

هَمَّازٍ مَّشَاءً بَنِيمٍ ﴿١١﴾

٦٨ القلم

مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

٦٨ القلم

عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾

تيسر وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك أو نهى عن مدهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره صلى الله عليه وسلم استجلاباً لقلوبهم لاعتن طاعتهم كما ينهى عنه قوله تعالى (ودوا لو تدهن) فإنه تعليل للنهى أو الانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للبالغة في الزجر والتنفير أى أجوا لو تلاينهم وتساحمهم في بعض الأمور (فيدهنون) أى فهم يدهنون حينئذ * أو فهم الآن يدهنون طمعاً في إدهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب إدهانك ويأباه ماسياتى من بدتهم بالإدهان على إدهانهم أمر محقق لا يناسب إدهاله تحت التمنى وأياً ما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الإدهان الذى هو إظهار الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه صلى الله عليه وسلم فالمعتبر بالنسبة إلى ودادتهم هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وإنما اعتبره بالنسبة إليه صلى الله عليه وسلم وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى المفهوم من ودوا أو أن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطاف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناسبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها وما بعدها مصدر يقع مفعولاً لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا إدهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك (ولا تطع كل حلّاف) كثير الخلف في الحق والباطل تقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر (مهين) حقير الرأى والتدبير (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) مضرب يقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنيمة السعاية (مناع للخير) أى بخيل أو مناع للناس من الخير الذى هو الإيمان والطاعة والإتفاق (معتد) متجاوز في الظلم (أثيم) كثير الآثام * (عتل) جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد من مثالبه (زنيماً) دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلّية فى حلقها وفى قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معاييه وأقبح قبائحها قيل هو الوليد بن المغيرة فإنه كان دعياً فى قریش وليس من سننهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة

- ٦٨ القلم أن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾
 ٦٨ القلم إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
 ٦٨ القلم سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾
 ٦٨ القلم إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
 ٦٨ القلم وَلَا يَسْتَنْبُتُونَ ﴿١٨﴾
 ٦٨ القلم فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾

- ١٤ (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تقطع أى لا تقطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهاً
 ١٥ بالبنين وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) استثناء جار مجرى التعليل للنهى وقيل
 متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل
 فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهاً بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه أنه بدل أن مدار تكذيبه كونه
 ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرئ أن كان على معنى ألا كان ذا مال
 كذب بها أو أطيعه لأن كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لا تقطع كل خلاف
 ١٦ شارطاً يساره لأن إطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة (سنسفه على الخرطوم) بالسكى
 على أكرم مواضعه لغاية إهانتهم وإذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل
 ١٧ معناه سنعله يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة (إنا بلوناهم) أى أهل مكة بالقحط
 * بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم
 هذه الجنة دون صنعاء بنمرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادى الفقراء وقت
 الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الأكداس وما أخطأه القمطاف من العنب وما بقى
 على البساط الذى يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات أبوهم قال بنوه
 * إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فخلعوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (إذ أقسموا لصيرمها
 ١٨ مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح (ولا يستنبون) أى لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء
 مع أنه شرط من حيث إن مؤداه مؤدى الاستثناء فإن قولك لاخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا
 ١٩ أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستنبون حصّة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة (فطاف
 * عليها) أى على الجنة (طائف) بلاء طائف وقرئ طيف (من ربك) مبتدأ من جهة تعالى (وهم نائمون)
 غافلون عما جرت به المقادير .

٦٨ القلم	فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ٢٠
٦٨ القلم	فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ٢١
٦٨ القلم	أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَارِمِينَ ٢٢
٦٨ القلم	فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ٢٣
٦٨ القلم	أَن لَا يَدْخُلَنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ٢٤
٦٨ القلم	وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ٢٥
٦٨ القلم	فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ٢٦

- ٢٠ (فأصبحت كالصريم) كالبلستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل
 أى احترقت فأسودت وقيل كالنهار أى يبست وابيضت سمياً بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه
 وقيل الصريم الرمال (فتنادوا) أى نادى بعضهم بعضاً (مصبحين) داخلين في الصباح (أن اغدوا) ٢١
 أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أى اخرجوا غدة (على حركم) بستانكم *
 وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء (إن كنتم صارمين) قاصدين للصريم *
 (فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافة وخنى وخفت وخفد ثلاثها فى ٢٣
 معنى الكتم ومنه الخفود للخفاش (أن لا يدخلها) أى الجنة (اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة لما ٢٤
 فى التخافت من معنى القول وقرىء بطرحها على إضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة
 فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك هنا (وعدوا على حرد قادرين) أى على نكد ٢٥
 لاغير من جارت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن
 يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفهم فعدوا بحال لا يقدرين فيها إلا على النكد
 والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وعدوا على محاردة جنتهم
 وذهب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على النكد والحرمان
 مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرىء بذلك أى لم يقدر إلا على حق بعضهم
 لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أى غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين
 عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة (فلما رأوها قالوا) فى بديهة رؤيتهم (إننا لضالون) أى ٢٦
 طريق جنتنا وما هى بها .

٦٨ القلم

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٢٧﴾

٦٨ القلم

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾

٦٨ القلم

قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾

٦٨ القلم

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾

٦٨ القلم

قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

٦٨ القلم

عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾

٢٧ (بل نحن محرمون) قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضرين عن قولهم الأول أى لسنا
 ٢٨ ضالين بل نحن محرمون حرمانا خيرا بجنائنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أى رأيا أو سنا (لم أقل
 لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله تعالى وتنوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا
 على ذلك اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول
 ٢٩ النقمة فعصوه فغيرهم كما ينبى عنه قوله تعالى (قالوا سبحان ربنا إن كنا ظالمين) وقيل المراد بالتسبيح
 ٣٠ الاستثناء لا شرا كهما في التعظيم أو لأنه تنزيهه تعالى عن أن يجرى في ملكه ما لا يشاؤه (فأقبل بعضهم
 على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضاً فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من
 ٣٢، ٣١ سكت راضياً به ومنهم من أنكره (قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا
 * أن يبدلنا) وقرئ بالتشديد أى يعطينا بدلا منها بركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيرا منها إنا إلى
 ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير وإلى لاتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد
 تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا
 الله تعالى وتضرعوا إليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله تعالى أمر جبريل عليه
 السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها برغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها
 وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال
 لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود
 منها كالرجل الأسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد
 كلفني تعباً وعن الحسن رحمه الله تعالى قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيماناً كان ذلك
 منهم أو على حدا يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثر على أنهم تابوا
 وأخلصوا حكاة القشيري .

٦٨ القلم	كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾
٦٨ القلم	إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾
٦٨ القلم	أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
٦٨ القلم	مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾
٦٨ القلم	أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾
٦٨ القلم	إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾
٦٨ القلم	أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾

(كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والالف واللام العهد أى مثل الذى بلونا ٣٣ به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم وأشد (لو كانوا يعلمون) * أنه أكبر لا حترزوا عما يؤديهم إليه (إن للمتقين) أى من الكفر والمعاصي (عند ربهم) أى فى الآخرة ٣٤ أوفى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها إلا التمتع الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات * وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) تقرير لما قبله من فوز ٣٥ المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما همى فى الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساونا والهزمة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنخيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (ما لكم كيف تحكمون) تعجيباً من حكمهم واستبعاداً له وإيداناً بأنه لا يصدر عن عاقل ٣٦ (أم لكم كتاب) نازل من السماء (فيه تدرسون) أى تقرأون (إن لكم فيه لما تخيرون) أى ما تتخيرونه ٣٧ وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جرى باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدرس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشيء واختياره أخذ خيره (أم لكم إيمان علينا) أى عهود مؤكدة بالإيمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرنت بالنصب ٣٩ على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (إلى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم إلى يوم القيامة لانخرج عن عهدها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيك ماتحكمون أو ببالغة أى إيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى إليه وافرة لم تبطل منها يمين (إن لكم لما تحكمون) جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا إيمان * د ٣ - أبى السعود ج ٩

سَلَّمَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ٤٠

أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ٤١

يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ٤٢

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِفُونَ ٤٣

قَدَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٤٤

- ٤٠ أم أقسمنا لكم (سلم) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أى سلمهم مبكتاً لهم (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) أى قائم يتصدى لتصحيحه (أم لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) فى دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شئ يتوهم أن يتشبها به حتى التقليد الذى لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة (يوم يكشف عن ساق) أى يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الحرب قال حاتم [أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها * وإن شمرت عن ساقها الحرب شمر] وقيل ساق الشئ أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أى يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً وتذكيره للتحويل أو التعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ تكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر أى دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أى اذكر يوم الخ أو مؤخر أى يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الأحوال وعظائم الأحوال ما لا يبلغه الوصف (ويدعون إلى السجود) توبيخاً وتعنيفاً على تركهم إياه * فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفریطهم فى ذلك (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم عن ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلاهم أى ترد عظاماً بلا مفصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى أصلاهم طبقة واحدة وأحد أى فقارة واحدة
- ٤١ (خاشعة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم (ذلة) شديدة (وقد كانوا يدعون إلى السجود) فى الدنيا والإظهار فى موضع الإضمار لزيادة التقرير أولان المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف (وهم سالمون) متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يحبون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره (قدرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى كله إلى فانى أكفيك أمره أى حسبك فى الإيقاع

- وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ ٦٨ القلم
- أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ ٦٨ القلم
- أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ ٦٨ القلم
- فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ ٦٨ القلم
- لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ ٦٨ القلم
- فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ ٦٨ القلم

به والانتقام منه أن تكل أمره إلى وتخلي بيني وبينه فإن علم بما يستحقه من العذاب ومطبق له والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل على في الانتقام منه وقوله تعالى (سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالاً والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الإلزام عليهم بل يزعمون أنه إثارة لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب هلاكهم (وأمل لهم) وأملهم ليزدادوا إثمًا وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم (إن كيدي متين) لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيداً لكونه في صورة الكيد (أم تسألهم) على الإبلاغ والإرشاد (أجراً) دنوياً (فهم) لأجل ذلك (من مغرم) أي غرامة مالية (مثقلون) مكلفون حملاً * ثقيلاً فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أي اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكون ويستغنون ٤٥ به عن عليك (فاصبر لحكم ربك) وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) ٤٦ أي يونس عليه السلام (إذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظاً والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لأعلى النداء فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذا منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حاله وقت ندائه أي لا يوجد منك ما وجد منه من المضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل ٤٩ للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه أي تداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تداركه (لنبد بالعراء) بالأرض الخالية من الأشجار (وهو مذموم) ملئم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبد عليها يعتمد جواب لولا لأنها هي المنتفية لا النبد بالعراء كما مر في الحال الأولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهى عنه أمراً محذوراً مستتبعا للغائلة وقوله تعالى (فاجتباها ربه) عطف على مقدر أي فتداركته نعمة من ربه فاجتباها بأن رد إليه الوحي وأرسله إلى ٥٠

وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا اللَّهَ كَرُوا يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ٦٨ القلم

٦٨ القلم

وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

- * مائة ألف أو يزيدون وقيل استنباه إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة (فعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى . روى أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وإن يكار الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وقرىء ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وإن هي الخففة واللام دليلها والمعنى أنهم من شدة عداوتهم لك ينظرون إليك شراً بحيث يكادون يزلقون قدمك فيرمونك من قولهم نظار إلى نظراً يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيدونك بالعين إذ قد روى أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث أن العين لتدخل الرجل القبر والحمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه (ويقولون) لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنخسة بأحكام الطبائع وتنفير الناس عنه (لأنه لمجنون) وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيس (وما هو إلا ذكر للعالمين) على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فإين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسرار طرأ ومحيط بجميع حقائقه خبراً بما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكراً وشرفاً للعالمين لا ريب فيه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعزاء الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم .

٦٩ - سورة الحاقة
(مكية وهي إثنان وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٦٩ الحاقة

١ الْحَاقَّةُ

٦٩ الحاقة

٢ مَا الْحَاقَّةُ

٦٩ الحاقة

٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ

٦٩ الحاقة

٤ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ

(سورة الحاقة مكية وآياتها إثنان وخمسون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحاقة) أى الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة أو التى يحق فيها الأمور الحقّة من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحقق فيها الأمور أى تعرف على الحقيقة من حقه بحقه إذا عرف حقيقة جعل الفعل لها ومجازاً وهو لما فيها من الأمور أو لمن فيها من أولى العلم وأياً ما كان فحذف الموصوف للإيذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها (ما الحاقة) إلى أن مامبتداً ثانٍ والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول ٢ والأصل ما هى أى شئ هى فى حالها وصفتها فإن ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيداً لها هذا ما ذكره فى إعراب هذه الجملة ونظائرهما وقد سبق فى سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبراً لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فطبيع كما يفيد كونه ما خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً الحاقة كما يفيد كونه مبتدأ وكون الحاقة خبراً وقوله تعالى (وما أدراك) أى وأى شئ أعلمك (ما الحاقة) تأكيداً لها وفضاعتها بيان خروجها عن دائرة ٣ علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الأعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ هنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذى عرفته محلها النصب على إسقاط الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا أدراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لها كما مر (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أى بالحالة ٤ التى تفرع الناس بفنون الأفراع والأهوال والسما بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالذك

٦٩ الحاقة

فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥٠﴾

٦٩ الحاقة

وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٥١﴾

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٥٢﴾ ٦٩ الحاقة

٦٩ الحاقة

فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٥٣﴾

٦٩ الحاقة

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٥٤﴾

- والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديداً
 لهُولها والجملة استئناف مسوق لأعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام لإثبات تقرير أنه ما أدراه
 عليه الصلاة والسلام بها أحد كما في قوله تعالى وما أدراك ما هية نار حامية ونظائره خلا أن المبين هناك
 نفس المسؤول عنها وههنا حال من أحوالها كما في قوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من
 ألف شهر فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة
 وعظم شأنها وكونها بحيث يحق لإهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود
 • وعاد فأهلكوا (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أى بالواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة أو الراجفة
 ٦ (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها (عاتية)
 شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله
 ٧ تعالى (سخرها عليهم) الخ استئناف جىء به بياناً لكيفية إهلاكهم بالريح أى سلطها الله عليهم بقدرته
 • القاهرة (سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً) أى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة
 إذا تابعت بين كيهما أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم ويجوز أن يكون
 مصدرأ منتصباً على العلة بمعنى قطعاً أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى تحسمهم حسوماً ويؤيده القراءة
 بالفتح وهى كانت أيام العجوز من صيحة أربعاء إلى غروب الأربعاء الآخر وإنما سميت عجوزاً لأن
 عجوزاً من عاد توارت فى سرب فانتزعها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر
 الشتاء وأسمائها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفىء البحر وقيل ومكنىء الظعن
 • (فترى القوم) إن كنت حاضراً حينئذ (فيها) فى مهابها أو فى تلك الليالى والأيام (صرعى) موتى
 ٨ جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أى أصول نخل (خاوية) متأكلة الأجواف (فهل ترى لهم من باقية)
 ٩ أى بقية أو نفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية (وجاء فرعون ومن قبله) أى ومن
 • تقدمه وقرىء ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرىء ومن معه (والمؤتفكات) أى
 • قرى قوم لوط أى أهلها (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعل أو الأفعال ذات الخطأ التى من جملتها تكذيب

٦٩ الحاقة	فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾
٦٩ الحاقة	إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾
٦٩ الحاقة	لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾
٦٩ الحاقة	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾
٦٩ الحاقة	وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾
٦٩ الحاقة	فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾

- البعث والقيامة (فعصوا رسول ربهم) أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح ١٠
 (فأخذهم) أى الله عز وجل (أخذة رابية) أى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشيء *
 إذا زاد (إنما لما طغى الماء) بسبب إصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومباغتهم فى تكذيبه ١١
 عليه الصلاة والسلام فيما أوحى إليه من الأحكام التى من جملتها أحوال القيامة (حملناكم) أى فى أصلاب *
 آبائكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء إلى انقضاء أيام *
 الطوفان لا مجرد رفعهم إلى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فإنها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو
 حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم جال كونكم فى السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا وفيه
 تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى إنما السفينة سبب صورى (لنجعلها) أى لنجعل الفعلة ١٢
 التى هى عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع *
 وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته (وتعيها) أى تحفظها والوعى أن تحفظ الشيء فى نفسك والايعاء أن
 تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرىء تعيها بسكون العين تشبيهاً له بكتف (أذن وعية) أى أذن من *
 شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتسكير للدلالة
 على قلتها وأن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجرم الغفير وإدامة نسلهم وقرىء أذن بالتخفيف
 (فإذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها إثر بيان عظم شأنها ١٣
 بإهلاك مكذبيها وإنما أسند الفعل إلى المصدر لتقوينده وحسن تذكيره للفصل وقرىء نفخة واحدة
 بالنصب على إسناد الفعل إلى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الأولى التى عندها خراب العالم (وحملت
 الأرض والجبال) أى قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح
 العاصفة (فدكتا دكة واحدة) أى فضربت الجبلتان إثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تندق *
 وترجع كشيء مهيل وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صاففاً لا ترى فيها عوجا ولا
 أمنا من قولهم اندك السنام إذا تفرش وبعير أدك وناقة دكاه ومنه الدكان (فيومئذ) حينئذ (وقعت) ١٥

الحاقة ٦٩

وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾

الحاقة ٦٩

وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾

الحاقة ٦٩

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

الحاقة ٦٩

فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَيَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْتَنِيَّةٌ ﴿١٩﴾

- ١٦ الواقعة (أى قامت القيامة) وانشقت السماء (لنزول الملائكة) (فهي) أى السماء (يومئذ واهية) ضعيفة
- ١٧ مسترخية بعد ما كانت محكمة (والملك) أى الخلق المعروف بالملك (على أرجائها) أى جوانبها جمع
- * رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجأون إلى أكتافها وحافاتها (ويحمل عرش ربك
- * فوقهم) فوق الملائكة الذين هم الأرجاء أو فوق الثمانية (يومئذ ثمانية) من الملائكة عن النبي صلى الله
- عليه وسلم هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى
- ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل
- بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة
- النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الأوعال ما بين أظلالها إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً وعن شهر بن
- حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون
- سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حليك بعد عليك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أم ثمانية آلاف
- وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق
- آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء
- العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال وإلا فشؤنه سبحانه أجل من كل ما يحيط به فلك
- ١٨ العبارة والإشارة (يومئذ تعرضون) أى تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان
- العسكر لتعرف أحوالهم . روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج
- وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه يمينه والهالك بشماله وهذا وإن كان بعد
- النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب
- * وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صرح جعله ظرفاً للسكل (لا تخفى منكم خافية) حال من مرفوع
- تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضاً وإنما العرض لإفشاء الحال
- والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء
- ١٩ التحنانية (فأما من أوتى كتابه يمينية) تفصيل لأحكام العرض (فيقول) تبجحاً وابتهاجا (هاؤم اقرؤا
- كتاييه) ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات أجودهن هاء يارجل وهاء يا امرأة وهاؤما يارجلان أو امرأتان
- وهاؤون يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتاييه مفعول اقرؤا لأنه أقرب العالمين ولأنه

٦٩ الحاقة	إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾
٦٩ الحاقة	فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾
٦٩ الحاقة	فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
٦٩ الحاقة	قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾
٦٩ الحاقة	كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾
٦٩ الحاقة	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يُبَلِّغُنِي لَرَأُوتَ كِتَابِيَةٍ ﴿٢٥﴾
٦٩ الحاقة	وَلَمْ أَذِرْ مَا حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٦﴾
٦٩ الحاقة	يُبَلِّغُهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾

لو كان مفعول هاؤم لقل اقرؤه إذ الأولى إضماره حيث أمكن والهاء فيه وفي حسايه وماليه وسلطانيه
 للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب إثباتها لثباتها في الإمام (إني ظننت أني ملاق
 حسايه) أي علمت ولعل التعبير عنه بالظن للإشعار بأنه لا يقدر في الاعتقاد ما يهيجس في النفس من
 الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالباً (فهو في عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة
 كما يقال دارع في النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن
 الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (في جنة عالية) مرتفعة المسكان لأنها في السماء أو الدرجات أو الأبنية
 والأشجار (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر (دانية) يتناولها القاعد
 (كلوا واشربوا) بإضمار القول والجمع باعتبار المعنى (هنيئاً) أكلاً وشراباً هنيئاً أو هنيئاً (بما
 أسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة (في الأيام الخالية) أي الماضية في الدنيا وعن مجاهد أيام
 الصيام وروى يقول الله تعالى يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشرية
 وغارت أعينكم وخمست بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الآية (وأما من أوتي كتابه
 بشماله) وأرى مافيه من قبائح الأعمال (فيقول يابلتي لم أوت كتابي) (ولم أذر ما حسايه) لما شاهد
 من سوء العاقبة (يابلتها) يابلت الموت التي متها (كانت القاضية) أي القاطعة لأمرى ولم أبعث بعدها
 ولم ألق ما ألقى فضمير ليتها للموت ويجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أي يابلت هذه الحالة كانت
 الموت التي قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أي

الحاقة ٦٩

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ ٢٨

الحاقة ٦٩

هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۖ ٢٩

الحاقة ٦٩

خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۖ ٣٠

الحاقة ٦٩

ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ ۖ ٣١

الحاقة ٦٩

ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۖ ٣٢

الحاقة ٦٩

إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۖ ٣٣

الحاقة ٦٩

وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۖ ٣٤

الحاقة ٦٩

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۖ ٣٥

الحاقة ٦٩

وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غُسْلَيْنِ ۖ ٣٦

- ٢٨ ياليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حياً (ما أغنى عني ماله) مالى من المال والاتباع على أن
 ٢٩ ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للإنكار أى شئ أغنى عني ما كان لى من اليسار (هلك عني
 سلطانيه) أى ملكى وتسلم على الناس أو حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا أو تسلم على القوى
 ٣٠ والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات (خذوه) حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لحزنة النار
 ٣١ (فغلوه) أى شدوه بالأغلال (ثم الجحيم صلوه) أى لا تصلوه إلا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون
 ٣٢ الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاضم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها) أى طولها (سبعون ذراعا
 فاسلكوه) فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لا يستطع حراكاً ما وتقديم السلسلة
 كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به و ثم لتفاوت ما بين الفعل
 ٣٣ والتصلية وما بينهما وبين السالك فى السلسلة فى الشدة (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل بطريق الاستئناف
 التحقيق ووصفه تعالى بالعظم للإيدان بأنه المستحق للعظمة فحسب فن نسبها إلى نفسه استحق أعظم
 ٣٤ العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه أو على إطعامه فضلاً أن يذل
 من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فاطنك بتارك الفعل وفيه دلالة على
 أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذه قالوا تخصيص الأمرين بالذكر لما أن أقبح العقائد
 ٣٥ الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) أى قريب يحميه ويدفع عنه
 ٣٦ ويحزن عليه لأن أولياءه يتحامونه ويفرون منه (ولا طعام إلا من غسلين) أى من غسالة أهل النار

٦٩ الحاقة

لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

٦٩ الحاقة

فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾

٦٩ الحاقة

وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

٦٩ الحاقة

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾

٦٩ الحاقة

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

٦٩ الحاقة

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾

٦٩ الحاقة

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾

٦٩ الحاقة

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾

وصديدهم فعلمين من الغسل (لا يأكله إلا الخاطئون) أصحاب الخطايا من خطيء الرجل إذا تعدد الذنب ٣٧
 لا من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم المشركون وقرىء
 الخاطيون بإبدال الهمزة ياء وقرىء بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق إلى الباطل
 ويتعدون حدود الله (فلا أقسم) أى فاقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حملة على معنى نفى الإقسام ٣٨
 لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى (بما تبصرون) (وما لا تبصرون) ٣٩
 كما مر في سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدينا والآخرة وقيل بالأجسام والأرواح
 والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل (إنه) أى القرآن (لقول) ٤٠
 (رسول) يبلغه عن الله تعالى فإن الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو النبي أو جبريل *
 عليهما السلام (وما هو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلًا مَّا تؤمنون) إيمانًا قليلًا تؤمنون (ولا ٤١، ٤٢
 بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة أخرى (قليلًا مَّا تذكرون) أى تذكر أقليلًا أو زمانًا قليلًا تتذكرون *
 على أن القلة بمعنى النفي أى لا تؤمنون ولا تتذكرون أصلاً قيل ذكر الإيمان مع نفى الشاعرية والتذكر
 مع نفى الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند بخلاف مباينته للكهانة
 فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى
 أقوالهم وأنت خير بأن ذلك أيضاً بما لا يتوقف على تأمل قطعاً وقرىء بالياء فيهما (تنزيل من رب ٤٣
 العالمين) نزل على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) سعى الاقتراء تقولاً ٤٤
 لأنه قول متكلف والأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً لها كأنها جمع أفعولة من القول كالأصاحيك .

٦٩ الحاقة	لَا خَذَانًا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ٤٥
٦٩ الحاقة	ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ٤٦
٦٩ الحاقة	فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ٤٧
٦٩ الحاقة	وَإِنَّهُ لَتَذِكْرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ٤٨
٦٩ الحاقة	وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ٤٩
٦٩ الحاقة	وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ٥٠
٦٩ الحاقة	وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ٥١
٦٩ الحاقة	فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٢

٤٥، ٤٦ (لأخذنا منه باليمين) أى يمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لإهلاكه بأفطع ما يفعله الملوك بمن يفضون عليه وهو أن يأخذ القتال يمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم [إذا ماراية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين] (فما منكم) أيها الناس (من أحد عنه) عن القتل أو المقتول (حاجزين) دافعين وصف لأحد فإنه عام (وإنه) أى ٤٨ وإن القرآن (لتذكرة للمتقين) لأنهم المنتفعون به (وإننا لنعلم أن منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم ٤٩ (وإنه لحسرة على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين (وإنه لحق اليقين) الذى لا يحوم حوله ٥٠ ريب ما (فسبح باسم ربك العظيم) أى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيهاً له عن الرضا بالتقول عليه وشكراً على ما أوحى إليك . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حساباً يسيراً .

٧٠- سورة المعارج
(مكية وهي أربع وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٠ المعارج

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ①

٧٠ المعارج

لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ②

٧٠ المعارج

مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③

٧٠ المعارج

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④

(سورة المعارج مكية وآياتها أربع وأربعون)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (سأل سائل) أى دعا داع (بعذاب واقع) أى استدعاه وطلبه وهو ١
النضر بن الحرث حيث قال إنكاراً واستهزاء إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من
السماء أو اتتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفاً من السماء وقيل هو الحرث بن
النعمان الفهري وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت
مولاه فعلى مولاه قال اللهم إن كان مايقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه
الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم
استعجل عذابهم وقرىء سأل وهو إما من السؤل على لغة قريش فالعنى مامر أو من السيلان ويؤيده
أنه قرىء سأل سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه وإما فى الدنيا
وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يومئذ صبراً وقد مر حال الفهري وإما فى الآخرة فهو عذاب النار
والله أعلم (للكاشرين) صفة أخرى لعذاب أى كائن للكاشرين أو صلة لواقع أو متعلق بسأل أى دعا ٢
للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى (ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصسه بالصفة *
أو بالعمل أو من الضمير فى الكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف (من الله) متعلق بواقع ٣
أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى (ذى المعارج) ذى المصاعد التى يصعد فيها الملائكة بالأوامر *
والنواهى أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض (تخرج الملائكة والروح) أى جبريل ٤
عليه السلام أفرد بالذكر لتمييزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة
على الناس (إليه) إلى عرشه تعالى وإلى حيث تهبط منه أو امره تعالى وقيل هو من قبيل قول إبراهيم *

٧٠ المارج

فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾

٧٠ المارج

إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾

٧٠ المارج

وَنَزَرَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾

٧٠ المارج

يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَمَلِ ﴿٨﴾

عليه السلام إني ذاهب إلى ربي أي إلى حيث أمرني به (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) بما
يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها
من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا
وقيل معناه تخرج الملائكة والروح إلى عرشه تعالى في يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أي
يقطعون في يوم ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل
بسأل على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة واستطالته إما لأنه كذلك في الحقيقة أو لشدته
على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأياً ما كان فذلك في حق الكافر وأما في حق
المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول
هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى أنه يكون أخف
من صلاة مكتوبة يصلها في الدنيا وقوله تعالى (فاصبر صبراً جميلاً) متعلق بسأل لأن السؤال كان
عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك بما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر
واستبطاء للنصر أو بسأل سائل أو سأل سيل فعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام
٦ (إنهم يرونه) أي العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق في يوم بواقع (بعيداً) أي يستبعدونه
٧ بطريق الإحالة فلذلك يسألون به (ونزاه قريباً) هيناً في قدر تناغير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد
٨ والقرب معتبران بالنسبة إلى الإمكان والجملة تعليل للأمر بالصبر وقوله تعالى (يوم تكون السماء كالهمل)
متعلق بقريباً أي يمكن ولا يعتذر في ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أي يوم
تكون السماء كالهمل الخ يكون من الأحوال والأحوال ما لا يوصف أو بدل من في يوم على تقدير
تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الأقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعبود على طريقة
قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما إذ هو المعبود بالوقوع
على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى
فاسأل به خير أو قوله تعالى ليس له دافع الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسؤل عنه لا محالة وقوله
تعالى فاصبر صبراً جميلاً مترتب عليه وقوله تعالى إنهم يرونه بعيداً ونزاه قريباً تعليل للأمر بالصبر كما
ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أي يقع يوم تكون السماء

٧٠ المعارج

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ⑨

٧٠ المعارج

وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً ⑩

٧٠ المعارج

يَبْصُرُونَهُ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنِيهِ ⑪

٧٠ المعارج

وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ⑫

٧٠ المعارج

وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ عَلَيْهَا ⑬

٧ المعارج

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑭

٧٠ المعارج

كَلَّا إِنَّهَا لَأَنْظَى ⑮

- كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف ٩
المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحر مختلف ألوانها وغرايب سود فإذا بست
وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميماً) أى لا يسأل قريب قريباً ١٠
عن أحواله ولا يكلمه لا ابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرىء على البناء للفعول أى لا يطلب من
حميم حميم أولاً يسأل منه حاله (يبصرونه) أى يبصرونهم (لا يحفظون عليهم وما يمنعهم من
التساؤل إلا تشاغلهم بحال أنفسهم وقيل ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كيباض الوجه وسواده والأول
أدخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرىء يبصرونهم والجملة استئناف (يود المجرم) أى
يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى (لو يفتدى من عذاب يومئذ) أى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ
(بينه) (وصاحبتة وأخيه) حكاية لودادتهم ولو فى معنى التنى وقيل هى بمنزلة أن الناصبة فلا يكون ١٢
لها جواب وينسبك منها وبما بعدها مصدر يقع مفعولاً ليدود والتقدير يود افتداه بينه الخ والجملة استئناف
ليبان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلاً
أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرىء يومئذ بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن وبتنوين عذاب
ونصب يومئذ واتصافه بعذاب لأنه فى معنى تعذيب (وفصيلته) أى عشيرته التى فصل عنهم (التى تؤويه) ١٣
أى تضمه فى النسب أو عند الشدائد (ومن فى الأرض جميعاً) من الثقلين والخلائق ومن للتغليب (ثم
ينجيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الإنجاء يعنى يتمنى لو كان
هؤلاء جميعاً تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيات (كلا) ردع المجرم عن الودادة ١٥
وتصريح بامتناع الإنجاء الافتداء وضمير (لئنها) لما للنار المدلول عليها بذكر العذاب أو مبهم ترجم عند *

٧٠ المارج

نَزَاعَةً لِلشَّوَى ١٦

٧٠ المارج

تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ١٧

٧٠ المارج

وَجَمَعَ فَأَوْعَى ١٨

٧٠ المارج

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩

٧٠ المارج

إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠

٧٠ المارج

وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١

٧٠ المارج

إِلَّا الْمُصْلِينَ ٢٢

٧٠ المارج

الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٣

٧٠ المارج

وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ٢٤

- ١٦ الخبر الذى هو قوله تعالى (لظى) وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الأطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس وقرىء نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لأن أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره (تدعو) أى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم إلى إلى يا كافر بامنافق وقيل تدعو المنافقين * والكافرين بالسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبائنها (من أدبر) أى عن الحق (وتولى) أعرض عن الطاعة (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصاً وتأملاً (إن الإنسان خلق هلوعاً) الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى ٢١، ٢٠ (إذا مسه الشر) أى الفقر والمرض ونحوهما (جزوعاً) أى مبالغاً فى الجزع مكثراً منه (وإذا مسه الخير) أى السعة والصحة (منوعاً) مبالغاً فى المنع والإمساك والأوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لأنها طبائع جبل الإنسان عليها وإذا الأولى ظرف لجزوعاً والثانية لمنوعاً (إلا المصلين) استثناء للتصفيين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لأنباء نعمتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والإشفاق على الخلق والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل ٢٣ على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه (الذين هم على صلاتهم دائمون) لا يشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه

- ٧٠ المارج لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٢٥
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ يَصَّدُقُونَ يَوْمَ الدِّينِ ٢٦
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧
- ٧٠ المارج إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩
- ٧٠ المارج إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠
- ٧٠ المارج فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٣٢
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ٣٣
- ٧٠ المارج وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٣٤

على أنفسهم تقربا إلى الله تعالى وإشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموقوفة (اللسائل) ٢٥
الذي يسأله (والمحروم) الذي لا يسأله فيظن أنه غني فيحرم (والذين يصدقون يوم الدين) أي بأعمالهم ٢٦
حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعاً في المثوبة الآخروية بحيث يستدل بذلك على
تصدقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم مع ما لهم من الأعمال ٢٧
الفاصلة استقصاراً لها واستعظاماً لجناحه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم ورجلة
أنهم إلى ربهم راجعون وقوله تعالى (إن عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد ٢٨
أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة (والذين هم لفروجهم حافظون) (إلا على أزواجهم أو ٣٠، ٢٩
ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) سلف تفسيره في سورة المؤمنين (فمن ابتغى) أي طلب لنفسه (وراء ٣١
ذلك) وراء ما ذكر من الأزواج والملوك (فأولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله *
تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) لا يخلون بشيء من حقوقها (والذين هم بشهاداتهم قانمون) ٣٣، ٣٢
أي مقيمون لها بالعدل لإحياء حقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها
وقرىء لأماناتهم وبشهادتهم على إرادة الجنس (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أي يراعون شرائعها ٣٤
٥٥ - أبي السعود ج ٩،

٧٠ المارج

أُولَئِكَ فِي جَنَّتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

٧٠ المارج

قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكْ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾

٧٠ المارج

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾

٧٠ المارج

أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾

٧٠ المارج

كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخرأ باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال [إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب في المزدحم] إيذاناً بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تمة للآخر (أولئك) إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليهم للإيذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره (في جنات) أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى (مكرمون) خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي فرقا شتى جمع عزوة أصلها عزوة من العزوكأن كل فرقة تعزى إلى غير من تعزى إليه الأخرى كان المشركون يخلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقاتاً حلقاتاً وفرقا فرقا ويستهبزون بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا إيمان (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ (إنا خلقناهم مما يعلمون) قيل هو تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كافي قول الأعشى [أأزمت من آل ليلي ابتكارا * وشطت على ذي هوى أن تزارا] وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يعلموا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويهولون لندخل الجنة قبلهم وقيل لأنهم مخلوقون من نطفة قدرة لا تناسب عالم القدس فتي لم تستكمل الإيمان والطاعة ولم تتخلق بأخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولا يخفى مافي الكل من التحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سبق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء

٧٠ المارج

فَلَا أَقْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾

٧٠ المارج

عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرَ مَنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾

٧٠ المارج

فَقَدَرَهُمْ بِخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾

٧٠ المارج

يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفَضُونَ ﴿٤٣﴾

٧٠ المارج

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

واستهزأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلمهم قوما آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه ألفاء الفصيحة في قوله تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) والمعنى ٤٠ إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب (إنا لقادرون) (على ٤١ أن نبدل خيرا منهم) أى نهلكهم بالمرّة حسبما تقتضيه جنائياتهم ونأتى بدلمهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم (وما نحن بمسبوقين) بمفلولين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبينة على الحكم البالغة اقتضت * تأخير عقوباتهم (فقدرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) فى باطلهم الذى من جملته ما حكى عنهم (ويلعبوا) ٤٢ فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى * كما توهم فإن قوله تعالى (يوم يخرجون من الأجداث) بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للفعول ٤٣ من الإخراج (سراعا) حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين (كأنهم إلى نصب) وهو كل ما نصب * فعبد من دون الله تعالى وقرئ بسكون الصاد وفتح النون وسكون الصاد أيضاً (يوفضون) يسرعون * (خاشعة أبصارهم) وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها (ترهقهم ٤٤ ذلة) تغشاهم ذلة شديدة (ذلك) الذى ذكر ماسبق فيه من الأحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يوعدون) * فى الدنيا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون .

٧١ - سورة نوح عليه السلام
(مكية وهي ثمان عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ٧١ نوح

قَالَ يَنْقُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ ٧١ نوح

إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٧١ نوح

يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ٧١ نوح

(سورة نوح عليه السلام مكية وآياتها ثمان وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك) أى بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وإن مطرد وجعلت صلتها أمراً كما فى قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمال الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهى والمضى والمستقبل كأنه قيل أرسلناه بالإنذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أى أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما فى الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى * كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول (من قبل أن يأتهم عذاب أليم) عاجل أو
- ٢ أجل لثلاثين لهم عذر ما أصلا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كأنه قيل ما فعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم (يا قوم إني لكم نذير مبين)
- ٣ منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى (أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعوا) متعلق بنذير على الوجهين
- ٤ المذكورين (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فإن الإسلام يمحاه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) هو الأمد الأقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم إليه

٧١ نوح

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾

٧١ نوح

فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

وإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي أَذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا

٧١ نوح

اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾

٧١ نوح

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾

٧١ نوح

ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾

- بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى (إن أجل الله) أي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر (إذا جاء) وأتم على ما أتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا إلى بالإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتهم عذاب أليم فإنه أجل موقت له حتماً وحمله على الأجل الأطول بما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عند مجيء الأجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى (لو كنتم تعلمون) أي لو كنتم تعلمون شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به (قال) أي نوح عليه الصلاة والسلام مناجياً ربه وحاكياً له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعدما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاز في الإنذار كل حد معهود وضائق عليه الحيل وعيت به العلل (رب إني دعوت قومي) إلى الإيمان والطاعة (ليلاً ونهاراً) أي دائماً من غير فتور ولا توان (فلم يزد هم دعائي إلا فراراً) بما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسيئته كما في قوله تعالى زادتهم إيماناً (وإني كلما دعوتهم) إلى الإيمان (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم في آذانهم) أي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة (واستعشوا ثيابهم) أي بالغوا في التغطية بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشاهم لثلاً يبصروا كراهة النظر إليه أو لثلاً يعرفهم فيدعوهم (وأصروا) أي أكبوا على الكفر والمعاصي مستعازين من أصر الحمار على العانة إذا أصر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعي وطاعتي (استكباراً) شديداً (ثم إني دعوتهم جهاراً) (ثم إني أعلنت ٩٨ لهم وأسرت لهم إسراراً) أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غيب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الأفراد أو لتراخي بعضها عن بعض وجهار منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم

٧١ نوح

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

٧١ نوح

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾

٧١ نوح

وَيُمِدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾

٧١ نوح

مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾

٧١ نوح

وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

١٠ أو هو صفة لمصدر أى دعوتهم دعاء جهاراً أى مجاهرأ به أو مصدر فى موقع الحال أى مجاهرأ (فقلت
 • استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصى (إنه كان غفاراً) للتائبين كأنهم تعلقوا وقالوا إن كنا
 على الحق فكيف تركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرأ طويلاً فأمرهم بما
 يمحى ماسلف منهم من المعاصى ويحلب إليهم المنافع ولذلك وعدم بما هو أوقع فى قلوبهم وأحب إليهم
 من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام
 فئسهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدم أنهم إن آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم
 ما كانوا فيه (يرسل السماء عليكم مدراراً) أى كثير الدور والمرار بالسماء المظلة أو السحاب
 ١١، ١٢ (ويمدكم بأموال وينبن ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم) فيها (أنهاراً) جارية (مالكم
 لا ترجون لله وقاراً) إنكار لأن يكون لهم سبب مافى عدم رجائهم لله تعالى وقاراً على أن الرجاء بمعنى
 الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على أن الإنكار متوجه
 إلى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا إليهما معاً كما فى قوله تعالى ومالى لا أعبد الذى فطرني
 والله متعلق بمضمون وقع حالا من وقاراً ولو تأخر لكان صفة له أى أى سبب حصل لكم حال كونكم
 ١٤ غير معتدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطواراً) أى والحال
 أنكم على حال منافية لما أتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية
 ثم أخلاطاً ثم نطفأً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأكم خاقاً آخر فإن التقصير فى توفير من
 من هذه شؤنه فى القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها بما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل
 الرجاء بمعنى الأمل أى مالكم لا تؤملون له تعالى توفيراً أى تعظيماً لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على
 حال تؤملون فيها تعظيم الله تعالى إياكم فى دار الثواب والله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار
 والأول هو الذى تستدعيه الجزالة التزيلية فإن اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله
 تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد جتاً وأما عدم رجائهم لتعظيم الله
 إياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والإنكار مع أن فى جعل الوقار بمعنى التوفير من التصف

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ٧١ نوح

وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ٧١ نوح

وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ٧١ نوح

ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ٧١ نوح

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ ٧١ نوح

وفي قوله والله ييان للوقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض مالا يخفى فإن كونه يياناً للوقر يقتضى أن يكون التوقير صادراً عنه تعالى والوقار وصفاً للخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفاً له تعالى وقيل مالكم لاتخافون لله عظمة وقدره على أخذكم بالعقوبة أى أى عذركم فى ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مالكم لاتخشون الله عقاباً ولا ترجون منه ثواباً وعن مجاهد والضحاك مالكم لاتبالون الله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج أى لم أبال وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً) أى متطابقة بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نوراً) أى منورا لوجه الأرض فى ظلمة الليل ونسبته إلى الكل مع ١٥ أنه فى السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل أو لأن كل واحدة منها شفافة لاتحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل (وجعل الشمس سراجاً) يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الأرض • ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور فى الجملة (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) أى أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه ١٧ أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتاً إما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أى أنبتكم من الأرض فنبت نباتاً ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتاً فنبت نباتاً فيحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الأخرى كما مر فى قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى وقوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله (ثم يعيدكم فيها) ١٨ بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والخشر (إخراجاً) محققاً لا ريب فيه (والله جعل لكم الأرض بساطاً) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر مراراً من الاهتمام ببيان كون المجمعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند كون المقدم ملوحاً بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن

٧١ نوح

لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

٧١ نوح

قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾

٧١ نوح

وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَارًا ﴿٢٢﴾

٧١ نوح

وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

٧١ نوح

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

- ٢٠ عند وروده لها فضل تمكن (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقا واسعة جمع فجع وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا
- ٢١ أى كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها (قال نوح) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية
- مناجاته لربه أى قال مناجيا له تعالى (رب إنهم عصوني) أى تموا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت
 - فى إرشادهم بالعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خسارا) أى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسوة لهم فى الخسار وفى وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على
- ٢٢ أنه لغة كالخزن أو جمع كالأسد (ومكروا) عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فى الضمائر الأول باعتبار لفظها (مكرا كبارا) أى كبيراً فى الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتياهم فى الدين وصددهم للناس عنه وتحريشهم لهم فى أذية نوح عليه السلام (وقالوا لا تذرنا آلهتكم) أى لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح (ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أى ولا تذرنا عبادة هؤلاء خصوصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمردونسر لخير وقيل هم أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم وتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر
- ٢٤ على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للمعجمة والعلبية (وقد أضلوا) أى الرؤساء (كثيرا) خلقا كثيرا أو الأصنام كقوله تعالى رب إنهن أضللن كثيرا من الناس (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) عطف على قوله تعالى رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال

مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ ٧١ نوح

وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ٧١ نوح

إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ٧١ نوح

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا

تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ٧١ نوح

وبعد الواو النائية عنه أى قال رب إنهم عصوني وقال لاتزد الظالمين إلا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما فى قوله تعالى إن المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سياتى من دعائه عليه الصلاة والسلام (بما خطيئاتهم) أى من أجل خطيئاتهم ومازيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرىء بما خطاياهم وبما خطيئاتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان لا بسبب آخر (فأدخلوا نارا) * المراد إما عذاب القبر فهو عقيب الإغراق وإن كانوا فى الماء عن الضحك أنهم كانوا يفرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لإغراقهم لا قربابه وتحققه لاحالة وتنكير النار إما لتعظيمها وتهويلها أو لأنه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا * لهم من دون الله أنصارا) أى لم يجد أحد منهم واحدا من الأنصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتمكيمهم (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) ٢٦ عطف على نظيره السابق وقوله تعالى بما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للإيدان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئاتهم التى عددها نوح عليه السلام وأشار إلى استحقاقهم للإهلاك لأجلها لا أنها حكاية لنفس الإغراق والإحراق على طريفة حكاية ماجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الأحوال والأقوال وإلا لآخر عن حكاية دعائه هذا ودياراً من الأسماء المستعملة فى النفي العام يقال ما بالدار ديار أودبور كقيام وقيام أى أحد وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل بأصل سيد لأفعال وإلا لكان دواراً (إنك إن تذرهم) عليها كلا أو بعضاً (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا إلا ٢٧ فاجراً كفاراً) أى إلا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه وكأنه اعتذار بما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكراً وإنما قاله لاستحكام عليه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريباً من ألف سنة (رب اغفر لي ٢٨

٧٢ - سورة الجن
(مكية وهي ثمان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوْحِيَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾

٧٢ الجن

يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾

٧٢ الجن

ولو الـدى) أبوه ملك بن متوشلخ وأمه شمش بنت أنوش كانوا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرىء ولولدى * يريد ساما وحاماً (ولن دخل بيتي) أى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى (مؤمناً) بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه إلا بعد ما قيل له إنه ليس من أهالك * وقد مر تفصيله فى سورة هود (وللمؤمنين والمؤمنات) عمن بالدعاء لآثر ما خص به من يتصل به نسباً * وديناً (ولا تزد الظالمين إلا تباراً) أى هلاكاً قليل غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لآعلى وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم باراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله برأيتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نساءهم وأبى أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام .

(سورة الجن مكية وآياتها ثمان وعشرون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أوحى إلى) وقرىء أوحى إلى أصله ووحى وقد قرىء كذلك من ووحى إليه فقلت الواو المضمومة همزة كاعد وأزن فى وعد ووزن (أنه) بالفتح لأنه فاعل أوحى * والضمير للشأن (استمع) أى القرآن كما ذكر فى الأحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه (نفر من الجن) النفرا بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل هى النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته فسمعوه فأخبر الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل فى الأحقاف (فقالوا) لقومهم عند رجوعهم إليهم (إنا سمعنا قرآناً) كتاباً مقروءاً (عجياً) بديعاً مبيناً لكلام الناس فى حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للبالغة (يهدى إلى الرشد) إلى الحق والصواب (فآمننا به) أى بذلك القرآن (ولن نشرك بربنا أحداً) حسبنا نطق به ما فيه من دلائل التوحيد .

٧٢ الجن

وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾

٧٢ الجن

وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ كَانُوا رِجَالًا مِّنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾

٧٢ الجن

وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

- (وأنه تعالى جد ربنا) بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعاً عطف على محل الجار والمجرور في فأمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أي عظم تمكنه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجدل الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو سلطانه أو لغناه وقرئ بالكسر وكذا الجمل المذكور عطفاً على المحكى بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما اندراج الجمل الآتية تحت الإيمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه إشكال كما ستحيط به خبراً وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدارينا على التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووقفوا للتوحيد والإيمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقدوه كفر الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه وزهوه تعالى عنه (وأنه كان يقول سفيناً) أي إبليس أو مرده الجن (على الله شططاً) أي قولاً شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى وتعلق الإيمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فإنهم كانوا عالمين بقول سفناتهم من قبل أيضاً بل باعتبار كونه شططاً كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيناً في حقه تعالى كان شططاً وأما تعلقهما بقوله تعالى (وأنا ظنننا أن لن نقول الإنس والجن على الله كذباً) فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليد سفينهم أي كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبداً ولذلك اتبعنا قوله وكذباً مصدر مؤكد لتقول لأنه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أي قولاً كذباً أي مكذوباً فيه وقرئ لن نقول بحذف إحدى التامين فكذباً مصدر مؤكد له لأن الكذب هو التقول (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) كان الرجل من العرب إذا أمسى في وادٍ قعر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سداً الإنس والجن وذلك قوله تعالى (فزادهم) أي زاد الرجال العائدون الجن (رهقاً) أي تكبروا وعتوا أو فزاد الجن العائدين غياً بأن أضلّوهم حتى استعاضوا بهم (وأنهم

وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ﴿٨﴾ الجن ٧٢

وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ فَنَنُصْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ الجن ٧٢

وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ الجن ٧٢

وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ﴿١١﴾ الجن ٧٢

- * ظنوا) أى الإنس (كما ظننتم) أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض (أن لن يبعث الله أحدا) وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنها كذلك على كل تقدير عطفاً على أنه استمع إذ لا معنى لإدراجهما تحت ما ذكر من الإيمان والتصديق وكذا قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء) وما بعده من الجمل المصدرة بأنا ينبغى أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى إلى كيت وكيت وهذه العبارات أى طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجلس يقال لمسّه واتمسّه وتلمسه كطلبه وأطلبه وطلبه (فوجدناها ملئت حرساً) أى حراساً اسم جمع كخدم مفرد اللفظ ولذلك
- * قيل (شديداً) قوياً وهم الملائكة يمنعونهم عنها (وشهباً) جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار
- ٩ الكواكب (وأنا كنا نقعد) قبل هذا (منها) من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع والسمع متعلق بنقعد أى لأجل السمع أو بمضمهر هو صفة لمقاعد كائنة
- * للسمع (فن نستمع الآن) فى مقعد من المقاعد (يجد له شهاباً رصداً) أى شهاباً راصداً له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرص قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضاً لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً فقالوا ما هذا إلا لأمر أراده
- ١٠ الله تعالى بأهل الأرض وذلك قولهم (وأنا لاندري أشراً أريد بمن فى الأرض) بحراسة السماء (أم أرادهم ربهم رشداً) أى خيراً ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية
- ١١ كما فى قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره (وأنا منا الصالحون) أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا
- * إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك لحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لافى الإيمان والتقوى كما توهم فإن هذا بيان لحالهم
- * قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنا طرائق قدداً) وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى - إلى قوله تعالى - وأنا منا المسلمون أى كنا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق قدداً أى متفرقة مختلفة

- وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ الجن ٧٢
- وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ الجن ٧٢
- وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ الجن ٧٢
- وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ الجن ٧٢
- وَالْوِاسِقَتُمْؤَا عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ الجن ٧٢
- لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ الجن ٧٢

جمع قدة من قد كالقطعة من قطع (وأنا ظننا) أى علمنا الآن (أن لن نعجز الله) أى الشأن لن نعجز ١٢
الله كائنين (فى الأرض) أينما كنا من أقطارها (ولن نعجزه هرباً) هاربين منها إلى السماء أولن نعجزه *
فى الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا (وأنا لما سمعنا الهدى) أى القرآن الذى ١٣
هو الهدى بعينه (آمنا به) من غير تلعم وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما أنزله (فلا يخاف) فهو لا يخاف *
(بخساً) أى نقصاً فى الجزاء (ولا رهقاً) ولأن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق إذ لم يبخس أحداً *
حقاً ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجنب
المظالم وقرىء فلا يخف والأول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (وأنا من المسلمون ومننا ١٤
القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الإيمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك) إشارة إلى من *
أسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) توخوا (رشداً) عظيماً يغلبهم إلى دار الثواب (وأما القاسطون) ١٥
الجائرون عن سنن الإسلام (فكانوا لجهنم حطباً) توقدهم كما توقد بكفرة الإنس (وأن لو استقاموا) ١٦
أن مخففة من النقيلة والجملة معطوفة قطعاً على أنه استمع والمعنى وأوحى إلى أن الشأن لو استقام الجن
والإنس أو كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الإسلام (لأسقيناهم ماء غدقاً) أى لو سعننا عليهم الرزق *
وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل
لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته
ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفروا بعبادته ولده فى الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم
(لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقته القديمة ولم يسلبوا ١٧
بإستماع القرآن لو سعننا عليهم الرزق استدراجاً لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة (ومن *
يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله (عذاباً صعداً) أى *
شاقاً صعباً يعاوب المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة .

٧٢ الجن

وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ١٨

٧٢ الجن

وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩

٧٢ الجن

قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ٢٠

٧٢ الجن

قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١

٧٢ الجن

قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ٢٢

إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ٢٣ ٧٢ الجن

- ١٨ (وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ) عطف على قوله تعالى أنه استمع أي وأوحى إلى أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل
 * معناه ولأن المساجد لله (فلا تدعوا) أي لا تعبدوا فيها (مع الله أحدا) غيره وقيل المراد بالمساجد
 المسجد الحرام والجمع لأن كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لأنه قبلة المساجد وقيل الأرض
 كلها لأنها جعلت مسجدا للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود
 ١٩ لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجودات على أنه جمع المصدر الميمي (وأنه) من
 * جملة الموحى أي وأوحى إلى أن الشأن (لما قام عبد الله) أي النبي عليه الصلاة والسلام وإيراده بلفظ
 * العبد للإشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه (يدعوه) حال
 * من فاعل قام أي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله في سورة الأحقاف (كادوا) أي
 * الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا عما شاهدوا من عبادته وسمعوا من
 قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره
 وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفا للشركين كاد المشركون يزدحمون عليه
 متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرىء لبدا جمع لبدة وهي
 بمعنى اللبدة ولبدا جمع لبد كساجد وسجد ولبدا بضمين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت
 ٢٠ الإنس والجن على هذا الأمر ليطلقوه فأبى الله إلا أن يظهره على من ناوأه (قل إنما أدعوا) أي أعبد
 * (ربي ولا أشرك به) ربي في العبادة (أحدا) فليس ذلك يبدع ولا مستنكر يوجب التعجب أو الإطباق
 على عداوتي وقرىء قال على أنه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الأظهر
 ٢١ والأوفق لقوله تعالى (قل إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا) كأنه أريد لا أملك لكم ضرا ولا نفعا
 ٢٢ ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر (قل إني لن يجيرني من الله أحد) إن أرادني
 * بسوء (ولن أجِدَ من دونه ملتحدا) ملتحجا ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون
 ٢٣ نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شئون غيره وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله) استثناء

حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَآيُوعِدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ الجن ٧٢

قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبٌ مَّا تُوْعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ الجن ٧٢

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ الجن ٧٢

إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ الجن ٧٢

من قوله لا أملك فإن التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة أو من ملتحداً
أى لن أجد من دونه منجاً إلا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل إلا مركبة من أن الشرطية ولا التافية
ومعناه أن لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه (ورسالاته) عطف على بلاغا *
ومن الله صفته لاصلته أى لا أملك لكم إلا تبليغاً كائناتاً منه تعالى ورسالاته التى أرسلنى بها (ومن يعص *
الله ورسوله) فى الأمر بالتوحيد إذ الكلام فيه (فإن له نار جهنم) وقرىء بفتح الهمزة على فحقه أو *
فجزاؤه أن له نار جهنم (خالدين فيها) فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (أبداً) بلا نهاية وقوله *
تعالى (حتى إذا رآوا ما يوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه ٢٤
الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رآوا ما يوعدون من فنون
العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حيثئذ (من أضعف ناصراً وأقل عدداً) وحمل ما يوعدون على ما رآوا *
يوم بدر ياباه قوله تعالى (قل إن أدري) أى ما أدري (أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً) ٢٥
فإنه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود إنكاراً له واستهزاء به فقيل قل
إنه كائن لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون (عالم الغيب) بالرفع قيل هو بدل من ربي أو بيان له ٢٦
ويأباه الفاء فى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحداً) إذ يكون النظم حيثئذ أم يجعل له عالم الغيب أمداً *
فلا يظهر عليه أحداً وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف أى هو عالم الغيب والجملة
استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على
الإطلاق أى فلا يطلع على غيبه إطلاقاً كاملاً ينكشف به جليلة الحال انكشافاً تاماً موجباً لعين اليقين
أحداً من خلقه (إلا من ارتضى من رسول) أى إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة ٢٧
برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً تاماً إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون
معجزة دالة على صحتها وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعمامة التكليف الشرعية التى أمر بها المكلفون
وكيفيات أعمالهم وأجزئتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من
جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التى بينها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق
بها على أحد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبداً على أن بيان
وقته مغل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء

لَيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ٧٢ الجن

المتعلقة بالكشف فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسول لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلاً ولا يدعى أحد لأحد من الأولياء ما في رتبة الرسول عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح وقوله تعالى (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فإنه يسلك من جميع جوانب الرسول صلى الله عليه وسلم عند إظهاره على غيبه حرصاً من الملائكة بحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالاته وقوله تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية ٢٨ له من حيث أنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه إذ المراد به العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد إظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفرادهم وضمير أبلغوا إما للرصد فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علماً مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجوداً حاصلًا بالفعل كما في قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد عليه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما والإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما وأما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضمير السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربهم إلى أهمهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغوا الرصد إليهم كذلك وقوله تعالى (وأحاط بما لديهم) أى بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك يا ضمير قد أو بدونه على الخلاف المشهور جنى بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالإبلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أى يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليرتب عليه تعالى بما ذكره والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعاً (وأحصى كل شيء) بما كان وما سيكون (عدداً) أى فرداً فرداً وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجراً الأرض عيوناً والأصل أحصى عدد كل شيء وقيل هو حال أى معدوداً محصوراً أو مصدر بمعنى احصاء وأياً ما كان ففائدته بيان أن عليه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلى إجمالى بل على وجه جزئى تفصيلي فإن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها أى لا تقدرها إجمالاً فضلاً عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والآلاف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فينبى على ذلك حسابه هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك وأحاط بما لديهم الخ فمعزل من السداد . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق بمحمداً وكذب به عتق رقبة .

٧٣ - سورة المزمل

(مكية وهي عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ①

٧٣ المزمل

قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ②

٧٣ المزمل

نُصَفُهُ ۖ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③

٧٣ المزمل

(سورة المزمل مكية إلا آية ١٠، ١١، ٢٠ فدنية وآياتها عشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المزمل) أي المتزمل من تزل بتيابه إذا تلف بها فادغم التاء في الزاء وقد قرئ على الأصل وقرئ المزمل من زمله مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل قبل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم تهجيناً لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلفاً بقطيفة مستعداً للنوم كما يفعله من لا يهمله أمر ولا يعنيه شأن فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمير للعبادة والهجود إلى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جثت فرقا أول ما أتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني فحسب أنه عرض له فينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعلني رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بحنجره التراب قم يا أبا تراب ملاطفة وإشعاراً بأنه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذي زمل أمراً عظيماً هو أمر النبوة أي حملة والزمل الحمل وازدمله أي احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للإشعار بعملية للقيام أو للأمر به فإن تحميله عليه الصلاة والسلام لأعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة (قم الليل) أي قم إلى الصلاة وانصب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها (إلا قليلاً) استثناء من الليل وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل الباقي بعد اثني عشر بدل الكل أي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والإيدان بفضلته وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر (أو انقص منه) أي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الأولى *

٧٣ المزمّل

أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ④

٧٣ المزمّل

إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑤

٧٣ المزمّل

إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑥

- ٤ (قليلًا) أى نقصاً قليلاً أو مقداراً قليلاً بحيث لا ينحط إلى نصف النصف (أوزد عليه) أى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخيره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلاً والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولاً فلان الحقيق بالاهتناء الذى ينبى عنه الإبدال هو الجزاء الباقى بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه وأما ثانياً فلان نقص القيام وزيادته إنما يعتبران بالقياس إلى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلاً من قليلاً لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس إلى ما هو عار عنه بالسكينة والاعتذار بتساوى النصفين مع كونه تمحلاً ظاهراً اعتراف بأن الحق هو الأول وقيل نصفه بدل من الليل وإلا قليلاً استثناء من النصف والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للأقل من النصف كأنه قيل قم أقل من نصفه أو قم أنقص من ذلك الأقل أو أزيد منه * قليلاً وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الأول والله أعلم بما فى كتابه الجليل (ورتل القرآن) * فى أثناء ما ذكر من القيام أى اقرأه على تودة وتبيين حروف (ترتيلًا) بليغاً بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل إذا كان مفجعاً (إنا سنلقى عليك) أى سنوحى إليك وإثارة الإلقاء * عليه لقوله تعالى (قولا ثقيلاً) وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه صلى الله عليه وسلم مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعتراض بين الأمر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلاً أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقل على المتأمل فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرفاً (إن ناشئة الليل) أى إن النفس التى تنشأ من مضجعها إلى العبادة أى تنهض من نشأ من مكانه إذا نهض أو إن قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو إن العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أو إن ساعات الليل فإنها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الأولى * نشأ إذا ابتداء (هى أشد وطأً) أى هى خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطأ أى أشد هو أطأه يواطىء قلبها لسانها إن أريد بها النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه أن أريد

٧٣ الزمل

إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾

٧٣ الزمل

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾

٧٣ الزمل

رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

٧٣ الزمل

وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾

٧٣ الزمل

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾

٧٣ الزمل

إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾

٧٣ الزمل

وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾

- بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص (وأقوم قبلاً) *
 وأسد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الأصوات (إن لك في النهار سبجاً طويلاً) أى تقبلاً ٧
 وتصرفاً في مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا يستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان
 للداعي الخارجى إلى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعى وقرىء سبخاً أى تفرق قلب بالشواغل
 مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه وفشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلاً ٨
 ونهاراً على أى وجه كان من تسييح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم (وتبتل إليه) *
 أى وانقطع إليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك إلا بتجريد نفسه
 عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل (تبتيلاً) *
 مكان تبتلاً مع ما فيه من رعاية الفواصل (رب المشرق والمغرب) مرفوع على المدح وقيل على الابتداء ٩
 خبره (لا إله إلا هو) وقرىء بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على إضمار حرف القسم جوابه لا إله *
 إلا هو والفاء في قوله تعالى (فاتخذ وكيلاً) لترتيب الأمر وموجه على اختصاص الألوهية والربوبية *
 به تعالى (واصبر على ما يقولون) بما لاخير فيهم من الخرافات (واهجرهم هجراً جميلاً) بأن تجانبهم وتداريهم ١٠
 ولا تكافهم وتكل أمورهم إلى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى (وذرنى والمكذبين) أى دعنى وإياهم ١١
 وكل أمرهم إلى فإنى أكفيكمهم (أولى النعمة) أرباب التنعم وهم صناديد قريش (ومهلهم قليلاً) زماناً *
 قليلاً (إن لدينا أنكالاً) جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للأمر أى أن لدينا أموراً مضادة ١٢
 لتنعمهم (جحيماً) (وطعاماً ذا غصة) ينشب في الخلق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم (وعذاباً ١٣
 أليماً) ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد .

يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلاً ٧٣ المزمّل

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ٧٣ المزمّل

فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ٧٣ المزمّل

فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ٧٣ المزمّل

السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ٧٣ المزمّل

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٧٣ المزمّل

- ١٤ وقوله تعالى (يوم ترجف الأرض والجبال) أى تضطرب وتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به
 * لدينا وقيل متعلق بمضمّر هو صفة لعذابنا أى عذاباً واقعاً يوم ترجف (وكانت الجبال) مع صلابتها
 * وارتفاعها (كثيباً) رملاً مجتمعاً من كشب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلاً) منشوراً من
 ١٥ هيل هيلاً إذا نثر وأسيل (إنا أرسلنا إليك) ياهل مكة (رسولاً شاهداً عليكم) يشهد يوم القيامة
 * بما صدر عنكم من الكفر والعصيان (كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً) هو موسى عليه السلام وعدم
 ١٦ تعيينه لعدم دخله فى التشبيه (فعصى فرعون الرسول) الذى أرسلناه إليه وحمل الكاف النصب على
 أنها صفة لمصدر محذوف أى (إنا أرسلنا إليك رسولاً فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهداً عليكم
 * إرسالاً كأننا كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه وقوله تعالى (فأخذناه أخذاً وبيلاً) خارج من
 التشبيه جىء به للتنبيه على أنه سبحانه بهؤلاء ماحق بأولئك لا محالة والويل الثقيل الغليظ من قولهم
 ١٧ كلاً وويل أى وخيم لا يستمرأ لثقله والويل العصا الضخمة (فكيف تتقون) أى كيف تقون أنفسكم
 * (إن كفرتم) أى بقيتم على الكفر (يوماً) أى عذاب يوم (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة
 * مافيه من الدواهي (شيباً) شيبوا جمع أشيب إما حقيقة أو تمثيلاً وأصله أن الهموم والأحزان إذا
 تفافت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفاً لليوم بالطول وليس
 ١٨ بذلك (السما منفطر) أى متشقق وقرئ متفطر أى متشقق والتذكير لإجرائه على موصوف مذكر
 أى شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسومها ولم يبق منها إلا
 ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات انقطاع والباء فى
 * قوله تعالى (به) مثلها فى فطرت العود بالقدوم (كان وعده مفعولاً) الضمير لله عز وجل والمصدر
 ١٩ مضاف إلى فاعله أو لليوم وهو مضاف إلى مفعوله (إن هذه) إشارة إلى الآيات المنطوية على القوراع
 * المذكورة (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) بالتقريب إليه بالإيمان والطاعة فإنها المنهاج

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَلَّنْ نَحْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَمِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقْنَتُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ وَامَّا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُودُهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

٧٣ المزمل

- الموصل إلى مرضاته (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل) أى أقل منهما استعير له الأدنى ٢٠
- لما أن المسافة بين الشيتين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفاً على أدنى
- وقرنا بالجر عطفاً على ثلثي الليل (وطائفة من الذين معك) أى يقوم معك طائفة من أصحابك (والله
- يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلاً فإن تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر
- عليه موجب للاختصاص قطعاً كما يعرب عنه قوله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم أن الشأن لن
- تقدروا على تقدير الأوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبداً (فتاب عليكم) بالترخيص فى ترك القيام
- المقدر ورفع التبعة عنكم فى تركه (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر
- عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجباً على التخيير المذكور ففسر عليهم
- القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من
- القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القاتنين وقيل خمسين آية (علم أن سيكون منكم
- مرضى) استئناف مبين لحكمة أخرى داعية إلى الترخيص والتخفيف (وآخرون يضربون فى الأرض)
- يسافرون فيها للتجارة (يلتغون من فضل الله) وهو الرجوع وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم (وآخرون
- يقاتلون فى سبيل الله) وإذا كان الأمر كما ذكر وتماضت الدواعى إلى الترخيص (فاقروا ما تيسر
- منه) من غير تحمل المشاق (وأقيموا الصلاة) أى المفروضة (وآتوا الزكاة) الواجبة وقيل هى زكاة
- الفطر إذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرهما بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مديناً (وأقرضوا الله قرضاً
- حسناً) أريد به الإنفاقات فى سبيل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء (وما
- تقدموا لأنفسكم من خير) أى خير كان مما ذكر وما لم يذكر (تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجراً)
- من الذى تزخرونه إلى الوصية عند الموت وخيراً ثانياً مفعول تيجدون وهو تأكيد أو فصل وإن لم يقع
- بين معرفتين فإن أفعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على
- الابتداء والخبر (واستغفروا الله) فى كافة أحوالكم فإن الإنسان قلباً يخلو من التفريط (إن الله غفور
- رحيم) . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة .

٧٤ — سورة المدثر
(مكية وهي ست وخمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٤ المدثر

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①

٧٤ المدثر

قُمْ فَأَنْذِرْ ②

٧٤ المدثر

وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③

٧٤ المدثر

وَتَبَارَكَ فَطَهِّرْ ④

(سورة المدثر مكية وآياتها ست وخمسون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها المدثر) أي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي على الجسد قبل هي أول سورة نزلت . روى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم أر شيئاً فنظرت فوق فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثروني دثروني فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهري أن أول ما نزل سورة اقرأ إلى قوله تعالى مالم يعلم فخرن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواقي الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال إنك نبي الله فرجع إلى خديجة فقال دثروني وصبوا على ماء بارداً فنزل جبريل فقال يا أيها المدثر وقيل سمع من قریش ما كرهه فاعظم فتغطى بثوبه متفكراً كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع إنذارهم وإن أسمعوه وأذوه وقيل كان نائماً متدثراً وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الإلهية . وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أي الذي دثر هذا الأمر العظيم وعصب به وفيه إلهام
- ٢ أبي المنذر يا أيها المتدثر على الأصل (قم) أي من مضجعتك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) أي افعل الإنذار وأحدثه وقيل أنذر قومك كقوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين أو جميع الناس حسبما ينبيء
- ٣ عنه قوله تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقاداً وقولاً ويروى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أي شيء حدث فلا تدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه
- ٤ وينزهه من الشرك فإن أول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تزيه عما لا يليق بجنابه (وتبارك) وتعالى

٧٤ المدثر

وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ⑤

٧٤ المدثر

وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ ⑥

٧٤ المدثر

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ⑦

٧٤ المدثر

فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ ⑧

٧٤ المدثر

فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ⑨

٧٤ المدثر

عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ⑩

- فطهر) بما ليس بظاهر فإنه واجب في الصلاة وأولى وأحب في غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطئها وتقصيرها أيضاً فإن طولها يؤدي إلى جر الذبول على القاذورات وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس بما يستقدر من الأفعال ويستجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والأردان إذا وصفوه بالنقاء من المعاييب ومدانس الأخلاق (والرجز فاهجر) أى واجهر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من المآثم وقرىء بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثراً أى رانياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً للكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى إما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له الأخلاق وأحسن الآداب أوللتزيه للكل وقرىء تستكثر بالسكون اعتباراً بحال الوقف أو أبداً لا من تمنن كأنه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا أذى لأن من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرىء بالنصب بإضمار أن مع إبقاء عملها كقول من قال [ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى] وقد قرىء بإثباتها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما يروى أحضر الوغى بالرفع (ولربك) أى لوجه تعالى أو لأمره (فاصبر) فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض (فإذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو فاعل من النقر بمعنى التصويت وأصله الفرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاغم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاغم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى إذا ما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) (على الكافرين) فإن معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان ببعده منزلة فى الهول والفظاعة ومحل الرفع على الابتداء ويومئذ

٧٤ المذثر	ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١
٧٤ المذثر	وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٢
٧٤ المذثر	وَبَنِينَ شُهُودًا ١٣
٧٤ المذثر	وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤
٧٤ المذثر	ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥

بدل منه مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر إذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أحوال من المستمكن فيه وقوله تعالى (غير يسير) تأكيد لعسره عليهم مشعر يسره على المؤمنين واختلاف في أن المراد به يوم النفخة الأولى أو الثانية والحق أنها الثانية إذ هي التي يختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الأولى فحكمها الذي هو الإصعاق يوم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حياً عند وقوعها وقد جاء في الأخبار أن في الصور نقباً بعدد الأرواح كلها وأنها تجمع في تلك النقوب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل نقبه روح إلى الجسد الذي نزعته منه فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيداً) حال إما من الياء أى ذرنى وحدى معه فإنى أكفيك في الانتقام منه أو من التاء أى خلقت وحدى لم يشركنى في خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقت وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب في قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيداً من المال والولد أو وحيداً من أبيه لأنه كان زنياً كما مر أو وحيداً في الشرارة (وجعلت له مالا ممدوداً) مبسوطة كثيراً أو مدا بالنماء من مد النهر ومدته نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثوري أربعة آلاف دينار وقال الثوري أيضاً ألف ألف دينار (وبنين شهوداً) حضوراً معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لو فور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضوراً في الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخاله وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيداً) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ربحانة قريش (ثم يطمع أن أزيد) على ما أوتيته وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه إما لأنه لا مزيد

٧٤ المدثر

كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾

٧٤ المدثر

سَأَرْهُقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٧٤ المدثر

إِنَّهُ فَعَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾

٧٤ المدثر

فَقَتَّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾

على ما أوتي سعة وكثرة أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاودة المنعم وقيل إنه كان يقول إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لي (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب ١٦ وقوله تعالى (إنه كان لآياتنا عنيداً) تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاودة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها بما يوجب حرمانه بالسكينة وإنما أوتي ما أوتي استدراجاً قيل مازال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعوداً) سأغشيه بدل ما يطعمه من ١٧ الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقي من العذاب الصعب الذي لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وسلم يكن أن يصعد عقبة في النار كلها وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيها سبعين خريفاً ثم يهوى فيه كذلك أبداً (إنه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أي ١٨ فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقول (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره وإصابته ١٩ فيه الغرض الذي كان ينتجيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به أو حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكم بهم وإعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه أو أخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغاً حقيقياً بأن يدعو عليه حاسده بذلك . روى أن الوليد قال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آتفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له للحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو وما يعلو فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأ قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه ففقد هذه حزنياً وكم به أحماء فقام فاتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخفق وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحراً يثره عن أهل بابل فاربح النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متمعجين منه .

٧٤ المدثر	ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۝٢٠
٧٤ المدثر	ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١
٧٤ المدثر	ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢
٧٤ المدثر	ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣
٧٤ المدثر	فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤
٧٤ المدثر	إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥
٧٤ المدثر	سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۝٢٦
٧٤ المدثر	وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۝٢٧
٧٤ المدثر	لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨
٧٤ المدثر	لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝٢٩

٢٠ (ثم قتل كيف قدر) تكرر للبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيما بعد على أصلها ٢٢، ٢١ من التراخي الزماني (ثم نظر) أى في القرآن مرة بعد مرة (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعناً ولم يدرك ما يقول وقيل نظر في وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر إلى رسول الله صلى ٢٣ الله عليه وسلم ثم قطب في وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو عن رسول الله صلى ٢٤ الله عليه وسلم (واستكبر) عن اتباعه (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى يروى ويتعلم والفاء للدلالة ٢٥ على أن هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعم وتلبث وقوله تعالى (إن هذا إلا قول البشر) ٢٧، ٢٦ تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعوداً (وما أدراك ما سقر) أى أى شيء أهلكك ما سقر على أن ما الأولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لأنها المفيدة لما قصد إفادته من التهويل والتفطيع وسقر مبتدأ أى أى شيء هى فى وصفها لما مر مراراً من ٢٨ أن ما قد يطلب بها الوصف وإن كان الغالب أن يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى (لا تبقي ولا تذر) بيان لوصفها وحالها وإنجاز للوعد الضمني الذى يلوح به وما أدراك ما سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك أى لا تبقى شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته وإذا هلك لم تذر هالكاً حتى يعاد أو لا تبقى على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة للبشر) مغيرة لأعلى الجلمة مسودة

عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

٧٤ المدثر

وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

٧٤ المدثر

- لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين
 اليقين وقرىء لواحة بالنصب على الاختصاص للتحويل (عليها تسعة عشر) أى ملكاً أو صنفاً أو صفاً ٣٠
 أو نقيساً من الملائكة يلون أمرها ويتسلطون على أهلها وقرىء بسكون عين عشر حذاراً من توالى
 الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرىء تسعة عشر جمع عشير مثل يمين وأيمن (وما جعلنا أصحاب
 النار) أى المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها (إلاملائكة) لينخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم *
 ولا يستروحوا إليهم ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشدّهم بأساً
 عن النبي صلى الله عليه وسلم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى
 النار ويرى بالجليل عليهم وروى أنه لما نزل عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة
 منكم أن يعطشوا برجل منهم فقال أبو الأشد بن أسيد بن كعدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم
 سبعة عشر فاكفوني أتم اثنين فزلت أى ما جعلناهم رجالاً من جنسكم (وما جعلنا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا) أى ما جعلنا عددهم إلا العدد الذى تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبّر بالآثر عن المؤثر
 تنبيهاً على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الأمر بل جعله فى
 القرآن أيضاً كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم
 لتولى هذا العدد القليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ماسياتى من استيقان
 أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية فى النظر
 والعمل بسبب القوى الحيوانية الإثنتى عشرة والطبيعية السبع أو أن جهنم سبع دركات منها لأصناف
 الكفرة كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والإقرار والعمل أنواعاً من العذاب يناسبها وعلى كل نوع
 ملك أو صنف أو صف يتولاه وواحدة لعصاة الأمة يعذبون فيها بترك العمل نوعاً يناسبه ويتولاه
 واحد أو أن الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف
 إلى ما يؤخذ به بأنواع العذاب يتولاهما الزبانية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على
 المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة والسلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً
 لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا إيماناً) أى يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب *

٧٤ المدر

كَلَّا وَالْقَمَرَ ﴿٣٢﴾

٧٤ المدر

وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ ﴿٣٣﴾

٧٤ المدر

وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾

٧٤ المدر

إِنَّمَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ﴿٣٥﴾

- وتصديقهم أنه كذلك أو كية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ونفي لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما وإنما لم ينظم المؤمنون في ساك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينفيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكيدتهما والتعبير عنهما باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية
- المنبئة عن الحدوث للإيذان ببنائهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك (وليقول الذين في قلوبهم مرض) شك أو نفاق فيكون إخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة (والكافرون) المصرون
- على التكذيب (ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وإفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب قننتهم للإشعار
- باستقلاله في الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهداية
- ومحل الكاف في الأصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء (ويهدى من يشاء) إضلالاً وهداية كائنين مثل ما ذكر من الإضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لإفادة القصر فصار النظم مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله لصرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات إلى جانب الهدى لا إضلالاً وهداية أدنى
- منهما (وما يعلم جنود ربك) أى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون (إلا هو) إذ لا سبيل لأحد إلى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو لإجمالاً فضلاً عن الإطلاع
- على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة (وما هى) أى سقر أو عدة خزنتها أو الآيات الناطقة
- ٣٢ بأحوالها (إلا ذكرى للبشر) إلا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن أنكرها أو إنكار ونفى لأن يكون
- ٣٣ لهم تذكر (والقمر) (والليل إذ أدبر) وقرىء إذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا
- ٣٤ كأمس الدار وقيل هو من دبر الليل النهار إذا خلفه (والصبح إذا أسفر) أى أضاء وانكشف
- ٣٥ (إنما لإحدى الكبير) جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التانيث كتابتها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء

٧٤ المدثر

نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾

٧٤ المدثر

لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

٧٤ المدثر

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾

٧٤ المدثر

إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾

٧٤ المدثر

فِي جَنَّاتٍ يَنْسَاءُ لُونَ ﴿٤٠﴾

٧٤ المدثر

عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾

كانها جمع قاصعة أى لإحدى البليات أو لإحدى الدواهي الكبر على معنى أن البليات الكبر أو الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لانظيرة لها (نذيراً للبشر) تميز أى لإحدى الكبر إنذاراً أو ٣٦ حال مما دلت عليه الجملة أى كبرت منذرة وقرىء نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لأن أو لمبتدأ محذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) بدل من للبشر أى نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير فيهديه ٣٧ الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وأن يتقدم أو يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة ٣٨ اسم بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم لصفة وإلا لقييل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول لا يدخله التأني (إلا أصحاب اليمين) فإنهم فاعلون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الرهن به بآداء الدين وقيل ٣٩ هم الملائكة وقيل الأطفال وقيل هم الذين سبق لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيمانهم (في جنات) لا يكتنه كنهها ولا يدرك ٤٠ وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كأنه قيل ما بالهم فقيلاً هم في جنات وقيل حال من أصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى (يتساءلون) وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضاً على أن يكون كل واحد منهم سائلاً ومسؤولاً معاً بل صدور السؤال عنهم مجرداً عن وقوعه عليهم فإن صيغة التفاعل وإن وضعت في الأصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معاً بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً كما في قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الأول فقط فيذكر للفعل حيثئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فعنى يتساءلون (عن المجرمين) يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه ٤١

٧٤ المدثر	مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾
٧٤ المدثر	قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۖ ﴿٤٣﴾
٧٤ المدثر	وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
٧٤ المدثر	وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾
٧٤ المدثر	وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾
٧٤ المدثر	حَتَّىٰ آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾
٧٤ المدثر	فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفَاعِينَ ﴿٤٨﴾
٧٤ المدثر	فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾
٧٤ المدثر	كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾

٤٢ وقوله تعالى (ما سلككم في سقر) مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أى يسألونهم قائلين أى
 ٤٣ شيء أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ما تكلف فيه المتكفون (قالوا) أى المجرمون مجيبين للسائلين (لم
 ٤٤ نك من المصلين) للصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفي الإطعام لاعلى
 نفي استمرار الإطعام كما مر مراراً وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذه
 ٤٥، ٤٦ (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع في الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب يوم الدين)
 أى يوم الجزاء أضافوه إلى الجزاء مع أن فيهم الدواهي والأحوال مالا غاية له لأنه أدهاها وأهولها
 وأنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنایاتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم
 قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين يوم الدين ولييان كون تكذيبهم به مقارناً لسائر جنایاتهم المعدودة
 ٤٧، ٤٨ مستمرراً إلى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم (حتى آتانا اليقين) أى الموت ومقدماته (فما تنفعهم
 ٤٩ شفاعة الشافعين) لو شفعوا لهم جميعاً والفاء في قوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين) لترتيب إنكار
 إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الإقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال
 المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبراً لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فإذا
 كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال
 ٥٠ عليه وتأخذ الدواعي إلى الإيمان به وقوله تعالى (كأنهم حمير مستنفرة) حال من المستكن في معرضين

٧٤ المدثر

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾

٧٤ المدثر

بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مَنَشُورَةً ﴿٥٢﴾

٧٤ المدثر

كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾

٧٤ المدثر

كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ ﴿٥٤﴾

٧٤ المدثر

فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾

٧٤ المدثر

وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

- بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى تفارها بما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى وقوله تعالى (بل) ٥٢ يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشورة عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قبل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قرأطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم لن تبعلك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان تؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن تؤمن لريقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه وقرئ صحفاً منشورة بسكون الحاء والنون (كلا) ردع لهم عن تلك الجراءة (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك يعرضون ٥٣ عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كلا) ردع عن إعراضهم (إنه) أى القرآن (تذكرة) وأى ٥٤ تذكرة (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) وحاز بسببه سعادة الدارين (وما يذكرون) بمجرد مشيئتهم ٥٥، ٥٦ للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره إذ لا تأثير لمشيئة العبد وإرادته فى أفعاله وقوله تعالى (إلا أن يشاء الله) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما يذكرون بعلّة من العلل أو فى حال * من الأحوال إلا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرئ تذكرون على إخطاب التفاتاً وقرئ بهما مشدداً (هو أهل التقوى) أى حقيق بأن يتقى عقابه ويؤثر من به ويعطاع (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأصاعه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة .

٧٥ — سورة القيامة

(مكية وهي أربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٥ القيامة

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ❶

٧٥ القيامة

وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ❷

٧٥ القيامة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ❸

(سورة القيامة مكية وآياتها أربعون)

- ❶ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا أقسم بيوم القيامة) إدخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها تأكيد القسم قالوا إنها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الإقسام بل لنفي ما ينبيء هو عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامى به حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى نفي الإقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وقيل إن لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقبل لا أى ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله إن البعث حق وأياً ما كان ففي الإقسام على تحقق البعث يوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد
- ❷ مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى بالنفس المتقية التى تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى ففيه طرف من البراءة التى في القسم السابق أو بالنفس التى تلوم نفسها وإن اجتهدت في الطاعات أو بالنفس المطمئنة للآئمة للنفس الأماراة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيراً قالت كيف لم أزد وإن عملت شراً قالت ليتنى كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فإن هذا القدر من اللوم لا يكون مداراً للإعظام بالإقسام وإن صدر عن النفس المؤمنة المسببة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فإنها لا تزال تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب
- ❸ القسم ما دل عليه قوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه) وهو ليعثن والمراد بالإنسان الجنس والهمزة لإنكار الواقع واستباحه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى يحسب أن الشأن لن نجتمع عظامه فإن ذلك حسان باطل فإننا نجتمعها بعد تشتتها ورجوعها رمياً

٧٥ القيامة

بَلِّغْ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾

٧٥ القيامة

بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾

٧٥ القيامة

يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾

٧٥ القيامة

فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾

٧٥ القيامة

وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾

٧٥ القيامة

وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾

٧٥ القيامة

يَقُولُ الْإِنْسَانُ يُؤَمِّدُ أَيْنَ الْمَقَرُّ ﴿١٠﴾

ورفاتاً مختلطاً بالتراب وبعد ماسفتها الرياح وطيرتها في أقطار الأرض وألقها في البحار وقيل إن
 عدى بن أبي ربيعة خن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم
 اكفني جاري السوء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف
 أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام
 (بلى) أى نجمعها حال كوننا (قادرين على أن نسوى بنانه) أى نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض ٤
 كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى أصابعه التى هى أطرافه وآخر
 ما يتم به خلقه وقرىء قادرون (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) عطف على أيحسب إما على أنه استفهام
 مثله أضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا أو على أنه إيجاب انتقل إليه عن الاستفهام أى بل يريد
 ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه (يسأل أيان يوم القيامة) ٦
 أى متى يكون استبعاداً أو استهزاء (فإذا برق البصر) أى تحير فزعاً من برق الرجل إذا نظر إلى البرق ٧
 فدهش بصره وقرىء بفتح الراء وهى لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصة وقرىء بلى أى
 افتتح وانفراج (وخسف القمر) أى ذهب ضوؤه وقرىء على البناء للفعول (وجمع الشمس والقمر) ٨
 بأن يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما
 ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الإنسان يؤمّد) أى يوم ١٠
 إذ تقع هذه الأمور (أين المقر) أى الفرار يأساً منه وقرىء بالكسر أى موضع الفرار وقد جوز
 أن يكون هو أيضاً مصدراً كالمرجع .

٧٥ القيامة

كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾

٧٥ القيامة

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾

٧٥ القيامة

يُنَبِّئُكَ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾

٧٥ القيامة

بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾

٧٥ القيامة

وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

٧٥ القيامة

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾

- ١١ (كلا) ردع من طلب المفرو وتمنيه (لاوزر) لاملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت إليه وتخلصت به فهو وزرك (إلى ربك يومئذ المستقر) أى إليه وحده استقرار العباد أو إلى حكمه استقرار أمرهم
- ١٢ أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الإنسان يومئذ) أى يخبر كل امرئ برأ كان أو فاجراً عند وزن الأعمال (بما قدم) أى عمل من عمل خيراً كان أو شراً فيثاب بالآول ويعاقب بالثانى (وأخر) أى لم يعمل خيراً كان أو شراً فيعاقب بالآول ويثاب بالثانى أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به فى حياته وبما أخر خلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره (بل الإنسان على نفسه بصيرة) أى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الأعمال السيئة كما يعرب عنه كلفة على وما سياتى من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازاً كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة أو التاء للبالغة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الإنسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى (ولو ألقى معاذيره) أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة أو من مرفوع يذنب أى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو يذنب بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر أى ولو أرخى ستوره . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن ينفلت منه فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يستنصت له
- ١٦ ملقياً إليه قلبه وسمعه حتى يقضى إليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه ففيل (لا تحرك به) أى بالقرآن (لسانك) عند إلقاء الوحي (لتعجل به) أى لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك

٧٥ القيامة

إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾

٧٥ القيامة

فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا بِآئِهِ ﴿١٩﴾

٧٥ القيامة

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾

٧٥ القيامة

وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾

٧٥ القيامة

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾

٧٥ القيامة

إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

- (إن علينا جمعه) في صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) أى إثبات قراءته في لسانك ١٧
 (فإذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام وإسناد القراءة إلى نون العظمة للبالغة ١٨
 في إيجاب التاني (فاتبع قرآنه) فكن مقفياً له ولا تراسله (ثم إن علينا بيانه) أى بيان ما أشكل عليك ١٩
 من معانيه وأحكامه (كلا) ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له في الأناة وأكد ٢٠
 ذلك بقوله تعالى (بل تحبون العاجلة) (وتذرون الآخرة) على تعميم الخطاب للكل أى بل أتمم يابني ٢١
 آدم لما خلقت من عجل وجبتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل
 كلا ردع للإنسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده
 قراءة الفعلين على صيغة الغيبة (وجوه يومئذ ناضرة) أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين ٢٢
 يوم إذ تقوم القيامة بهمة متلهة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ
 منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) خبر ثان للببتدأ أو نعت لناضرة وإلى ربها ٢٣
 متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لأن المقام مقام تفصيل لاعلى أن ناضرة صفة لوجوه والخبر
 ناظرة كإقيل لما هو المشهور من أن حق الصفة أن تكون معلومة الاتساق إلى الموصوف عند السامع
 وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه أن يخبر به ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى
 مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في
 جميع الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره وقيل منتظرة لإنعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه
 وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يمدى يالى .

٧٥ القيامة

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٦﴾

٧٥ القيامة

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٧﴾

٧٥ القيامة

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٨﴾

٧٥ القيامة

وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٩﴾

٧٤ القيامة

وَضَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٣٠﴾

٧٥ القيامة

وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٣١﴾

٧٥ القيامة

إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٢﴾

٧٤ القيامة

فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣٣﴾

٧٥ القيامة

وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٣٤﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ﴿٣٥﴾

٢٥٠٢٤ (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة (تظن) يتوقع أربابها (أن يفعل
 ٢٦ بها فاقرة) داهية عظيمة تقسم فقار الظهر (كلا) ردع عن إثارة العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن
 * ذلك وتنبهوا لم بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (إذا بلغت
 ٢٧ التراقي) أى بلغت النفس أعلى الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال (وقيل من
 راق) أى قال من حضر صاحبها من يرقه وينجيه بما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت
 ٢٨ أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى (وظن أنه الفراق) وأيقن المحتضر أن
 ٢٩ مازل به الفراق من الدنيا ونعيمها (والتفت الساق بالساق) والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند
 حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة إقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان في أكفانه
 ٣١، ٣٠ (إلى ربك يومئذ المساق) أى إلى الله وإلى حكمه يساق لا إلى غيره (فلا صدق) ما يجب تصديقه
 * من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الذى نزل عليه أو فلا صدق ماله ولا زكاه (ولا صلى) ما فرض
 عليه والضمير فيهما للإنسان المذكور في قوله تعالى أبحسب الإنسان وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون
 ٣٢ بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرآن (وتولى) عن الطاعة
 ٣٣ (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) يتبختر افتخاراً بذلك من المط فإن المتبختر يمد خطاه فيكون أصله يتمطط

٧٥ القيامة

أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾

٧٥ القيامة

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾

٧٥ القيامة

أَلَمْ يَكُنْ نَطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾

٧٥ القيامة

ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾

٧٥ القيامة

فَجَعَلَ مِنْهُ الْزَوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾

٧٥ القيامة

أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

أو من المطا وهو الظهر فإنه يلويه (أولى لك فأولى) أى ويل لك وأصله أولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم أو أولى لك الهلاك وقيل هو أفضل من الويل بعد القلب كأذى من دون أو فعل من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فأولى) أى يتكرر عليه ذلك مرة بعد أخرى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) أى يخلى مهملاً فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى (ألم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور فإن مداره لما كان استبعادهم للإعادة استدلل على تحققها بيده الخلق (ثم كان علقه) أى بقدره الله تعالى لقوله ٣٨ تعالى ثم خلقنا النطفة علقه (خلق) أى فقدر بأن جعلها مضغعة مخلقة (فسوى) فعدل وكل نشأته * (فجعل منه) من الإنسان (الزوجين) أى الصنفين (الذكر والأنثى) بدل من الزوجين (أليس ٣٩) ذلك (العظيم الشأن الذى أنشأ هذا الإنشاء الديدع) بقادر على أن يحيى الموتى وهو أهون من البدء فى قياس العقل . روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك يلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة إنه كان مؤمناً بيوم القيامة .

٧٦ - سورة الانسان

(مدنية وهي إحدى وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٦ الانسان

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

٧٦ الانسان

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾

(سورة الانسان مدنية وآياتها إحدى وثلاثون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتى) استفهام تقرير وتقريب فإن هل بمعنى قد والأصل أهل
- * (أتى الإنسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر) أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد
- * (لم يكن شيئاً مذكوراً) بل كان شيئاً منسياً غير مذکور بالإنسانية أصلاً كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الإنسان أى غير مذکور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد إلى الموصوف
- ٢ أى لم يكن فيه شيئاً مذكوراً والمراد بالإنسان الجنس فالإظهار فى قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة) لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبي قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الأول إشارة إلى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بياناً لخلق نبيه (أمشاج) أخلاط جمع مشيج أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلقت وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع المائين ولشكل منهما أو صاف مختلفة من اللون والرق والغلظ وخواص متباينة فإن ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فن ماء المرأة قال القرطبي وقد روى هذا مرفوعاً وقيل مفرد كاعشار وأكياش وقيل أمشاج ألوان وأطوار فإن النطفة تصير علقة ثم مضغة إلى تمام الخلقة وقوله تعالى (نبتيه) حال من فاعل خلقنا أى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سياتى أو ناقلين له من حال إلى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصرته فى بطن أمه نطفة ثم علقه إلى آخره (جعلناه سمياً بصيراً) ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية

٧٦ الإنسان

إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٧٦ الإنسان

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

- فهو كالسبب عن الابتداء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى (إنا هديناه ٣ السبيل) يزيل الآيات ونصب الدلائل (إما شاكرًا وإما كفورًا) حالان من مفعول هديناه أي مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل إلى البغية في حالتيه جميعاً وإما للتفصيل أو التقسيم أي هديناه إلى ما يوصل إليها في حاله جميعاً أو مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والآخر فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه وقيل من السبيل أي عرفناه السبيل إما سبيلاً شاكرًا أو كفورًا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازاً وقرئ إما بالفتح على حذف الجواب أي إما شاكرًا فبتوفيقنا وإما كفورًا فبسوء اختياره لا بمجرد إجبارنا من غير اختيار من قبله وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل والإشعار بأن الإنسان قلباً يخلو من كفران ما وإنما المؤاخذة عليه الكفر المفرط (إنا أعتدنا للكافرين ٤ من أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل (سلاسل) بها يقادون (وأغلالاً) بها يقيدون (وسعيراً) بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم الآية ولأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن في وصفهم تفصيلاً ربما يخل بتقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقرئ سلاسلًا للتناسب (إن الأبرار) شروع في بيان حسن حال الشاكرين لإثبات سوء حال الكافرين وإيرادهم بعنوان البر للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والأبرار جمع بر أو بار كبر وأرباب وشاهد وأشهاد قيل هو من يبر خالقه أي يطيعه وقيل من يمتثل بأمره تعالى وقيل من يؤدي حق الله تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر (يشربون من كأس) هي الزجاجاة إذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضاً فمن على الأول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية أو يائية (كان مزاجها) أي ما تمزج به (كافورا) أي ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في يياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى (عيناً) بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتحم لهم بالمسك وقيل تخلق لهم رائحة الكافور ويياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فمينا على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف أي يشربون خمرًا خمر عين أو نصب على الاختصاص وقوله تعالى (يشرب بها عباد الله) صفة عيناً أي يشربون بها الخمر لكونها مزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الياء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن أبي عتبة يشربها

١٧٦ الانسان

يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾

١٧٦ الانسان

وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾

١٧٦ الانسان

إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرُوحِهِ اللَّهُ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

١٧٦ الانسان

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا ﴿١٠﴾

١٧٦ الانسان

فَرَقَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾

- عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس (يفجرونها تفجيراً) أى يجرؤنها حينما شاؤا من منازلهم لإجراء سهلاً لا يمتنع عليهم بل يجرى جرياً بقوة واندفاع والجملة صفة أخرى
- ٧ أعياناً وقوله تعالى (يوفون بالنذر) استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ماذكر من النعم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبى عنه اسم الأبرار إجمالاً كأنه قيل ماذا يفعلون حتى يتلوا تلك الرتبة العالية
- * فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجهه الله تعالى عليهم (ويخافون يوماً كان شره) عذابه
- * (مستطيراً) فاشياً منتشراً فى الأقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار
- ٨ بمنزلة استنفر من نفر (ويطعمون الطعام على حبه) أى كاتنين على حب الطعام والحاجة إليه كما فى قوله تعالى لن تتالوا البر حتى تنفقوا بما تحبون أو على حب الإطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كاتنين على حب الله تعالى أو إطعاماً كاتناً على حبه تعالى وهو الأنسب لما سياتى من قوله تعالى لوجه
- * الله (مسكيناً ويتيماً وأسيراً) أى أسير فإنه كان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه أو أسيراً مؤمناً فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمي رسول الله صلى
- ٩ الله عليه وسلم الغريم أسيراً فقال غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك (إنما نطعمكم لوجه الله) على إرادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون أى قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال لإزاحة
- لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر وعن الصديقة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليقى ثواب
- * الصدقة لها خالصاً عند الله تعالى (لا نزيد منكم جزاء ولا شكوراً) أى شكراً وهو تقرير وتأكيده
- ١٠ لما قبله (إننا نخاف من ربنا يوماً) أى عذاب يوم (عبوساً) يعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس
- * فى الشدة والضاوة (قططيراً) شديد العبوس فلذلك فعل بكم ما فعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره
- ١١ وقيل هو تعليل لعدم إرادة الجزاء والشكور أى إننا نخاف عقاب الله تعالى إن أردناهما (فوقاهم الله
- * شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسروراً) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسروراً فى القلوب .

٧٦ الإنسان

وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

٧٦ الإنسان

مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

٧٦ الإنسان

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

- (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإيثار الأموال (جنة) بستاناً يأكلون منه ماشاءوا (وحريراً) يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبي صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا لعل رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما إن برنا بما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخيري ثلاث أصوع من شعير فطحن فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعاً واختبرت خمسة أقراص على عديم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه ثم وقف عليهم في الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله عنهم فأقبلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرأخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد مايسوؤنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساء ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى في أهل بيتك فأقرأه السورة (متكئين فيها على الأرائك) حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير إبراز الضمير والأرائك هي السرر في الجبال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً) إما حال ثانية من الضمير أو المستكن في متكئين والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طيء والمعنى أن هوائها مضى بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ما قبلها حال ١٤ مثلها أو صفة لمخدوف معطوف على جنة وأي جنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرىء دانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة في حين الحال والمعنى لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً والحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى أنهم لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم أنه لا شمس ثمة ولا قمر (وذلت قطوفها تذليلاً) أى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذلة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية عليهم ظلالها ومذلة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعليه معطوفة على جملة اسمية .

- وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِغَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥
 قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦
 وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧
 عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝١٨
 وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩
 وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا ۝٢٠
 عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُوسٌ خُضَرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْاْ أَثَاوِرَ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١

- ١٥ (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) الكوب الكوز العظيم الذي لا أذن له ولا عروة (كانت
 ١٦ قوارير) (قوارير من فضة) أى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها
 والجملة صفة الأكواب وقرىء بتنوين قوارير الثانى أيضاً وقرئاً بغير تنوين وقرىء الثانى بالرفع على
 * هى قوارير (قدروها تقديرًا) صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم وأرادوا أن
 تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة
 فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفتين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها
 على قدر اشتهاهم وقرىء قدروها على البناء للمفعول أى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منفولا من
 ١٧ قدرت الشيء (ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً) أى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب
 ١٨ المزوج به أطيب مما تستطيع العرب وألذ مما تستلذبه (عيناً) بدل من زنجبيل وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل
 بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حيثئذ بدل من كأساً كأنه قيل ويسقون فيها كأساً كأس عين
 * أو نصب على الاختصاص (فيها تسمى سلسبيلاً) لسلاسة إنحدارها فى الحلق وسهولة مساعها يقال
 شراب سلسل وسلسال وسلسيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان أنها فى طعم الزنجبيل وليس
 ١٩ فيها لذعه بل نقيض اللذع هو السلاسة (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أى دأمنون على ما هم عليه
 * من الطراوة والبهاء (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً) لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم
 ٢٠ وانبثاثرهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض (وإذا رأيتهم) ليس له مفعول
 * ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه أن بصرك أينما وقع فى الجنة (رأيت نعيماً وملكا كبيراً) أى
 هنيئاً واسعاً وفى الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه
 ٢١ وقيل لازوال وقيل إذا أرادوا شيئاً كان وقيل يعلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم (عليهم ثياب

٧٦ الإنسان

إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾

٧٦ الإنسان

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾

٧٦ الإنسان

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

٧٦ الإنسان

وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

- سندس خضر) قيل عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليًا للطوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤًا منشورًا عاليًا لهم ثياب الخ وقرىء عاليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرىء خضر بالجذر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس (ولاستبرق) بالرفع عطفا على ثياب وقرىء برفع الأول وجر الثانى وقرىء بالعكس وقرىء بجرهما وقرىء واستبرق بوصل الهزمة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لإمكان الجمع والمعاينة والتبويض فإن أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفرض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عاليهم بإضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين (وسقام ربهم شرا با طهورا) هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين ووصفه بالطهورية فإنه يطهر شاربه عن دنس الميل إلى الملاذ الحسية والركون إلى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلبقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الأبرار (إن هذا) على إضمار القول أى يقال لهم إن هذا الذى ذكر من فنون الكرامات (كان لكم جزاء) ٢٢ بمقابلة أعمالكم الحسنة (وكان سعيكم مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب (إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع أن (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرته على الكفار فإن له عاقبة حميدة (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) ٢٤ أى كل واحد من مرتكب الإثم الداعى لك إليه ومن الغالى فى الكفر الداعى إليه وأو للدلالة على أنهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه فإن ترتب النهى على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهى عن الإطاعة فى الإثم والكفر فيما ليس بإثم ولا كفر وقيل الآثم عتبه فإنه كان ركا با للآثم متعاطيا لأنواع الفسوق والكفور الوليد فإنه كان غالبا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ودوام على ذكره فى جميع الأوقات أودم ٢٥ على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل ينتظمهما .

٧٦ الانسان

وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾

٧٦ الانسان

إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾

٧٦ الانسان

نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾

٧٦ الانسان

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾

٧٦ الانسان

وَمَا يَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

٧٦ الانسان

يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

- ٢٦ (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في أصالة الليل من مزيد كلفة وخلوص (وسبحه ليلاً طويلاً) وتهجد له قطعاً من الليل طويلاً (إن هؤلاء) * الكفرة (يحبون العاجلة) وينهمكون في لذاتها الفانية (يذرون وراءهم) أي أمامهم لا يستعدون أو يبنون وراء ظهورهم (يوماً ثقيلاً) لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح
- ٢٨ باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم) لا غيرنا (وشددنا أسرهم) أي أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم) بعد إهلاكهم (تبديلاً) بديعاً لا ريب فيه هو البعث كما ينبيء عنه كلمة إذا أو بدلنا غيرهم عن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوماً غيركم
- ٢٩ وإذ للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية (إن هذه تذكرة) إشارة إلى السورة أو الآيات القرآنية * (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) أي فمن شاء أن يتخذ إليه تعالى سبيلاً أي وسيلة توصله إلى ثوابه اتخذ
- ٣٠ أي تقرب إليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أي وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدر على تحصيله في وقت من الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم إذ لا دخل لمشئته العبد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشئته الله عز وجل وقرىء يشاؤون بالياء وقرىء إلا ما يشاء الله وقوله تعالى (إن الله كان عليماً حكيماً) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأمله كل أحد فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه عليه وتقتضيه
- ٣١ حكمته وقوله تعالى (يدخل من يشاء في رحمته) بيان لأحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أي يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذكر (أعد لهم عذاباً أليماً) أي متناهيماً في الإيلام قال الزجاج نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيراً لهذا المضمير وقرىء بالرفع على

٧٧ - سورة المرسلات

(مكية وهي خمسون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٧ المرسلات

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾

٧٧ المرسلات

فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾

٧٧ المرسلات

وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾

٧٧ المرسلات

فَالْفَرَقَاتِ فَرَقًا ﴿٤﴾

٧٧ المرسلات

فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾

٧٧ المرسلات

عُذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾

الابتداء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريراً .

(سورة المرسلات مكية إلا آية ٤٨ فدنية وآياتها خمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والمرسلات عرفاً) (فالعصفات عصفاً) (والناشرات نشراً) (٣٠، ٣١)

(فالفرقات فرقاً) (فالملقيات ذكراً) إقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره ٥٤، فعصففن في مضيهن عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالأمر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأفطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقین ذکرأ إلى الأنبياء (عذراً) للمحقين (أو نذراً) للبطلين ٦ ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الإلقاء للإيدان بكونها غاية للإلقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للإشعار بأن كلا من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها التفخيم والإجلال بالإقسام بهن ولوجيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الإلقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو إقسام بريح عذاب أرسلهن فعصففن وبريح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى ويجعله كسفاً أو بسحاب نشرن الموت ففرقن كل صنف منها عن سائر الأصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقین ذکرأ إما عذراً للمعتذرين إلى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم

٧٧ المرسلات

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ⑦

٧٧ المرسلات

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ⑧

٧٧ المرسلات

وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ⑨

٧٧ المرسلات

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ⑩

٧٧ المرسلات

وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ⑪

٧٧ المرسلات

لَأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ⑫

٧٧ المرسلات

لِيَوْمِ الْفَصْلِ ⑬

٧٧ المرسلات

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ⑭

لآثار رحمته تعالى في الفيث ويشكرونها وإما إنذاراً للذين يكفرونها وينسبونها إلى الأنواء وإسناد
إلقاء الذكر إليهم لكونهم سبياً في حصوله إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو إقسام بآيات القرآن
المرسلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق
الأرض ومغاربها وفرن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في أكناف العالمين والعرف إما تقيض
النكر وانتصابه على العلة أى أرسلنا للإحسان والمعروف فإن إرسال ملائكة العذاب معروف للأنبياء
عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران
من عذر إذا عا الإساءة ومن أنذر إذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكر أو على العلية وقرنا
بالتثنية (إن ماتوعدون لواقع) جواب للقسم أى إن الذى توعده من مجيء القيامة كائن لا محالة
٧ (فإذا النجوم طمست) محيت ومحقت أو ذهب بنورها (وإذا السماء فرجت) صدعت وفتحت
٩٠٨ فكانت أبواباً (وإذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذى ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بساً
١٠ وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء إذا اختطفته وقرىء طمست وفرجت ونسفت
١١ مشددة (وإذا الرسل أقيت) أى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أهمهم وذلك عند مجيئه
وحضوره إذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وقرىء وقت على الأصل
١٢ وبالتخفيف فيهما (لأى يوم أجلت) مقدر بقول هو جواب لإذا فى قوله تعالى وإذا الرسل أقيت
أو حال من مرفوع أقيت أى يقال لأى يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسول والمراد تعظيم ذلك اليوم
١٣ والتعجيب من هوله وقوله تعالى (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو الذى يفصل فيه بين الخلائق
١٤ (وما أدراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ أدراك خبره أى أى شيء جعلك دارياً ما هو فوضع موضع الضمير

٧٧ المرسلات

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩

٧٧ المرسلات

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ⑪

٧٧ المرسلات

ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ ⑫

٧٧ المرسلات

كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ⑬

٧٧ المرسلات

وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑭

٧٧ المرسلات

أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ⑮

٧٧ المرسلات

فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ⑯

٧٧ المرسلات

إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ⑰

٧٧ المرسلات

فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ⑱

يوم الفصل لزيادة تفضيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيد خبرية مالا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيد عكسه (ويل يومئذ للمكذبين) أى فى ذلك ١٥ اليوم الهائل وويل فى الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للدعو عليه ويومئذ ظرفه أو صفته (ألم نهلك الأولين) كقوم نوح وعاد وثمود ١٦ لتكذيبهم به وقرىء نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) بالرفع على ثم ١٧ نحن نتبعهم الآخرين من نظر انهم السالكين لمسلكتهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرىء ثم سنتبعهم وقرىء نتبعهم بالجزم عطفاً على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل التفضيع (نفعل بالمجرمين) أى سنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ) أى يوم إذ أهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله تعالى وأنبياؤه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا (ألم نخلقكم) ٢٠ أى ألم نقدركم (من ماء مهين) أى من نطفة قدرة مهينة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (إلى قدر ٢١، ٢٢ معلوم) إلى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر (فقدرنا) ٢٣ أى فقدرناه وقد قرىء مشدداً أو فقدرنا على ذلك على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل (فنعم القادرون) أى نحن .

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

٧٧ المرسلات

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٦﴾

٧٧ المرسلات

أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا ﴿٢٧﴾

٧٧ المرسلات

وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شِمَخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٨﴾

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٩﴾

٧٧ المرسلات

أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣٠﴾

٧٧ المرسلات

أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣١﴾

٢٥، ٢٦ (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة (ألم نجعل الأرض كفاتاً) الكفات اسم ما يكفت أى يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمم والجماع لما يضم ويجمع أى ٢٦ ألم نجعلها كفاتاً تكفت (أحياء) كثيرة على ظهرها (وأمواتاً) غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت به للبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الأرض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتاً لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات وقيل انتصابهما ٢٧ على الحالية من محذوف أى كفاتاً تكفتكم أحياء وأمواتاً (وجعلنا فيها رواسي) أى جبالاً ثوابت * (شامخات) طولاً الشواهد ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن * وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أو للإشعار بأن فيها ما لم يعرف (وأسقينكم ماءً فُرَاتاً) بأن خلقنا ٢٨، ٢٩ فيها أنهاراً ومنايع (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) أى يقال لهم ٣٠ يومئذ للتوبيخ والتفريع انطلقوا (إلى ما كنتم به تكذبون) في الدنيا من العذاب (انطلقوا) خصوصاً * (إلى ظل) أى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرىء انطلقوا على لفظ الماضي لإخباراً * بعد الأمر عن عملهم بموجبه لا اضطرارهم إليه طوعاً أو كرهاً (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدى إلى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره .

٧٧ المرسلات

لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِ ﴿٣١﴾

٧٧ المرسلات

إِنَّمَا تَرَىٰ بُشْرًا كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾

٧٧ المرسلات

كَأَنَّهُ جَمَلٌ صُفَرٌ ﴿٣٣﴾

٧٧ المرسلات

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

٧٧ المرسلات

هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾

٧٧ المرسلات

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾

٧٧ المرسلات

وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾

٧٧ المرسلات

هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾

- (لا ظليل) تهكم بهم أورد لما أوهمه لفظ الظل (ولا يغني من الهب) أى غير مغن لهم من حر الهب ٣١ شيئاً (إنما ترى بشر كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الخليط من الشجر ٣٢ الواحدة قصرة نحو جمر وجرة وقرىء كالقصر بفتحتين وهى أعناق الإبل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرىء كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرىء كالقصر جمع قصرة (كأنه جملة) قيل هو ٣٣ جمع جبل والتاء لتأنيث الجمع يقال جبل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة (صفر) فإن الشراة لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل أسود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة والأول تشبيهه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرىء جمالات جمع جمالة وقد قرىء بها وهى الحبل العظيم من حبل السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ ٣٤ للمكذبين) (هذا يوم لا ينطقون) إشارة إلى دخولهم النار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما أن ٣٥ السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبّر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشيء ينفعهم فإن ذلك كلاً نطق وقرىء بنصب اليوم أى هذا الذى فصل واقع يوم لا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم ٣٦ فى سلك النفي أى لا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن كما لو نصب (ويل يومئذ للمكذبين) (هذا يوم الفصل) بين الحق والباطل والمحق والمبطل (جمعناكم) ٣٧ ٣٨ خطاب لامة محمد عليه الصلاة والسلام (والأولين) من الأمم وهذا تقرير وبيان للفصل .

٧٧ المرسلات

فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ٣٩

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٠

٧٧ المرسلات

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّلٍ وَعُيُونٍ ٤١

٧٧ المرسلات

وَقَوَّاهُمْ بِمَا يَشْتَهُونَ ٤٢

٧٧ المرسلات

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣

٧٧ المرسلات

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤٤

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٥

٧٧ المرسلات

كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ ٤٦

٧٧ المرسلات

وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ٤٧

٧٧ المرسلات

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ٤٨

- ٣٩ (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا) فَإِنْ جَمِيعٌ مِنْ كُنْتُمْ تَقْدُونَهُمْ وَتَقْتَدُونَ بِهِمْ حَاضِرُونَ وَهَذَا تَقْرِيعٌ
 ٤٠ لَّهُمْ عَلَى كَيْدِهِمُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا وَإِظْهَارٌ لِعِزِّهِمْ (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حَيْثُ ظَهَرَ أَنَّ لَاحِظَةَ لَهُمْ
 ٤١ ٤٢ فِي الْخُلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ) مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ (فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ) (وَفَوَّاهُمْ بِمَا)
 ٤٣ يَشْتَهُونَ (أَيْ مُسْتَقَرُّونَ فِي فَنُونِ التَّرَفِّهِ وَأَنْوَاعِ التَّنْعَمِ) كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (مُقَدَّرٌ
 بِقَوْلِهِ هُوَ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْمُتَّقِينَ فِي الْخَبَرِ أَيْ مَقُولًا لَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا
 ٤٤ مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ (إِنَّا كَذَلِكَ) الْجُزْءُ الْعَظِيمُ (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) أَيْ فِي عِقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ لِأَجْزَاءِ
 ٤٥ أَدْنَى مِنْهُ (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) حَيْثُ نَالَ إِعْدَاؤُهُمْ هَذَا الثَّوَابَ الْجَزِيلَ وَهُمْ يَقْوَاهُ فِي الْعَذَابِ الْخَالِدِ
 ٤٦ الْوَيْلِ (كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْرُمُونَ) مُقَدَّرٌ بِقَوْلِهِ هُوَ حَالٌ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ أَيْ الْوَيْلُ ثَابِتٌ لَهُمْ
 مَقُولًا لَهُمْ ذَلِكَ تَذْكِيرٌ لَهُمْ بِحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَبِمَا جَنُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ إِثَارِ الْمَتَاعِ الْفَاسِدِ عَنْ قَرِيبٍ
 عَلَى النَّعِيمِ الْخَالِدِ وَعَلَى ذَلِكَ يَأْجُرُهُمْ دَلَالَةُ عَلَى أَنَّ كُلَّ مُجْرِمٍ مَالَهُ هَذَا وَقِيلَ هُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ خَوْطُ بَ
 ٤٧ بِهِ الْمُكَذِّبُونَ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ بَيَانِ مَالِ حَالِهِمْ وَقَرَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) لِزِيَادَةِ
 ٤٨ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا) أَيْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْخَسُوا وَتَوَاضَعُوا لَهُ بِقَبُولِ وَحْيِهِ وَاتِّبَاعِ
 * دِينِهِ وَارْفُضُوا هَذَا الْاِسْتِكْبَارَ وَالتَّخَوُّعَ (لَا يَرْكَعُونَ) لَا يَخْشَعُونَ وَلَا يَقْبَلُونَ ذَلِكَ وَيَصْرُونَ عَلَى مَامٍ

٧٧ المرسلات

وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾

٧٧ المرسلات

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

عليه من الاستكبار وقيل إذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون إذ روى أنه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفاً بالصلاة فقالوا لانجبي فإنها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين) وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة (فبأي ٤٩، ٥٠ حديث بعده) أي بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) إذا لم يؤمنوا به وقرىء تؤمنون على الخطاب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المرسلات كتب له أنه ليس من المشركين .

٧٨ — سورة النبأ
(مكية وهي أربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٨ النبأ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ①

٧٨ النبأ

عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ②

(سورة النبأ مكية وآياتها أربعون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (عم) أصله عما خذف منه الألف إما فرقاً بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصداً للخفة لكثرة استعمالها وقد قرئ على الأصل وما فيها من الإبهام للإيدان بفخامة شأن المسؤل عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة أى عن أى شىء عظيم الشأن (يتساءلون) أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن وضعت لطلب حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الأفعال المتعدية موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلاً ومفعولاً معاً لكنه يرفع بإسناد الفعل إليه ترجيحاً لجانب فاعليته وبحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فإراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عارياً عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما فى المثال المذكور أو واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شىء يسأل هؤلاء القوم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضاً فإراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى فبأى آلاء ربك تتبارى وقوله تعالى (عن البنا العظيم) بيان لشأن المسؤل عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فإن إرادته على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبية على أنه لا تقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليف بأن يعنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شىء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم
- ٢

٧٨ النبا

الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾

٧٨ النبا

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

لله الواحد القهار فمن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمهر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو التحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمهر مفسره وأيد ذلك بأنه قرئ عموا لاظهر أنه مبنى على إجراء الوصل مجرى الوقت وقيل عن الأولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبا العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمهر كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبا العظيم والنبأ الخبر الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى (الذي هم فيه مختلفون) ٣ بعد وصفه بالعظيم تأكيداً لخطره إثراً كيد وإشعاراً بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أى هم راسخون في الاختلاف فيه فن جازم باستحالته يقول إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معاً كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الإنكار فمنهم من ينكره لإنكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعدم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والإثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على أن سؤال الأولين ليزدادوا خشية واستعداداً وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرأ وعناداً يرده قوله تعالى (كلا سيعلمون) الخ فإنه صريح في أن المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له إذ عليه يدور ٤ الردع والوعيد لأعلى خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى إليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي عليه الصلاة والسلام بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسباً ذكر في التساؤل فإن الاقتعال والتفاعل صيغتان متأخيتان كالاستباق والتسابق والاتصال والتناضل إلى غير ذلك يجري في كل منهما ما يجري في الأخرى لأعلى مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لها ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لاحقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكلما ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبغي عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت - إلى قوله تعالى - ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فإن ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات والتعابير عن لقائهم بالعلم

٧٨ النبيل

ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلُونَ ﴿٥﴾

٧٨ النبيل

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾

٧٨ النبيل

وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾

٧٨ النبيل

وَخَلَقْنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾

٧٨ النبيل

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾

٧٨ النبيل

وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَبَاسًا ﴿١٠﴾

لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد وقيل الأول عند النزول والثاني في القيامة وقيل الأول للبعث والثاني للجزاء وقرئ سيعلمون بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديداً للردع والوعيد لاهل تقدير قل لهم كما توم فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم مالا يخفى وقوله تعالى (ألم نجعل الأرض مهاداً) (والجبال أوتاداً) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته إثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة للبالغة في الإلزام والتبكيك والمهاد البساط والفراش وقرئ مهاداً على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يهد له فينوم عليه تسمية للمهدود بالمصدر وجعل الجبال أوتاداً لها إرساؤها بها كما يرسى البيت بالأوتاد (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فإنه في قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الإنكار التقريرى فإنه في قوة أن يقال قد جعلنا الخ (أزواجاً) أصنافاً ذكراً وأنثى ليسكن كل من الصنفين إلى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاشر ويتسنى التناسل (وجعلنا نومكم سباتاً) أى موتاً لأنه أحد التوفيقين لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعاً عن الإحساس والحركة لراحة القوى الحيوانية وإزاحة كلاهما والأول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذي فيه يقع النوم غالباً (لباساً) يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلاً للنوم الذي جعل موتاً كما جعل النهار محلاً لليقظة

٧٨ النبأ

وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

٧٨ النبأ

وَبَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٢﴾

٧٨ النبأ

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾

٧٨ النبأ

وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾

- المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشاً) أى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو ١١
أخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذى جعل لكم الليل لباساً والنوم سباتاً وجعل النهار نشوراً وجعل
كون الليل لباساً عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هرباً من عدو أو يبتأله أو نحو ذلك بما لا مناسبة
له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعاش والحوايج (وبيننا فوقكم سبعاً شداداً) ١٢
أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء
مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل
فقط بل للتشويق إليه فإن ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فإذا ورد عليها تمكن عندها
فضل تمكن (وجعلنا سراجاً وهَّاجاً) هذا الجعل بمعنى الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أنه مختص ١٣
بالإنشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللشريع أيضاً كما في
قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً وأياً ما كان ففيه إنباء
عن ملاسة مفعوله بشئ آخر بأن يكون فيه أوله أو منه أو نحو ذلك ملاسة مصححة لأن يتوسط
بينهما شئ من الظروف لغواً كان أو مستقراً لكن لإعلى أن يكون عمدة في الكلام بل قيداً فيه كما في
قوله تعالى وجعل بينهما برزخاً وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك ولياً
الآية فإن كل واحد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالاً من مفعوله
تقدمت عليه لكونه نكرة وأياً ما كان فهو قيد في الكلام حتى إذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون
الجعل متعدياً إلى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم وربما يشتمه الأمر فيظن
أنه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى إني جاعل في الأرض خليفة
والوهاب الوفاة المتألى من وهجت النار إذا أضاءت أو البالغ في الحرارة من الوهب والمراد به الشمس
والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء (وأنزلنا من المعصرات) ١٤ هى
السحاب إذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتقطر كما في أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد
ومنه أعصرت الجارية إذا دنت أن تحيض أو الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات
ووجه ذلك أن الإنزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحاب أو الرياح فقد كان بها كما
يقال أعطاه من يده ويده وقد فسر المعصرات بالرياح ذوات الأعاصير ووجه أن الرياح هى التى

٧٨ النبأ

لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾

٧٨ النبأ

وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

٧٨ النبأ

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾

* تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبتدأ للإنزال (ماء ثجاجاً) أى منصّباً بكثرة يقال
 ثجج الماء أى سال بكثرة وثجج أى أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الحج العجج والتجج أى
 رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرىء ثجاجاً بالحاء بعد الجيم قالوا مشاجح الماء مصابه (لنخرج
 به) بذلك الماء (حباً) يقات كالحنطة والشعير ونحوهما (ونباتاً) يعترف كالتبن والحشيش وتقديم
 الحب مع تأخره عن النبات فى الإخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الإنسان (وجنات) الجنة
 فى الأصل هى المرة من مصدر جنة إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه
 قال زهير بن أبى سلمى [كأن عيني فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحفاً] وعلى الأرض ذات
 * الشجر قال الفراء الجنة مافيه النخيل والفردوس مافيه الكرم والأول هو المراد وقوله تعالى (ألفافاً)
 أى ملتفة تداخل بعضها فى بعض قالوا لا واحد له كالأوزاع والأخفاف وقيل الواحد لف ككن
 وأكنان أو لفيف كشرى وأشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة
 بخذف الزوائد واعلم أن فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيقته من وجوه ثلاثة
 الأول باعتبار قدرته تعالى فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون
 ينتحيه كان على الإعادة أقدر وأقوى الثانى باعتبار علمه وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على
 نمط رائع مستتبّع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن ينفىها بالكلية ولا يجعل
 لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فإن اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها
 كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه
 الأفعال الآفاقية والآنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقيقة البعث الموجهة للإيمان به فما لكم تخوضون
 فيه إنكاراً وتساملون عنه استهزاء وقوله تعالى (إن يوم الفصل كان ميقاتاً) شروع فى بيان سر تأخير
 ما يتساملون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه
 وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعد إجمالاً أى إن يوم فصل الله عز وجل
 بين الخلاق كان فى علمه وتقديره ميقاتاً وميعاداً لبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء
 ثواباً وعقاباً لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدأتوقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حداً للخلاق
 يذتهون فيه ولا ريب فى أنهما بمعزل من التقريب الذى أشير إليه على أن الدنيا تنتهى عند النفخة الأولى

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾

٧٨ النبأ

وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾

٧٨ النبأ

- وقوله تعالى (يوم ينفخ في الصور) أى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة ١٨ تقخيّمه وتحويله ولاخير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباده وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه لإسرافيل عليه السلام . عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه لإسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى وفتح في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلابعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى (فتأتون) فصيحة تفصح عن جملة قد * حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإذنا بغاية سرعة الإتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانقلب أى فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا (أفواجا) أى أما * كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم أو زمرأ وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها . عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمّتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يعضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذروهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد تناما من الجيف وبعضهم يلبسون جبأ سابعة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يعضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالفت أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان وأما الذين هم أشد تناما من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (وفتحت السماء) عطف على ينفخ وصيغة ١٩ الماضى للدلالة على التحقق وقرىء فتحت بالتشديد وهو الأنسب بقوله تعالى (فكانت أبوابا) أى * كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة

٧٨ النبأ

وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝٢٠

٧٨ النبأ

إِنْ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١

٧٨ النبأ

لِلطَّاغِينَ مَعَابًا ۝٢٢

كقوله تعالى ولجونا الأرض عيوناً كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أى أمره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الأبواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقاً لا يسدها شيء.

٢٠ (وسيرت الجبال) أى فى الجو على هياتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب أى تراها رأى العين ساكنة فى أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب الذى يسيره الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام العظام إذا تحركت نحووا من الانحاء لا تكاد يتبين حركتها وإن كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال [بارعن مثل الطود تحسب أنهم * وقوف لحاج والركاب تهملج] وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يسدل الله تعالى الأرض ويغير هياتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها فى الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سراباً) أى فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً أى غباراً منتشراً وهى وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيزورها قاعاً صاففا لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً يومئذ يتبعون الداعى وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعى الذى هو إسرائيل عليه السلام وبرزوا الخلق لله تعالى لا يكون إلا بعد النفخة الثانية (إن جهنم كانت مرصداً) شروع فى تفصيل أحكام الفصل الذى أضيف إليه اليوم لإثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غنى عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذى يرصد فيه كالمضمار الذى هو اسم للمكان الذى يضم فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذى ينهج فيه أى لأنها كانت فى حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبهم فيها (للطاغين) متعلق بمضمر هو إما نعت لمرصداً أى * كأننا للطاغين وقوله تعالى (مآباً) بدل منه أى مرجعاً يرجعون إليه لاحالة وإما حال من مآباً قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآباً على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فإن المتبادر من كونها مرصداً لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل إنها مرصاد لأهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لأن مجازم عليها وهى مآب للطاغين

٧٨ النبا	لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾
٧٨ النبا	لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
٧٨ النبا	إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾
٧٨ النبا	جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾
٧٨ النبا	إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾
٧٨ النبا	وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كَذَّابًا ﴿٢٨﴾
٧٨ النبا	وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾

وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرئ
أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بأنها مرصاد للطاغين (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن في اللطافين ٢٣
وقرئ لبثين وقوله تعالى (أحقاباً) ظرف للبثم أى دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر *
إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على
تناهى تلك الأحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى (لا يذوقون فيها ٢٤
بردًا ولا شراباً) (إلا حمياً وغساقاً) جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لا يذوقون فيها شيئاً مامن برد وروح ٢٥
ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حمياً وغساقاً وقيل البرد
النوم وقرئ غساقاً بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم (جزاء) أى جوزوا بذلك جزاء (وفاقاً) ٢٦
ذا وفاق لأعمالهم أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقاً وقرئ وفاقاً على أنه فعال من وفقه كذا أى
لاقه (إنهم كانوا لا يرجون حساباً) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أى كانوا لا يخافون أن يحاسبوا ٢٧
بأعمالهم (وكذبوا بآياتنا) الناطقة بذلك (كذاباً) أى تكذيباً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على ٢٨
الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب
قال [فصدقها وكذبتها] والمرء ينفعه كذابه [واتصابه إما بفعله المدلول عليه بكذبوا أى وكذبوا
بآياتنا فكذبوا كذاباً وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فإن كل من يكذب بالحق فهو كاذب
وقرئ كذاباً وهو جمع كاذب فاتصابه على الحالية أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى
الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيباً كذاباً مفرطاً كذبه (وكل شيء) ٢٩
من الأشياء التى من جملتها أعمالهم واتصابه بمضمر يفسره (أحصيناه) أى حفظناه و ضبطناه وقرئ *

٧٨ النبأ

فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

٧٨ النبأ

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾

٧٨ النبأ

حَدَاتٍ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾

٧٨ النبأ

وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا ﴿٣٣﴾

٧٨ النبأ

وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾

٧٨ النبأ

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾

٧٨ النبأ

جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

* بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر مؤكد لأحصيناه لما أن الإحصاء والكتابة من واد واحد أو
 ٣٠ لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا في اللوح أو في صفح الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا
 فلن نزيدكم إلا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبه عن التشديد
 في التهديد ولم يراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ
 الغضب ما لا يخفى وقد روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل
 ٣١ النار (إن للمتقين مفازا) شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة أى
 إن للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة
 ٣٢ بما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى (حدائق وأعنايا) أى بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة
 ٣٣ وكووما بدل من مفازا (وكواعب) أى نساء فليكت ثديهن وهن النواهد (أترابا) أى لدات
 ٣٤ (وكأسا دهاقا) أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه (لا يسمعون فيها) أى فى الجنة وقيل فى
 * الكأس (لغوا ولا كذبا) أى لا ينطقون بلغوا ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف
 ٣٦ أى لا يكذبه أو لا يكاذبه (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازا فإنه فى قوة
 أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى
 الكمال شيئا فشيئا مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم
 * (عطاء) أى تفضلا وإحسانا منه تعالى إذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء (حسابا) صفة لعطاء
 بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي
 وقيل على حسب أعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحتسب كالدرار بمعنى المدرك .

٧٨ النبيا

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ٧٨ النبيا

- ٣٧ (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من ربك وقوله تعالى (الرحمن) صفة له وقيل صفة للأول وأياً ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة لإشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى (لا يملكون منه خطاباً) استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه وقرىء برفعهما فويل على أنهما خبران لمبتدأ مضمرة وقيل الثاني نعت للأول وقيل الأول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للأول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الأول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للأول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمغناه على رأى من يقول به والأوجه أن يكون كلاماً مرفوعاً على المدح أو يكون الثاني نعتاً للأول ولا يملكون استئنافاً على حاله ففيه ما ذكر من الإشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحاً تابع لما قبله معنى وإن كان منقطعاً عنه إعراباً كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرىء بجر الأول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده أو على أنه خبر لمبتدأ مضمرة وما بعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لا يملكون لأهل السموات والأرض أى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبغي عنه لفظ الملك خطاباً ما في شيء ما والمراد في قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده وقيل ليس في أيديهم بما يخاطب الله به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملائكة فيزيدون فيه أو ينقصون منه (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً) قيل الروح خلق أعظم من ٣٨ الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقاً أعظم منه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً والملائكة كلهم صفاً وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم نقله البغوى وقيل هم أشرف الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفاً حال أى مصطفىين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى والملك صفاً صفاً وقيل يقوم الكل صفاً واحداً ويوم ظرف لقوله تعالى (لا يتكلمون) وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) بدل من ضمير لا يتكلمون العائد إلى أهل السموات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتحويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من

٧٨ النبأ

ذَلِكَ الْيَوْمِ الْحَقِّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَعَابًا ﴿٣٩﴾

إِنَّا أَنْذَرْنَاكَ عَذَابًا قَرِيبًا يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبِثَنِي كُنْتُ

قُرْبًا ﴿٤٠﴾

٧٨ النبأ

مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكده على معنى أن أهل السموات والأرض إذا لم يقدرُوا يومئذ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً أى حقاً فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه من مطلق الكلام وأعز منه مرأماً لأعلى معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدرُوا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى إلا ياذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فإنه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفاً لا يملكون فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقيل إلا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً أى حقاً هو التوحيد وإظهار الرحمن في موضع الإضمار للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لا أن أحداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى (ذلك) إشارة إلى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحلّه الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفىين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) أى الثابت المتحقق لاحتمال من غير صارف يلوّه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربّه مآباً) فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشبّهة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة وإلى ربّه متعلق بمآباً قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل كأنه قيل وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لاحتمال من شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربّه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالإيمان والطاعة وقال قتادة مآباً أى سيلاً وتعلق الجاربه لمافيه من معنى الإفضاء والإيصال كما مر في قوله تعالى من استطاع إليه سيلاً (إنا أنذرناكم) أى بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها بسائر القوارع الواردة في القرآن (عذاباً قريباً) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقيق إتيانه حتماً ولأنه قريب بالنسبة إليه تعالى وإن رأوه بعيداً وسيرونه قريباً لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لأنه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر وقوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) فإنه إما بدل من عذاباً أو ظرف لمضمّر هو صفة له أى عذاباً كأننا يوم ينظر المرء أى يشاهد

٧٩ - سورة النازعات

(مكية وهي ست وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٧٩ النازعات

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ①

٧٩ النازعات

وَالنَّاسِطَاتِ نَسْطًا ②

٧٩ النازعات

وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ③

٧٩ النازعات

فَالسَّيِّئَاتِ سَبْقًا ④

٧٩ النازعات

فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ⑤

ما قدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة ينتظر والعائد محذوف أو ينظر أى شيء قدمت يدها على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى (ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتني كنت تراباً في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت تراباً في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتصر للجهنم من القرناء ثم يرده تراباً فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاء الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده .

(سورة النازعات مكية وآياتها ست وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والنازعات غرقاً) (والناسطات نشطاً) (والسابحات سبحاً) (٣، ٢، ١) (فالسابحات سبقاً) (فالمدبرات أمراً) لإقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين يزعون ٥، ٤ الأرواح من الأجساد على الإطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أو أرواح الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها أى يخرجونها من الأجساد من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها ويسبحون فى إخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بأرواح الكفرة إلى النار وبأرواح المؤمنين إلى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من الآلام واللذات والمغطف مع اتحاد الكل بتزيلي التغاير الذاتى كما في قوله

٧٩ النزاعات

يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾

٧٩ النزاعات

تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾

[إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب في المزدحم] للإشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمت الأمور حقيق بأن يكون على حياله مناضاً لاستحقاق موصوفه للإجلال والإعظام بالإقسام به من غير انضمام الأوصاف الآخر إليه والقاء في الأخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله [يا لهف زبابة * صانح فالغانم فالآنب] وغرقاً مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى إغراقاً في النزاع حيث تنزعها من أقاصى الأجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الأظافر وأصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى إذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزاع كأنها تفرق وانتصاب نشطاً وسبحاً وسبقاً أيضاً على المصدرية وأما أمر أففعول للدبرات وتنكيره للتحويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالساجحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم أى يسرعون فيه فيسبقون إلى ما أمروا به من الأمور الدنيوية والأخروية والمقسم عليه محذوف تعويلاً على إشارة ما قبله من المقسم به إليه ودلالة ما بعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعث فإن الإقسام بمن يتولى نزاع الأرواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الأمور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز أن يكون إقساماً بالنجوم التى تنزع من المشرق إلى المغرب غرقاً في النزاع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من برج إلى برج أى تخرج من نشط الثور إذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضاً فتدبر أمراً يبطئها باختلاف الفصول وتقدير الأزمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة عبر عن الأولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التى تنزع القسي يا غرق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها أو يخيلهم التى تنزع في أعنتها نزاعاً تفرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب وتخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب وتسبح في جريها لتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الأول وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الأجرام الساكنة أى تتحرك حركة شديدة وتزلزل زلزلة عظيمة كالأرض والجبال وهى النفخة الأولى وقيل الراجفة الأرض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الأرض والجبال وقوله تعالى (تتبعها الرادفة) أى الواقعة التى تردف الأولى وهى النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فإنه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان ويدينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون إلا عند النفخة الثانية لتحويل اليوم ببيان كونه موقفاً

قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾

٧٩ النازعات

أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾

٧٩ النازعات

يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾

٧٩ النازعات

لداهيتين عظيمتين لا يبق عند وقوع الأولى حتى إلامات ولا عند وقوع الثانية ميت إلا بعث وقام ووجه إضافته إلى الأولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافاً مقرر المضمون الجواب المضمّن كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فإنه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) أى يوم ترجف وجفت القلوب قيل ٨ قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهى صفة قلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى (أبصارها) ٩ أى أبصار أصحابها (خاشعة) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً للقلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند السامع حتى قالوا إن الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لأبصار أصحابها سواء فى المعرفة والجهالة كان جعل الأول عنواناً للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبراً به مقصود الإفادة تحكما بحتا على أن الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشدّهما فضلة بما لا عهد له فى الكلام وأيضاً فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه أن يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وإن لم يذكر النوع المقابل فإن المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذا ناب فإن التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضاً كأنه قيل قلوب كثيرة يوم إذ يقع النفختان واجفة أى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجلّة وقال السدى رائلة عن أماكنها كما فى قوله تعالى إذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) حكاية لما يقوله المنكرون ١٠ للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به إثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والأبصار أى يقولون إذا قيل لهم إنكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا فى الحافرة أى فى الحالة الأولى يعنون الحياة من قولهم رجّع فلان فى حافرة أى فى طريقته التى جاء فيها فخمرها أى أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى فى عيشة راضية أى منسوبة إلى الخسر والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيهه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة .

٧٩ النازعات

أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخْرَةً ١١

٧٩ النازعات

قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ١٢

٧٩ النازعات

فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣

٧٩ النازعات

فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤

٧٩ النازعات

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ١٥

- ١١ وقوله تعالى (أئذا كنا عظاماً نخرة) تأكيد لإنكار الرد ونفيه بنسبته إلى حالة منافية له والعامل في إذا مضمحل يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاماً بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة وقرئ إذا كنا على الخبر أو إسقاط حرف الإنكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو
- ١٢ البالى الأجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير (قالوا) حكاية لكفر آخرهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسط قالوا بينهما للإيذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبى عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين إلى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع * (تلك إذا كره خاسرة) أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى إن صحت فنحن إذن خاسرون لتكذيبنا
- ١٣ بها وقوله تعالى (فإنما هى زجرة واحدة) تعليل لمقدر يقتضيه إنكارهم لإحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكفرة فإن مداره لما كان استصعابهم إياها رد عليهم ذلك فقل لا تستصعبوها فإنما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحد وهى النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيهاً على كمال اتصالها بها كأنها عينها
- ١٤ وقيل هى راجع إلى الرادفة فقولته تعالى (فإذا هم بالساهرة) حيثى بيان لترتب الكره على الزجرة مفاجأة أى فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد ما كانوا أمواتاً فى جوفها وعلى الأول بيان لحضورهم الموقف عقب الكره التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لأن سالكيها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجنهم وقال الراغب هى وجه الأرض وقيل هى أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى أرض يجدها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هى اسم الأرض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه
- ١٥ جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسليية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب

٧٩ النازعات

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ⑪

٧٩ النازعات

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ⑫

٧٩ النازعات

فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَرْكَنِي ⑬

٧٩ النازعات

وَأَهْدِكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ⑭

٧٩ النازعات

فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ⑮

- من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أذاك إن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام في استماع حديثه كأنه قيل هل أذاك حديثه أنا أخبرك به وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصار حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أذاك حديثه وقوله تعالى (إذ ناداه ربه بالواد المقدس) ١٦ ظرف للحديث لا للإتيان لاختلاف وقتيهما (طوى) بضم الطاء غير منون وقرىء منونا وقرىء * بالكسر منونا وغير منون فنونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه ندائين أو المقدس مرة بعد أخرى (أذهب إلى فرعون) على إرادة القول وقيل هو تفسير ١٧ للنداء أى ناداه أذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله أن أذهب لأن في النداء معنى القول (إنه طغى) تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به (فقل) بعد ما أتته (هل لك) ١٨ رغبة وتوجه (إلى أن تركنى) بحذف إحدى التاءين من تركنى أى تنطهر من دنس الكفر والطغيان * وقرىء تركى بالتشديد (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفته عز وجل فتعرفه (فتخشى) ١٩ إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته تعالى قال عز وجل إنما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى والفاء فى قوله تعالى (فأراه الآية الكبرى) فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلاً على تفصيلها فى السور الأخرى فإنه ٢٠ عليه الصلاة والسلام ما أراه إياها عيب هذا الأمر بل بعد ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والإجابة وغيرهما من المراجعات وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أن قال إن كنت جئت بأية فأت بها إن كنت من الصادقين والإراءة إما بمعنى التبصير أو التعريف فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهاراً للتجلد ونسبتها إليه عليه الصلاة والسلام بالنظر إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة فى قوله تعالى ولقد أريناه آياتنا بالنظر

٧٩ النازعات

فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾

٧٩ النازعات

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾

٧٩ النازعات

فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾

٧٩ النازعات

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾

٧٩ النازعات

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾

إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فإنها كانت المقدمة والأصل والآخرى كالتبع لها أوهما جميعاً وهو قول مجاهد فإنهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار ما فى تضاعيفهما من بدائع الأمور التى كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما فى سورة طه ولا مسأغ لملها على مجموع معجزاته فإن ماعداهاتين الآيتين من الآيات التسع إنما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعد ما غلب السحرة على مهمل فى نحو من عشرين سنة كما مر فى سورة الأعراف ولارىب فى أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعد

٢١ بعد (فكذب) بموسى عليه السلام وسمى معجزاته سحراً (وعصى) الله عز وجل بالتردد بعد ما علم صحة الأمر وجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجتراً على إنكار وجود رب العالمين رأساً وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية

٢٢ لا يارسال بنى إسرائيل من الأسر والقسر فقط (ثم أدبر) أى تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس * (يسعى) أى يجتهد فى معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أى أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشياً عن

وصفه بالإقبال وقيل أدبر هارباً من الثعبان فإنه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعباناً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمون فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً من قومه وقيل لأنها حين انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرنى بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذى أرسلاك إلا أخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه أن

٢٣ ذلك كان قبل الإصرار على التكذيب والعصيان والتصدى للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى (فحشر) أى جتمع السحرة لقوله فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فججمع كيده أى * ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس (فنادى) فى الجمع بنفسه

٢٥، ٢٤ أو بواسطة المنادى (فقال أنا ربكم الأعلى) قيل قام فيهم خطيباً فقال تلك العظيمة (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينسلك من

٧٩ النازعات

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾

٧٩ النازعات

ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾

٧٩ النازعات

رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿٢٨﴾

٧٩ النازعات

وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾

رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعده الله وصيغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ أى أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أى أخذه لأجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أى أخذه بنكال الآخرة والأولى وإضافته إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى إليها لاحتمال وقيل المراد بالآخرة والأولى قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيرى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة

- فالإضافة لإضافة المسبب إلى السبب (إن في ذلك) أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به ٢٦ (لعبرة) عظيمة (لمن يخشى) أى لمن شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى (أأنتم أشد خلقاً) خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبة في زعمهم بطريق التوبيخ والتبسكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة إلى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فإنما هي زجرة واحدة أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب في تقديركم (أم السماء) أى أم خلق السماء على عظمها وانظروا على * تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم وقوله تعالى (بناها) الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيها * عطف عليه من الأفعال من التنبيه على تعيينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى (رفع سمكها) ٢٨ بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعد لها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب * والتداوير وغيرها مما لا يعلمه إلا الخلاق العليم من قولهم سوى أسر فلان إذا صلحه (وأغطش ليلها) ٢٩ أى جعله مظلماً يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم وأظلمه وقد مر هذا في قوله تعالى وإذا أظلم عليهم قاموا ويقال أيضاً أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) أى أبرز نهارها عبر * عنه بالضحى لأنه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام

٧٩ النزاعات

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾

٧٩ النزاعات

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾

٧٩ النزاعات

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾

وأكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثهما على حركتهما ويجوز أن تكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكال إشراقها (والأرض بعد ذلك دحاهها) أى بسطها ومهدا لسكنى أهلها وتقليبهم فى أقطارها ٣٠ وانتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاهها (أخرج منها ماءها) بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً * (ومراها) أى رعيها وهو فى الأصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمي بمعنى مفعول وتجريد الجملة عن العاطف إما لأنها بيان وتفسير لدحاهها وتكلمة له فإن السكى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكّل والمشرب حتّى وإما لأنها حال من فاعله يا ضمير قد عند الجمهور أو بدونه عند الكوفيين والأخفش كما فى قوله تعالى أو جاءكم حصرت صدورهم (والجبال) منصوب بمضمر يفسره (أرساها) أى أثبتا وأثبت بها الأرض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبية على أن الرسو المنسوب إليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو يارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلاً عن إثباتها للأرض وقرىء والأرض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم إخراج الماء والمرعى ذكرهما مع تقدم الإرساء عليه وجوداً وشدة تعلقه بالدحو لإبراز كمال الاعتناء بأمر المأكّل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى إلى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الأرض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس كهية الفهر عليه دخان ملتزم بها ثم أصدد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رقاً ففتقناهما الآية وقد مر فى سورة حم السجدة أن قوله تعالى قل أننكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين - إلى قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهى دخان الآية إن حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لاعلى تقديرها فهو وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث فى الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق منه اليابسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم

٧٩ النازعات.

مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٣﴾

٧٩ النازعات

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾

٧٩ النازعات

يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾

الإثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيها يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة فالأقرب كما قيل تأويل هذه الآية بأن يجعل ذلك إشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها ويحمل بعدي في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لافي الوجود لما عرفت من أن انتصاب الأرض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتعيين البعدي في الوجود وفائدة تأخير في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ماروى عن الحسن نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو هي بمنزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها إلا على تقدم تقدير الأرض وما فيها على إيجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلاً إذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى (متاع لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتعاً لكم ولأنعامكم لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمديد وإخراج الماء والمرعى وأصله إليهم وإلى أنعامهم فإن المراد المرعى ما يعى ما يأكله الإنسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسن للأنف وقيل مصدر مؤكداً لفعله المضمر أى متعكم بذلك متاعاً أو مصدر من غير لفظه فإن قوله تعالى أخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله تعالى (فإذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات أى تلوها وتغلبها وهي القيامة أو النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق الخلائق إلى محشرهم وقيل التي يساق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع في بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى متاع لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبى منه لفظ المتاع (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) قيل هو بدل من إذا جاءت والأظهر أنه منصوب ٣٥ بأعنى كما قيل تفسيراً للطامة الكبرى فإن الإبدال منها بالظرف المحض بما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلاً من الطامة الكبرى مفتوحاً لإضافته إلى الفعل على رأى الكوفيين أى يتذكر فيه كما

٧٩ النازعات

وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ٣٦

٧٩ النازعات

فَأَمَّا مَنْ طَغَى ٣٧

٧٩ النازعات

وَأَثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ٣٨

٧٩ النازعات

فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ٣٩

٧٩ النازعات

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ٤٠

٧٩ النازعات

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ٤١

أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول
 ٣٦ الأمد كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه ويجوز أن تكون ما مصدرية (وبرزت الجحيم) عطف على
 جاءت أى أظهرت إظهاراً بيناً لا يخفى على أحد (لمن يرى) كائناً من كان يروى أنه يكشف عنها فتسلط
 فيراها كل ذى بصير وقرىء وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على فيه ضمير الجحيم كما في قوله
 تعالى إذا ذارأتهم من مكان بعيد وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لم تراه من الكفار
 ٣٧ وقوله تعالى (فأما من طغى) الخ جواب فإذا جاءت على طريقة قوله تعالى فإذا يأتينكم منى هدى الآية
 وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فأما من الخ والذي تستدعيه غفلة
 النزول ويقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظام الشؤون ما لم تشاهده العيون كما مر
 ٣٨ في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل أى فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان (آثر
 الحياة الدنيا) الفانية التى هى على جناح القوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخورية
 ٣٩ الأبدية بالإيمان والطاعة (فإن الجحيم) التى ذكر شأنها (هى المأوى) أى هى مأواه واللام سادة مسد
 الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما في قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والطرف
 للتعريف لأنهم معروفان وهى إما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية فى الضر وأبيه الحرث المشهورين
 ٤٠ بالغلو فى الكفر والطغيان (وأما من خاف مقام ربه) أى مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى
 * يوم يتذكر الإنسان ماسعى (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد
 ٤١ بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها (فإن الجنة هى المأوى)
 له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان فى أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز
 يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب إذا
 ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى إذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الإنسان ماسعى على طريقة

٧٩ النازعات

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾

٧٩ النازعات

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا ﴿٤٣﴾

٧٩ النازعات

إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴿٤٤﴾

٧٩ النازعات

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَحْشَاهَا ﴿٤٥﴾

قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت وأخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفاً عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حالا من الإنسان يا ضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى فأما من طغى الخ تفصيلاً لحالى الإنسان الذى يتذكر ماسعى وتقسيما له بحسب أعماله إلى القسمين المذكورين (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) ٤٢
 متى إرساؤها أى إقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى إليه وتستقر فيه وقوله تعالى (فيم أنت من ذكرها) إنكار ورد لسؤال ٤٣
 المشركين عنها أى فى أى شىء أنت من تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كأنك حفي عنها أى ما أنت من ذكرها لهم وتبين وقتها فى شىء لأن ذلك فرع عليك به وأنى لك ذلك وهو بما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فإن ذكرها لا يزيدهم إلا غيماً فقد نأى عن الحق وقيل فيم إنكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف لتعليل للإنكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل أنت من ذكرها أى إرسالك وأنت خاتم الأنبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فعنى قوله تعالى (إلى ربك منتهاها) على هذا الوجه إليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنها وتفصيل ٤٤
 أمرها ووقت وقوعها لا إلى أحد غيره وإنما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فعناه إليه تعالى انتهاء علمها ليس لأحد منه شىء ما كائناً من كان فلا شىء يسألونك عنها وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يحشاها) على الوجه ٤٥
 الأول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم أنت من ذكرها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فإن إنكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شىء من ذكرها إنما يوهم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فأزيج ذلك ببيان أن المنقضى عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى إنما أنت منذر من يحشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الأحوال كما تحيط به خبراً لاتعيين وقتها الذى لم يفوض إليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى

الوجه الثاني هو تقرير لقوله تعالى أنت من ذكرها بيان أن إرساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني وقرىء منذر بالتنوين وهو الأصل والإضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي تعينت الإضافة وتخصيص الإنذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لأنه المنتفع به وقوله تعالى (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) إما تقرير وتأكيد لما ينبيء عنه الإنذار من سرعة مجيء المنذر به لاسيما على الوجه الثاني أى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الإنذار بها إلا عشية يوم واحد أو ضحاها فلما ترك اليوم أضيف ضحاها إلى عشيته وإما ردلما أدجوه في سؤا لهم فإنهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وإن كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فالمعنى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه المقام وإنما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الإنذار أو بعد الوعيد تحقيقاً للإنذار ورداً لاستبطائهم والجملة على الأول حال من الموصول فإنه على تقدير الإضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار حال من ضمير المفعول فى يحشرهم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا إلا ساعة خلا أن الشبه هناك فى الأحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الإنذار بها إلا تلك المدة اليسيرة وعلى الثانى مستأنفة لا محل لها من الإعراب . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله عز وجل فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم .

٨٠ - سورة عبس
(مكية وهي إثنان وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٠ عبس

عَبَسَ وَتَوَلَّى ①

٨٠ عبس

أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ②

٨٠ عبس

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ③

(سورة عبس مكية وآياتها إثنان وأربعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (عبس وتولى) (أن جاءه الأعمى) روى أن ابن أم مكتوم واسمه عبد ٢١
الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن
خلف والوليد بن المغيرة يدعهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئني
وعلمني بما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول
الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يكرمه ويقول إذا رآه مرحباً بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة
مرتين وقرىء عبس بالتشديد للبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرايين أى لأن
جاءه الأعمى والتعرض لعنوان عماء إما لتهديد عذره في الإقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام
بالقوم والإيذان باستحقاقه بالرفق والرافة وإما لزيادة الإنكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن
الالتفات في قوله تعالى (وما يدريك) لذلك فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب أى وأى شيء يجعلك ٣
دارياً بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى (لعله يزكى) استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فإنه مع *
إشعاره بأن له شأنًا منافيًا للإعراض عنه خارجاً عن دراية الغير وإدراكه مؤذن بأنه تعالى يدرية ذلك
أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن
الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام للتنبيه على أن الإعراض عنه
عند كونه مرجو التزكى بما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكى كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت
وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلاً .

٨٠ عبس

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ اللَّهُ كَرِي ٤

٨٠ عبس

أَمَّا مَنْ أَسْتَغْنَى ٥

٨٠ عبس

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ٦

٨٠ عبس

وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ٧

٨٠ عبس

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ٨

٨٠ عبس

وَهُوَ يَخْشَى ٩

٨٠ عبس

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى ١٠

٨٠ عبس

كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ١١

- ٤ وقوله تعالى (أو يذكّر) عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجى وقوله تعالى (فتتنفعه الذكرى) بالنصب على جواب لعل وقرىء بالرفع عطفاً على يذكر أى أو يتذكر فتتنفعه موعظتك إن لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى إنك طمعت فى أن يتزكى أو يذكرك فتقربه الذكرى إلى قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع (أما من استغنى) أى عن الإيمان وعمّا عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فأنت له تصدى) أى تتصدى وتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكبار وقرىء تصدى بإدغام التاء فى الصاد وقرىء تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك إلى التصدى له داع من الحرص والتهالك على إسلامه (وما عليك أن لا يزكى) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للإنكار أى أى شيء عليك فى أن لا يتزكى وما له النفي أيضاً (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه مسرعاً طالباً لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو يخشى) أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى إتيانك وقيل يخشى الكبوة إذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه وانتهى وتلهى وقرىء تلهى وتلهى أى يلهيك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصاً لا يذنبى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما . روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (كلا)

٨٠ عبس

فَن شَاءَ ذَكَرُهُ ﴿١٢﴾

٨٠ عبس

فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾

٨٠ عبس

مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾

٨٠ عبس

بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾

ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدي لمن استغنى عمادعاه إليه من الإيمان والطاعة وما يوجههما من القرآن الكريم مبالغاً في الاهتمام بأمره متهاكاً على إسلامه معرضاً بسبب ذلك عن إرشاد من يسترشه وقوله تعالى (إنها تذكرة) أى موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل * للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاعتاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى (فن شاء ذكره) أى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره ١٢ فالضمير ان للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة أو للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير لأنها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فإن السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سياتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ماسياتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما إلى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب وخبط خبطاً يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى (فى صحف) ١٣ متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جىء به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لأن (مكرمة) عند الله عز وجل (مرفوعة) أى فى السماء ١٤ السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر (مطهرة) منزهة عن مساس أيدي الشياطين (بأيدي سفرة) أى ١٥ كتيبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فإن وظيفتهم التلقى من الوحي لا الكتب منه وإرشاد الأمة بالأمر والنهى وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد السفارة إليهم وكذا حملهم على القراءة لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يسمها إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يسمها وقال القرطبي إن المراد بما فى قوله تعالى لا يمسها إلا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة .

٨٠ عبس

كِرَامٍ بَرَرَةٍ ①٦

٨٠ عبس

قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ①٧

٨٠ عبس

مِنْ أَى شَىءٍ خَلَقَهُ ①٨

٨٠ عبس

مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ①٩

٨٠ عبس

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ②٠

٨٠ عبس

ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ②١

٨٠ عبس

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ②٢

٨٠ عبس

كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ②٣

- ١٦ (كرام) عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكملونهم ويستغفرون لهم (بررة) اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قو لهم فلان ير خالقه أى يعطيه وقيل صادقين من بر في يمينه (قتل الإنسان) دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى (ما أكفره) تعجب من إفراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به إما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به وأما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراد لا باعتبار جميع أفراد وفيه مع قصر مثنه وتقارب قطريه من الأنباء عن سنخ عظيم ومذمة بالغة مالا غاية وراه وقوله تعالى (من أى شىء خلقه) شروع في بيان إفراطه في الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة بالشكر والطاعة مع إخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى (من نطفة خلقه) تحقير له أى من أى شىء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه (فقدرة) فيها لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال أو فقدرة أطواراً إلى أن تم خلقه وقوله تعالى (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وألهمه أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الإضافة للإشعار بعمومه (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يوارى فيه تكريمة له ولم يدعه مطروحاً على وجه الأرض جرزاً للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت إذا دفنه وأقبره إذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الإمامة من النعم لأنها وصلة إلى الحياة الأبدية والنعم المقيم (ثم إذا شاء أنشره) أى إذا شاء إنشاره أنشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الإنشار بمشيئته تعالى لإيدان بأن وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرىء أنشره (كلا) ردع للإنسان

٨٠ عبس

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ٢٤

٨٠ عبس

أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ٢٥

٨٠ عبس

ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦

٨٠ عبس

فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧

- عما هو عليه وقوله تعالى (لما يقض ما أمره) بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام إلى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب في أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الإنسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام شيتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم إما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند إلى الكل كما في قوله تعالى إن الإنسان لظلوم كفار للإشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقتهم بنو فلان قتلوا فلانا. والقاتل واحد منهم وإما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلاً هذا وقد قيل كلا بمعنى حقاً فيتعلق بما بعده أى حقاً لم يعمل بما أمره به (فلينظر الإنسان ٢٤ إلى طعامه) شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر إلى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى (أنا صببنا الماء صباً) أى الغيث بدل اشتال من ٢٥ طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ أنا على الاستئناف وقرئ أنى بالإمالة أى كيف صببنا إلى آخره أى صببناه صباً عجيباً (ثم شققنا الأرض) أى بالنبات (شقاً) بديعاً لا تقاً ٢٦ بما يشقها من النبات صغيراً وكبيراً وشكلاً وهيئة وحمل شقها على ما بالكرا ب يجعل إسناده إلى نون العظمة من قبيل إسناد الفعل إلى سببه ياباه كلة ثم والفاء في قوله تعالى (فأنبتنا فيها حباً) فإن الشق ٢٧ بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الأمطار أصلاً ولا بينه وبين إنبات الحب بلا مهلة وإنما الترتيب بين الأمطار وبين الشق المذكور وبين إنبات الحب بلا مهلة فإن المراد بالنبات ما نبت من الأرض إلى أن يتكامل النمو وينقعد الحب فإن إنشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنباته تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبغي عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسط فعل المنعم عليه في حصول تلك النعم مغل بالمرام

٨٠ عبس

وَعَنْبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾

٨٠ عبس

وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾

٨٠ عبس

وَحَدَاقٍ غُلْبًا ﴿٣٠﴾

٨٠ عبس

وَفَنَكِهَةً وَأَبًا ﴿٣١﴾

٨٠ عبس

مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٢﴾

٨٠ عبس

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ﴿٣٣﴾

٨٠ عبس

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾

- ٢٨ وقوله تعالى (وعنباً) عطف على حباً وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو إنبات العنب عن شق الأرض (وقضباً) أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه
- ٢٩ مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثرة نفس القطع (وزيتوناً ونخلاً) الكلام فيهما وفي أمثالهما كما في العنب
- ٣٠ (وحداق غلباً) أى عظاماً وصف به الحداق لتكاثرها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ
- ٣١ مستعار من وصف الرقاب (وفاكية وأباً) أى مرعى من أبه إذا أمه أى قصده لأنه يؤم وينتجع أو من أب لكذا إذا تهاى له لأنه متهى للرعى أو فاكية يابسة تذب للشواء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الأب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (متاعاً لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعاً لكم ولما أوشىكم فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان وإما مصدر مؤكد لفعله المضممر بخذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعاً أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعاً أى تمتعاً كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فإن ما ذكر من الأفعال الثلاثة فى معنى التمتع (فإذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معاد ثم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى يصح لها الخلاق أى يصيخون لها من صرخة حديثه إذا أصاخ له واستمتع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصح الأذان أى تصمها لشدة وقعها وقيل هى مأخوذة من صرخه بالحجر أى صكه وقوله تعالى (يوم يفر المرء من

٨٠ عبس

وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ③٥

٨٠ عبس

وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ③٦

٨٠ عبس

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ③٧

٨٠ عبس

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ③٨

٨٠ عبس

ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ③٩

٨٠ عبس

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ④٠

٨٠ عبس

تَرَهَّقَهَا قَتَرَةٌ ④١

أخيه) (وأمه وأبيه) (وصاحبه وبنيه) إما منصوب بأعنى تفسيراً للصاحبة أو بدل منها مبنى على ٣٦، ٣٥ الفتح بالإضافة إلى الفعل على رأى الكوفيين وقيل بدل من إذا جاءت كما مر في قوله تعالى يوم يتذكر الخ أى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وأما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لا يغنون عنه شيئاً أو بالخذل من مطالبهم بالتبعات فإياه قوله تعالى (لكل امرئ ٣٧ منهم يومئذ شأن يغنيه) فإنه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به وأما الفرار حذار من مطالبهم أو بغضاً لهم كما يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه يفر قاييل من أخيه هابيل ويفر النبی صلى الله عليه وسلم من أمه ويفر إبراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لثلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أى يهمله من عناء الأمر إذا أهمله أى أوقعه فى الهم ومنه من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه لامن عناء إذا قصده كما قيل وقوله تعالى (وجوه يومئذ ٣٨ مسفرة) بيان لما ل أمر المذكورين وانقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أى مضية متعلقة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما أغبرت فى سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (ووجوه ٤٠، ٣٩ يومئذ عليها غبرة) أى غبار وكدورة (ترهقها) أى تعلوها وتغشاها (قتر) أى سواد وظلمة . ٤١

١٥٥ - أبى السعود ج ٩ ،

أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٦﴾

٨١ - سورة التكوير (مكية وهي تسع وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨١ التكوير

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾

٨١- التكوير

وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾

٤٦ (أولئك) إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد درجاتهم في سوء الحال . أى أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره (هم الكفرة الفجرة) الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الفجرة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة وجهه ضاحك مستبشر .

(سورة التكوير مكية وآياتها تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا الشمس كورت) أى لفت من كورت العمامة إذا لففتها على أن المراد بذلك إما رفعها وإزالتها من مقرها فإن الثوب إذا أريد رفعه يلف لفاً ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء وأمانف صونها المنبسط في الآفاق المنتشر في الأقطار على أنه عبارة عن إزالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره إذا ألقاه على الأرض وعن أبي صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها إدخالها في العرش ومدار التركيب على الإدارة والجمع وارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل تكويرها
- ٢ مضمرة يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء (وإذا النجوم انكدرت) أى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت . روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم إلا سقط في الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأينى ملائكة من نور فإذا مات من في السموات ومن في الأرض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطلاس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليرأها من عبدها كما قال إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (وإذا الجبال سيرت) أى عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لافى الجو فإن ذلك بعد النفخة الثانية

٨١ التكويد

وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

٨١ التكويد

وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾

٨١ التكويد

بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾

- (وإذا العشار) جمع عشاء وهي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع تمام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مهمة لاشتغال أهلها بأنفسهم * وقيل العشار السحاب فإن العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات وقرأو تعطيلها عدم أمطارها وقرى عطلت بالتخفيف (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص ٥ قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى دينها ردت تراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرى حشرت بالتشديد (وإذا البحار سجرت) أي أحميت ٦ أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بجرأ واحداً من سجر التنور إذا ملأه بالخطب ليحمله وقيل ملئت نيراناً تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرى سجرت بالتخفيف (وإذا النفوس زوجت) أي قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكائها أو بكتائبها ٧ أو بعملها أو نفوس المؤمنين بالخور ونفوس الكافرين بالشياطين (وإذا الموءدة) أي المدفونة حية ٨ وكانت العرب تد البنت مخافة الإملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن قيل كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى إذا بلغت ست سنين ذهب بها إلى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتاً رمت بها وإن ولدت ابناً حبسته (سئلت) (بأي ذنب قتلت) توجيه ٩ السؤال إليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لو أئدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين وقرى سألت أي خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وإنما قيل قتلت لما أن الكلام أخبار عنها لاحتكاكية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولاحتكاكية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الاحتكاكية عن نفسها وقد قرى كذلك وبالتشديد أيضاً وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون

٨١ التكوير

وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٢﴾

٨١ التكوير

وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾

٨١ التكوير

عَلَيْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ﴿١٤﴾

- ١٠ واحتج بهذه الآية (وإذا الصحف نشرت) أى صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتشر عند الحساب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مئاقيل الذرو ومئاقيل الخردل وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الأعمال (وإذا السماء كُشِطَتْ) قطعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرىء كُشِطَتْ واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور
- ١٢ والقافور (وإذا الجحيم سُعِرَتْ) أى أوقدت لإيقاداً شديداً قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا
- ١٣ بنى آدم وقرىء سُعِرَتْ بالتخفيف (وإذا الجنة أُزْلِفَتْ) أى قربت من المتقين كقوله تعالى وأُزْلِفَتْ الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة إلى قوله تعالى وإذا البحار سجرت على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية
- ١٤ لا يبعثها للقصاص وست في الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى (علئت نفس ما أحضرت) جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما في سباقها وسباق ما عطف عليها من الحاصل مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند نشر الصحف إلا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مبادئه وبعضها من روافده نسب عليها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلاً للخطب وتفظيماً للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفية مخصوصة وهيات معينة حتى إن الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله

فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾

٨١ التكوير

عليه الصلاة والسلام في حق من يشرب من آنية الذهب والفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللب كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقدروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان وأياً ما كان فإسناد إحضارها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً الآية لأنها لما عملتها في الدنيا فكانت أحضرتها في الموقف ومعنى عليها بها حيثشفت أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وإن كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعاً يعرفه كل أحد ولو جيء بعبارة تدل على خلافه وللرمز إلى أن تلك النفوس العاملة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها بما يستقل بالنسبة إلى جناب الكبرياء الذى أشير إلى بعض بدائع شؤنه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه وتمثله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وبقول من قال [قد أترك القرن مصفراً أنامله] وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندي وعنده المقاب قاصداً بذلك التماضى في تكثير فرسانه وإظهار براءته من التزيد وأنه بمن يقلل كثير ما عنده فضلاً أن يتزيد فن لو انح النظر الجليل إلا أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الأمثلة بما يقبل الإفراط والتماضى فيه فإنه في الأول كثيراً ما يود وفي الثانى كثيراً ما أترك وفي الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للإفراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التماضى في التكثير حسبما فصل أما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه إمكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتماضى فيه وإنما الذى يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حيثشفت نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلم على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإنك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمراً يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعى الوجود كثير الوجود (فلا أقسم بالخنس) ١٥ أى الكواكب الرواجع من خنس إذا تأخر وهي ماعداء النيرين من الدراوى الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى :

٨١ التكوير	الْجَوَارِ الْكُنُسِ ﴿١٦﴾
٨١ التكوير	وَالْبَلِّ إِذَا عَسَّسَ ﴿١٧﴾
٨١ التكوير	وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
٨١ التكوير	إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾
٨١ التكوير	ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾
٨١ التكوير	مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾
٨١ التكوير	وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾

- ١٦ (الجوار الكنس) لأنها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس نخوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوءها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو البيت الذي يتخذ من أغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل
- ١٧ أى تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها (والليل إذا عسس) أى أدبر ظلامه أو أقبل فإنه من الأضداد وكذلك سجع قال القراء أجمع المفسرون على أن معنى عسس أدبر وعليه قول العجاج [حتى إذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسسا] وقيل هي لغة قريش خاصة وقيل معنى إقبال ظلامه
- ١٨ أوفق لقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) لأنه أول النهار وقيل إداره أقرب من تنفس الصبح ومعناه
- ١٩ أن الصبح إذا أقبل يقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له مجازاً فقل تنفس الصبح (لأنه) أى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله
- ٢٠ من جهة الله عز وجل (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى أداء طاعة
- * الله تعالى وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف (عند ذى العرش مكين) ذى مكانة
- ٢١ رفيعة عند الله تعالى عندي إكرام وتشريف لا عندي مكان (مطاع) فيما بين ملائكته المقربين يصدر عن أمره ويرجعون إلى رأيه (ثم أمين) على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم
- ٢٢ تعظيماً لوصف الأمانة وتفضيلاً لها على سائر الأوصاف (وما صاحبكم) هو رسول الله صلى الله عليه
- * وسلم (بمجنون) كما تهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبراً وعليهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه إليه بالسكينة وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين وبين وصفيهما وهو ضعيف إذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه عليه الصلاة والسلام إنما يعلمه بشر أقرى على الله كذباً أم به جنة لا تعداد فضائلهما والموازنة

٨١ التكويد	وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾
٨١ التكويد	وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾
٨١ التكويد	وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾
٨١ التكويد	فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾
٨١ التكويد	إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾
٨١ التكويد	لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾
٨١ التكويد	وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

(ولقد رآه) أى وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع
الشمس الأعلى (وما هو) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الغيب) على ما يخبره من الوحي إليه
وغيره من الغيوب (بضنين) أى بيبخل لا يبخل بالوحي ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرىء بظنين *
أى بمتهم من الفلن وهى التهمة (وما هو بقول شيطان رعيم) أى قول بعض المستترقة للسمع وهونفى
لقولهم إنه كهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه فى أمر القرآن والقاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحي مبين وليس بما يقولون فى شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها
هذا الطريق الواضح فأين تذهب (إن هو) ما هو (إلا ذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى
(لمن شاء منكم) بدل من العالمين بإعادة الجار وقوله تعالى (أن يستقيم) مفعول شاء أى لمن شاء منكم
الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين لأنهم المتفعون بالتذكير (وما تشاؤون)
أى الاستقامة مشيئة مستتعة لها فى وقت من الأوقات (إلا أن يشاء الله) أى إلا وقت أن يشاء الله *
تعالى تلك المشيئة أى المستتعة للاستقامة فإن مشيئكم لا تستبها بدون مشيئة الله تعالى لها (رب العالمين)
مالك الخلق ومريهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكويد أعاده الله
أن يفضحه حين تنشر صحيفته .

٨٢—سورة الانفطار

(مكية وهى تسعة عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٢ الانفطار

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ①

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ②

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③

٨٢ الانفطار

وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ④

٨٢ الانفطار

عَلَيْتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ⑤

(سورة الانفطار مكية وآياتها تسعة عشر)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا السماء انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبواباً والكلام فى ارتفاع السماء كما مر فى ارتفاع الشمس (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت متفرقة (وإذا البحار فجرت) فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالأجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار ببحراً واحداً وروى أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن رضى الله عنه وقيل إن مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فإذا فجرت تفرقت وذهبت وقرىء فجرت بالتخفيف مبنياً للفعول ومبنياً للفاعل أيضاً بمعنى بغت من الفجور نظراً إلى قوله تعالى لا يغيان (وإذا القبور بعثرت) أى قلب ترابها وأخرج موتاهها ونظيره ببحر لفظاً ومعنى وهما مركبان من البعث والبعث مع راء ضمت إليهما وقوله تعالى (عليت نفس ما قدمت وأخرت) جواب إذا لكن لاعلى أنها تعلبه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الأولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمته متعددة حسب تعدد كلمة إذا وإنما كررت لتحويل ما فى حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ما قدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وآخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضاً ما قدم من مصيبة وآخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من أمواله لنفسه وما أخر لورثته وقيل ما قدم من فرض وآخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى عليها التفصيل حسبما ذكر فيما مر مراراً .

٨٢ الانفطار

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾

٨٢ الانفطار

الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

٨٢ الانفطار

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

٨٢ الانفطار

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾

٨٢ الانفطار

وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾

- (يا أيها الإنسان ما غرك ربك الكريم) أى أى شيء خدعك وجراك على عصيانك وقد علمت ما بين يديك من الدواهي النامة والعراقل الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة أعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للإيدان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مداراً لا غتراره حسباً يغويه الشيطان ويقول له افعل ماشئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فإنه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية إلى خلافه وقوله تعالى (الذي خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للرؤية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدءاً قدر عليه إعادة والتسوية جعل الأعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرىء فعدلك بالتشديد أى صيرك متعدداً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه (فى أى صورة ماشاء ركبك) أى ركبك فى أى صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أى ركبك فى أى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاعتراض بكرم الله تعالى وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى (بل تكذبون بالدين) إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام * كأنه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأتم لا تردعون عن ذلك بل تجترون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأساً أو بدين الإسلام الذى هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالاً ولا جواباً ولا ثواباً ولا عقاباً وقيل كأنه قيل إنكم لا تستقيمون على ما توجه نعمى عليكم وإرشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الأمر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور ثم قيل أتم لا يتبينون بهذا البيان بل تكذبون بיום الدين وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون مفيدة ١٠ لبطان تكذبهم وتحقق ما يكذبون به أى تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم من قبلنا لحافظين لأعمالكم .

٨٢ الانقطاع

كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾

٨٢ الانقطاع

يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

٨٢ الانقطاع

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾

٨٢ الانقطاع

وَأِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾

٨٢ الانقطاع

يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾

٨٢ الانقطاع

وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾

٨٢ الانقطاع

وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾

٨٢ الانقطاع

ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾

١٢، ١١ (كراماً) لدينا (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) من الأفعال قليلاً وكثيراً ويضبطونه تقريراً وقطعيراً لتجاوزوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وأنه عند الله عز وجل ١٤، ١٣ من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) (وإن الفجار لفي جحيم) استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل مالا يخفى وقوله تعالى (يصلونها) إما صفة للجحيم أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها (يوم الدين) يوم الجزاء ١٦ الذى كانوا يكذبون به (وما هم عنها بغائبين) طرفة عين فإن المراد دوام نفي الغيبة لانتفي دوام الغيبة لما مراراً من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لانتفي الاستمرار باعتبار ما تفيد من الدوام والثبات بعد النفي لاقبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يحدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) (ثم ما أدراك ما يوم الدين) تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به إثر تفخيم وتهويل لأمره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أى صورة تصوره فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أظم من ذلك وأعظم أى وأى شيء جعلك دارياً ما يوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين إلا بالعكس كما هو رأى سيويه لما مر من أن مدار الإفادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في أن مناط إفادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين أى أى شيء عجيب هو في الهول والفضاعة لما مر غير مرة أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وإن كانت موضوعة

لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال في الجواب كاتب أو طيب وفي إظهار يوم الدين في موقع الإضمار تأكيد لهوله ونخامته وقوله تعالى (يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله) ١٩ بيان لإجمالى لشأن يوم الدين إثر إبهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق لإنجاز الوعد فإن نفى إدراهم مشعر بالوعد الكريم بالإدراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى ما أدراك فقد أدراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا يملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء الخ أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الخ فإنه يدريك ما هو وقيل بإضمار يدانون وليس بذاك فإنه عار عن إفادة ما يفيد ما قبله كما أن إبداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حيثئذ الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم .

٨٣ - سورة المطففين
(مكية وهي ست وثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٣ المطففين

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾

٨٣ المطففين

الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾

(سورة المطففين مكية مختلف فيها وآياتها ست وثلاثون)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ويل للمطففين) قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الأليم وقيل هو واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره وقيل وقيل وأياً ما كان فهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والتطفيف البخس في الكيل والوزن لأن ما يخس شيء طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخرجت الناس كيلاً فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجاراً يطففون وكانت يباعاتهم المنازعة والملازمة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر وقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل أي إذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيأً وافرأً وتبديل كلمة على بمن لتضمنين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضربهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي يتضمنه كلمة إذا لإخلاله بالمعنى بل في نفس الأمر بموجب الجواب فإن المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيأً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي أنوافر حسبما أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيل والاحتيال في ملئه وأما ما قيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضى أن يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم عليهم وافيأً من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الإطلاق في معرض الحق فلا يكون مداراً لذمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ماسيكون

٨٣ المطففين

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾

٨٣ المطففين

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

٨٣ المطففين

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

٨٣ المطففين

يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

- لهم عليهم مع كونه بعيداً جداً مما لا يجدى نفعاً فإن اعتبار كون المكيّل لهم حالاً كان أو ما لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتماً وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان في هذا الموضع لأنه حق عليه فإذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك وإذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة بيسْتوفون ويكون تقديمها على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور إنما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضاً حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الأفراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الأخذ الوافي بما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى (وإذا كالوهم أو وزنوهم) للناس أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه (يخسرون) أي ينقصون ٣ يقال خسر الميزان وأخسره خذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله [ولقد جنيتك أكثوا وعساقل] أي جنيت لك وجعل البارز تأكيداً للمستكن بما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكّنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) استئناف وارد لتحويل ما ارتكبه من التطفيف والتعجيب ٤ من اجترأهم عليه وأولئك إشارة إلى المطففين ووضع موضع ضميرهم للإشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فإن الإشارة إلى الشيء متعرضة له من حيث انصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللإيدان بأنهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكمل امتياز نازلون منزلة الأمور المشار إليها إشارة حسية وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعدهم في الشرارة والفساد أي ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون (ليوم عظيم) لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ٥ ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فإن من يظن ذلك وإن كان ظناً ضعيفاً متاخماً للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) ٦

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنْ كُنْتَ الْفَجَّارِ لَنِي سَجِينٌ ﴿٧﴾

٨٣ المطففين

وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾

٨٣ المطففين

كُنْتُ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾

٨٣ المطففين

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾

٨٣ المطففين

الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾

٨٣ المطففين

وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

٨٣ المطففين

إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾

- أى لحكمه وقضائه منصوب بإضمار أعنى وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبراً لمبتدأ مضمراً أو مجرور بدلاً من يوم عظيم مبنى على الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الأخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الإنكار والتعجيب وإيراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى برؤية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الإثم ٧ في التلطيف وأمثاله مالا يخفى (كلا) ردع عما كانوا عليه من التلطيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى (إن كتاب الفجار لنى سجين) الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كخاتم وأصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم أولاً لأنه مطروح كما قيل تحت الأرض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن إبليس وذريته فالمعنى إن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لنى ذلك ٨ الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى (وما أدراك ما سجين) تهويل لأمره أى هو ٩ بحيث لا يبلغه دراية أحد وقوله تعالى (كتاب مرقوم) أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه ١٠ أنه لاخير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى (ويل يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض بقوله تعالى (الذين يكذبون يوم الدين) إما مجرور على أنه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو ١٢ منصوب على الذم (وما يكذب به إلا كل معتد) أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد * حتى استقصى قدرة الله تعالى وعلمه عن الإعادة مع مشاهدته للبدن (أثيم) أى منهمك في الشهوات ١٣ المخدجة الغانية بحيث شغلته عما وراهها من اللذات التامة الباقية وحملته على إنكارها (إذا تلى عليه

٨٣ المطففين

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾

٨٣ المطففين

ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾

٨٣ المطففين

ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

٨٣ المطففين

كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنَ ﴿١٨﴾

- آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله وإعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه (أساطير الأولين) *
 أى هي حكايات الأولين قال الكلبي المراد بالمعتدى الإثم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحرث
 وقيل عام لكل من اتصف بالأوصاف المذكورة وقرئ إذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ إذا اتلى على
 الاستفهام الإنكارى (كلا) ردع للمعتدى الأثم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى ١٤
 (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان لما أدى بهم إلى النفوس بتلك العظيمة أى ليس في آياتنا *
 ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها
 من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرأة فحال ذاك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله
 عليه وسلم إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا
 والرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرئ
 يادغام اللام في الراء (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرائن (لأنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا ١٥
 يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لإهاتهم بإهانة من يحجب عن الدخول على الملوك
 وعن ابن عباس وقتادة وابن أبي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم لأنهم ١٦
 لصالوا الجحيم) أى داخلوا النار ثم لتراخي الرتبة فإن صلى الجحيم أشد من الإهانة والحرمان من الرحمة
 والكرامة (ثم يقال) لهم توبيخاً وتقريعاً من جهة الزبانية (هذا الذي كنتم به تكذبون) فذوقوا ١٧
 عذابه (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع زجر لئلا يترجى وقوله تعالى (إن كتاب الأبرار لفي عليين) ١٨
 استئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعده بيان سوء حال الفجار متصلاً ببيان سوء حال كتابهم
 وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي
 دون فيه كل ما أعملته الملائكة وصلاحه الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك إما لأنه
 سبب الارتفاع إلى أعلى الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون
 تكريماً له وتعظيماً والكلام في قوله تعالى :

٨٣ المطففين	وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ ﴿١٩﴾
٨٣ المطففين	كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾
٨٣ المطففين	يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾
٨٣ المطففين	إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾
٨٣ المطففين	عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾
٨٣ المطففين	تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾
٨٣ المطففين	يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾
٨٣ المطففين	خَتَمُهُمْ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾

١٩، ٢٠، ٢١ (وما أدراك ما عليون) (كتاب مرقوم) كما مر في نظيره وقوله تعالى (يشهده المقربون) صفة
 ٢٢ أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة (إن الأبرار لفي نعيم) شروع
 ٢٣ في بيان محاسن أحوالهم إثر بيان حال كتابهم على طريقة مأمرة في شأن الفجار (على الأرائك) أى
 * على الأسرة في الحجال ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم إلا عند كونه في الحجلة (ينظرون)
 أى إلا ماشاءوا مد أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة
 ٢٤ وإلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك (تعرف في وجوههم نضرة
 النعيم) أى بهجة التنعم وماء ورويقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيذان بأن ما لهم
 ٢٥ من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء (يسقون من رحيق) شراب
 ٢٦ خالص لا غش فيه (مختوم) (ختامه مسك) أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله
 تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرىء خاتمه بفتح التاء وكسرهما أى
 * ما يختتم به ويقطع (وفي ذلك) إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب لما بعده أو إلى ما ذكر من أحوالهم
 وما فيه من معنى البعد إما للإشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته أو لكونه في الجنة أى في ذلك خاصة
 * دون غيره (فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل
 العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب في
 الشيء النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشيء أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه
 كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشيء النفيس الذى يحرص

٨٣ المطففين

وَمِمَّا أَجْرُوا مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾

٨٣ المطففين

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

٨٣ المطففين

إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾

٨٣ المطففين

وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾

٨٣ المطففين

وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾

- ٢٧ عليه نفوس الناس ويزيده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفسه أى يمزج به على الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به إما لأنها أرفع شراب في الجنة وإما لأنها تأتيهم من فوق . روى أنها تجرى في الهواء متسمة فتصب في أوانهم (عيناً) نصب على الاختصاص وجواز أن يكون حالاً من تسنيم مع كونه جامداً لاتصافه ٢٨ بقوله تعالى (يشرب بها المقربون) فإنهم يشربونها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى * من وقوله تعالى (إن الذين أجمعوا) الخ حكاية لبعض قبائح مشركي قريش جيء بها تمهيداً لذكر بعض ٢٩ أحوال الأبرار في الجنة (كانوا) في الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزئون بفقرائهم * كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور إما للقصير إشعاراً بغاية شناعة ما فعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على مناج قوله تعالى أفى الله شك أولمראה القواصل (وإذا مروا) أى فقراء المؤمنين (بهم) أى بالمشركين ٣٠ وهم في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً (يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم (وإذا انقلبوا) من مجالسهم (إلى أهلهم انقلبوا فكهين) ملتذين بذكرهم بالسوء والسخرية ٣١ منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين (وإذا رأوهم) أينما كانوا (قالوا إن هؤلاء لضالون) أى نسبوا المسلمين من رأوهم ٣٢ ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد (وما أرسلوا عليهم) على المسلمين (حافظين) حال من واو ٣٣

٨٣ المطففين

قَالِ يَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

٨٣ المطففين

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾

٨٣ المطففين

هَلْ تُوبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيئون على أعمالهم ويشهدون برشدكم وصلاتهم وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترؤا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدمهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وإنما قيل عليهم ٣٤ نقلاً له بالمعنى كما فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبرة كما فى قولك حلف لأفعلن (قاليوم الذين آمنوا) * أى المهودون من الفقراء (من الكفار) أى من المهودين وهو الأظهر وإن أمكن التنعيم من الجانبين * (يضحكون) حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعيم والترفة وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقاً للمقابلة أى قاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى (على الأرائك ينظرون) ٣٥ حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما غم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم اخرجوا إليها فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى (هل توب الكفار ما كانوا يفعلون) فإنه صريح فى أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتماً والتوبيخ والإثابة المجازاة وقرئ بإدغام اللام فى التاء . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاء الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم .

٨٤ - سورة الإنشقاق
(مكية وهي خمس وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٤ الانشقاق

١ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ

٨٤ الانشقاق

٢ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

٨٤ الانشقاق

٣ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ

٨٤ الانشقاق

٤ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ

٨٤ الانشقاق

٥ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ

(سورة الإنشقاق مكية وآياتها خمس وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا السماء انشقت) أى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من الحجرة (وأذنت لربها) أى واستمعت أى انقادات وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت لإرادته بانشقاقها انقياداً للمأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلّة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآية بمنزلة قوله تعالى أتينا طائعين فى الإنباء عن كون مانسب إلى السماء والأرض من الإنشقاق والمد وغيرهما جارياً على مقتضى الحكمة كما أشير إليه فيما سلف (وحقت) أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لأعلى أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور فحق الجملة أن تكون اعتراضاً مقررأ لما قبلها لامعطوفة عليه (ولإذا الأرض مدت) أى بسطت بإزالة جبالها وآكامها من مقارها ٣ وتسويتها بحيث صارت قاعاً صافئاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً أو زبدت سعة وبسطة من مده بمعنى أمده أى زاده (وألقت ما فيها) أى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الأرض ٤ أنقاها (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تسكفت فى ذلك أقصى جهدها * (وأذنت لربها) فى الإلقاء والتخلي (وحقت) أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة ٥

٨٤ الانشقاق

يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾

٨٤ الانشقاق

فَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾

٨٤ الانشقاق

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾

٨٤ الانشقاق

وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾

٨٤ الانشقاق

وَأَمَّا مَنْ أَوْتَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾

٨٤ الانشقاق

فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾

٨٤ الانشقاق

وَيَصَلِّي سَعِيرًا ﴿١٢﴾

٨٤ الانشقاق

إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

- الربانية وتكرير كلمة إذا مع اتحاد الأفعال المنسوبة إلى السماء والأرض وقوعاً في الوقت الممتد الذي هو مدلولها قد مر سره فيما مر (يأتيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً) أي جاهد ومجد إلى الموت وما بعده من الأحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فإن الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث * يؤثر فيها من كدح جلده إذا خدشه (فلاقية) أي فلاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه قوله تعالى (فأما من أوتي كتابه بيمينه) (فسوف يحاسب حساباً يسيراً) الخ قيل جواب إذا كما في قوله تعالى فإذا يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يأتيا الإنسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والإيحاء إلى قصور العبارة عن بيانه أو للتحويل على مامر في سورة التكوير والإنفطار عليه وقيل هو مادل عليه قوله تعالى يأتيا الإنسان الخ تقديره لاقى الإنسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فلاقية وما قبله اعتراض وقيل هو يأتيا الإنسان الخ باضمار القول يسيراً سهلاً لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه (وينقلب إلى أهله مسروراً) أي عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلاً هاؤم اقرؤا ٩ كتايه وقيل إلى أهله في الجنة من الخور والغلمان (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أي يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده ١١ اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبوراً) أي يتمنى الثبور وهو الهلاك ويدعوه ياثبوراه تعال ١٢ فإنه أو أنك وأنى له ذلك (ويصل سعيراً) أي يدخلها وقرىء يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرىء ويصل كما في قوله تعالى ونصلية جهنم (لأنه كان في أهله) فيها بين أهله وعشيرته في الدنيا (مسروراً) ١٣

٨٤ الانشقاق

إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ⑭

٨٤ الانشقاق

بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ⑮

٨٤ الانشقاق

فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ ⑯

٨٤ الانشقاق

وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ⑰

٨٤ الانشقاق

وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ⑱

٨٤ الانشقاق

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ⑲

٨٤ الانشقاق

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ⑳

مترفاً بطراً مستبشراً كديدن الفجار الذين لا يهتم ولا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزناً متفكراً في حاله ومآله كسنة الصالحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى (إنه ظن أن لن يحور) تعليل لسروره في الدنيا أى ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى ١٤ تكذيباً للبعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف (بلى) لإيجاب لما بعد لن وقوله تعالى (إن ربه كان به بصيراً) تحقيق وتعليل له أى بلى ليحورن ١٥ البتة إن ربه الذى خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيراً بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتماً وقيل نزلت الآيتان في أبى سلة بن عبد الأشد وأخيه الأسود (فلا أقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذى يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب (والليل وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فانسق واستوسق ١٧ أى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى إلى مكانه من الدواب وغيرها (والقمر إذا اتسق) ١٨ أى اجتمع وتم بداراً ليلة أربع عشرة (لتركن طبقاً عن طبق) أى لتلاقن حالاً بعد حال كل واحدة ١٩ منها مطابقة لأختها في الشدة والفضاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الأوفى للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركن أحوالاً بعد أحوال هى طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرىء لتركن بالإفراد على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لأفراده كالقراءة الأولى وقرىء بكسر الباء على خطاب النفس وليركن بالياء أى ليركن الإنسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقاً أى طبقاً مجاوزاً لطبق أو حال من الضمير في لتركن طبقاً مجاوزين أو مجاوزاً أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون) لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجب على ما قبلها من أحوال القيامة وأحوالها الموجبة

٨٤ الانشقاق

وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

٨٤ الانشقاق

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾

٨٤ الانشقاق

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾

٨٤ الانشقاق

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

٨٤ الانشقاق

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

- ٢١ للإيمان والسجود أى إذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأى شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أى أى شيء يمنهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحالبة نسقا على ما قبلها أى فأى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقریش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت إلا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضى الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فسجدوا وعن الحسن
- ٢٢ هى غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأحوالها
- ٢٣ مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون فى قلوبهم ويجمعون فى صدورهم من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صنفهم من أعمال السوء ويدخرون لأنفسهم من أنواع العذاب علما فعليا (فبشرهم بعذاب أليم) لأن الله تعالى بذلك
- ٢٤ على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع إن جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل إن أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق أعاده الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره .

٨٥ - سورة البروج
(مكية وهي اثنتان وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٥ البروج

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ①

٨٥ البروج

وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ②

٨٥ البروج

وَشَهِيدٍ وَمَشْهُودٍ ③

٨٥ البروج

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④

(سورة البروج مكية وآياتها اثنتان وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسما ذات البروج) هي البروج الإثنا عشر شبت بالقصور لأنها
نزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها أو
٢ أبواب السماء فإن النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) أى يوم القيامة
٣ (وشاهد ومشهود) أى ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلاق وما يحضر فيه من العجائب وتشكيرا
للإبها فى الوصف أى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفها أو للبالغة فى الكثرة وقيل الشاهد محمد
صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمنه لقوله تعالى وكنت عليهم
شهيدا الخ وقيل أمة محمد وسائر الأمم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة
وقيل الحجر الأسود والحجيج وقيل الأيام والليالى وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم إلا وينادى
إنى يوم جديد وإنى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمى فلو غابت شمسى لم تدر كفى إلى يوم القيامة وقيل
الحفظة وبنو آدم وقيل الأنبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام (قتل أصحاب الأخدود) قيل هو جواب
٤ القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما فى قول من قال [حلفت لها بالله حلقة فاجر •
لناموا فما أن من حديث ولا صال] وقيل تقديره لقد قتل وأياً ما كان فالجمله خبرية والأظهر أنها
دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أنهم أى كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب
الأخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وصبرهم عليه من الإيمان
وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على
ذلك حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل

٨٥ البروج

النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿٥﴾

٨٥ البروج

إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾

بمنزلة أولئك المعذنين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاختود
 الخد في الأرض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الحق والاختقوق . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم إليه غلاماً ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع
 منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسداً فأخذ حجراً فقال اللهم
 إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يرى الأكمة والأبرص
 ويشقى من الأدواء وعى جليس لذلك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي
 فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى
 الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطأ حوا ونجا فذهب به إلى قرقور
 فلججوا به ليغرقوه فدعا فأنكفأت بهم السفينة ففرقوا ونجا وقال لذلك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
 في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه
 فوق في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل لذلك نزل بك ما كنت تحذر
 فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فن لم يرجع منهم طرحة فيها حتى جاءت امرأة
 معها صبي فتقاسعت فقال الصبي يا أماء اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي
 ما هي إلا غبضة فصبرت قيل أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبغه
 على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضى الله عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو
 سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب بالناس فتقول إن الله قد أحل نكاح
 الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك إن الله قد حرمة تخطب فلم يقبلوا منه فقالت له أبسط فيهم السوط ففعل
 فلم يقبلوا فقالت أبسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمر بالأخاديد وإيقاد النار وطرح من أبي فيها
 فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الاختود وقيل وقع إلى نجران رجل من كان على دين
 عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بمجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية
 فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخاديد وقيل سبعين ألفاً وذكر أن طاول الاختود أربعون
 ذراعاً وعرضه اثنا عشر ذراعاً (النار) بدل اشتغال من الاختود (ذات الوقود) وصف لها بغاية
 العظم وارتجاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى
 ٦ (إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل أى لعنوا حين احدثوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها
 من حافات الاختود كما في قوله [وبات على النار الندى والملقى] .

٨٥ البروج

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾

٨٥ البروج

وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾

٨٥ البروج

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

٨٥ البروج

الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ

٨٥ البروج

الْكَبِيرُ ﴿١١﴾

- (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به ٧ أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذى يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روى أن الجبارة لما ألقوا المؤمنين فى النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق (وما نقموا ٨ منهم) أى ما أنكروا منهم وما عابوا (إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استئناف مفسح عن برائتهم * عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله [ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم * تلام بنسيان الأحبة والوطن] ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه وحيداً منعماً يرجى ثوابه وتأكيده ذلك بقوله تعالى (الذى له ملك السموات والأرض) للإشعار بمناط إيمانهم وقوله تعالى (والله على كل شيء ٩ شهيد) وعد لهم ووعيد شديد لمعذبتهم فإن عليه تعالى بجميع الأشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتماً (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى منحوم فى دينهم ليرجعوا ١٠ عنه والمراد بهم إما أصحاب الأخدود خاصة وبالمفتونين المطر حون فى الأخدود وأما الذين بلوهم فى ذلك بالأذية والتعذيب على الإطلاق وهم داخلون فى جملتهم دخولا أولياً (ثم لم يتوبوا) أى عن كفرهم * وفتنتهم فإن ما ذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من غير الكافر قطعاً وقوله تعالى (فلهم عذاب جهنم) * جملة وقعت خبراً لأن أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الأحسن والقاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير فى نسخه بأن وإن خالف الأخفش والمعنى لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار أخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا ١١

٨٥ البروج

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾

٨٥ البروج

إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾

٨٥ البروج

وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾

٨٥ البروج

ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾

٨٥ البروج

فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

- * (الصالحات) على الإطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح (جنات تجري من تحتها الأنهار) إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحية باعتبار جزئها الظاهر فإن أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مراراً (ذلك) إشارة إما إلى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للإشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذي يتنافس فيها المتنافسون فإن اسم الإشارة متعرض لذات المشار إليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فإذا أشير إلى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتماً وأما إلى ما يفيد قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فإن حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعاً وأياً ما كان فافيه من معنى البعد للإيدان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحلّ الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى ذلك المذكور العظيم الشأن (الفوز الكبير) الذى تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بخذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الأول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله (إن بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم إيذاناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبغي عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الأخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتقاعف وهو بطشه بالجبايرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد (إنه هو يبدى ويعيد) أى هو يبدى الخلق وهو يعيده من غير دخل لأحد فى شيء منهما ففيه مزيد
- ١٣ تقرير لشدته ببطشه أو هو يبدى البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب وآمن (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أى ذو السلطنة
- * القاهرة وقرىء ذى العرش على أنه صفة ربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فإنه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرىء بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف
- ١٤
- ١٥
- ١٦

٨٥ البروج

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ١٧

٨٥ البروج

فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ١٨

٨٥ البروج

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ١٩

٨٥ البروج

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ٢٠

٨٥ البروج

بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ ٢١

٨٥ البروج

فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ٢٢

- وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود) استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة ١٧ والعتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالإشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود (فرعون وثمود) بدل من الجنود لأن المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ١٨ ما صدر عنهم من التمادى في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشئون الله تعالى وأنذركم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) لإضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في ١٩ الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فإنهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جنائيتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآناً من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة (والله من ورائهم محيط) تمثيل لادم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط ٢٠ المحيط وقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد) رد لكفرهم وإبطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أى ليس الأمر ٢١ كما قالوا بل هو كتاب شريف على الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى وقرىء قرآن مجيد بالإضافة أى قرآن رب مجيد (في لوح محفوظ) أى من التحريف ووصول الشياطين إليه وقرىء محفوظ ٢٢ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرىء في لوح وهو الهواء أى ما فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات .

٨٦ -- سورة الطارق

(مكية وهي سبع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٦ الطارق

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾

٨٦ الطارق

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾

٨٦ الطارق

النَّجْمِ الثَّاقِبِ ﴿٣﴾

٨٦ الطارق

إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

(سورة الطارق مكية وآياتها سبع عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والسما والطارق) الطارق في الأصل اسم فاعل من طرق طرقتاً وطرقاً إذا جاء ليلاً قال الماوردي وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وإنما سمي قاصداً لليل طارِقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كأننا ما كان ثم أشبع في التوسع حتى أطلق على الصور الخالية البادية بالليل قال [طرق الخيال ولا كيلة مدج * سدكأبارجلنا ولم يتبرج] والمراد هنا الكوكب البادى بالليل إما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى (وما أدراك ما الطارق) تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالإقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا يناها إدراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فإلى الأولى مبتدأ وأدراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ حسبما بين في نظائره أى وأى شئ أعلمك ما الطارق وقوله تعالى
- ٢ (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جواباً عن استفهام نشأ مما قبله كأنه قيل ما هو فقيل النجم المضيء فى الغاية كأنه يثقب الظلام أو الأفلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به إما الجنس فإن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً لا محالة وإما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فإذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفى إيرادها عند الإقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الإشارة إلى أن ذلك الوصف غير كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه وإجلال عمله
- ٣ مالا يخفى وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جىء به لما
- ٤

٨٦ الطارق

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾

٨٦ الطارق

خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾

٨٦ الطارق

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

٨٦ الطارق

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾

ذكر من تأكيد ضخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما بمعنى إلا أى ما كل نفس إلا عليها حافظ مهيم رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيباً وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراماً الآية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرىء لما مخففة على أن إن مخففة من الثقلية واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة أى إن الشأن كل نفس لعلها حافظ والفاء فى قوله تعالى (فليَنظُرِ الإنسان مِمَّ خلق) للتنبيه على أن ما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الإنسان أن يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكير حتى يتضح له أن من قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يمل على حافظه ما يرد به وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) استشفاف ٦ وقع جواباً عن استفهام مقدر كأنه قيل مِمَّ خلق ففيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممزج من المائين فى الرحم كما ينبى عنه قوله تعالى (يخرج من بين الصلب والترائب) ٧ أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا إن النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الأعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبه ويورث الإفراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرىء الصلب بفتحتين والصلب بضميتين وفيه لغة رابعة هى صالب (إنه) الضمير للخالق تعالى فإن قوله خلق يدل عليه أى إن ذلك الذى خلقه ابتداء بما ذكر (على ٨ رجعه) أى على إعادته بعد موته (لقادر) لبين القدرة (يوم تبلى السرائر) أى يتعرف ويتصفح ما أسر ٩ فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبيث وهو

٨٦ الطارق

فَالَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٌ ﴿١٠﴾

٨٦ الطارق

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾

٨٦ الطارق

وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾

٨٦ الطارق

وَمَا هُوَ بِالْهَزَلِ ﴿١٤﴾

٨٦ الطارق

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾

٨٦ الطارق

وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾

٨٦ الطارق

فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُكُم رُويْدًا ﴿١٧﴾

- ١١، ١٠ ظرف لرجعه (فأله) أى للإنسان (من قوة) فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ينتصر به (والسما
ذات الرجع) أى المطر سمي رجماً لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من يحار الأرض
ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوباً أو لأن الله تعالى يرجعه
١٢ (والأرض ذات الصدع) هو ما تصدع عنه الأرض من النبات أو مصدر من المبنى للفعول وهو
تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فإن وصف السماء والأرض عند الإقسام بهما على حقيقة القرآن
الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للإيماء إلى أنهما فى أنفسهما من شواهدده وهو السر فى التعبير
بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الأرض بالنبات المحاكى للشور حسبما ذكر فى مواقع
١٣ من التنزيل لافى تشققها بالعيون (إنه) أى القرآن الذى من جملته ما تلى من الآيات الناطقة بمبدأ
* حال الإنسان ومعاده (لقول فصل) أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل
١٤ (وما هو بالهزل) ليس فى شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لاهوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به
١٥ الغواة وتخضع له رقاب العتاة (إنهم) أى أهل مكة (يكيدون) فى إبطال أمره وإطفاء نوره (كيداً)
١٦ حسبما نقى به قدرتهم (وأكيد كيداً) أى أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث
١٧ لا يعلمون (فهل الكافرين) أى لا تشغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك أو لا تستعجل به والقاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن الإخبار بتولية تعالى لكيدهم بالذات بما يوجب أمهالهم وترك التصدى
* لمكيدتهم قطعاً وقوله تعالى (أمهلم) بدل من مهل وقوله تعالى (رويداً) إما مصدر مؤكد لمعنى العامل
أونعت لمصدره المحذوف أى أمهلم إمهالاً رويداً أى قريباً كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أو قليلاً

٨٧ - سورة الأعلى
(مكية وهي تسع عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ①

٨٧ الأعلى

الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ②

٨٧ الأعلى

وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③

٨٧ الأعلى

كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو في الأصل تصغير رود بالضم وأنشد كأنها مثل تمثي على رود أى على مهل وقيل تصغيراً رواد مصدراً رود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويداً زيد وكونه حالاً نحو سار القوم رويداً أى متمهلين وفي إيراد البدل بصيغة لا تحتل التكثير وتقيد برويداً على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه مالا يخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات والله أعلم .

((سورة الأعلى مكية وآياتها تسع عشرة))

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح اسم ربك الأعلى) أى زه اسمه عز وجل عن الإلحاد فيه ١
بالتأويلات الزائفة وعن إطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لأعلى وجه الإعظام والإجلال والأعلى إما صفة للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربى الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب على الوجه الأول ومنصوب على المدح على الثانى ٢
لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شئ فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى (والذى قدر) إما صفة أخرى للرب كالموصول الأول أو معطوف ٣
عليه وكذا حال ما بعده قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) أى فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغى له طبعاً أو اختياراً ويسره لما خلق له *
بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإزالة الآيات ولو تبعت أحوال النباتات والحيوانات

٨٧ الأعلى

وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾

٨٧ الأعلى

بَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾

٨٧ الأعلى

سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾

٨٧ الأعلى

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾

لرأيت كل منها ماتحار فيه العقول يروى أن الأنبياء إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن
 تمشح عنها بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين
 الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تحطها فتحك عنها
 بورقها وترجع باصرة ياذن الله عز وجل ويروى أن التمساح لا يكون له دبر وإنما يخرج فضلات
 ما يأكله من فمه حيث قبض الله له طائر أو قدر غذاؤه من ذلك فإذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل
 ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأما
 فنون هداياته سبحانه وتعالى للإنسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الإنسانية
 ٤ فما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه إلا العليم الخبير (والذي أخرج المرعى) أى أنبت
 ٥ ما يرعاه الدواب غصناً طرياً يرف (بجعله) بعد ذلك (غناء أحوى) أى درينا أسود وقيل أحوى
 ٦ حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غناء بعد ذلك وقوله تعالى (سنقرئك
 فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لإثبات بيان هدايته تعالى العامة
 لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحي وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين
 وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد اقراء ما أوحى
 الله إليه حينئذ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي فى ضمن الوعد بالإقراء
 أى سنقرئك ما نوحى إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئاً بإلهام
 القراءة فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والإتقان مع أنك أى لاتدرى ما الكتاب وما القراءة ليسكون
 ذلك آية أخرى لك مع ما فى تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الإعجاز ومن حيث
 الإخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهى والألف لمراعاة الفاصلة كما فى قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله
 ٧ تعالى (إلا ما شاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى لاتنسى مما تقرؤه شيئاً من الأشياء إلا ما شاء
 الله أن تنساه أبداً بأن نسخ تلاوته والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة
 على عنوان الألوهية المستتعبة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان فى الجملة على القلة والندرة كما روى
 أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية فى قرأته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة

وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ⑧

٨٧ الأعلى

فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ⑨

٨٧ الأعلى

سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى ⑩

٨٧ الأعلى

- والسلام نسيتها وقيل نفى النسيان رأساً فإن القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية إذ هو المنفى رأساً لا ما قد ينسى ثم يذكر (لأنه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أى يعلم * مظهر وما بطن من الأمور التي من جملتها ما أوحى إليك فينسى ما يشاء وإن شاء ويبقى محفوظاً ما يشاء لإبقائه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرتك كما ينبىء عنه الالتفات ٨ إلى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي أمري للإيذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما في قوله عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أى نوفقك توفيقاً مستمر الطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علماً وتعليماً واهتداءً وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقى الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء في قوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى) ٩ أى فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى إليك واهدم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الأمر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصاً على إيمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم إلا كفرأ وعناداً فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلاً أو بعضاً ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير إلا اعتواً وفجوراً من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للذكرين وإخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظم المكاسين إن سمعوا منك قصداً إلى أنه بما لا يكون والأول أنسب لقوله تعالى (سيدكر من يخشى) أى سيدتذكر ١٠ بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل إن بمعنى إذ كما في قوله تعالى وأتم الأعلان إن كنتم مؤمنين أى إذ كنتم وقيل هي بمعنى ما أى فذكر ما نفعت الذكرى فإنها لا تخلو

٨٧ الأعلى

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ⑪

٨٧ الأعلى

الَّذِي يَصِلَى النَّارَ الْكُبْرَى ⑫

٨٧ الأعلى

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ⑬

٨٧ الأعلى

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ⑭

٨٧ الأعلى

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ⑮

٨٧ الأعلى

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ⑯

٨٧ الأعلى

وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ⑰

- ١١ عن نفع بكل حال وقيل هناك محذوف والتقدير إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع كقوله تعالى سراويل تقيمكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهاوي (ويتجنبها) أى الذكرى (الأشقى) من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) أى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أقطع
- ١٢ ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) أى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أقطع
- ١٣ من الصلى (قد أفلح) أى نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) أى تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثرت من التقوى والخشية من الزكاة وهو الفناء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الإخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى فى الآخرة يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصل) أقام الصلوات الخمس كقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصل وقيل تزكى أى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه أى كبره يوم العيد فصل أى صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) إضراب عن مقدرينساق إليه الكلام كأنه قيل لئلا يبين ما يؤدى إلى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب إما للكفرة فالمراد بإثارة الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية كما فى قوله تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها الآية أو للكل فالمراد بإثارة ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الإنسان غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة فى السعى وترتيب المبادئ والالتفات على الأول لتشديد التوبيخ وعلى الثانى كذلك فى حق الكفرة وتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرىء يؤثرون بالياء وقوله تعالى (والآخرة
- ١٧

٨٧ الأعلى

إِنَّ هَذَا لَنِيَ الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾

٨٧ الأعلى

صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

خير وأبقى (حال من فاعل توثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى توثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما أن نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره (إن هذا) إشارة إلى ما ذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل إلى ما في السورة جميعاً (لني الصحف الأولى) أى ثابت فيها معناه (صحف إبراهيم وموسى) بدل من الصحف الأولى وفي إيهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها ما لا يخفى . روى أن جميع ما أنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على إبراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام .

٨٨ -- سورة الغاشية
(مكية وهي ست وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٨ الغاشية

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ①

٨٨ الغاشية

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ②

٨٨ الغاشية

عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ③

٨٨ الغاشية

تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ④

(سورة الغاشية مكية وآياتها ست وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل أتاك حديث الغاشية) قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل أتاني على الإنسان الآية قال قطرب أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام أريد به التعجب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلا الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدايدها وتكتشفهم بأهوالها وهي القيامة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والأول هو الحق فإن ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق بأحوال أهل الجنة أيضاً وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) إلى قوله تعالى مبثوثة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام ما أتاني حديثها فما هو فقيل وجوه يومئذ أى يوم إذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه إذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالاً شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والأغلال والخوض في النار خوض الإبل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار وهادها وقيل عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في أعمال لا تجدى عليها في الآخرة وقوله تعالى (تصلى) أى تدخل (ناراً حامية) أى متناهية في الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة أن الصفة حقها أن تكون معلومة

٨٨ الغاشية

تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَآئِنَةٍ ٥

٨٨ الغاشية

لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ٦

٨٨ الغاشية

لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ٧

٨٨ الغاشية

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ٨

الاتسباب إلى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية في الاتسباب إلى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنواناً للوضع قيداً مفروغاً عنه غير مقصود الإفادة وبعضها منطوقاً للإفادة تحكماً بحسب ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافاً مبيناً لتفاصيل أحوالها (تسقى من عين آنية) أى متناهية في الحر كما في قوله تعالى ٥ وبين حميم أن (ليس لهم طعام إلا من ضريع) بيان لطعامهم إثر بيان شراهم والضريع يبس الشبرق وهو شوك ترعاه الإبل مادام رطباً وإذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويدلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين الآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى ٧ ليس من شأنه الإسمان والإشباع كما هو شأن طعام الدنيا وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعداداً للشبع والسمن إلا أنه لا يفيد شيئاً منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا إفادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الأكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمناً عند انهماكهما بل جوعهم عبارة عن اضطرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب وإما أن يكون لهم شوق إلى مطعوم ما أو التذاذب به عند الأكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فبهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرامهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيء مانع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذب بشربه أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روى أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرون إلى أكل الضريع فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرون إلى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لا يغنى من جوع ما وتأخير نفي الإغناء منه لمرعاة الفواصل والتوسل به إلى التصريح بنفى كلا الأمرين إذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الإسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفي وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) شروع في رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لأنه أدخل ٨

٨٨ الغاشية

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةً ﴿٩﴾

٨٨ الغاشية

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾

٨٨ الغاشية

لَّا نَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾

٨٨ الغاشية

فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾

٨٨ الغاشية

فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾

٨٨ الغاشية

وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾

٨٨ الغاشية

وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾

٨٨ الغاشية

وَزَرَائِي مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

٨٨ الغاشية

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾

في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولأن حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار بما يزيد المحكي حسناً وبهجة والكلام في إعراب الجملة كالذي مر في نظيرتها وإنما لم تعطف عليها إيذاناً بكمال تباين مضمونيها ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم ١٠،٩ أو متنعة (لسعيها راضية) أي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته (في جنة عالية) ١١ مرتفعة المحل أو عالية المقدار (لا تسمع) أي أنت أو الوجوه (فيها لاغية) لغواً أو كلفة ذات لغو أو نفساً تلغو فإن كلام أهل الجنة كله أذكاء وحكم وقرىء لا تسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ١٣،١٢ ورفع لاغية (فيها عين جارية) أي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علت نفس (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو المقدار (وأكواب) جمع كوب وهو إناء لاعروة له (موضوعة) أي بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها إلى بعض (وزرائي) أي بسط فاخرة جمع زريبة (مبثوثة) أي مبسوطة (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) استئناف مسوق لتقرير مافصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون إنكاره والهمزة للإنكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلفة كيف منصوبة بما بعدها كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتغال من الإبل أي أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون إلى الإبل التي هي نصب أعينهم يستعملونها كل حين إلى أنها كيف

٨٨ الغاشية

وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾

٨٨ الغاشية

وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾

٨٨ الغاشية

وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

٨٨ الغاشية

فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾

٨٨ الغاشية

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾

٨٨ الغاشية

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾

خلقت خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات في عظم جشتها وشدة قوتها وعجيب هياتها اللانقة بتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنوء بالأوقار الثقيلة وجبر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى إن أطعماءها لتبلغ العشر فصاعداً واكتفائها باليسير ورعيها لكل ما يتيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يزعاها سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير (وإلى السماء) التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف رفعت) رفعا ١٨ سحبق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والإدراك (وإلى الجبال) التي ينزلون في أقطارها ١٩ وينتفعون بimahها وأشجارها (كيف نصبت) نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد (وإلى الأرض) ٢٠ التي يضربون فيها ويتقلبون عليها (كيف سطحت) سطحا بتواطئة وتمهيد وتموية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرىء سطحت مشدداً وقرئت الأفعال الأربعة على بناء الفاعل للتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقيقة البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا إنذارك ويستعدوا للقاءه بالإيمان والطاعة والفاء في قوله تعالى (فذكر) لترتيب الأمر بالتذكير على ٢١ ما ينبئ عنه الإنكار السابق من عدم النظر أى فاقصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى (إنما أنت مذكر) تعليل للأمر وقوله تعالى (لست عليهم بمصيطر) ٢٢ تقرير له وتحقيق لمعنى الإنذار أى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وقرىء بالسين على الأصل وبالإشمام وقرىء بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فإن سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم ٢٣ فإن الله تعالى الولاية والقهر.

٨٨ الغاشية

فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

٨٨ الغاشية

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾

٨٨ الغاشية

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

- ٢٤ (فيعذبه الله العذاب الأكبر) الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى فذكر أى فذكر
إلا من انقطع طمعك من إيمانه وتولى فاستحق العذاب الأكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الأول
- ٢٥ أنه قرىء ألا على التنبيه وقوله تعالى (إن إلينا إيابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر أى إن
إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لا استقلالاً ولا اشتراكاً وجمع الضمير فيه وفيما
بعده باعتبار معنى من كما أن أفراداً فيما سبق باعتبار لفظها وقرىء إيابهم على أنه فيعال مصدر فيعمل
من الإياب أو فعال من أوب كفسار من فسر ثم قيل إيواباً كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء
فأدغمت الياء الأولى فى الثانية (ثم إن علينا حسابهم) فى المحشر لا على غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة
- ٢٦ لافى الزمان فإن الترتب الزمانى بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى
فإنهما أمران مستمران وفى تصدير المجلتين بأن وتقديم خبرها وعطف الثانية على الأولى كلمة ثم
المفيدة لبعث منزلة الحساب فى الشدة من الإناء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى .
عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حساباً يسيراً .

٨٩ - سورة الفجر

(مكية وهي ثلاثون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٩ الفجر

وَالْفَجْرِ ❶

٨٩ الفجر

وَلَيَالٍ عَشْرٍ ❷

٨٩ الفجر

وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ❸

٨٩ الفجر

وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ ❹

٨٩ الفجر

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ❺

(سورة الفجر مكية وآياتها ثلاثون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والفجر) أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح إذا تنفس وقيل المراد به صلاته (وليل عشر) هن عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الآخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليل عشر بالإضافة على أن المراد بالعشر الأيام (والشفع والوتر) أى الأشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها ٣ وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الأقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالجبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء (والليل إذا يسر) لمضى كقوله تعالى والليل إذا أدبره الليل إذا عسعس والتقيد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة وفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ بإثباتها على الإطلاق وبجذفها فى الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الإطلاق (هل فى ذلك قسم) الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة ٥ حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتنبيهه على أن الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الإخبار على طريقة قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك إشارة إما إلى الأمور المقسم

٨٩ الفجر

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

٨٩ الفجر

إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾

بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو إلى الإقسام بها وأياً ما كان فافيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الأشياء قسم أى مقسم به (لذى حجر) يراه حقيقة بأن يقسم به إجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وإنما أوثرت هذه الطريقة هضم الخلق وإيذاناً بظهور الأمر أو هل في إقسامى بتلك الأشياء إقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهاوت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لأنه يعقل وينهى وحصة أيضاً من الإحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال إنه لذى حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذب كما ينبغي عنه قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) الخ فإنه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المشاركين لقومه عليه الصلاة والسلام في الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه الآية وقوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون كأنه قيل ألم تعلم علماً يقينياً كيف عذب ربك عاداً ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضاً لاشتراكهم فيما يوجب من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشماً وقد قيل لأوائهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ما ورد فى القرآن خبر عاد الأولى إلا ما فى سورة الأحقاف وقوله تعالى (إرم) عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أى سبط إرم أو أهل إرم على ما قبل من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالإضافة وأياً ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرىء إرم بإسكان الراء تخفيفاً كما قرىء بورقكم (ذات العمد) صفة لإرم أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان إذا كان طويلاً أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الأساطين على أن إرم اسم بلدتهم وقرىء إرم ذات العمد بإضافة إرم إلى ذات العمد والإرم العلم أى بعاد أهل أعلام ذات العمد على أنها اسم بلدتهم وقرىء أرم ذات العمد أى جعلها الله تعالى رمياً بدل من فعل ربك وقيل هى جملة دعائيه اعترضت بين الموصوف والصفة وروى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقبرا ثم مات شديد وخلص الأمر لشداد فلك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى إرم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة ولما تم بناؤها سار إليها أهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فملكوا وعن عبدالله بن قلابه

٨٩ الفجر

الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ۝٨

٨٩ الفجر

وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩

٨٩ الفجر

وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠

٨٩ الفجر

الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ ۝١١

٨٩ الفجر

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢

٨٩ الفجر

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣

أنه خرج في طلب لإبل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث إلى كعب فسأله فقال هي إرم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب لإبل له ثم التفت إلى ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل (التي لم يخلق مثلها في البلاد) صفة أخرى لإرم أي لم يخلق مثلهم في عظم الأجرام والقوة ٨ حيث كان طول الرجل منهم أربعاً قدراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحى فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرىء لم يخلق على إسناده إلى الله تعالى (وتمود) عطف ٩ على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخى جديس وهما ابنا عامر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عرباً من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الأصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتاً نحتوها من الصخر * كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتاً قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألقاً وسبعائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذى الأوتاد) وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي ١٠ يضرّبونها في منازلهم أو لتعذيبه بالأوتاد (الذين طغوا في البلاد) إما مجرور على أنه صفة للذكورين ١١ أو منصوب أو مرفوع على الذم أي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أي بالكفر وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك) أي أنزل إنزالاً شديداً ١٢، ١٣ على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أي عذاب شديد لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن إنزاله بالصب للإيذان بكثرة واستمراره وتتابعه فإنه عبارة عن إراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والجوب وإفراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته إلى السوط مع أنه ليس من ذلك القليل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط

٨٩ الفجر

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

٨٩ الفجر

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾

٨٩ الفجر

وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾

٨٩ الفجر

كَذَلِكَ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

خلط الشيء ببعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالنصيب وبالشدّة أيضاً لأن السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصوب إلى اعتبار تكرّر تعلّقه بالمعذب كما في المعنى الأول فإن كل واحد من هذه المعاني بما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله وإيدان بأن كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيدهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبى عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالملاقات من وقته وهذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة وأنهم لا يفوتونه وقوله تعالى (فأما الإنسان) الخ متصل بما قبله كأنه قيل أنه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيراً وشرّاً فأما الإنسان فلا يهيمه ذلك وإنما مطمح أنظاره ومرصد أفكاره الدنيا ولذائذها (إذا ما ابتلاه * ربه) أى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفناء في قوله تعالى (فأكرمه ونعمه) تفسيرية فإن الإكرام والتنعيم من الابتلاء (فيقول ربى أكرمن) أى فضلنى بما أعطانى من المال والجاه حسبما كنت استحققه ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليلوّه أشكر أم يكفر وهو خبر للبتداء الذى هو الإنسان والفناء لمافى أمان معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربى أكرمن وقت ابتلائه بالإناعام وإنما تقديمه للإيدان من أول الأمر بأن الإكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى (وأما إذا ما ابتلاه) أى وأما هو إذا ما ابتلاه ربه * (فقدّر عليه رزقه) حسبما تقتضيه مشيئته المبذبة على الحكم البالغة (فيقول ربى أهانن) ولا يخطر بباله أن ذلك ليلوّه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الإهانة فى شيء بل التفتير قد يؤدى إلى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى إلى خسارهما وقرىء فقدر بالتشديد وقرىء أكرمنى وأهاننى بإثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف (كلا) ردع للإنسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها فى كلمتا الحاليتين قال ابن عباس رضى الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى أكرامته على ولم أبتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب إلى قوله الأخير بعيد وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والالتفات إلى الخطاب للإيدان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيذاً للتشنيع والجمع باعتبار

٨٩ الفجر

وَلَا تَحْضُونَّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾

٨٩ الفجر

وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾

٨٩ الفجر

وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

٨٩ الفجر

كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾

٨٩ الفجر

وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾

٨٩ الفجر

وَجِئَئِ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

معنى الإنسان إذا المراد هو الجنس أى بل لسكم أحوال أشد شراً بما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تدون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالمبرة به وقرىء لا يكرمون (ولا تحاضون) بحذف إحدى التامين من تتحاضون أى لا يحض بعضكم بعضاً (على طعام المسكين) ١٨ أى على إطعامه وقرىء تحاضون من المحاضنة وقرىء يحضون بالياء والتاء (وتأكلون التراث) أى الميراث وأصله وارث (أكلأ لما) أى ذالم أى جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والعصيان ويأكلون أنصباهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون) ٢٠ المال حباً جمًّا (كثيراً مع حرص وشرة وقرىء يحبون بالياء (كلا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (إذا دكت الأرض دكا دكا) الخ استئناف جىء به بطريق الوعيد تعليلاً للردع أى إذا دكت الأرض دكا متتابعاً حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثاً وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى إذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأياً ما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية (وجاء ربك) ٢٢ أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيئته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل (والملك صفاً صفاً) أى مصطفين أو ذوى صفوف فإنه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والإنس (وجىء يومئذ بجهم) كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً (يومئذ) بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الإنسان) أى يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة

٨٩ الفجر

يَقُولُ يَلْبِيتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾

٨٩ الفجر

فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا ﴿٢٥﴾

٨٩ الفجر

وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

٨٩ الفجر

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾

والقيصة أو يتعظ وقوله تعالى (وأنى له الذكرى) اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أواته وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أى ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أى وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف بما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) وهو بدل اشتغال من يتذكر أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتنى عملت لأجل حياتى هذه أو وقت حياتى في الدنيا أعمالاً صالحة أتتفع بها اليوم وليس في هذا التفتى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وإنما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكناً من تقديم الأعمال الصالحة وأما أن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة إليه فكلاً وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى إن كان ممكناً منه فربما يوهم أن من صرف قدرته إلى أحد طرفى الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته إلى أى طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف وإلزام الحجة (فيومئذ) أى يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال (لايعذب عذابه أحد) ٢٥ (ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواء إذ الأمر كله له أو للإنسان أى لا يعذب أحداً من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرىء الفعلان على البناء للفعول والضمير للإنسان أيضاً وقيل المراد به أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد وقيل لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى (يا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) حكاية لأحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لأنها تترقى في معارج الأسباب والمسببات إلى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به في وجودها وسائر شؤونها عن غيره بالكلية وقيل هى النفس المطمئنة إلى الحق الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالجه شك ما وقيل هى الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده أنه قرىء يا أيَّتُهَا النَّفْسُ الْآمِنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ أى يقول

٨٩ الفجر

أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾

٨٩ الفجر

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾

٨٩ الفجر

وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الأظهر
وقيل عند البعث وقيل عند الموت (ارجعي إلى ربك) أى إلى مواعده أو إلى أمره (راضية) بما
أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل (فادخلي في عبادي) في زمرة عبادي الصالحين
المختصين بي (وادخلي جنتي) معهم أو انتظمي في سلك المقربين واستصيني بأنوارهم فإن الجواهر القدسية
كالمرآيا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي
دار ثوابي وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرئ فادخلي في عبادي وقرئ في جسد عبادي وقيل
نزلت في حمزة بن عبد المطلب وقيل في حبيب بن عدى رضى الله عنهما والظاهر العموم . عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له ومن قرأها في سائر الأيام كانت له
نورا يوم القيامة .

٩٠ - سورة البلد

(مكية وهي عشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٠ البلد

لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ①

٩٠ البلد

وَأَنْتَ حِلٌّ لِهَذَا الْبَلَدِ ②

٩٠ البلد

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③

(سورة البلد مكية وآياتها عشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا أقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الإنسان خلق بمنوا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى
- ٢ (وَأَنْتَ حِلٌّ لِهَذَا الْبَلَدِ) إما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حوله به مناصباً لإعظامه بالإقسام به أو للتنبيه من أول الأمر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمة قد استحلوه في هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لاخير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يجرمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون لإخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحته على معنى وَأَنْتَ حِلٌّ لِهَذَا الْبَلَدِ في قوله تعالى إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن ضبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدى ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد فقال العباس يا رسول الله إلا الأذخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام إلا الأذخر (ووالد) عطف على هذا البلد والمراد به إبراهيم وبقوله تعالى (وما ولد) لإسماعيل والنبي صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبي عنه المعطوف عليه فإنه حرم إبراهيم ومنشأ لإسماعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من التفعيم والتعظيم كتنكير والد وإيرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وإيماء إلى أنه متحقق في حالي الوالدية والولدية

٩٠ البلد

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾

٩٠ البلد

أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾

٩٠ البلد

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَدًا ﴿٦﴾

٩٠ البلد

أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

٩٠ البلد

أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

٩٠ البلد

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾

٩٠ البلد

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

٩٠ البلد

فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل إلا أن التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل وكل والد وولده (لقد خلفا الإنسان في كبد) ٤
 أى تعب ومشقة فإنه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى نزاعها وماوراءه يقال كبد الرجل كبدًا إذا وجعت كبده وأصله كبده إذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استمع في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يكابده من كنفار قريش والضمير في قوله تعالى (أيحسب) لبعضهم الذى كان عليه الصلاة والسلام ٥
 يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة وأضرابه وقيل هو أبو الأشد بن كعدة الجمحي وكان شديد القوة مغترًا بقوته وكان يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعًا ولا تزل قدماء أى أيظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين (أن لن يقدر عليه أحد) *
 أن مخففة من أن واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف أى يحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد (يقول أهلك ما لا لبدًا) يريد كثرة ما أنفق فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ٦
 ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه (لم نجعل ٨٧
 له عينين) يبصر بهما (ولسانًا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على ٩
 النطق والأكل والشرب وغيرها (وهديناه النجدين) أى طريق الخير والشر أو التدين وأصل النجد ١٠
 المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها ١١
 ٢١ - أبى السعود ج ٩

- ٩٠ البلد وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ⑫
- ٩٠ البلد فَكَ رَقَبَةٍ ⑬
- ٩٠ البلد أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ⑭
- ٩٠ البلد يَتَبَا ذَا مَقْرَبَةٍ ⑮
- ٩٠ البلد أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ⑯
- ٩٠ البلد ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ⑰
- ٩٠ البلد أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ⑱
- ٩٠ البلد وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَعْبَأُ بِنَنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ⑲
- ٩٠ البلد عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ⑳

- ١٢ بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى أى شيء
- ١٣ أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة (فك رقبة) أى هو إعتاق
- ١٤، ١٥، ١٦ رقبة (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) أى بجاعة (يتبا ذا مقربة) أى قرابة (أو مسكيناً ذا متربة) أى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لآعلى الماضى فإنها لا تسكاد تقع إلا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتبا أو مسكيناً والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب من النسب وترب إذا افتقر وقرىء فك رقبة أو أطعم على الإبدال من اقتحم (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الإيمان ورفعة عمله
- ١٧ لا اشتراط جميع الأعمال الصالحة به (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه
- ١٨ لا إيدان يبعد درجاتهم في الشرف والفضل أى أولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة (أصحاب الميمنة) أى اليمين أو اليمين (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) أى الشمال أو الشؤم (عليهم نار مؤصدة) مطبقة من آصدت الباب إذا

٩١ - سورة الشمس

(مكية وهي خمس عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩١ الشمس

وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾

٩١ الشمس

وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾

٩١ الشمس

وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾

٩١ الشمس

وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾

٩١ الشمس

وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾

٩١ الشمس

وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾

أطبقت وأغلقتة وقرىء موصدة بغير همزة من أوصدته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة .

﴿ سورة الشمس مكية وآياتها خمس عشرة ﴾

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والشمس وضحاها) أى ضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة
- ٢ ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر إذا تلاها) بأن طلع بعد غروبها وقيل إذا تلا طلوعه طلوعها وقيل إذا تلاها فى الاستدارة وكال النور
- ٣ (والنهار إذا جلاها) أى جلى الشمس فإنها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه
- ٤ أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها (والليل إذا يغشاها) أى الشمس فيغطى ضوءها أو الآفاق أو الأرض وحيث كانت الواوات العاطفة نواب للواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدداً معاً فى قولك أقسم بالله حقق أن يعلمان عمل الفعل والجار جميعاً كما تقول ضرب زيد عمرأ وبكر وخالدأ (والسما وما بناها) أى ومن بناها وإثار ما على من لإرادة الوصفية
- ٥ تفخيها كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذى بناها وجعلها مصدرية مغل بالنظم الكريم وكذا الكلام فى قوله تعالى (والأرض وما طحاها) أى بسطها من كل جانب كدحاها .
- ٦

٩١ الشمس

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾

٩١ الشمس

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

٩١ الشمس

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾

٩١ الشمس

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

٩١ الشمس

كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾

٩١ الشمس

إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾

٩١ الشمس

فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾

- ٧ (ونفس وما سواها) أى أنشأها وأبدعها مستعدة لكالاتها والتشكير للنفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الأنسب للجواب (فألهمها فجورها وتقواها) أى أفهمها إياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمرعاة القواصل (قد أفلح من زكاها) أى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد فى قوله تعالى (وقد خاب من دساها) لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيدان بتعلق القسم به أيضاً أسالة أى خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دس كقتضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وإنما الجواب ما حذف تعويلاً على دلالة قوله تعالى (كذبت ثمود بطغواها) عليه كانه قيل ليدمد من الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على ثمود لتكذيبهم صالحاً عليه السلام وهو على الأول استئناف واردة لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أى كذبت بما أوعدت به من العذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو أيضاً مصدر كالرجعى
- ١٢ (إذ أنبعث أشقاها) منصوب بكذبت أو بالطغوى أى حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سلف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعال التفصيل إذا أضيف يصلح الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقرب مع اشتراك الكل فى الرضا به (فقال لهم) أى لثمود (رسول الله) أى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة لإيداناً بوجوب طاعته وبياناً لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى إضافة الناقة إلى الله تعالى فى قوله تعالى (ناقة الله)

٩١ الشمس

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾

٩١ الشمس

وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

- أى ذروا ناقة الله (وسقياها) ولا تذودوها عنها فى نوبتها (فكذبوه) أى فى وعيده بقوله تعالى ١٤
 ولا تمسوها بسوء فإخذكم عذاب أليم وقد جوز أن يكون ضمير لهم للأشقيين ولا يلائمه ذكر سقياها
 (فعقروها) أى الأشتى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقروها حتى *
 تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأثامهم وقال الفراء عقروها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس
 (فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمدمة إذا ألبسها الشحم (بذنوبهم) *
 بسبب ذنوبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنداز بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنّب
 (فسواها) أى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض أو سواها *
 فى الهلاك (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوكة فيبقى بعض الإبقاء ١٥
 وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة فعله وإن كان من شأنه الخوف
 والواو للحال أو للإستئناف وقرئ فلا يخاف وقرئ لم يخف . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر .

٩٢ — سورة الليل
(مكية وهي إحدى وعشرون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٢ الليل	وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ①
٩٢ الليل	وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ②
٩٢ الليل	وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③
٩٢ الليل	إِنْ سَعَيْكُمْ لَشَتَّى ④
٩٢ الليل	فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ⑤
٩٢ الليل	وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥
٩٢ الليل	فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦
٩٢ الليل	وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧

(سورة الليل مكية وآيها إحدى وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والليل إذا يغشى) أى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل إذا
- ٢ يغشاها أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه (والنهار إذا تجلّى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف
- ٣ بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والأنثى) أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والأنثى من كل ماله توالت وقيل هما آدم وحواء وقرىء والذكر والأنثى والذى خلق الذكر والأنثى
- ٤ وقيل مامصدرية (إن سعيكم لشتى) جواب القسم وشتى جمع شتيت أى إن مساعيكم لأشتات مختلفة
- ٥ ٦٠٥ وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى) (وصدق بالحسنى) الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين
- ٦ لأحكامها أى فأما من أعطى حقها ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى
- ٧ وهى الإيمان أو بالكلمة الحسنى وهى كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهى ملة الإسلام أو بالثوبة
- ٨ الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنيته للخصلة التى تؤدى إلى يسر وراحة كدخول الجنة ومباذيه من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها (وأما من بخل) أى بماله فلم يبدله فى سبيل الخير

٩٢ الليل	وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾
٩٢ الليل	فَسَنِّيَسِرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾
٩٢ الليل	وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾
٩٢ الليل	إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾
٩٢ الليل	وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾
٩٢ الليل	فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴿١٤﴾
٩٢ الليل	لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾
٩٢ الليل	الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾

- (واستغنى) أى زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة *
 (وكذب بالحسنى) أى ما ذكر من المعاني المتلازمة (فسنيسره للعسرى) أى للنخلة المؤدية إلى العسر ٩، ١٠،
 والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالإعطاء والبخل مع أن كلا منهما
 أدنى رتبة مما بعدهما فى استتباع التيسير للعسرى والتيسير للعسرى للإيذان بأن كلا منهما أصل فيما ذكر
 لاتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول بإعطاء الطاعة والثانى
 بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى (وما يغنى عنه) أى ولا يغنى أو أى شئ ١١
 يغنى عنه (ماله) الذى يبخل به (إذا تردى) أى هلك تفعل من الردى الذى هو الهلاك أو تردى *
 فى الحفرة إذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (إن علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله أى إن علينا ١٢
 بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدى
 إليه من طريق الضلال وما يؤدى إليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا
 الطريقين ترغيباً وترهيباً ومن ههنا تبين أن الهداية هى الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة
 إليها قطعاً (وإن لنا للآخرة والأولى) أى التصرف الكلى فيها كيفما نشاء فنفعل فيها ما نشاء من ١٣
 الأفعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير للعسرى والتيسير للعسرى وقيل إن لنا كل ما فى الدنيا والآخرة
 فلا يضرننا ترككم الاهتداء بهدانا (فأنذرتكم ناراً تَلَظَّى) بجذف إحدى التاءين من تَلَظَّى أى تنلهم ١٤
 وقرئ على الأصل (لا يصلها) صلياً لازماً (إلا الأشقى) إلا الكافر فإن الفاسق لا يصلها صلياً ١٥
 لازماً وقد صرح به قوله تعالى (الذى كذب وتولى) أى كذب بالحق وأعرض عن الطاعة . ١٦

٩٢ الليل

وَسَيَجْنِبُهَا الْآتِقُ ١٧

٩٢ الليل

الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ١٨

٩٢ الليل

وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ١٩

٩٢ الليل

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٠

٩٢ الليل

وَلَسَوْفَ يَرْضَى ٢١

- ١٧ (وسيجنبها) أى سيبعد عنها (الآتق) المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدى وأما من دونه من يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التباعد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدر فى الحصر السابق (الذى يؤتى ماله) يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله تعالى (يتزكى) إما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لاحتل له أو فى حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى أى يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكياً تامياً لا يريدون به رياء ولا سمعة
- ١٩ (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون إتيائه للتزكى خالصاً لوجه الله تعالى أى ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإتياء ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى (إلا ابتغاء وجهه الأعالى) استثناء منقطع من نعمة وقرىء بالرفع على البدل من محل نعمة فإنه الرفع إما على التفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولاً له لأن المعنى لا يؤتى ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فر به النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لأبى بكر رضى الله عنه إن بلالا يعذب فى الله فعرف مزاده عليه الصلاة والسلام فأنصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أنيعنى بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمرة أى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يستغنيه على أكمل الوجوه وأجلها إذ به يتحقق الرضا وقرىء يرضى مبنياً للمفعول من الإرضاء . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر .

٩٣ - سورة الضحى

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٣ الضحى

وَالضُّحَى

٩٣ الضحى

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى

٩٣ الضحى

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى

٩٣ الضحى

وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى

(سورة الضحى مكية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالإقسام به لأنها الساعة التي كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجداً لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما في قوله تعالى أن يأتهم بأسنا ضحى في مقابلة يياتاً (والليل) أى جنس الليل (إذا سجد) أى سكن أهله أو ركذ ظلامه من سجد البحر سجواً إذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى (ما ودعك ربك) جواب القسم أى ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك وحذف المفعول إما للاستغناء عنه بذكره من قبل أو للقصد إلى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للفواصل . روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً لما تركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لجزءه سائلاً ملحاً فقال المشركون إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت ردأ عليهم وتبشيراً له عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمتروقة كما يشعر به إيراد اسم الرب المنبئ عن الترية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى أنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأن ما سيؤتاه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل (والآخرة خير لك من الأولى) لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الإطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وإن كان بما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل

٩٣ الضحى

وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾

٩٣ الضحى

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾

٩٣ الضحى

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾

لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض الفادحة في تمشية الأحكام مع أنه عند ما أعد له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادئ بالنسبة إلى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أى لنهاية أمرك خير من بدايته لاتزال تزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه الصلاة والسلام وفي أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ مخدوف تقديره ولأن سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين إحداهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى إلى الله تحشرون وقال أبو على الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قوله إن زيدا لقائم بل هي التي في قولك لأقومن ونابت سوف عن إحدى نوني التأكيد فكأنه قيل ويعطيك وكذلك اللام في قوله تعالى وللآخرة الخ وقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره إلى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ویتیا مفعوله الثانى وقيل بمعنى المصادقة ویتیا حال من مفعوله . روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك أيواؤه وقرىء فأوى وهو إما من آواه بمعنى آواه أو من أوى له إذا رحمه وقوله تعالى (ووجدك ضالا) عطف على ما يقتضيه الإنكار السابق كما أشير إليه أو على المضارع المنفى بلم داخل في حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فأوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدى

الضحى ٩٣

وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنِي ۝٨

الضحى ٩٣

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩

الضحى ٩٣

وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠

الضحى ٩٣

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١

إليها العقول كما في قوله تعالى ما كانت تدرى ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فردّه أبو جهل إلى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعاً وتضرع إلى الله تعالى فسمعوا منادياً ينادى من السماء يامعشر الناس لاتضجوا فإن لمحمد رباً لا يخذله ولا يضيعه وإن محمداً بوادى تهامة عند شجر السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان والأوراق وقيل أضلته مرضعته حليلة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب . يروى أن إبليس أخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفض إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الهند وردّه إلى القافلة (فهدى) فهداك إلى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك (ووجدك عائلاً) أى فقيراً وقرىء عيلاً وقرىء عديماً (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بمال ٨ حصل لك من ربح التجارة أو بمال أفاء عليك من الغنائم قال عليه الصلاة والسلام جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنعتك وأغنى قلبك (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرىء ٩ فلا تكبر أى فلا تعبس في وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً ١٠ جيلاً قال إبراهيم بن أدهم نعم القول السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يحىء إلى باب أحدكم فيقول أتبعثون إلى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسأل عن الدين (وأما بنعمة ربك فحدث) بشكرها وإشاعتها وإظهار آثارها وأحكامها أريد بهاماً أفاضه ١١ الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التى من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى إنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فأوالك الله تعالى وهداك وأغناك فمما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك فتعطف على اليتيم فأوه وترحم على السائل وتفقهه بمعرفتك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يقيم وسائل .

٩٤ - سورة الشرح

(مكية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٤ الشرح

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①

٩٤ الشرح

وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ②

٩٤ الشرح

أَلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③

(سورة الشرح مكية وآياتها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم نشرح لك صدرك) لما كان الصدر محلاً لأحوال النفس ومخزناً لسرايرها من العلوم والإدراكات والملكات والإرادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليلتها بالكلمات الأنسية أى ألم نفسحه حتى حوى على الغيب والشهادة وجمع بين ملكتى الاستفادة والإفادة فما صدك الملابس بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقلك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق وقيل أريد به ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه إيماناً وعلماً ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسمانى مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحانى والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الإنكارى عن انتفائه للإيذان بأن ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للإيذان من أول الأمر بأن الشرح من منافع عليه الصلاة والسلام ومصلحه مسارعة إلى إدخال المسرة فى قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقاً له إلى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل
- ٢ تمكن وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) عطف على ما أشير إليه من مدلول الجملة السابقة كأنه قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ولما أن فى وصفه نوع طول
- ٣ فتأخير الجار والمجرور عنه لما مر آنفاً من القصد إلى تعجيل أى حططنا عنك عبأك الثقيل (الذى أنقض ظهرك) أى حملة على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرجل المتداعى إلى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عليه الصلاة والسلام بما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع أو من تهالكه على إسلام المعاندين

٩٤ الشرح

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤١﴾

٩٤ الشرح

فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٤٢﴾

٩٤ الشرح

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٤٣﴾

٩٤ الشرح

فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٤٤﴾

٩٤ الشرح

وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٤٥﴾

من قومه وتلطفه ووضع عند مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقرىء وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرىء وحللنا عنك وقرىء (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملأ نكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبى الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذى سلف وقوله تعالى (فإن مع العسر يسراً) تقرير لما قبله ووعد كريمة بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فيمكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فإن مع العسر يسراً كثيراً وفي كلمته مع إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارنة للعسر (إن مع العسر يسراً) تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كشواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحتان للصائم فرحة أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فإن المعرف إذا أعيد يكون الثانى دين الأول سواء كان معهوداً أو جنساً وأما المنكر فيجتملى أن يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالأول (فإذا فرغت) أي من التبليغ وقيل من الغزو (فانصب) فاجتهد فى العبادة واتعب شكرأ لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وقيل فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك (وإلى ربك) وحده (فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إساءة فلك لا غيره وقرىء فرغب أى فرغب الناس إلى طالب ما عنده . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءنى وأنا مغتم ففرج عني .

٩٥ - سورة التين
(مكية وآياتها ثمان آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٥ التين

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ﴿١﴾

٩٥ التين

وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾

(سورة التين مكية وقيل مدنية وآياتها ثمان)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والتين والزيتون) هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فإن التين فاكهة طيبة لأفضل له غذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضى الله عنه أنه أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج وأما الزيتون فهو فاكهة وإدام ودواء ولولم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لادھنية فيها لكفى به فضلاً وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضى الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالخرقة وسمعته يقول هو سواكى وسواك الأنبياء قبلى وقيل هما جبلان من الأرض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبل ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبرى وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا وعن ابن عباس رضى الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذى بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى والصحيح هو الأول قال ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم الذى تأكلون وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبي (وطور

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾

٩٥ التين

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾

٩٥ التين

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾

٩٥ التين

سينين) هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علان للموضع الذي هو فيه ولذلك
أضيف إليهما وسينون كبرون في جواز الإعراب بالواو والياء والإقرار على الياء وتحريك النون
بالحرركات الإعرابية (وهذا البلد الأمين) أى الآمن من أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها ٣
الله تعالى وأما أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعلاً بمعنى مفعول
من أمنه لأنه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن في قوله تعالى حرماً آمناً بمعنى ذى أمن ووجه الإقسام
بها تيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غنى عن الشرح والتبيين (لقد خلقنا الإنسان) ٤
أى جنس الإنسان (فى أحسن تقويم) أى كائناً فى أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى *
حيث برأه الله تعالى مستوى القامة متناسب الأعضاء متصفاً بالحياة والعلم والقدرة والإرادة والتكلم
والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التى هى من أنموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد
عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفى رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق
معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال إن النفس الإنسانية مجردة ليست حالة فى البدن ولا
خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شامت فإذا أرادت فعلاً من الأفاعيل
الجنسانية تلقىه إلى ما فى القلب من الروح الحيوانى الذى هو أعدل الأرواح وأصفها وأقربها منها
وأقواها مناسبة إلى عالم المجردات القاء روحانياً وهو يلقيه بواسطة ما فى الشرايين من الأرواح إلى
الدماغ الذى هو منبت الأعصاب التى فيها القوى المحركة للإنسان فعند ذلك يحرك من الأعضاء ما يليق
بذلك الفعل من مبادئ البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فن عرف نفسه على هذه الكيفية
من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى إلى معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزّه عن
كونه داخلًا فى العالم أو خارجاً عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما رتبته فيه من الملائكة
الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الأرواح والقوى المرتبة فى العالم الإنسانى الذى هو نسخة للعالم
الأكبر وأنموذج منه وقوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) أى جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح
من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التى لو عمل
بمقتضاها لكان فى أعلى عليين وقيل رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة
كقوله تعالى ومن نعمه ننكسه فى الخلق وأياً ما كان فأسفل سافلين إما حال من المفعول أى رددناه
حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أى رددناه مكاناً أسفل سافلين والأول أظهر وقرئ

٩٥ التين

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

٩٥ التين

فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ بِالَّذِينَ. ﴿٧﴾

٩٥ التين

أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

- ٦ أسفل السافلين وقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الأول استثناء متصل من ضمير رددناه فإنه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أى لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى (فلهم أجر غير ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على إجلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الأول مقررة لما يفيدہ الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى (فما يكدبك بعد بالدين) للرسول صلى الله عليه وسلم أى فإى شيء يكدبك دلالة أو نطقاً بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للإنسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيك أى فما يجعلك كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذه الدلائل والمعنى أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتحويله من حال إلى حال كلاً ونقصاناً من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فإى شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبه أيها الإنسان (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنفاً وتديراً حتى يتوهم عدم الإعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الإعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا وإذا مات أعطاه الله تعالى من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة .

٩٦ - سورة العلق

(مكية وهي تسعة عشر آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٦ العلق

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ①

٩٦ العلق

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②

(سورة العلق مكية وآياتها تسعة عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرأ) أى ما يوحى إليك فإن الأمر بالقراءة يقتضى المقروء قطعاً وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أو لا والأقرب أن هذا إلى قوله تعالى ما لم يعلم أول ما نزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبساً باسمه تعالى * أى مبتدئاً به لتحقيق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القصية من الكمالات البشرية بإزالة الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى (الذى خلق) لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبية على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شئ وقوله تعالى (خلق الإنسان) على الأول تخصيص لخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات ٢ لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى إفراد للإنسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه إذ هو أشرفهم وإليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضاً خلق الإنسان ويقصد بتجريدته عن المفهول الإبهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى (من علق) * أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى بإظهار ما بين حالته الأولى والآخرة من التباين البين وإيراده بلفظ الجمع بناء على أن الإنسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونها أبعد منه بالنسبة إلى الإنسانية ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى

٩٦ العلق

اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾

٩٦ العلق

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٣﴾

٩٦ العلق

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٤﴾

٩٦ العلق

كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِبَطْغَى ﴿٥﴾

٩٦ العلق

أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى ﴿٦﴾

وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولاً
 ٣ ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الأمر بقوله تعالى (اقرأ) أى افعل
 * ما أمرت به تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الأكرم) الخ فإنه كلام مستأنف
 وارد لإزاحة ما يئنه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام ما أنا بقارىء يريد أن القراءة شأن من
 ٤ يكتب ويقرأ وأنا أى فقيل له وربك الذى أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه هو الأكرم (الذى علم
 بالقلم) أى علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارىء بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونها وقوله
 ٥ تعالى (علم الإنسان ما لم يعلم) بدل احتمال من علم بالقلم أى علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية
 والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفى حذف المفعول أولاً وإيراده بعنوان عدم المعلوماتية ثانياً من
 الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والإشعار بأنه تعالى يعلمه من العلوم ما لا تحيط به العقول ما لا
 ٦ يخفى (كلاً) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وإن لم يسبق ذكره للبالغة فى الزجر وقوله تعالى
 * (إن الإنسان ليطغى) أى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا
 ٧ إلى آخر السورة نزل فى أبى جهل بعد الزمان وهو الظاهر وقوله تعالى (لئن رآه استغنى) مفعول له
 أى يطغى لأن رأى نفسه مستغنياً على أن استغنى مفعول ثانٍ لرأى لأنه بمعنى علم ولذلك ساغ كون
 فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتى وإن جوزوه بعضهم فى الرؤية البصرية أيضاً وجعل من ذلك
 قول عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام إلا الأسودان
 وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما يذنب عنه قوله تعالى ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا فى
 الأرض للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد . روى أن أباً جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهباً لعلنا نأخذ منها فنطغى فنندع ديننا وتتبع
 دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب
 المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء لإبقاء عليهم وقوله تعالى :

٩٦ العلق

إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۝٨

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝٩

٩٦ العلق

عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝١٠

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝١١

٩٦ العلق

أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢

٩٦ العلق

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣

٩٦ العلق

أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤

(إن إلى ربك الرجعى) تهديد للطاغى وتحذيره من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبرشى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أى إن إلى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره استقلالاً ولا اشتراكاً فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى (أرأيت الذى ينهى) (عبداً إذا صلى) تقييح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وإيدان بأنها من الشناعة ١٠، ٩ والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضى منها العجب . روى أن أبا جهل قال فى ملا من طغاة قريش لئن رأيت محمداً يصلى لأطأن عنقه فراه عليه السلام فى الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال إن بينى وبينه لحدقاً من نار وهولاً وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما ما فى قوله تعالى (أرأيت إن كان على الهدى) (أو أمر بالتقوى) وما فى قوله تعالى (أرأيت إن كذب وتولى) ١٣، ١٢، ١١ فقلبية معناه أخبرنى فإن الرؤية لما كانت سبباً للإخبار عن المرتضى أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الأمر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الأفعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فإن ذلك ليس فى حيز التردد أصلاً بل باعتبار أو صافها التى هى كونها أمراً بالتقوى وتكذيباً وتولياً كفى قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الأول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود إلى الموصول أو اسم إشارة يشار به إليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فإن المفعول الثانى لأرأيت لا يكون إلا جملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرنى ذلك الناهى إن كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو أمراً بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده أو مكذباً للحق معرضاً عن الصوب كما نقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) أى يطلع على أحواله فيجازه ١٤

٩٦ العلق

كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾

٩٦ العلق

نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

٩٦ العلق

فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾

٩٦ العلق

سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾

بها حتى أجتأ على مافعل وإنما أفرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية وهذا وقد قيل أرأيت الأول بمعنى أخبرني مفعوله الأول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الأولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عنمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان أمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازهيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلى والمنهى عن الهدى أمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله تعالى أمراً بالتقوى أتناه وقيل هو أمية بن خلف

١٥ كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع للناهى اللعين وخسوه له واللام في قوله تعالى (لئن لم ينته) موطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنسفعا بالناصية) لناخذن بناصيته ولنسحبته بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة وقرىء لنسفعن بالنون المشددة وقرىء لأسفعن وكتبته في المصحف بالآلاف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وإنما جاز لإبدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب المخطئ (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون . روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى نادياً فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه إلى النار والزبانية

١٨

الشرط الواحد زبانية كعفوية من الزين وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزين ثم غير كما مسمى وأصلها زباني فقل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لودعا نادية لأخذته الزبانية عياناً (كلا) ردع بعد ردع وزجر إثر زجر (لا تطعه) أى دم ١٩ على ما أنت عليه من معاصاته (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترِب) * وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الأجر كما قرأ المفصل كله .

٩٧ - سورة القدر

(مكية وهي خمس آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٧ القدر

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾

٩٧ القدر

وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾

٩٧ القدر

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾

(سورة القدر مكية مختلف فيها وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أنزلناه في ليلة القدر) تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحلّه بإضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الأذهان ويأسند إنزاله إلى
- ٢ نون العظيمة النبي عن كمال العناية به وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) لما فيه من الدلالة على أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها لإعلام الغيوب
- ٣ كما يشعر به قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فإنه بيان لإجمالي لشأنها لإثراء تشويقه عليه السلام إلى درايتها فإن ذلك معرب عن الوعد بإدراكها وقد مر بيان كيفية إعراب الجملتين وفي إظهار ليلة القدر في الموضوعين من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بإنزاله فيها إما إنزال كله إلى السماء الدنيا كما روى أنه أنزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأمله جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوماً في ثلاث وعشرين سنة وإما ابتداء إنزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا أحقر في نفسي من أن ينزل في قرآن فالأنسب أن يجعل الضمير حينئذ للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر في إخفائها تعريض من يريد بها للثواب الكثير يا حيّ يا قيّوم الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير أو لما روى أنه صلى الله عليه وسلم ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغزى وقيل إن رجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا

٩٧ القدر

تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥﴾

٩٧ القدر

سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٤﴾

- ليلة أن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته نخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذى القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا تلك الليلة أى تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض أو إلى السماء الدنيا (بإذن ربهم) * متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسين بإذن ربهم أى بأمره (من كل أمر) أى من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقرىء من كل امرئ أى من أجل كل إنسان قيل لا يلقون فيها مؤمناً ولا مؤمنة إلا سلوا عليه (سلام هـ) أى ماهى إلا سلامة أى لا يقدر الله تعالى فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضى سلامة وبلاء أو ماهى إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) أى وقت طلوعه وقرىء بالكسر على أنه مصدر كالمراجع أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم النزول أى لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالابتداء مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيالية القدر .

٩٨ — سورة البينة

(مدنية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ ٩٨ البينة

رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ ٩٨ البينة

(سورة البينة مدنية مختلف فيها وآياها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وإيرادهم بذلك العنوان للإشعار بعلة مانسب إليهم من الوعد باتباع الحق فإن مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم وإيراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم (والمشركين) أى عبدة الأصنام وقرىء والمشركون عطفاً على الموصول (منفكين) أى عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على إنجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب بما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور فى كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء عن الشيء أن يرايه بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور
- * بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجازه (حتى تأتيتهم البينة) التى كانوا قد جعلوا لإتيانها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتاً للانفكاك والافتراق وإخلاف الوعد والتعبير عن إتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين
- ٢ أى تلت وقوله تعالى (رسول) يدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للإيذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى (من الله) متعلق بمضمرة هو صفة لرسول مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى (يتلو) صفة أخرى له أو حال من الضمير فى متعلق الجار (صحفاً مطهرة) أى منزهة عن الباطل لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يمسّه غير المطهرين ونسبة تلاوتها إليه عليه

٩٨ البينة

فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴿٣﴾

٩٨ البينة

وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

٩٨ البينة

وَذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

- السلام من حيث إن تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) صفة لصحفاً أو حال
 من ضميرها في مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعاً به على
 الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب)
 الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناباتهم ببيان أن ما نسب إليهم من الانفكاك
 لم يكن لاشتباه ما في الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الأعذار بالكلية وهو
 السرفى وصفهم بإتياء الكتاب المنبئ عن كمال تمسكهم من مطالعته والإحاطة بما في تضاعيفه من الأحكام
 والأخبار التي من جملتها نعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم
 الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأى المذكور في حكم فريق واحد
 عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الإخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق
 اعتباراً لاستقلال كل من فريق أهل الكتاب وإيداناً بأن انفكاكهم عن الرأى المذكور ليس بطريق
 الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى (إلا من بعد ما جاءتهم البينة) استثناء
 مفرغ من أعم الأوقات أى وما تفرقوا في وقت من الأوقات إلا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة
 الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى
 وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله)
 جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أى والحال أنهم ما أمروا في كتابهم إلا لأجل أن يعبدوا الله وقيل
 اللام بمعنى أن أى إلا بأن يعبدوا الله ويعضده قراءة إلا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) أى جاعلين
 دينهم خالصاً له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى في الدين (حنفاء) مائلين عن جميع العقائد
 الزائغة إلى الإسلام (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) إن أريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة
 فالأمر ظاهر وإن أريد ما في شريعتنا فعنى أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم
 بجميع أحكامها التي هما من جملتها (وذلك) إشارة إلى ما ذكر من عبادة الله تعالى وبالإخلاص وإقامة
 الصلاة وإيتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته (دين القيمة) أى دين الملة
 القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا - إلى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ
شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾

٩٨ البينة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

٩٨ البينة

قوله - كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم إلى مبعثه ويعدون أن ينفكوا عنه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلخ بيان لإخلاصهم الوعد وتعكيسهم الأمر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبا وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك عما أنا فيه حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق إلا بعد اليسار وأنت خير بأن هذا إنما يتسنى بعد التليوا التي على تقدير أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بأن يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما أجمعوا على دينهم إلا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير أن يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلاقتأمل (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم) بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لثلاثيهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون إليها يوم القيامة وإيراد الجملة الاسمية للإيذان بتحقيق مضمونها للاحالة أو أنهم فيها الآن إما على تنزيل ملابسهم لما يوجبها منزلة ملابسهم لها وإما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار إلا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين في سورة الأعراف (خالدين فيها) حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فإن جهنم دركات وعذابها ألوان (أولئك) إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للإشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر أي أولئك البعداء المذكورون (هم شر البرية) شر الخليقة أي أعمالا وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرىء بالهمزة على الأصل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لمخاض أحوال المؤمنين لإثبات سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب (أولئك) المنعوتون بما هو في القاصية من الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة (هم خير البرية) وقرىء خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد.

جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

٩٨ البينة

- (جزاؤهم) بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعة (عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظاهر فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياً ما كان فالمراد جريانها بغير أخدود (خالدين فيها * أبداً) متنعمين بفنون النعم الجسدية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبثقة عن الترية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالإضافة وبما يزيد نعيمها وتأكيدهم بالخلود بالأبود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتبع لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ذلك) أى ما ذكر من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فإن الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتجة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والترية للإشعار بعلّة الخشية والتحذير من الاغترار بالترية . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البينة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلاً .

٩٩ - سورة الزلزلة

(مدنية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٩٩ الزلزلة:

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①

٩٩ الزلزلة:

وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ②

٩٩ الزلزلة:

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا هَآ ③

٩٩ الزلزلة:

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④

(سورة الزلزلة مدنية مختلف فيها وآياتها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا زلزلت الأرض) أى حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لا غاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره أو زلزالها الداخلى فى حيز الإمكان وقرىء بفتح الزاء وهو اسم وليس فى الأبنية فعلا بالفتح إلا فى المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضاً مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل (وأخرجت الأرض أثقالها) أى مافى جوفها من الأموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت وإظهار الأرض فى موقع الإضممار لزيادة التقرير أو للإيماء إلى تبدل الأرض غير الأرض أو لأن
- ٢ إخراج الأثقال حال بعض أجزائها (وقال الإنسان) أى كل فرد من أفرادها لما يدهمهم من الطامة التامة ويهرمهم من الداهية العامة (ماها) زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت مافىها من الأثقال استعظماً لما شاهدوه من الأمر الهائل وقد سیرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر إذا لم يكن مؤمناً بالبعث والأظهر هو الأول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام
- ٣ والكافر بطريق التعجب (يومئذ) بدل من إذا وقوله تعالى (تحدث أخبارها) عامل فيهما ويجوز أن يكون إذا منتصباً بمضمر أى يوم إذ زلزلت الأرض تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها وإما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنها تشهد على كل أحد بما عمل على

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

٩٩ الزلزلة

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالُهُمْ ﴿٦﴾

٩٩ الزلزلة

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾

٩٩ الزلزلة

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

٩٩ الزلزلة

- ظهرها وقرىء تنبيه أخبارها وقرىء من الأنباء (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب
إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كأنه قيل
تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لأن التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى إليها
(يومئذ) أى يوم إذ يقع مذكور (يصدر الناس) من قبورهم إلى موقف الحساب (أشتاتاً) متفرقين
بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون أفواجا وقيل
يصدرون عن الموقف أشتاتاً ذات اليمين إلى الجنة وذات الشمال إلى النار (ليروا أعمالهم) أى أجزية
أعمالهم خيرا كان أو شرا وقرىء ليروا بالفتح وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) (ومن ٨٧
يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيل ليروا وقرىء يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع
الشمس من الهباء وأيا ما كان فعنى رؤية ما يعادها من خير وشر إمامشاهدة جزائه فمن الأولى مختصة
بالسعداء والثانية بالأشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن
الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يردده قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثوراً وأما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض
كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته
وبحسبوت حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس
من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته
وأما الكافر فيرد حسناته تحسراً ويعاقبه بسيئاته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزلزلة
أربع مرات كان كن قرأ القرآن كله والله أعلم .

١٠٠ — سورة العاديات

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٠ العاديات

وَأَلْعَدَيْتِ ضَبْحًا ①

١٠٠ العاديات

فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ②

١٠٠ العاديات

فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③

١٠٠ العاديات

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④

١٠٠ العاديات

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤

(سورة العاديات مكية مختلف فيها وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو نحو العدو وقوله تعالى * (ضبحاً) مصدر منصوب إما بفعله المحذوف الواقع حالاً منها أى تضبح ضبحاً وهو صوت أنفسها عند عدوها أو بالعاديات فإن العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضاحيات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضاحيات (فالموريات قدحاً) الإيراء إخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجه الثلاثة (فالمغيرات) أسند الإغارة التى هى مباغطة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر إليها وهى حال أهلها إيذاناً بأنها العمدة فى إغارتهم (صبحاً) أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون
- ٢ عليهم صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل إذ المعنى واللاقى عدون فأورين فأغرّن فأثرن به أى فبيجن بذلك الوقت (نقعاً) أى غباراً وتخصيص إثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر أن الإيراء الذى لا يظهر فى النهار واقع فى الليل والله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرىء فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهن به غباراً لأن التأثير فيه معنى الإظهار (فوسطن به) أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع (جمعاً) من جموع الأعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما فى قوله [يا لهف زياة للحارث] * صاح فالفانم فالآيب [فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة

١٠٠ العاديات

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾

١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُ لَحَبِيبٌ خَيْرٌ لِّشَدِيدٍ ﴿٨﴾

١٠٠ العاديات

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾

١٠٠ العاديات

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

١٠٠ العاديات

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

- ٦ على الإبراء المترتب على العدو وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أى لكفور من كند النعمة كنوداً جواب القسم والمراد بالإنسان بعض أفرادہ . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه عليه الصلاة والسلام خبرها شهرأ فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة لإخباراً للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له بإغارتها على القوم ونعيأ على المرجفين فى حقهم ما هم فيه من الكنود وفى تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران (ولأنه على ذلك) ٧
- أى وإن الإنسان على كنوده (لشهادة) يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه (ولأنه لحب الخير) ٨
- أى المال كما فى قوله تعالى إن ترك خيراً (لشديد) أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهاك عليه * يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقاً له ضابطاً وقيل الشديد البخيل أى أنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل بمسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيباً وقوله تعالى (أفلا يعلم إذ بعث ما فى القبور) الخ تهديد ووعيد والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل مايفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله إذا بعث من فى القبور من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء بمحتر وبحث وبحتر وبحث على بنائهم للفاعل (وحصل) أى جمع محصلاً أو ميز خيره من شره وقرىء وحصل مبنياً للفاعل وحصل مخففاً (ما فى الصدور) من الأسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من * الكفر والمعاصى فضلاً عن الأعمال الجليلة (إن ربهم) أى المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الإحياء الأول

١٠١ - سورة القارعة

(مكية وهي إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠١ القارعة

الْقَارِعَةُ ①

١٠١ القارعة

مَا الْقَارِعَةُ ②

١٠١ القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③

حيث التفت إلى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والأبصار الآية بعد قوله ثم سواء ونفخ فيه
 * من روحه إيذاناً بصلاحياتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدها قبله كما أشير إليه هناك (بهم) بذواتهم
 * وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في
 * الصدور (خبر) أي عالم بطواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبغي عنه تقييده بذلك
 اليوم وإلا فطلق عليه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبر قدماً
 عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السكك أن ربهم بهم يومئذ خبر . عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العاديات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة
 وشهد جمعاً .

(سورة القارعة مكية وآياتها إحدى عشرة)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت
 شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الأولى ومنتهى فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوين
 سميت بها لأنها تقرر القلوب والأسماع بفنون الأفراع والأحوال وتخرج جميع الأجرام العلوية
 والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوين والانكسار
- ٢ والانتشار والأرض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى (ما القارعة)
 على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لا
 المبتدأ ولا ريب في أن مدار إفادة الهول والفتخامة هنا هو كلمة ما لا القارعة أي شيء عجيب هي
- ٣ في الفتخامة والفضاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتحويل وقوله تعالى (وما أدراك ما القارعة)
 تأكيداً لهولها وفضاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها بحيث لا تكاد

١٠١ القارعة

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٥﴾

١٠١ القارعة

وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٦﴾

١٠١ القارعة

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾

تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل إلى العكس وهنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لأن أدري يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا أدراككم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً للبتداء الأول أى وأى شيء أعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بإعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً كما هو رأى الكوفيين أى هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطايير إلى الداعي كتطايير الفراش إلى النار أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فإنه يدريك ما هي هذا وقد قيل إنه ظرف ناصبه مضمير يدل عليه القارعة أى تفرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أى كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطاييرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق بيد الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لسكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فإن اتباع الداعي الذي هو إسرأفيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون إلا بعد البعث قطعاً وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) الخ بيان إجمالى لتحزب الناس إلى حزين وتنبه على كيفية الأحوال الخاصة بكل منهما إثر بيان الأحوال الشاملة للكل والموازن إما جمع الموزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضى الله عنهما إنه ميزان له لسان وكفتان لا يورن فيه إلا الأعمال قالوا توضع فيه صحائف الأعمال فينظر إليه الخلائق إظهاراً

١٠١ القارعة

فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

١٠١ القارعة

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾

١٠١ القارعة

فَأَمَّهُ هَٰوِيَةٌ ﴿٩﴾

١٠١ القارعة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾

١٠١ القارعة

نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لا يتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الأجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الأعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان أي فن ترجحت مقادير حسناته (فهو في عيشة راضية) أي ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه) أي فإواه (هاوية) هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها . روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفاً وقيل إنها اسم للباب الأسفل منها وعبر عن المأوى باللام لأن أهلها يأوون إليها كما يأوى الولد إلى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً والاول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أدراك ماهية) (نار حامية) فإنه تقرير لها بعد إهامها والإشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت وإذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لثلاثي سقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجزئ لإثباتها مع الوصل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة .

١٠٢ - سورة التكاثر
(مكية وهي ثمان آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٢ التكاثر

أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ ①

١٠٢ التكاثر

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②

١٠٢ التكاثر

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④

١٠٢ التكاثر

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤

١٠٢ التكاثر

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥

(سورة التكاثر مكية مختلف فيها وآياتها ثمان)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها . روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف فى الإسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيداً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً فكثرتهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم إن البغى إفنانا فى الجاهلية فعادونا بالآحياء والأموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتهم بالآحياء
- ٢ (حتى زرتهم المقابر) أى حتى إذا استوعبتهم عددهم صرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكم بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن تمتم وقبرتم مضيعين أعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهيمكم من السعى لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرىء
- ٣ ألهاكم على الاستفهام التقريرى (كلا) ردع وتنبه على أن العاقل ينبغى أن لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فإن عاقبة ذلك وخيمة (سوف تعلمون) سوء مغبة ما أنتم عليه إذا عاينتم عاقبته (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول أو الأول عند الموت أو فى القبر
- ٥ والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون ما بين أيديكم علم اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى (لترؤن الجحيم) جواب
- ٦

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾

١٠٢ التكاثر

ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

٧ قسم مضمراً أكد به له الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إيهامه تفخيماً (ثم لترونها)
 ٨ المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) أى الرؤية التى هى النفس اليقين فإن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين
 ٨ (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ عن الدين وتكاليفه فإن الخطاب
 مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعيش إلا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته
 باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها
 على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار . عن النبي
 صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا
 وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية .

١٠٣ - سورة العصر

(مكية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٣ العصر

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾

١٠٣ العصر

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِيرٌ ﴿٢﴾

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ١٠٣ العصر

(سورة العصر مكية وآياتها ثلاث)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الأعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الأمور القارة والمارة (إن الإنسان لفي خسر) أى خسران في متاجرهم ومسايعهم ٢ وصرف أعمارهم في مباحيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ٣ فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم وقوله تعالى (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الذى لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسوله فى كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) أى عن المعاصى التى تشاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها أداؤها أو على ما يلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجها تحت التواصى بالحق لإبراز كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فإن المراد بالصبر ليس بمجرد حبس النفس عما تشوق إليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهراً وباطناً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر .

١٠٤ - سورة الهمة

(مكية وهي تسع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهمة ١٠٤

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ①

الهمة ١٠٤

الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ②

الهمة ١٠٤

يَحْسِبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③

الهمة ١٠٤

كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④

(سورة الهمة مكية وآياتها تسع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة لمزة) وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرىء لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالأضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت في الأخنس بن شريق فإنه كان ضارياً بالغيبة والوقعة وقيل في أمية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنبه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب
- ٢ منه مثل ذنوبهم (الذي جمع مالا) بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرىء جمع بالتشديد * للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) وقيل معنى عدده جعله عدة لنواب الدهر وقرىء وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولاك فلان ذو عدد وعدد إذا كان له عدد وافر من الأنصار والأعوان وقيل هو فعل ماض بفك الإدغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يعمل عمل من يظن أن ماله يقيه حياً والإظهار في موقع الإضمار
- ٣ لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومنه الأمانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالداً في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وأنه هو الذي أخلد صاحبه في الحياة الأبدية والنعيم المقيم فأما المال فليس بخالد ولا بمخلد وروى أن الأخنس كان له أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع (كلا) ردع له عن
- ٤

١٠٤ الهمة

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطْمَةُ ﴿٥﴾

١٠٤ الهمة

نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ ﴿٦﴾

١٠٤ الهمة

الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ ﴿٧﴾

١٠٤ الهمة

إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾

١٠٤ الهمة

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى (لينبذن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعللة الردع أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للأفعال المذكورة (فى الحطمة) أى فى النار التى شأنها أن تحطم وتكسر * كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر أعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى (وما أدراك ما الحطمة) لتحويل أمرها ببيان أنها ليست من الأمور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى (نار الله) خبر مبتدأ محذوف * والجملة بيان لشأن المسئول عنها أى هى نار الله (الموقدة) بأمر الله عز سلطانه وفى إضافتها إليه سبحانه * ووصفها بالايقاد من تحويل أمرها ما لا مزيد عليه (التى تطلع على الأفئدة) أى تعلو أو ساط القلوب * وتغشاها وتخصيها بالذكر لما أن الفؤاد أطف مافى الجسد وأشدّه تألماً بأذى يمسّه أو لأنه محل العقائد الزائفة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة من أوصدت الباب وأصدته أى أطبقته (فى عمد ممددة) إما حال من الضمير المجرور فى عليهم أى كائنين فى عمد ممددة أى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدأ مضمرة أى هم فى عمد أوصفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أى كائنة فى عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الأبواب وتمدد على الأبواب العمدة استئنافاً فى استيثاق اللهم أجرنا منها ياخير مستجار وقرىء عمد بضمين . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه .

١٠٥ - سورة الفيل

(مكية هي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٥ الفيل

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾

(سورة الفيل مكية وآياتها خمس)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بإنكار عدما وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية أي ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للشهادة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بأن يقال ألم تر ما فعل ربك الخ لتحويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك من الإرهاصات لما روى أن القصة وقعت في السنة التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وسلم وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعدها ليلاً فأغضبه ذلك وقيل أوجت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقها خلف ليهذ الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قوياً عظيماً وإثنا عشر فيلاً غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه تلك أموال تهامة ليرجع فأبى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيراً سوداً وقيل خضراً وقيل بيضاً مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجله أكبر من العدسة وأصغر من الحصاة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق وقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما آتوا وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه وقيل إن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج إليه في شأنها فلما رآه أبرهة عظم في عينه وكان رجلاً وسيماً جسيماً وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريريه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين

١٠٥ الفيل

أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾

١٠٥ الفيل

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾

١٠٥ الفيل

تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ ﴿٤﴾

١٠٥ الفيل

فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

أَبَانُكَ وَعَصْمَتُكَ وَشَرَفُكَ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ لَا تَكْلُمُنِي فِيهِ أَهْلَاكَ عَنْهُ ذُوْدٌ أَخَذَتْ لَكَ فَقَالَ عَبْدُ الْمُطَلِّبِ
أَنَا رَبُّ الْإِبِلِ وَإِنْ لَّا يَتِ رَبِّيَ أَحْمِيهِ ثُمَّ رَجَعَ وَأَتَى بَابَ الْكَعْبَةِ فَأَخَذَ بِحُلْقَتِهِ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَدْعُونَ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَالْتَفَتَ وَهُوَ يَدْعُو فَاذْهُوَ بِطَيْرٍ مِنْ نَحْوِ الْبَيْنِ فَقَالَ وَاللَّهِ إِنَّهَا لَطَيْرٌ غَرِيبَةٌ مَا هِيَ نَجْدِيَّةٌ وَلَا
تَهَامِيَّةٌ فَأَرْسَلَ حُلُقَةَ الْبَابِ ثُمَّ انْطَلَقَ مَعَ أَصْحَابِهِ يَنْتَظِرُونَ مَاذَا يَفْعَلُ أَبْرَهَةَ فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الطَّيْرَ
فَكَانَ مَا كَانَ وَقِيلَ كَانَ أَبْرَهَةَ جَدُّ النَّجَاشِيِّ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ أَعْمِيَيْنَ مَقْعِدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ وَقُرَىءَ أَلَمْ تَرَبَسْكُونُ الرَّاءَ لِلْجَدِّ فِي
إِظْهَارِ أَثَرِ الْجَاذِمِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى (أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ) الْخِيَانُ لِإِجْمَالِ مَا فَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمْ وَالْهَمْزَةُ ٢
لِلتَّقْرِيرِ كَمَا سَبَقَ وَلِذَلِكَ عَطَفَ عَلَى الْجُمْلَةِ الْاسْتِفْهَامِيَّةَ مَا بَعْدَهَا كَأَنَّهُ قِيلَ قَدْ جَعَلَ كَيْدَهُمْ فِي تَعْطِيلِ الْكَعْبَةِ
وَتَخْرِيبِهَا فِي تَضْيِيعٍ وَإِبْطَالِ بَأْنِ دَمَرِهِمْ أَشْنَعَ تَدْمِيرٍ (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) أَيْ طَوَائِفَ وَجَمَاعَاتٍ ٣
جَمْعُ لِبَالَةٍ وَهِيَ الْحِزْمَةُ الْكَبِيرَةُ شَبَّهَتْ بِهَا الْجَمَاعَةُ مِنَ الطَّيْرِ فِي تَضَامُحِهَا وَقِيلَ أَبَابِيلَ مِثْلَ عِبَابِيدٍ وَشِمَاطِيطٍ
لَا وَاحِدَ لَهَا (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ) صِفَةُ لَطَيْرٍ أَوْ قُرَىءَ يَرْمِيهِمْ بِالتَّذْكِيرِ لِأَنَّ الطَّيْرَ اسْمُ جَمْعٍ تَأْنِيثُهُ بِاعْتِبَارِ ٤
الْمَعْنَى (مِنْ سِجِيلٍ) مِنْ طَائِفٍ مَتَحَجَّرٍ مَعْرَبٍ سَنَكٌ كُلٌّ وَقِيلَ كَأَنَّهُ عَلِمَ لِلدِّيَّوَانِ الَّذِي كَتَبَ فِيهِ عَذَابُ *
الْكَفَّارِ كَأَنَّهُ سَجِنًا عَلِمَ لِلدِّيَّوَانِ الَّذِي يَكْتُبُ فِيهِ أَعْمَالُهُمْ كَأَنَّهُ قِيلَ بِحِجَارَةٍ مِنْ جُمْلَةِ الْعَذَابِ الْمَكْتُوبِ
الْمَدُونِ وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْإِسْجَالِ وَهُوَ الْإِرْسَالُ (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ) كَوَرَقِ زَرْعٍ فِيهِ الْآكَالُ وَهُوَ ٥
أَنْ يَأْكُلَهُ الدُّودُ أَوْ أَكَلَ حَبَّهُ فَبَقِيَ صَفْرًا مِنْهُ أَوْ كَتَبَتْ أَكَلَتَهُ الدُّوَابُ وَرَأَتْهُ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِأَوَّلِ أَحْوَالِهِ
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرَأَ سُورَةَ الْفِيلِ أَعْفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَيَّامَ حَيَاتِهِ مِنَ الْخُسْفِ وَالْمَسْخِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٠٦ - سورة قريش

(مكية وهي أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٦ قريش

لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ①

١٠٦ قريش

إِلَّا لَفِهُمُ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ②

١٠٦ قريش

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③

١٠٦ قريش

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ④

(سورة قريش مكية وآياتها أربع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (لا يلف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من إهلاك أصحاب الفيل لا يلف الخ وقيل تقديره أعجبوا لا يلف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ما كول ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدتم من الحبشة ليتسامع الناس فيتهيبوا لهم زيادة تهاب ويحترموا فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترئ عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيتأرون ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاية بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والإيلاف من قولك آلفت المكان إيلافا إذا ألفتهم وقرئ لا يلف قريش أى لمؤلفتهم وقيل يقال ألفتهم ألفاً وإلافا وقرئ لا يلف قريش وقرئ ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا أكسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الأول ورحلة مفعول لإيلافهم وإفرادها مع أن المراد رحلتى الشتاء والصيف لأمن الإلباس وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أولاً وإبدال هذا منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليألف قريش لفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل إليها (فليعبدوا رب هذا البيت) (الذي أطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيها بواسطة كونهم من جيرانه

١٠٧ - سورة الماعون

(مكية وهي سبع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٧ الماعون

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾

١٠٧ الماعون

فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾

١٠٧ الماعون

وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾

١٠٧ الماعون

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾

(من جوع) شديد كانوا فيه قبلها وقيل أريد به القحط الذي أكلوا الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخلف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من ترأسورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها.

(سورة الماعون مكية تختلف فيها وآياتها سبع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (أرأيت الذي يكذب بالدين) استفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لسكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ رأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى (فذلك الذي يدع ٢
- اليتيم) جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالإسلام إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً ووضع اسم الإشارة المتعرض لوصف المشار إليه موضع الضمير للإشعار بعلّة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو أبو جهل كان وصياً ليتيم فأتاه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً وقيل أبو سفيان نحر جزوراً فسأله يتيم لحماً فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومته وقرئ يدع اليتيم أي يتركه ويحفوه (ولا يحض) أي أهله وغيرهم من الموسرين ٣
- (على طعام المسكين) وإذا كان حال من ترك حث غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك مع القدرة * عليه والفاء في قوله تعالى (فويل) الخ إما لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من ٤

١٠٧ الماعون

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾

١٠٧ الماعون

الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴿٦﴾

١٠٧ الماعون

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

- * عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل (للمصلين)
- ٦ (الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مباليين بها (الذين هم يراءون) أى يرون الناس أعمالهم
- ٧ ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) أى الزكاة أو ما يتعاور عادة فإن عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الإسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك وإما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك إلى بيان أن لهم قبائح أخرى غير ما ذكر . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له إن كان الزكاة مؤدياً .

١٠٨ - سورة الكوثر

(مكية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٨ الكوثر

إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ①

١٠٨ الكوثر

فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ②

١٠٨ الكوثر

إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③

(سورة الكوثر مكية وآياتها ثلاث)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا أعطيناك) وقرأ انطيناك (الكوثر) أى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين والرياسة العامة المستتعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هونهر فى الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر إنه نهر فى الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروى فى صفته أنه أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافظاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظلم من شرب منه أبداً أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فإن ناساً يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو وأولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن
- ٢ الحاوى لخير الدنيا والدين والفاء فى قوله تعالى (فصل لربك) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطائه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التى لم يعطها ولن يعطيها أحداً من العالمين مستوجب للامور به أى استيجاب أى قدم على الصلاة لربك الذى أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التى لا يضاهيها نعمة خالصاً لوجهه خلاف الساهين عنها المرانين فيها أداء لحقوق شكرها فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) البدن التى هى خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاييج خلافاً لمن يدعهم * ويمنع عنهم الماعون وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو أن يرفع يديه فى التكبير إلى نحره هو المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما استقبال القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وأبى الأحوص (إن شئت) أى مبغضك كائناً من كان (هو الأبر) الذى لا عقب له
- ٣

١٠٩ - سورة الكافرون (مكية وهي ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٠٩ الكافرون

قُلْ يَتَّيِبَا الْكُفْرُونَ ﴿١﴾

١٠٩ الكافرون

لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾

١٠٩ الكافرون

وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾

حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة لك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وأياً ما كان فلا ريب وفي عموم الحكم . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربته العباد في يوم النحر .

(سورة الكافرون مكية وآياتها ست)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل بأيتها الكافرون) هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الإيمان أبداً . روى أن رهصاً من عتاة قريش قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا وتبع دينك تعبد آلهتنا ونعبد إلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أي فيما يستقبل لأن لا تدخل غالباً إلا على مضارع في الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي وما كنت قط عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعبد مني عبادة صنم في الجاهلية ه فكيف ترجى مني في الإسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالاً كما أن الأولين لنفيها استقبالا وإنما لم يقل ما عبدت

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

١٠٩ الكافرون

ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوماً بعبادة الله تعالى وإيثار ما في أعبد على من لأن المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل إن ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى وقيل الأوليان بمعنى الذى والآخران مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد ثانياً تأكيداً لمثله المذكور أولاً وقوله تعالى (لکم دینکم) تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما أن قوله تعالى ٦ (ولى دين) تقرير لقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذى هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لى أيضاً كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أمانيتكم الفارغة فإن ذلك المحالات وأن دينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى لا يتجاوزه إلى الحصول لكم أيضاً لأنكم علقتهموهم بالمحال الذى هو عبادتى لألهتكم أو استلأى إياها ولأن ما وعدتموه عين الإشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة على شركة الفريقين فى كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر أفراد حتماً ويجوز أن يكون هذا تقريراً لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أى ولى دينى لا دينكم كما هو فى قوله تعالى ولکم ما کسبتم وقيل المعنى إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا منى ولم تتبعوني فدعوني كفافاً ولا تدعوني إلى الشرك فتأمل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر .

١٠٧ — سورة النصر

(مدنية وهي ثلاث آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٠ النصر

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾

١١٠ النصر

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾

(سورة النصر مدنية وآياتها ثلاث)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا جاء نصر الله) أى إغاثة تعالى وإظهاره إياك على عدوك (والفتح) أى فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فإن فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وإمامها جعل بحيته بمنزلة بحى سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام بالتسييح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالحى. للإيدان بأنهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنهما على جناح الوصول إليه عليه السلام عن قريب. روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه الأكثر وقيل فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة إذا حينئذ باعتبار أن بعض ما فى حيزها أعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبى صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ماترون أنى فاعل بكم قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فياء ولذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الإسلام ثم خرج إلى هوازن (ورأيت الناس) أى أبصرتهم أو علمتهم (يدخلون فى دين الله) أى ملة الإسلام التى لادين يضاد إليه تعالى غيرها والجملة على الأول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى (أفواجا) حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كأهل مكة والطائفت واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين. روى أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الإسلام أفواجا من غير قتال وقرىء فتح الله والنصر

- وقرىء يدخلون على البناء للفعول: (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامداً له أو فتعجب لتيسير ٣
الله تعالى ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمة المحترم واحمده على جميل صنعه هذا
على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله عليه السلام أمر بأن يداوم على ذلك استعظماً لنعمه
لا بإحداث التعجب لما ذكر فإنه لما يناسب حالة الفتح أو فاذا ذكره مسبجاً حامداً زيادة في عبادته والثناء
عليه لزيادة إنعامه عليك أو فصل له حامداً على نعمه روى أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى
ثمان ركعات أو فزعه عما يقوله الطلبة حامداً له على أن صدق وعده أو فأن على الله تعالى بصفات
الجلال حامداً له على صفات الإكرام (واستغفره) هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستعظماً
لحقوق الله تعالى واستدراكاً لما فرط منك من ترك الأولى . عن عائشة رضى الله عنها إنه كان عليه
الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك وعنه عليه
السلام إني لأستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه
استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام ما يبكيك يا عم فقال نعتيت إليك نفسك قال عليه السلام إنها
لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً وقيل إن ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال
عليه السلام لقد أوتى هذا الغلام علماً كثيراً ولعل ذلك للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر
الدين كقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إن عبداً خيرته الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختر لقاء الله تعالى فعلم أبو بكر رضى الله عنه
فقال فدينك بأنفسنا وآبائنا وأولادنا وعنه عليه السلام أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه إنه
نعتيت إلى نفسي فبكيت فقال لا تبكى فإنك أول أهلى لحوقاً بى وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن هذه
السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو أمر بالاستغفار لأمته (لأنه كان تواباً) منذ خلق المكلفين أى
مبالغاً فى قبول توبتهم فليكن كل نائب مستغفر متوقفاً للقبول . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة النصر أعطى من الأجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة .

١١١ - سورة المسد

(مكية وهي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١١ المسد

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾

١١١ المسد

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

(سورة المسد مكية وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تبت أي هلكت) (يدا أبي لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب وإيثار التباب على الهلاك وإسناده إلى يديه لما روى لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تباً لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجراً ليرميه عليه السلام به (وتب) أي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملة كقوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ومعنى تب وكان ذلك وحصل كقول من قال [جزاني جزاء الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل] ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول إخبار عن هلاك عمله لأن الأعمال تزاوَل غالباً بالأيدي والثاني إخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني إخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنمياً ولاشتهاره بها ولكرامة ذكر اسمه
- ٢ القبيح وقرئ أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرئ أبو لهب بسكوني الهاء (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أي لم يغن عنه حين حل به التباب على أن مانافية أو أي شيء أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الإنكار منصوبة بما بعدها أصل ماله وما كسبه من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيد في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم أو عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى أنه كان يقول إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا أفتدى منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثاً حتى أذن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان

١١١ المسد

سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

١١١ المسد

وَأَمْرًا تُرْجَىٰ حِمْلًا ۖ الْحَطَبُ ﴿٤﴾

١١١ المسد

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

- الامر كما أخبر به القرآن (سيصلى) بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد. والسين ٣ لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة (ناراً ذات لهب) * أى ناراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصاً فى أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين التقيضين كما هو المشهور فإن صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لإجمالا لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان بعدم إيمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سببى لمكان الفصل بالمفعول وهى أم جميل ٤ بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتشترها بالليل فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشى بالنيمة ويقال لمن يمشى بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النار (حمالة الحطب) بالنصب * على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة ما لها كاتب تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فغيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتا وقرىء بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرىء حمالة للحطب بالتثنية نصبا ورفعا وقرىء مريته بالتصغير للتحقير (فى جيدها حبل من مسد) • جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة الحالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سببى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يقتل من الحبال فتسلا شديداً من ليف المقل وقيل من أى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الإبل وأوبارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبل وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الخطابون تخسيساً بحالها وتصويراً لها بصورة بعض الخطابات من المواهن لتمتع من ذلك ويتمتع بعلمها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الحمدانى كات أم جميل تاتى كل يوم يابالة من حسك فطرحتها على طريق المسلمين فيناهى ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتسترج فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بجبلها . عن النبي صلى الله عليه من قرأ سورة المسد تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة .

١١٢ - سورة الاخلاص

(مكية وهى أربع آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٢ الاخلاص

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①

١١٢ الاخلاص

اللَّهُ الصَّمَدُ ②

(سورة الإخلاص مكية مختلف فيها وآياتها أربع)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل هو الله أحد) الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الإيدان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد وإليه يشير كل مشير وإليه يعود كل ضمير كما ينبى عنه اسمه الذى أصله القصد أطلق على المعفول مبالغة وحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة إلى الربط لأنها عين الشأن الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على نخامة مضمونها وجلالة حيزها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه عما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمة أحد مبدلة من الواو وأصله وحد لا كهمة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما فى قوله عليه السلام ما أحلت الغنائم لأحد سود الرأس غيركم فإن أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فأبدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لأن الهمزة تشبه الألف فحذفت إحداها تخفيفاً وقال ثعلب إن أحد لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد وإثنان كما يقال واحد وإثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى أو هو لما سئل عنه أى الذى سألت عنه هو الله إذ روى أن قريشاً قالوا صف لنا ربك الذى تدعوننا إليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف وقرئ هو الله أحد بغير قل وقرئ الله أحد بغير قل هو
- ٢ وقرئ قل هو الواحد وقوله تعالى (الله الصمد) مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد إليه إذا قصده أى هو السيد المصمود إليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج إليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الألوهية وتعزية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى بين أولاً ألوهيته عز

١١٢ الإخلاص

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٤﴾

١١٢ الإخلاص

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾

وجل المستنبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجهة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إلى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة ففيل (لم يلد) تنصيماً على إبطال زعم ٣ المفسرين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي أى لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانس شيء ليتمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى أنى يكون له صاحبة ولا يفترق إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه (ولم يولد) أى لم يصدر عن شيء لاستحالة * نسبة العدم إليه سابقاً ولاحقاً والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعبود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه (ولم يكن له كفواً أحد) ٤ أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبراً لا صلة ويكون كفواً حالاً من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلهراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرىء بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولا نظواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشنات المعارف الإلهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فإن مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد أى ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة . وعنه عليه السلام أنه سمع رجلاً يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت ففيل وما وجبت يارسول الله قال وجبت له الجنة .

١١٣ - سورة الفلق

(مكية وهي خمس آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٣ الفلق

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾

١١٣ الفلق

مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾

١١٣ الفلق

وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾

(سورة الفلق مكية مختلف فيها وآياتها خمس)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح كالفرق لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الأمطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرق عدة كريمة بإعادة العائد بما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجدو والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى وأما الإشعار بأن من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائد ما يخافه كما قيل فلا إذ لاريب العائد في قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج إلى التنبيه عليها (من شر ما خلق) أى ٢ من شر ما خلقه من الثقيلين وغيرهم كائناتاً ما كان من ذوات الطباع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الإنسان وغيره بما يصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مداراً لإضافة الرب إلى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتعبة للكون والفساد ٣ وأما عالم الأمر فهو خير محض منزّه عن شوائب الشر بالمرّة وقوله تعالى (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندارجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعاذة أى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى إلى غسق الليل وأصل الغسق سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل للملازمة له بحدوثه فيه وتذكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراد ولا لكل أجزائه وتقييده بقوله تعالى (إذا وقب)

وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾

١١٣ الفلق

وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

١١٣ الفلق

أى دخل ظلامه فى كل شىء لأن حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر إذا امتلأ ووقبه دخوله فى الخسوف وأسوداده لما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ييدى فأشار إلى القمر فقال تعوذى بالله تعالى من شر هذا الغاسق إذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وقيل هو كل شريعترى الإنسان ووقبه هجومه (ومن شر النفاثات فى العقد) أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتي يعقد عقداً فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرىء النفاثات كما قرىء النفثات بغير ألف وتعريفها إما للعهد أو للإيدان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهن أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده أسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فأعطاهما لليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الأعصم اليهودى وبناته وهن النفاثات فى العقد فدفنها فى بئر أريس فرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل صلى الله عليه وسلم علياً أكرم الله وجهه والزبير وعماراً رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوثة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعهما وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبرة فجأوا بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عنه تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال فقالوا يارسول الله أفلا تقتل الخبيث فقال صلى الله عليه وسلم أما أنا فقد عافانى الله عز وجل وأكره أن أثير على الناس شياً قالت عائشة رضى الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو الله تعالى فيغضب الله وينتقم وقيل المراد بالنفث فى العقد أبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها (ومن شر حاسد إذا حسد) أى إذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادئ الإضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحسد لا غيره . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى .

١١٤ - سورة الناس

(مكية وهي ست آيات)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١١٤ الناس

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ①

١١٤ الناس

مَلِكِ النَّاسِ ②

١١٤ الناس

إِلَهِ النَّاسِ ③

١١٤ الناس

مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④

(سورة الناس مكية مختلف فيها وآياتها ست)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ) وقرىء في السورتين بحذف الهزمة ونقل حركتها إلى اللام (رب الناس) أى مالك أمورهم ومربيهم يافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى (ملك الناس) عطف بيان جىء به لبيان أن تريته تعالى إياهم ليست بطريق تريية سائر الملاك لما تحت أيديهم من ممالكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى (إله الناس) فإنه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولى لترتيب مبادئ حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم وإحياء وإماتة وإيجاد وإعداماً وتخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سالك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته للإرشاد إلى منهج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالإعاذة فإن توسل العائد بربه وانتسابه إليه تعالى بالربوبية والمملوكية والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من أفراد من دواعى مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالإعاذة لا محالة ولأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم فى التخصيص على انتظامهم فى سالك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من ملكة الشيطان وتسلمته عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى إن عبادى ليس لك عليهم سلطان فن جعل مدار تخصيص الإضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقها وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف إليه لزيد الكشف والتقدير والتشريف بالإضافة (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى

١١٤ الناس

الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾

١١٤ الناس

مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة (الخناس) *
الذي عادته أن يخنس أى يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه (الذي يوسوس في صدور الناس) إذا غفلوا
عن ذكره تعالى وحل الموصول إما الجر على الوصف وإما الرفع أو النصب على الذم (من الجنة والناس) ٦
بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جنى وإنسى كما قال عز وجل شياطين الإنس والجن أو متعلق
بـيوسوس أى يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الإنس وقد جوز أن يكون ياناً للناس على
أنه يطلق على الجن أيضاً حسب إطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد
بالناس الناسى ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فإن
كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى إلا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع
رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لأداء حقوق شكره .

﴿ تم بحمد الله وعونه هذا التفسير الجليل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴾

خاتمة المؤلف

قال العبد الذليل متضرعاً إلى ربه الجليل : اللهم يا ولي العصمة والإرشاد ، وهادي الغواة إلى سنن الرشاد ، باري البرية مالك الرقاب ، عليك توكلى وإليك متاب ، أنت المغيث لكل حائر ملهوف ، والمجير من كل هائل مخوف ، ألوذ بحرمك المأمون ، من غوائل ريب المنون ، وألتجئ إلى حرزك الحريز ، وأوى إلى ركنك العزيز ، وأسألك من خزائن برك المخزون ، في مكان سر كالمكنون ، خير ما جرى به قلم التكوين ، من أمور الدنيا والدين ، وأعوذ بك من فنون الفتن والشرو ، لاسيما الاطمئنان بدار الغرور ، والاعتزاز بنعيمها وزهرتها ، والافتتان بزخارفها وزينتها ، فأعذني بحمايتك ، وأعني بعنايتك ، وأفض على من شوارق الأنوار الربانية ، وبوارق الآثار السبحانية ، ما يخلصني من العوائق الظلمانية ، ويجردني من العلائق الجسمانية ، وهذب نفسي الآتية من دنس الطبائع والأخلاق ، ونور قلبي القاسي بلوامع الإشراق ، ليستعد للعبور على سرائر الأنس ، ويتيها للحضور في حظائر القدس ، وثبتني على مناهج الحق والهدى ، وأرشدني إلى مسالك البر والتقى ، واجعل أعز مرامى ابتغاء رضاك ، وأشرف أيامي يوم لقاءك ، يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقاً فريقاً ، واحشرنى مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

﴿ قام بمراجعة وتصحيح هذا التفسير : فضيلة الأستاذ الدكتور (حسن أحمد مرعي) الأستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر . وفضيلة الأستاذ الشيخ (محمد الصادق قحاي) المفتش العام بالمعاهد الأزهرية ، وعضو لجنة مراجعة المصاحف بمشيخة الأزهر الشريف ﴾ .

فهرست

الجزء التاسع من تفسير قاضى القضاة أبي السعود

صفحة	سورة	صفحة	سورة
١٤٣	الأعلى	٢	المالك
١٤٨	الغاشية	١١	القلم
١٥٣	الفجر	٢١	الحاقة
١٦٠	البلد	٢٩	المعارج
١٦٣	الشمس	٣٦	نوح
١٦٦	الليل	٤٢	الجن
١٦٩	الضحى	٤٩	الزمل
١٧٢	الشرح	٥٤	المدثر
١٧٤	التين	٦٤	القيامة
١٧٧	العلق	٧٠	الإنسان
١٨٢	القدر	٧٧	المرسلات
١٨٤	البينة	٨٤	النبا
١٨٨	الزلزلة	٩٥	النازعات
١٩٠	العاديات	١٠٧	عبس
١٩٢	القارعة	١١٤	التكوير
١٩٥	التكاثر	١٢٠	الانفطار
١٩٧	العصر	١٢٤	المطففين
١٩٨	الهمزة	١٣١	الانشقاق
٢٠٠	الفيل	١٣٥	البروج
٢٠٢	قريش	١٤٠	الطارق

صفحة	سورة	صفحة	سورة
٢١٢	الإخلاص	٢٠٣	الماعون
٢١٤	الفلق	٢٠٥	الكوثر
٢١٦	الناس	٢٠٦	الكافرون
٢١٨	الحاتمة	٢٠٨	النصر
		٢١٠	المسد
(تم الفهرست)			